بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م٢٨ع٢، ٢٩٩ صفحة (٢٠٢٠م)
ردمد ٠٩٨٩ - ١٣١٩
رقم الإيداع : ٠٢٩٤ / ١٤

مجلة
جامعة الملك عبد العزيز

الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ٢٨ العدد ٢

٢٠٢٠م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
ص ب: ٨٠٢٠٠ - جدة: ٢١٥٨٩
المملكة العربية السعودية
http://spc.kau.edu.sa

■هيئة التحرير■

أ.د. أحمد بن محمد صالح عزب aazab@kau.edu.sa	رئيسًا
أ.د. عبدالرحمن بن رجا الله السلمي aralsulami@kau.edu.sa	عضوًا
أ.د. محمد بن صالح ناحي الغامدي Msalghamdil@kau.edu.sa	عضوًا
أ.د. آمال بنت يحيى الشيخ Ayalshaikh@kau.edu.sa	عضوًا
أ.د. سامية بنت عبدالله بخاري Sbukare @kau.edu.sa	عضوًا
أ.د. زكريا بن أحمد الشربيني zalsherpeny @kau.edu.sa	عضوًا
أ.د. نهى بنت سليمان الشرفآ Nalshurafa@kau.edu.sa	عضوًا
د. زيني بن طلال الحازمي Zalhazmi@ kau.edu.sa	عضوًا
د. سليمان مصطفى آيدان slaydinn@hotmail.com	عضوًا
د. عبدالرحمن بن عبيد القرني aoalqarni@ kau.edu.sa	عضوًا
أ.د. عائض بن سعد الشهراني asalshahrani@ kau.edu.sa	عضوًا

مطابع جامعة الملك عبدالعزيز

المحتويات

القسم العربي

الصفحة

- تعليل الحكم الواحد في صورة واحدة بعلتين معاً فأكثر دراسة أصولية
مسرج بن منيع بن مطلق الروقي..... ١
- أنواع معاملات الصرف في الأسواق المالية باعتبار الملكية وحق الاختيار وتضعيف القوة الشرائية وأحكامها
منصور بن عبد الرحمن بن محمد الغامدي..... ٣٣
- الدلالة المحورية للحرف(مِنْ) عند سيبويه
إبراهيم بن مسعود الفيفي..... ٤٩
- القراءات المتواترة والشاذّة في سورة الإخلاص ودلالاتها العقدية (جمعا ودراسة)
بشرى حسن هادي اليمني..... ٩٣
- جدل الصحراء والغابة في ضوء التأويل التقابلي (دراسة تقابلية سيميائية)
سعود بن حامد مرزوق الصاعدي..... ١٢٥
- دراسة حضارية وتاريخية للقيمة الاقتصادية لموانئ البحر الأحمر: ميناءي ضباء وأملج نموذجا
سميرة بنت مبارك بن علي بلسود..... ١٥٩
- المساندة الإجتماعية وفعالية الذات وعلاقتهما بجودة الحياة لدى عينة من طالبات الجامعة بمحافظة جدة
شروق غرم الله الزهراني..... ١٨٣
- توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي "نموذج مقترح وكيفية تطبيقه في مناهج الرياضيات"
يعن الله علي يعن الله القرني..... ٢٠٥

- القَبُول عند الأصوليين

عبدالله بن أحمد الشريف..... ٢٥٥

- الجدران لها آذان : دراسة لغوية وتحليل الخطاب لفن الجداريات في جدة: المملكة العربية السعودية

نهى الشرفا ، علاء الجوفي..... ٢٩٩

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٢ ص ص: ١- ٣٢ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-2.1

تعليل الحكم الواحد في صورة واحدة بعلتين معاً فأكثر
دراسة أصولية

د. مسرج بن منيع بن مطلق الروقي
أستاذ الفقه وأصوله المساعد بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

مستخلص. هذا البحث في مسألة دقيقة من مسائل العلة في القياس وهي:
تعليل الحكم الواحد في صورة واحدة بعلتين معاً فأكثر
وقد حررت محل النزاع في المسألة، وذكرت أقوال الأصوليين وأدلتهم وهي خمسة أقوال، ثم ذكرت مناقشة الأدلة والقول الراجح في المسألة معتمدا في دراسة ذلك على المصادر الأصولية ، وذيلت البحث بخاتمة بأهم النتائج

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن مبحث القياس من أهم المباحث في علم أصول الفقه، وذلك لأنه يهتم بالأدلة الشرعية التي تبنى عليها أحكام الشريعة، وحيث أن القياس له أركان، ومن أهم أركانه: العلة، وقد تكلم الأصوليون عنها ومعناها وشروطها، ولكني في هذا البحث سأتكلم عن مسألة دقيقة، وهي: تعليل الحكم الواحد في صورة واحدة بعلتين معاً فأكثر.

وقد كان منهجي في هذا البحث:

تحرير محل النزاع في المسألة، وجمع أقوال أهل العلم مع ذكر من قال بذلك القول ودليله، ومناقشة الأدلة ثم الترجيح.

خطة البحث

احتوى البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع؛ كما يلي:

المقدمة: واشتملت على خطة البحث، ومنهجه.

المبحث الأول: تحرير محل النزاع.

المبحث الثاني: الأقوال في المسألة، وأدلة كل قول.

المبحث الثالث: الترجيح ومناقشة الأدلة.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

قائمة المصادر والمراجع.

منهج البحث:

١- اعتمدت على المصادر الأصولية الأصيلة.

٢- خرَّجت الأحاديث الواردة في البحث؛ فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإن كان في غيرهما نقلته منه، وأوردت كلام بعض المحققين في بيان درجته.

٣- عزوت كل قول إلى قائله.

٤- ذيَّلت البحث بقائمة المصادر والمراجع التي أفدتُّ منها في هذا البحث.

المبحث الأول: تحرير محل النزاع

اتفق الأصوليون على أنه يجوز تعليل الحكم الواحد نوعًا المختلِف شخصًا بعِللٍ مختلفِة، وذلك مثل:

أن يُعلّل إباحة قتل شخصٍ برِدَّته، والآخر يعلّل بالقصاص، والآخر يعلّل بالزنا بعد الإحصان[١].

واختلفوا في جواز تعليل الحكم الواحد في صورة واحدة بعلل مختلفة، وذلك مثل:

إباحة قتلِ الشخصِ الواحد برِدَّته، وقتلِه الموجِب للقِصاص[٢].

قال الآمدي:"اتفقوا على جواز تعليل الحكم بعلل في كل صورة بعلة، واختلفوا في جواز تعليل الحكم الواحد في صورة واحدة بعلتين معا"[٣].

قال ابن السبكي: "يجوز تعليل الحكم الواحد نوعًا المختلف شخصًا بعلل مختلفة وفاقًا، كتعليل إباحة قتل زيد بردته، وعمرو بالقصاص، وخالد بالزنا بعد الإحصان، وربما أومأ بعضهم إلى جريان الخلاف فيه، وعلى ذلك مشى صاحب الكتاب حيث جعل عدم العكس مبنيًّا عليه، والأشبه ما ذكرناه وبه صرح الآمدي وصفي الدين الهندي وهذا في العلل الشرعية، أما العقلية: فظاهر نقل بعضهم أن الخلاف في تعليل المعلول الواحد بعلل عقلية يختص بالواحد بالنوع دون الواحد بالشخص، فإنه يمتنع تعدد علته بلا خلاف.

وأما تعليل الحكم الواحد في شخص واحد بعلل مختلفة نحو تحريم وطء المعتدة المحرمة الحائض -وزاد إمام الحرمين الصائمة وهو سهو؛ لأن الصوم يستحيل أن يجامع الحيض شرعا- وكذا إباحة قتل الشخص الواحد بردته وقتله الموجب للقصاص هل يجوز بهذه الإمارات المزدحمة؟ اختلفوا فيه على مذاهب"[٤].

---

(١) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٦٩/٨.

(٢) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٦٩/٨-٣٤٧٠.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ٢٣٦/٣.

(٤) الإبهاج في شرح المنهاج، ابن السبكي، ١١٤/٣-١١٥.

قال الأصفهاني: "اختلفوا في جواز تعليل الحكم الواحد بعلتين أو بعلل، كل واحدة منها مستقلة بالعلية على خمسة مذاهب"(١).

وقال الزركشي: "يجوز تعليل الحكم الواحد بالنوع المختلف بالجنس لشخص بعلل مختلفة بالاتفاق، كتعليل إباحة قتل زيد بردته، وعمرو بالقصاص، وخالد بالزنى.... وقد صرح النبي ﷺ بعلل مختلفة كل منها مستقل في إباحة الدم، كقوله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إسلام، أو زنى بعد إحصان، أو قتل مؤمن بغير حق**»(٢).

وأما تعليل الحكم الواحد في شخص بعلل مختلفة فلا خلاف في امتناعه بعلل عقلية، كذا قيل، لكن لأهل الكلام فيه خلاف حكاه القاضي في التقريب ثم قال: اختلفوا إذا وجب الحكم العقلي بعلتين، فقيل: لا يرتفع إلا بارتفاعهما جميعا: وقيل: يرتفع بارتفاع إحداهما.

واختلفوا في العلل الشرعية إذا ثبت كونها عللا بذلك من خارج، هل يصح تعليل الحكم بها؟ كمحصن زنى وقتل، فإن الزنى يوجب القتل بمجرده، فهل تعلل إباحة دمه بهما معا أم لا؟ وكالعصير إذا تخمر ووقعت فيه نجاسة، هل تعلل نجاسته بهما معا أم لا؟ وكتحريم وطء المعتدة المحرمة الحائض على مذاهب"(٣).

وقال المرداوي: "المعلل بالعلل المتعددة لا يخلو: إما أن يكون واحدا بالنوع أو واحدا بالشخص؛ فالواحد بالنوع يجوز تعدد علله بحسب تعدد أشخاصه بلا خوف كتعليل قتل زيد بردته، وقتل عمرو بالقصاص، وقتل بكر بالزنا، وقتل خالد بترك الصلاة.

وأما الواحد بالشخص فلا خلاف في امتناع تعدد العلل العقلية فيه؛ لأنه بمعنى تأثير كل واحد، والمؤثرات على أثر واحد محال كما قرر في محله، وأما العلل الشرعية فهي محل الخلاف"(٤).

وقال ابن النجار: "ويجوز تعليل حكم واحد بعلل متعددة كل صورة بعلة بحسب تعدد صوره بالنوع إذا كان له صور اتفاقا، كتعليل قتل زيد بردته، وقتل عمرو بالقصاص، وقتل بكر بالزنا، وقتل خالد بترك الصلاة"(٥).

وقال الشوكاني:" وقد اختلفوا في جواز تعدد العلل مع اتحاد الحكم؛ فإن كان الاتحاد بالنوع مع الاختلاف بالشخص، كتعليل إباحة قتل زيد بردته، وقتل عمرو بالقصاص، وقتل خالد بالزنا مع الإحصان، فقد اتفقوا على الجواز، وممن نقل الاتفاق على ذلك الأستاذ أبو منصور البغدادي، والآمدي، والصفي الهندي.

---

(١) بيان المختصر، الأصفهاني، ٥٠/٣.

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" من حديث عثمان ﷺ لكن لفظه في آخره: "أو قتل نفس بغير نفس" ١٧٠/٤ برقم ٤٥٠٢، وأخرجه الترمذي في "سننه" ٤٦٠/٤ برقم ٢١٥٨، والنسائي في "المجتبى" ٩١/٧ برقم ٤٠١٩، وابن ماجه في "سننه" ٨٤٧/٢ برقم ٢٥٣٣، وصحح إسناده الألباني وشعيب الأرناؤوط. وللحديث شاهد من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ في الصحيحين بمعناه، رواه البخاري ٥/٩ برقم ٦٨٧٨، ومسلم ١٣٠٢/٣ برقم ١٦٧٦.

(٣) البحر المحيط، الزركشي، ٢٢١/٧-٢٢٢.

(٤) التحبير شرح التحرير، المرداوي، ٣٢٥١/٧.

(٥) شرح الكوكب المنير، ابن النجار الفتوحي، ٧١/٤.

وأما إذا كان الاتحاد بالشخص، فقيل: لا خلاف في امتناعه بعلل عقلية.

وحكى القاضي الخلاف في ذلك، فقال: ثم اختلفوا إذا وجب الحكم العقلي بعلتين، فقيل:

لا يرتفع إلا بارتفاعهما جميعا.

وقيل: يرتفع بارتفاع إحداهما.

وأما تعدد العلل الشرعية، مع الاتحاد في الشخص، كتعليل قتل زيد بكونه قتل من يجب عليه فيه القصاص، وزنى مع الإحصان، فإن كل واحد منهما يوجب القتل بمجرده، فهل يصح تعليل إباحة دمه بهما معا أم لا؟ اختلفوا في ذلك على مذاهب"[١].

وقال الأمين الشنقيطي:" اعلم أن لهذا المبحث صورتين: إحداهما: أن يعلل الحكم الواحد بعلتين أو أكثر؛ بأن يثبت الحكم بكل واحدة منفردة عن الأخرى كالبول والغائط والتقبيل بالنسبة إلى نقض الوضوء، وهذا لا اختلاف فيه في العلل المنصوصة، واختُلف في جوازه في العلل المستنبطة، وقد أشار إليه في المراقي بقوله:

وعلة منصوصة تعدد في ذات الاستنباط خلف يعهد

الصورة الثانية وهي التي يعنيها المؤلف: أن يكون الحكم معللا بمجموع العلتين لا إحداهما بعينها كمن لمس وبال في وقت واحد فعلة نقض وضوئه بمجموعهما لا أحدهما بعينه. وكذلك إذا اجتمع لبان أختك ولبان زوجة أخيك ووصل المجموع دفعة واحدة إلى حلق المرأة، فإنك تكون عماً لها وخالا في وقت واحد. والمجموع هو علة التحريم لعدم تميز واحد بعينه. ولا يمكن أن يقال هما تحريمان لأن التحريم حقيقة واحدة، وهذه الصورة اختلف في التعليل بها"[٢].

المبحث الثاني: الأقوال في المسألة وأدلة كل قول

اتفق الأصوليون على جواز تعليل الحكم الواحد بعلل في كل صورة بعلة، واختلفوا في جواز تعليله في صورة واحدة بعلتين أو أكثر معاً على مذاهب:

القول الأول:

لا يجوز تعليل الحكم الواحد في صورةٍ واحدةٍ بعلَلٍ مختلِفة مطلقاً، أي سواء في العلل المنصوصة أو المستنبطة.

وقد ذهب إلى ذلك: الصيرفي[٣]، وأبو بكر الباقلاني[٤]، وإمام الحرمين الجويني[٥]، والآمدي[٦].

قال ابن برهان في (الوجيز): "إن الذي استقر عليه رأي الإمام أخيرًا هو المنع يعني كما نقله الآمدي وحينئذ يكون له في المسألة رأيان"[٧].

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

الدليل الأول:

أنه لو كان الحكم الواحد معللًا بعلل مختلفة، لم يخل إما أن يستقل كل واحد منها بالتعليل، أو لا يستقل واحد منها به، بل لا يتم إلا بمجموعها، أو يستقل أحدها به دون البواقي، والأقسام الثلاثة باطلة، والتعليل بالعلل المختلفة باطل؛

---

(١) إرشاد الفحول، الشوكاني، ١١٥/٢.

(٢) مذكرة في أصول الفقه، الأمين الشنقيطي، ٣٣٦.

(٣) ينظر: البحر المحيط، الزركشي، ٢٢٢/٧، إرشاد الفحول، الشوكاني، ١١٥/٢.

(٤) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ٢٣٦/٣، نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٠/٨، التحبير شرح التحرير، المرداوي، ٣٢٥٢/٧.

(٥) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ٢٣٦/٣، نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٠/٨، التحبير شرح التحرير، المرداوي، ٣٢٥٢/٧.

(٦) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ٢٣٦/٣.

(٧) البحر المحيط، الزركشي، ٢٢٦/٧

أما الأول: فلأنه لا معنى لكون الوصف علة مستقلة إلا أنه علة له دون غيره، فلو كان كل واحدة منها علة مستقلة بالتعليل بهذا التفسير، لزم ألا يكون كل واحدة منها علة، فضلًا عن أن تكون مستقلة.

وأما الثاني: فهو أيضًا باطل؛ لأنه على نقيض ما فرض من الملزوم فكان باطلًا، وبتقدير ألا يكون باطلًا فالمقصود حاصل؛ لأنه حينئذ لا يكون ذلك الحكم معللًا إلا بعلة واحدة.

وأما الثالث: فهو أيضًا باطل؛ لأنه حينئذ يلزم ترجيح أحد الجائزين على الآخر وهو باطل، وبتقدير أن لا يكون باطلًا فالمقصود حاصل على ما عرف ذلك من قبل(١).

فإن قيل: نحن لا نفسر استقلال العلة بأن الحكم ثبت بها لا غير ليلزمنا ما قيل، بل معنى استقلالها أنها لو انفردت لكان الحكم لها ولا أثر لانتفاء غيرها، ولا يخفى وجه الفرق بينه وبين القسمين الآخرين.

سلمنا دلالة ما ذكرتموه على امتناع تعليل الحكم بعلتين على وجه تكون كل واحدة مستقلة بالحكم، لكنه معارض بما يدل على جوازه بالنظر إلى ما هو الواقع من أحكام الشرع؛ وذلك أنا قد اتفقنا على ثبوت الحكم الواحد عقيب علل مختلفة، كل واحدة قد ثبت استقلالها بالتعليل في صورة، وعند ذلك فإما أن يقال: العلة منها واحدة أو الكل (علة) واحدة ذات أوصاف، أو أن كل واحدة علة مستقلة.

لا جائز أن يقال بالأول وإلا فهي معينة أو مبهمة: القول بالتعيين ممتنع لعدم الأولوية، ولما فيه من خروج الباقي عن التعليل مع استقلال كل واحدة به، وبهذا يبطل الإبهام.

والقسم الثاني: أيضا، فلم يبق سوى القسم الثالث وهو الاستقلال.

ودليل ثبوت مثل هذه الأحكام: الإجماع على إباحة قتل من قتل مسلما قتلا عمدا عدوانا، وارتد عن الإسلام، وزنا محصنا وقطع الطريق معا، وعلى ثبوت الولاية على الصغير المجنون، وعلى امتناع نكاح من أولدته وأرضعته، وعلى تحريم وطء الحائض المعتدة المحرمة، وعلى انتقاض الوضوء بالمس واللمس والبول والغائط معًا(٢).

وقد أجيب عنه: بأنا لا نسلم أنه لا معنى لكون الوصف علة مستقلة للحكم إلا ما ذكرتم، بل معناه أنه لو وجد منفردًا لكان مقتضيًا له من غير حاجة إلى غيره، ومعلوم أن اللفظ منطبق على هذا المفهوم وحينئذ لم يلزم ما ذكرتم من المحذور، وما يقال في جوابه: بأن الكلام إنما هو مفروض في حالة الاجتماع لا في حالة الانفراد، والتقسيم في حالة الاجتماع، فعلى ما سبق ضعيف أيضًا؛ لأنه ليس معنى قولنا: "لو وجد منفردًا" أنه لو وجد منفردًا حالة الاجتماع حتى يكون فرض حالة الاجتماع منافيًا له، بل معناه: أن العلة المستقلة مآلها هذه الحيثية، ومعلوم أن فرض حالة الاجتماع لا ينافي هذا المفهوم، وحينئذ حاصل الكلام يرجع إلى أنه لم لا

(١) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧١/٨

(٢) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ٢٣٦/٣-٢٣٧.

يجوز أن يكون الحكم معللًا بكل واحد من العلل المختلفة التي شأنها أنه لو وجدت واحدة منها وحدها لاستقلت بالاتحاد؟ ومعلوم أن التقسيم المذكور في الدليل لا يبطل هذا الاحتمال(١).

وأما الأحكام فالوجه في دفعها أن تقول: أما إباحة قتل من قتل وارتد وزنى محصنا وقطع الطريق، فالعلل وإن كانت فيه متعددة فالحكم أيضا متعدد شخصًا وإن اتحد نوعًا، ولذلك فإنه لا يلزم من انتفاء إباحة القتل بعد العودة عن الردة إلى الإسلام انتفاؤها بباقي الأسباب الأخر، ولا من انتفاء الإباحة بسبب إسقاط القصاص انتفاؤها بباقي الأسباب.

ويدل على تعدد الحكم أيضا أن الإباحة بجهة القتل العمد العدوان حق للآدمي بجهة الخلوص، ولذلك يتمكن من إسقاطه مطلقا، والإباحة بجهة الزنا والردة حق لله تعالى بجهة الخلوص دون الآدمي، وذلك غير متصور في شيء واحد، وعلى تقدير الاستيفاء فالمقدم حق الآدمي وهو الإباحة بجهة القصاص ؛ لأن حقه مبني على الشح والمضايقة، وحق الله تعالى مبني على المسامحة والمساهلة من حيث إن الآدمي يتضرر بفوات حقه دون الباري تعالى.

وأما ثبوت الولاية على الصغير المجنون فمستندة إلى الصغر لسبقه على الجنون؛ لكون الجنون لا يعرف إلا بعد حين، وكذلك امتناع نكاح الوالدة المرضعة فإنه مستند إلى الولادة دون الرضاع لسبقها عليه.

وأما الوطء في حق الحائض المعتدة المحرمة فغير محرم على التحقيق، وإنما المحرم في حق الحائض ملابسة الأذى، وفي حق المعتدة تطويل العدة، وفي حق المحرمة إفساد العبادة، وهي أحكام متعددة لا أنها حكم واحد.

وأما المس واللمس وباقي الأسباب فالأحداث المرتبة عليها متعددة على رأي لنا.

وعلى هذا فلو نوى رفع حدث واحد منها لارتفع الباقي، فأحكامها أيضا متعددة لا أنها حكم واحد، والنزاع إنما هو في الحكم الواحد بالشخص بعلتين لا في تعليل حكمين(٢).

قال الآمدي:"وعلى هذا فلا يخفى وجه التخريج لكل ما يرد من هذا القبيل"(٣).

الدليل الثاني:

أنه لو كان الحكم عند اجتماع العلل معللًا بكل واحدة منها لزم ألا يكون معللا بكل واحدة منها، واللازم باطل فالملزوم مثله.

بيان الملازمة: أن المعلول مع العلة المستقلة يصير واجب الثبوت بها غنيًا عن غيرها، والغني عن الشيء لا يكون معللًا به، فلو كان الحكم الواحد معللا بكل واحدة من العلل المستقلة لزم أن يكون غنيًا عن كل واحدة منها، وحينئذ يلزم ألا يكون معللًا بكل واحدة منها هذا خلف(٤).

---

(١) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ٢٣٧/٣، نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧١/٨-٣٤٧٢.

(٢) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ٢٣٧/٣-٢٣٨.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ٢٣٨/٣.

(٤) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧١/٨.

وقد أجيب عنه: بأن هذا إنما يلزم إذا فسرت العلة بغير المعرف، فأما إذا فسرت به فلا فإن اجتماع المعرفات المستقلة على معرف واحد جائز[١].

الدليل الثالث:

أن جواز تعليل الحكم الواحد بأكثر من علة واحدة يفضي إلى أحد الأمور الثلاثة:

وهو إما تحصيل الحاصل، أو اجتماع المثلين، أو نقض العلة ،والأمور كلها باطلة؛ فبطل التعليل بأكثر من علة واحدة.

بيان الملازمة: أن أي علة من تلك العلل إذا وجدت فلابد وأن تقتضي حصول الحكم، وإلا لحكم النقض من غير مانع وهو باطل لما تقدم. فإذا حصلت العلة الثانية فإن اقتضى حصول ذلك الحكم بعينه، لزم تحصيل الحاصل، أو مثله لزم اجتماع المثلين، أو غيرهما أو لم يقتض شيئًا لزم النقض[٢].

وقد أجيب عنه: بأنه لا ينفي حيث تحصل العلل دفعة واحدة ويكون الحكم معللًا بكل واحدة منها.

سلمناه لكن الحكم للحاصل بالعلة السابقة إنما يمتنع حصوله بالعلة اللاحقة إذا فسرت العلة "بالمؤثر"، فأما إذا فسرت "بالمعرف" فلا نسلم امتناعه.

سلمنا امتناعه مطلقًا، لكن النقض لمانع وهو غير ممتنع على ما تقدم تقريره فإن حصول الحكم أولًا مانع من حصول ثانيًا[٣].

الدليل الرابع:

أن العلة يحب أن تكون مناسبة، ومناسبة الواحد للمختلفين تقتضي مساواته لهما، ومساواته لهما يقتضي مخالفته لنفسه؛ لأن المساوي لمختلفين مختلف، وهو محال فالملزوم مثله[٤].

وقد أجيب عنه: بأنا لا نسلم أن العلة يجب أن تكون مناسبة، وقد عرفت سنده فيما تقدم.

سلمناه لكن لا نسلم امتناع مخالفة الشيء لنفسه باعتبارين مختلفين.

سلمناه لكن لم يجوز أن تشترك العلتان في جهة واحدة وتتحقق المناسبة بينهما وبين الحكم بحسب تلك الجهة[٥].

الدليل الخامس:

لو جاز اجتماع العلل على الحكم الواحد، فإما أن تكون كل واحدة من تلك العلل تؤثر في كل الحكم، أو في بعضه، والقسمان باطلان فبطل الاجتماع.

أما الأول، فلأنه حينئذ يلزم إيقاع الواقع وتحصيل الحاصل؛ لأن ذلك الحكم لما حصل بواحدة منها فلو حصل بالأخرى لزم ما تقدم.

وأما الثاني فلوجوه:

أحدها: أن الحكم الواحد لا يتبعض.

وثانيها: أن ذلك يقتضي أن يكون معلول كل واحدة منها غير معلول الآخر، فلم يحصل الاجتماع على معلول واحد وهو خروج عن المسألة.

---

(١) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ٢٣٦/٣، نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٢/٨.

(٢) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٢/٨-٣٤٧٣.

(٣) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٣/٨.

(٤) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٣/٨

(٥) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٣/٨.

وثالثها: أن ذلك يقتضي أن لا يكون كل واحدة منها مستقلة وهو خروج عن المسألة أيضًا[١].

وقد أجيب عنه: بمثل ما تقدم[٢].

الدليل السادس:

الإجماع، وتقريره: أن الأئمة تعلقوا بالترجيح في كون العلة المرجحة هي العلة بعد ذكر دلالتهم على صحة عللهم، واكتفوا بذلك عن ذكر الدلالة على بطلان مذهب مخالفهم كما في ربا الفضل وغيره، ولو كان التعليل بأكثر من العلة والحدة جائزًا لم يفد ذلك؛ إذ لا يفيد الرجيح سوى ظهور العلة، ومن جوز التعليل بأكثر من الواحدة لم يذكر أن يكون بعضها أكثر من البعض[٣].

اشتغال الأئمة بالترجيح في علل الربا أهي: الطعم، أو الكيل، أو القوت، يدل على استقلال كل بالعلية؛ إذ لو جاز تعدد العلل لقالوا به، ولم يشتغلوا بالترجيح لتعيين واحدة منها، ونفي ما سواها[٤].

وقد أجيب عنه: بأن ذلك بإجماع من القائسين وليس فيه الحجة بل في إجماع مجموع الأمة سلمناه كان الترجيح متضمنًا للإبطال؛ إذ لا يجوز العمل بالمرجوح مع وجود الراجح.

وهذا فيه نظر سلمناه ،لكن حيث أجمعوا على أن العلة فيه واحدة[٥].

لو جاز تعليل الحكم الواحد بعلتين أو علل، كل واحدة منها مستقلة، لما تعلقت الأئمة في علة الربا بالترجيح، يعني ترجيح عللها من الطعم والقوت والكيل، بعضها على بعض، والتالي باطل ؛ لأنهم تعلقوا بالترجيح.

بيان الملازمة: أن من ضرورة جواز تعليل الحكم الواحد بعلتين أو علل، كل واحدة منها مستقلة، صحة استقلال كل منها بالعلية، والترجيح ينافي صحة الاستقلال ؛ لأنه إذا صح أن يكون كل واحدة منها علة مستقلة، جاز أن يكون الجميع علة، فلا وجه للترجيح[٦].

وقد أجيب عنه: بأنهم تعرضوا للطعم والقوت والكيل ؛ لإبطال كون الغير علة بالترجيح.

ولو سلم أنهم تعرضوا للترجيح، فلا نسلم أنهم تعرضوا للترجيح ؛ لامتناع التعليل بعلتين مستقلتين، بل للإجماع على اتحاد العلة هاهنا، أي في الربا، وإلا – أي وإن لم يتعرضوا للترجيح – لزم جعلها – أي جعل علل الربا – أجزاء للعلة ؛ لأنهم لما أجمعوا على اتحاد العلة هاهنا، لم يمكن أن يجعل كل واحدة منها علة مستقلة.

فلو لم يتعرضوا للترجيح حتى يتعين الراجح للعلية، يلزم أن يكون كل منها جزء علة ؛ لأن جعل أحدهما علة من غير ترجيح محال، ولا قائل بكون كل منها جزء علة[٧].

---

(١) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٣/٨-٣٤٧٤.
(٢) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٤/٨.
(٣) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٤/٨.
(٤) ينظر: شرح مختصر ابن الحاجب، الإيجي، ٢٢٥/٢،
(٥) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٤/٨-٣٤٧٥.
(٦) ينظر: بيان المختصر، الأصفهاني، ٥٧/٣-٥٨.
(٧) ينظر: بيان المختصر، الأصفهاني، ٥٨/٣.

وأجيب عنه: بأن تعلق الأمة بها لم يكن للترجيح، وإنما كان لتعيين ما يصلح علة مستقلة، وإبطال التعليل بما سواها، وعلى فرض التسليم، فالإجماع على أن العلة إحدى المذكورات، ولولا الإجماع على هذا لوجب جعل كل واحدة منها جزء علة، ومنع المصير إلى الترجيح، لأن المفروض أنهم يرون صلاحية كل للعلية، ولا دليل على إلغاء واحدة منها، فوجب اعتبارها جميعاً، وذلك قول بالجزئية، ليكون الكل داخلاً في العلية، لا سيما عند عدم ظهور وجه الترجيح(١).

الدليل السابع:

أنه لو علل بعلتين لاجتمع على الأثر الواحد مؤثران مستقلان وهو محال، وإلا لاستغنى بكل واحد منهما على كلّ واحد منهما فيلزم أن يقع بهما في حالة عدم وقوعه بهما، وأن لا يقع بهما حالة وقوعه بهما، وهو جمع بين النقيضين، لأن الوقوع بكل واحد منهما سبب عدم الوقوع من الآخر فلو حصل العلتان وهو الوقوع بهما لحصل المعلولان وهو عدم الوقوع بهما، ولأن تعليل الحكم بعلتين يفضي غلى نقض العلة وهو خلاف الأصل.

بيانه: أنه إذا وجدت إحدى العلتين ترتب عليها الحكم، فإذا وجدت الأخرى بعدها لا يترتب عليها شيء، فقد وجدت العلة الثانية بدون الترتيب لتقدم الترتيب عليها بناءً على العلة الأخرى، فيلزم وجود العلة بدون وجود مقتضاها، وهو نقض عليها(٢).

لو علل الحكم الواحد بعلتين، لاجتمع على الأثر الواحد مؤثران، لكنه «لا يجتمع على الأثر» الواحد مؤثران، فلا يجوز تعليل الحكم الواحد بعلتين، وإنما قلنا: لا يجتمع على الأثر مؤثران؛ لأن كل واحد من المؤثرين استقل بإيجاد الأثر، فإن أثرا فيه معا، لزم الاستغناء بكل واحد منهما، والفرض أنه ثبت بهما. هذا خلف، وإن أثرا فيه متعاقبين، فهو إنما ثبت بالأول، والثاني ليس بمؤثر لعدم القابل لتأثيره، وإن لم يستقل كل واحد منهما بإيجاد الأثر، فكل واحد منهما جزء المؤثر، لا المؤثر الكامل، بل هما جميعا المؤثر في نقضه. أما أحدهما فقط، فلا علتين، أو كل واحد منهما، فإما على التعاقب فكذلك، أو معا فيلزم أن لا ينتقض بأحدهما مع فرض انتقاضه بهما، وهو تناقض محال(٣).

وقد أجيب عنه: بأن علل الشرع معرفات لا مؤثرات، والمحال المذكور إنما يلزم من المؤثرات، ويجوز اجتماع معرفين فأكثر على مدلول واحد كما يعرف الله تعالى وصفاته العلية بكل جزء من أجزاء العالم(٤).

كما أن النقض لقيام المانع لا يقدم في العلة كما تقدم في النقض فيقول به، هذا في المنصوصتين، أما المستنبطتان فلا سبيل إلى التعليل بهما، لأن الشرع إذا ورد بحكم مع أوصاف مناسبة وجب جعل كل واحد منهما جزء علة لا علة مستقلة، لأن الأصل عدم الاستقلال حتى ينص صاحب الشرع على استقلالهما، أو أحدهما فيستقل(٥).

---

(١) ينظر: شرح مختصر ابن الحاجب، الإيجي، ٢/٢٢٥.
(٢) ينظر: شرح تنقيح الفصول، القرافي، ٤٠٤-٤٠٥.
(٣) ينظر: شرح مختصر الروضة، الطوفي، ٣/٣٤٠-٣٤١.
(٤) ينظر: شرح تنقيح الفصول، القرافي، ٤٠٥.
(٥) ينظر: شرح تنقيح الفصول، القرافي، ٤٠٥.

إنما يمتنع اجتماع مؤثرين على أثر واحد في الأحكام العقلية لا الشرعية، «لما ذكرنا» قبل من أن علل الشرع أمارات ومعرفات، فلا يمتنع أن يكون على الشيء الواحد علامتان وعلامات، ومعرفان ومعرفات، كما يعرف الحكم الواحد بأدلة كثيرة، وكما يعرف الله – سبحانه وتعالى – بكل جزء من أجزاء العالم معرفة المؤثر بالأثر، وهذا بخلاف العلل العقلية، فإنها مؤثرات في معلولاتها، فلا يجتمع على المعلول منها علتان، كالتحرك لا يكون في الجوهر الواحد بحركتين، وكسر الإناء لا يكون بكسرين، واسوداد الجسم لا يكون بتسويدين للتقرير المذكور.

ووجه الفرق بين المؤثرتين أعني الثابتتين بنص أو إجماع والمستنبطتين، هو أن المستنبطة إنما تثبت بالسبر، فإذا أضيف الحكم الشرعي إلى أوصاف، وجب جعل جميعها علة واحدة، وكل واحد منها جزء علة، إذ الأصل عدم استقلال كل منها بالعلية حتى ينص صاحب الشرع على استقلاله، فيثبت[1].

قال الطوفي: "وذكر الآمدي في «جدله» في منع التعليل بعلتين كلاما طويلا، وأنا أذكره بمعناه ملخصا منه ما أمكن مع البيان:

وتقرير ذلك: أن العلة الشرعية إما بمعنى الباعث، أو بمعنى الأمارة والعلامة.

فإن كانت بمعنى الباعث، امتنع أن يكون للحكم الواحد في محل واحد من جهة واحدة باعثان، لوجهين:

أحدهما: أن عند اجتماعهما إن أضيف الحكم إليهما، فهما باعث واحد، وإن أضيف إلى أحدهما، فالآخر ليس بباعث.

الوجه الثاني: لو كان للحكم الواحد باعثان، فإما أن يتفقا من كل وجه، أو يختلفا من كل وجه، أو يتفقا من وجه ويختلفا من وجه.

فإن اتفقا من كل وجه، فلا تغاير، إذ التغاير بدون مميز محال، فهما باعث واحد.

وإن اختلفا من كل وجه، استحال اتفاقهما في اقتضاء حكم واحد، إذ اختلاف المؤثر يقتضي اختلاف الأثر.

وإن اتفقا من وجه دون وجه، فالتعليل إن وقع بالقدر المشترك بينهما وهو ما به الاتفاق فالعلة واحدة، وإن وقع بما به الاختلاف؛ أو بما به الاتفاق والاختلاف جميعا، امتنع اقتضاؤهما لحكم واحد، لاختلافهما في أنفسهما كما سبق بيانه.

وإن كانت العلة بمعنى العلامة: فعند اجتماع الأمارتين، إن عرف الحكم بهما، فهما أمارة واحدة، وإن عرف بإحداهما؛ فلا حاجة إلى الأخرى.

أما إن اختلف محال الحكم أو جهاته؛ فلا مانع من تعليله بأكثر من علة واحدة لتعدد محاله وجهاته.

قال: وقد يستشكل علي بأن قواعد الشرع تشهد بخلافه كالحائض المعتدة يحرم وطؤها، وكذا الوالدة المرضعة يحرم نكاحها بالولادة والرضاع، والقاتل المرتد يجب قتله، والصغر والجنون يثبتان الولاية، واللمس والبول والتغويط معا ينقض الوضوء، فالحكم من كل واحدة من هذه الصور متحد، والعلل متعددة، إذ لا سبيل إلى القول بأن المجموع علة واحدة،

(١) ينظر: شرح مختصر الروضة، الطوفي، ٣/٣٤١-٣٤٢.

لاستقلال البعض بالحكم إذا انفرد، ولا إلى القول بأن العلة البعض دون البعض، إذ هو ترجيح بلا مرجح، فتعين أن كل واحدة علة مستقلة.

قال: وهو مندفع من وجهين:

أحدهما: من حيث الإجمال، وهو أنا قد بينا امتناع التعليل بعلتين بدليل عقلي لا سبيل إلى إنكاره، وحيث يتخيل جوازه كما في الصور المستروح إليها، احتمل تعدد الحكم، واتحاد العلة، أو خروج إحدى العلتين عن الاعتبار، ونظن خلاف ذلك لدقة النظر، ولطف المأخذ، ومع هذه الاحتمالات لا سبيل إلى مخالفة الدليل المتيقن.

الوجه الثاني: من حيث التفضيل، وهو تخصيص كل صورة من الصور المذكورة بجواب.

أما الصورة الأولى؛ فتحريم الوطء فيها مجاز، وإنما المحرم قربان الآدمي في وطء الحائض، وإفساد العبادة في وطء المحرمة، واختلاط النسب في وطء المعتدة، فالحكم متعدد بتعدد العلة.

وأما الصورة الثانية؛ فتحريم النكاح استقلت الولادة دون الرضاع لسبقها عليه. وحينئذ لا يصادف محلا يحرمه، إذ تحريم المحرم تحصيل الحاصل.

وأما الصورة الثالثة؛ فقتل القاتل غير قتل المرتد، فالحكم متعدد، ولذلك يختلفان في الأحكام، فيسقط القتل قصاصا بالعفو، دون القتل بالردة، ويسقط القتل بالردة بالتوبة دون القتل قصاصا، فهما مختلفان بالشخصية لعليتها.

وأما الصورة الرابعة؛ فثبوت الولاية مضاف إلى الصغر لسبقه على الجنون كما ذكر في الولادة مع الرضاع، إذ لا يعقل الجنون إلا عند التمييز، وكذا لو باع خمرا أو خنزيرا بشرط فاسد، أو ثمن مجهول، أضيف الفساد إلى عدم المحل لسبقه على الشرط.

وأما الصورة الخامسة؛ فعلى قول بعض العلماء منهم أبو بكر من أصحابنا: الأحداث متعددة، حتى لو نوى رفع واحد منهما، لم يرتفع ما عداه، ولو اغتسلت حائض جنب للحيض، حل وطؤها دون غيره لبقاء الجنابة، فالحكم إذا متعدد بتعدد العلل، وإن قلنا: إن الحدث واحد، فلا مانع من أن يقال: العلة هي المجموع، وإن كان البعض يستقل بالحكم عند الانفراد، كما في سرقة مائة دينار مثلا مع القطع، فإن مجموعها علة له، وإن كان كل ربع دينار منها مستقلا به عند انفراده"[١].

قال الطوفي:" وهذا يصلح أن يكون شاهدا عاما لهذا الجواب في جميع الصور"[٢].

الدليل الثامن:

أنه لو جاز تعليل الحكم الواحد بعلتين مستقلتين أو بعلل مستقلة لكانت كل واحدة مستقلة في التعليل غير مستقلة به، وذلك تناقض وذلك؛ لأن معنى كون العلة مستقلة بالتعليل ثبوت الحكم بها وحدها دون غيرها فإذا تعددت العلة يلزم من استقلال كل واحدة منها عدم استقلال كل واحدة منها لاستلزام علية كل واحدة عدم علية الغير فضلا عن استقلالها. يبينه أن الأئمة تعلقوا بالترجيح في علة الربا فرجح بعضهم الكيل وبعضهم الطعم وبعضهم القوت تفاديا عن

---

(١) شرح مختصر الروضة، الطوفي، ٣/٣٤٢-٣٤٥.

(٢) شرح مختصر الروضة، الطوفي، ٣/٣٤٥.

لزوم تعليل الحكم الواحد بعلتين، ولولا امتناعه لم يرجحوا البعض بل جوزوا كون كل واحد من الثلاثة علة من صحة استقلال واحدة منها بالعلية؛ لأن الاستقلال من ضرورة الترجيح بعد التعارض، ولا تعارض إلا أن يكون أحدهما في قوة صاحبه أو قريبا منه فعلى هذا لولا صحة استقلال كل بالعلية لما رجحوا(١).

أنه لو جاز تعليل الحكم الواحد بعلل مستقلة، لكانت كل واحدة منها مستقلة غير مستقلة، والتالي ظاهر الفساد، فالمقدم مثله.

بيان الملازمة: أن معنى استقلال العلة ثبوت الحكم بها بانفرادها، فإذا تعددت العلل المستقلة، ثبت الحكم بكل واحدة منها ؛ لأنها علة مستقلة، ولم يثبت بكل منها؛ لأنه ثبت بالجميع، فيلزم التناقض(٢).

أنه لو جاز تعليل الحكم الواحد بعلتين كل منهما علة مستقلة، لزم التناقض، لأن كل واحدة تكون مستقلة، وغير مستقلة؛ لأن معنى الاستقلال ثبوت الحكم بكل واحدة منهما من غير حاجة إلى الأخرى، والفرض أنه لا يثبت الحكم بها، لفرض استقلال غيرها بثبوته، فيلزم التناقض، لثبوت الحكم بكل، وعدم ثبوته به، لثبوته بالآخر(٣).

وقد أجيب عنه: بأن معنى استقلالها أنها إذا انفردت، استقلت في العلية، فيجوز أن تكون كل واحدة منها حالة الانفراد مستقلة، وحالة الاجتماع غير مستقلة، فلا يلزم التناقض في حالة التعدد لعدم استقلال كل منهما حينئذ، والتناقض إنما نشأ من استقلالها حالة التعدد(٤).

واعترض عليه بمنع لزوم الأمرين: الاستقلال، وعدمه، ووجوب الحكم بهما وعدمه، وذلك لأنه إنما يلزم لو كان معنى الاستقلال ما ذكر، وليس كذلك، بل معناه كونها بحيث إذا وجدت منفردة ثبت بها الحكم، وهذه الحيثية ثابتة للعلية في الترتيب والمعية، كما هي ثابتة لها في الانفراد، فلا يلزم عدم الاستقلال أصلاً، كما لا يلزم في صورة الاجتماع الثبوت بها، وعدمه، لأن الثبوت حينئذ بهما جميعاً، فهي مستقلة في هذه الحالة بمعنى أنها بحيث إذا وجدت منفردة ثبت الحكم بها، وبذلك يندفع عدم الاستقلال(٥).

الدليل التاسع:

أنه لو جاز شرعا لوقع ولو نادرا لكنه لم يقع(٦).

الدليل العاشر:

أن تعليل الحكم بعلتين يفضي إلى نقض العلة، وهو قادح في العلة، بيان ذلك أنه إذا وجدت إحداهما ترتب عليها الحكم، فإذا وجدت الأخرى بعد ذلك لم يترتب عليها شيء، فقد وجدت العلة الثانية من غير أن يترتب عليها حكمها، لتقدم ترتبه على الأخرى، فيلزم وجود العلة بدون وجود مقتضاها، وهو نقض للعلة(٧).

---

(١) ينظر: كشف الأسرار، عبدالعزيز البخاري، ٤٥/٤.
(٢) ينظر: بيان المختصر، الأصفهاني، ٥٥/٣-٥٦.
(٣) ينظر: التقرير والتحبير، ١٨٢/٣.
(٤) ينظر: بيان المختصر، الأصفهاني، ٥٦/٣.
(٥) ينظر: التقرير والتحبير، ١٨٢/٣-١٨٣.
(٦) ينظر: شرح جمع الجوامع، المحلي، ٢٨٦/٢.
(٧) ينظر: شرح تنقيح الفصول، القرافي، ٤٠٥.

وأجيب عنه: بأن النقض لقيام المانع لا يقدح في العلة، هذا إذا كانتا منصوصتين، أما إذا كانتا مستنبطتين، فلا سبيل إلى التعليل بهما، لأن الشرع إذا ورد بحكم مع أوصاف مناسبة، وجب اعتبار كل واحد منها جزء علة لا علة مستقلة، لأن الأصل عدم الاستقلال حتى يرد من الشرع ما يدل على استقلال واحد منها، فيستقل(١).

القول الثاني:

يجوز عقلاً تعليل الحكم الواحد في صورةٍ واحدةٍ بعلَلٍ مختلِفة، ولم يقع شرعاً.

وقد ذهب إلى ذلك: إمام الحرمين الجويني(٢).

قال في البرهان: "ليس ممتنعًا عقلًا وتسويغًا ونظرًا إلى المصالح الكلية، ولكنه يمتنع شرعًا"(٣).

قال صفي الدين الهندي:"والأشهر عن الإمام أنه يجوز عقلًا لكنه، لم يقع شرعًا"(٤).

وقال الأصفهاني:" وهو مختار إمام الحرمين"(٥).

قال إمام الحرمين: "إمكان تعليل الحكم بعلتين مستقلتين عقلا وامتناعه شرعا هو النهاية القصوى وفلق الصبح في الوضوح"(٦).

واستدل على ذلك بما يأتي:

أنه لو لم يمتنع شرعا، لوقع عادة، ولو على سبيل الندرة؛ لأن إمكانه عقلا واضح، ولو وقع، لعلم، لكنه لم يعلم، فلم يقع، فيكون ممتنعا شرعا(٧).

قال إمام الحرمين الجويني:" وآية ذلك أن إمكانه من طريق العقل في نهاية الظهور، فلو كان هذا ثابتاً شرعاً لما كان يمتنع وقوعه على حكم النادر، والنادر لا بد أن يقع على مرور الدهور، فإذا لم يتفق وقوع هذه المسألة، وإن لم يتشوف إلى طلبه طالب، لاح كفلق الإصباح أن ذلك ممتنع شرعاً، وليس ممتنعاً عقلاً ولا بعيدا عن المصالح"(٨).

ثم ادعى إمام الحرمين الجويني تعدد الأحكام في الصورة السابقة الدالة على وقوع تعليل الحكم الواحد بعلل مستقلة(٩).

ثم ادعى لتصحيح دعواه عدم وقوع فيما تقدم ذكره من أسباب الحدث والقتل، أن الأحكام متعددة لانفكاك الجهة، لأن الحكم مستند إلى واحد منها، غير الحكم المستند إلى الآخر، إذ قد يوجد حد القتل بالقصاص دون القتل بالارتداد، وبالعكس، كما يوجد حدث اللمس دون حدث المسّ، وبالعكس، هذا على أنه لو ألزم بأن جواز الانفكاك في الوجود يوجب الجواز في العدم، فيجب جواز أن يرتفع أحدهما ويبقى الآخر، فربما التزمه على ما ذهب إليه البعض من أنه إذا نوى أحد أحداثه لم يرتفع الباقي(١٠).

---

(١) ينظر: شرح تنقيح الفصول، القرافي، ٤٠٥.
(٢) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٠/٨، الإبهاج في شرح المنهاج، ابن السبكي، ١١٥/٣، البحر المحيط، الزركشي، ٢٢٦/٧.
(٣) البحر المحيط، الزركشي، ٢٢٦/٧.
(٤) نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٠/٨.
(٥) بيان المختصر، الأصفهاني، ٥٠/٣.
(٦) بيان المختصر، الأصفهاني، ٦١/٣.
(٧) ينظر: بيان المختصر، الأصفهاني، ٦١/٣-٦٢، شرح جمع الجوامع، المحلي، ٢٨٦/٢.
(٨) البرهان، إمام الحرمين الجويني، ٤٣/٢.
(٩) ينظر: بيان المختصر، الأصفهاني، ٦٢/٣.
(١٠) ينظر: البرهان، إمام الحرمين الجويني، ٤١/٢-٤٣، حاشية على شرح مختصر ابن الحاجب، السعد التفتازاني، ٢٢٦/٢.

وقد أجيب عنه: بأن تعليل الحكم الواحد بعلل مستقلة واقع في الصور السابقة، والتعدد في الإضافة، وليس في الأحكام[١].

وأجيب عنه بمنع عدم الوقوع، فإن ما ذكر من أسباب الحدث والقتل يفيد الوقوع والتعدد، وما ادعاه من تعدد الحكم يحتاج في إثباته إلى دليل، فإن اكتفى بتجويز كون الحكم متعدداً كما ذهب إليه البعض، لم يكفه لأنه في معرض الاستدلال على امتناع تعدد العلل، وعلى أن الحكم في صورة تعدد العلل متعدد.

وما ادعاه من أنه قد ينتفي أحد الحكمين، ويبقى الآخر، فقد تقدم اقتصاره على القتل لتحقق تعدد المستحق على ما تقدم توجيهه، وانتفاء الانفكاك في الحدث ظاهر، ولذا فالصحيح أن من نوى رفع الحدث مع تعدد الأسباب، صح وضوءه[٢].

القول الثالث:

يجوز تعليل الحكم الواحد في صورةٍ واحدةٍ بعلَلٍ مختلِفة مطلقاً، أي: سواء في العلل المنصوصة أو المستنبطة.

وقد ذهب إلى ذلك: أكثر الفقهاء[٣]، وابن الحاجب[٤]، والزركشي[٥]، والمرداوي[٦]، وابن النجار الفتوحي[٧]، والشوكاني[٨].

ونُقِل عن القاضي أبي بكر[٩].

و"قال ابن برهان في الوجيز: إنه الذي استقر عليه رأي إمام الحرمين" [١٠].

وذهب إلى ذلك الحنابلة [١١].

وذكره ابن عقيل عن جمهور الفقهاء والأصوليين [١٢].

قال ابن السبكي:" وإليه ذهب الجماهير" [١٣].

وصرح الإسنوي بأنه قول الجمهور [١٤].

قال عبدالعزيز البخاري: "تعليل الحكم الواحد بعلتين مستقلتين أو بعلل مستقلة جائز عند جمهور الأصوليين" [١٥].

ونسبه ابن أمير حاج الحنفي إلى الجمهور [١٦].

وقال الشوكاني:" وإليه ذهب الجمهور" [١٧].

كتعليل تحريم وطء هند – مثلا – بحيضها وإحرامها وواجب صومها، وكتعليل نقض الطهارة بخروج شيء من فرج، وزوال عقل ومس فرج. فإن كل واحد من المتعددين يثبت الحكم مستقلا [١٨].

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

---

(١) ينظر: بيان المختصر، الأصفهاني، ٦٢/٣.
(٢) ينظر: شرح مختصر ابن الحاجب، الإيجي، ٢٢٥/٢-٢٢٦، التقرير والتحبير، ابن أمير حاج الحنفي، ١٨٤/٣
(٣) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٠/٨
(٤) ينظر: مختصر منتهى السول والأمل(مع شرحه بيان المختصر للأصفهاني)، ابن الحاجب، ٥٠/٣
(٥) ينظر: البحر المحيط، الزركشي، ٢٢٣/٧
(٦) ينظر: التحبير شرح التحرير، المرداوي، ٣٢٥١/٧
(٧) ينظر: شرح الكوكب المنير، ابن النجار الفتوحي، ٧١/٤
(٨) ينظر: إرشاد الفحول، الشوكاني، ١١٥/٢
(٩) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٠/٨، البحر المحيط، الزركشي، ٢٢٣/٧
(١٠) البحر المحيط، الزركشي، ٢٢٣/٧
(١١) ينظر: التحبير شرح التحرير، المرداوي، ٣٢٥١/٧، شرح الكوكب المنير، ابن النجار الفتوحي، ٧٢/٤
(١٢) ينظر: التحبير شرح التحرير، المرداوي، ٣٢٥١/٧
(١٣) الإبهاج في شرح المنهاج، ابن السبكي، ١١٥/٣
(١٤) ينظر: البحر المحيط، الزركشي، ٢٢٣/٧
(١٥) كشف الأسرار، عبدالعزيز البخاري، ٤٥/٤
(١٦) ينظر: التقرير والتحبير، ابن أمير حاج الحنفي، ١٨١/٣
(١٧) إرشاد الفحول، الشوكاني، ١١٥/٢
(١٨) ينظر: شرح الكوكب المنير، ابن النجار الفتوحي، ٧١/٤

الدليل الأول:

أن العلل إذا اجتمعت في الشخص الواحد كالقتل والردة والزنا، فإما أن يقال:

أن الحكم لا يثبت فيه أصلًا، وهو باطل قطعًا.

أو يثبت بواحدة معينة منها، وهو أيضًا باطل؛ لأنه يلزم الترجيح من غير مرجح.

أو بواحدة لا بعينها، وهو أيضًا باطل؛ لأن ما لا تعين له لا وجود له في نفسه، وما لا وجود له لا يصلح أن يكون علة.

أو بمجموعها، وهو أيضًا باطل؛ لأنه حينئذ يكون كل واحدة منها جزء العلة وليس كلامنا فيه.

فيتعين أن يكون الحكم معللًا بكل واحدة منها [١].

لا يقال: العلل أن ترتبت فالحكم معلل بالسابق منها، وشيء من تلك المفاسد المذكورة غير لازم حينئذ وإلا فجواز وجودها دفعة واحدة ممنوع؛ لأنا نقول: منع جواز وجودها دفعة واحدة منع مكابرة؛ وهذا لأنا نعلم قطعًا أنه لا منافاة بين تلك الأمور، فيصح اجتماعها ووجودها دفعة واحدة.

ثم استقراء الأسباب والأحكام يحققه؛ إذ يمكن أن يصدر من الواحد في ساعة [واحدة] الزنا والردة معًا، وكذلك قد يوجد اللمس والمس معًا كما إذا مس الرجل فرج المرأة، وكذلك يمكن أن يحرم [وطء] المرأة لحيض وإحرام يوجدان منها معًا، وكذلك لحيض واعتداد، أو لإحرام واعتداد أو بكلها، والأقوى أنك إذا جمعت لبن أختك وزوجة أخيك وأوجرت به المرتضعة فإنها تحرم عليك؛ لأنك خالها وعمها فهذه الصور تدل على وقوع اجتماع الأسباب دفعة واحدة فضلًا عن جوازه.

وحينئذ نسرد ما ذكرنا من التقسيم فيه ونبطل كلها بما تقدم سوى كون الحكم معللًا بكل واحدة منها [٢].

وقد أجيب عنه: بأن الاستدلال بهذه الصور على المطلوب، وهو كون الحكم معللًا بعلتين من غير ما تقدم من التقسيم ضعيف؛ لأن الخصم يمنع ذلك إذ ليس فيه دلالة على ذلك بل ليس فيه دلالة إلا على أن السببين أو أكثر قد اجتمع على الحكم، فأما أن ذلك الحكم معلل بكل واحدة منها أو بواحدة منها فلا.

فإن قلت: هذه الدلالة إنما تتم أن لو كان الحكم الحاصل في المحل عند وجود تلك الأسباب معًا حكم واحد وهو ممنوع، بل هناك أحكام متعددة بحسب تعدد تلك العلل؛ وهذا لأن جواز القتل بسبب الردة غير جوازه بسبب القصاص، وغير جوازه بسبب الزنا بدليل: أنه إذا رجع إلى الإسلام سقط عنه قتل الردة، وبقي عليه القتل بسبب القصاص والزنا وإذا عفي عنه سقط الأول وبقي الثاني، ولو كان الحكم واحدًا لاستحال ذلك.

وأيضًا: فإن القتل بسبب القصاص حق للآدمي، يجوز أن يسقطه وله أحكام تخصه، نحو أن له بدلًا، وأنه يستوفي بما قتل وأن إسقاطه مندوب إليه، والقتل بسبب الردة ليس لسقوطه سبب الرجوع إلى الإسلام،

---

(١) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٥/٨

(٢) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٥/٨-٣٤٧٦

وله أحكام تخصه، نحو: أن يقدم عليه إلا بعد الاستتابة وأنه يجب استيفاؤه، وأنه يقتل بالسيف، والقتل بسبب الزنا ليس لسقوطه طريق أصلًا، وله أحكام تخصه، نحو: أنه يدرأ بالشبهة وأنه لا يستوفي إلا بالرجم، وأنه إذا هرب لا يتبع، واختلاف هذه الأحكام يدل على اختلاف متعلقاتها.

قلت: الدليل على أن الحكم واحد هو: أن النكاح أمر واحد وحياة الشخص الواحد واحدة، ومقابل الواحد واحد، فتحريمه وإزالتها واحد، والإذن في إزالة الواحد واحد، فجواز القتل أمر واحد وإذا ثبت أن تحريم النكاح وجواز القتل كل واحد منهما واحد في نفسه فنقول عند اجتماع الأسباب عليه: لو اختلف في نفسه لزم اختلاف ماهية الشيء لحصول أمر عارضي خارج عن ماهيته فإن السبب وحصوله وحده أو مع غيره، خارج عن ماهية السبب الذي هو الحكم لكن ذلك باطل قطعًا، نعم الذي سيحصل للحكم عند اجتماع الأسباب زائدًا على الذي يحصل له عند واحد منها إنما هو تعدد الإضافة، وهو الزائل عند زوال واحد منها لا نفس الحكم كما ذكرتم، فإن ذلك ممنوع لما تقدم، والأحكام المختلفة التي ذكروها فلم لا يجوز أن يقال: بعضها عارضة الحكم ككونه حق الله أو حق العبد، وبعضها تابعة لتجديد تلك الإضافة المتجددة وحينئذ لا يلزم اختلاف الحكم في نفسه.

ثم الذي يحققه: أنا إذا علمنا جواز القتل بسبب، ثم طرأ عليه سبب آخر له، فإنه لا يتغير الاعتقاد الأول ولم يحصل لنا العلم بتجدد أمر له سوى كونه مضافًا إليه ولا شك أنه خارج عن ماهيته، ولو كان الحكم مختلفًا لما كان كذلك.

وهذا الجواب بعينه عما ذكر من الوجهين في الدلالة على تعدد الأحكام على أنهما لا يأتيان فيما تقدم من صورة إيجار اللبن.

فإن قلت: هب أنه يمكن اجتماع الأسباب وأن الحكم واحد، لكن لم لا يجوز أن يقال: إن تلك الأسباب تشترك في أمر واحد والعلة إنما هو ذلك المشترك.

قلت: هذا باطل لأن الأمة مجمعة على أن الحيض من حيث هو حيض محرم للوطء، وكذلك العدة والإحرام فالقول بأن العلة هي القدر المشترك بينه وبين غيره مخالف لهذا الإجماع فكان باطلًا.

ولأن بعض هذه الأمور أمر حقيقي، وبعضها أمر اعتباري ولا اشتراك بينهما إلا في عموم أنه أمر ما، أو ما يجري مجراه الذي لا يمكن جعله علة الحكم وإلا لانتقض بالطم والرم [١].

الدليل الثاني:

أن علل الشرع أمارات ومعرفات على الأحكام، ويجوز اجتماع المعرفات والأمارات على شيء واحد، فكذا العلل [٢].

أن العلة الشرعية بمعنى المعرف كما تقدم، ولا يمتنع تعدد المعرف؛ لأن من شأن كل واحد أن يعرف، لا

---

(١) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٦/٨-٣٤٧٨

(٢) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٨/٨، البحر المحيط، الزركشي، ٢٢٣/٧، شرح جمع الجوامع، المحلي، ٢٨٥/٢

الذي وجد به التعريف حتى تكون الواحدة إذا عرفت فلا تعرف الأخرى؛ لأنه تحصيل الحاصل[١].

الدليل الثالث:

أنه لو امتنع ذلك:

فإما أن يمتنع لكون اجتماع العلل دفعة واحدة ممتنعاً، وهو باطل لما تقدم.

أو لامتناع مقارنة الحكم مع العلل، بناء على أنه يجوز أن يكون شرط صحة مقارنته لعلة مع العلل عدم الأخرى وهو أيضًا باطل.

أولًا: فلأنه خلاف الواقع، فإن الواقع مقارنة الحكم للعلل، أي هو حاصل حيث كانت العلل حاصلة، وهذا لا شك فيه ولا ريب، وإنما النزاع في أنه معلل بواحد منها، أو بكلها، وذلك لا يقدح في أصل الحصول معها.

وأما ثانيًا: فلأن الأمة مجمعة على أن الحيض والعدة والإحرام كل واحد منها على لتحريم الوطء مطلقًا، وذلك يفيد أن كل واحد منها على سواء وجد الآخر أو لم يوجد.

وأما ثالثًا: فلأنه يقتضي أن يكون القيد العدمي شرطًا لعلية العلة وهو باطل كما عرفت آنفًا.

وإذا ثبت هذا فنقول: إذا كان كل واحد منها علة له سواء وجد الآخر أو لم يوجد وجب صحة مقارنته لكلها لصحة مقارنة الحكم لعلته أو لامتناع انفراده مع اجتماعها، وهو أيضًا باطل؛ لأن ذلك الامتناع ليس بذاتي له، وإلا لكان كل من تصور هذا الاحتمال تصور امتناعه، لاستحالة تصور الشيء بدون ما هو ذاتي له فلو كان ممتنعًا لكان امتناعه لغيره، لكن الأصل عدم ذلك الغير، فوجب أن لا يكون ممتنعًا فيكون جائزًا وهو المطلوب [٢].

الدليل الرابع:

أنه لو لم يجز تعليل الحكم الواحد بعلل، كل منها مستقلة، لم يقع، والتالي باطل.

أما الملازمة فظاهرة ؛ لأن الوقوع دليل الجواز، وأما بطلان التالي ؛ فلأن اللمس والبول والغائط والمذي كل منها علة مستقلة للحدث.

وكذلك كل واحد من القتل العمد العدوان والردة علة مستقلة للقتل [٣].

فإن قيل: النزاع في الحكم الواحد، وفي هاتين الصورتين الأحكام متعددة ؛ لأن القتل بالردة غير القتل بالقصاص، فلذلك ينتفي القتل بالردة، ويبقى الآخر فيما إذا كان القاتل ارتد بعد القتل، ثم أسلم قبل القصاص، فإن القتل بالردة انتفى ويبقى القتل بالقصاص، وبالعكس، أي ينتفي القتل بالقصاص ويبقى الآخر فيما إذا عفا الولي عن القصاص [٤].

أنه لو لم يجز، لم يقع ضرورة، وقد وقع، فإن البول واللمس والمذي والرعاف والغائط أمور مختلفة الحقيقة، وهي علل مستنبطة للحدث، وكل واحدة منها توجب الحدث، وإيجاب الحدث بكل واحدة منها بانفرادها دليل الاستقلال، وكذلك القتل العمد العدوان والردة والزنا بعد الإحصان، كل واحدة منها علة مستقلة تحل القتل، لثبوت القتل بكل واحدة منها [٥].

---

(١) ينظر: التحبير شرح التحرير، المرداوي، ٣٢٥١/٧، شرح الكوكب المنير، ابن النجار الفتوحي، ٧١/٤-٧٢

(٢) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٩/٨

(٣) ينظر: بيان المختصر، الأصفهاني، ٥٠/٣-٥٤

(٤) ينظر: بيان المختصر، الأصفهاني، ٥٤/٣

(٥) ينظر: شرح مختصر ابن الحاجب، الإيجي، ٢٢٤/٢، التقرير والتحبير، ابن أمير حاج الحنفي، ١٨١/٣

أجيب بأن الحكم واحد، والتعدد في إضافته إلى العلل المتعددة، وإضافة الشيء إلى أحد دلائله وعدم إضافته إلى دليل آخر لا يوجب التعدد في الشيء.

ولو كان تعدد إضافة الشيء إلى علله يوجب تعدده، للزم مغايرة حدث البول لحدث الغائط ؛ لتعدد إضافته إلى علله [١].

والوقوع كتحريم وطء الحائض المعتدة المحرمة، وكالحدث لخروج من فرج، وزوال عقل، ومس فرج، ولمس أنثى، فإن كل واحد من المتعددين المذكورين يثبت الحكم مستقلا [٢].

وقد أجيب عن ذلك بأن: ما ذكروا من الوقوع يعود إلى القسم الأول وهو أن المعلل بها واحد بالنوع، وأما الشخص فمتعذر.

فالقتل بأسباب أشخاص: القتل متعددة والنوع واحد في المحل الواحد، فأما القتل في صورة واحدة: محال تعدده إذ هو إزهاق الروح، وكذلك أسباب الحدث إنما هي أحداث في محل لا حدث واحد.

مثل: لو ارتضعت صغيرة بلبن زوجة أخيك، وبلبن أختك، كانت محرمة عليك لكونك خالها وعمها، ولا يقال فيه تحريمان تحريم العم وتحريم الخال، فهذا يزيل ما تعلقوا فيه من الشبهة [٣].

قال البرماوي: "وفيه نظر، فقد يقال فيه بذلك بحسب التقدير، إذ لا مانع من ذلك" [٤].

وقد أجاب عنه الآمدي بما ملخصه أن اتحاد الحكم ممنوع، بل هو متعدد شخصاً، وإن اتحد نوعاً، ولذا فإنه لا يلزم من انتفاء إباحة القتل بعد العودة عن الردة إلى الإسلام، انتفاء الإباحة في باقي الأسباب، ولا من انتفاء الإباحة بسبب إسقاط القصاص بعفو ولي الدم انتفاؤها في باقي الأسباب، وأيضاً فإنه بدل على تعدد الحكم أن الإباحة بجهة القتل العمد العدوان غيرها في الباقي، لأنها في القتل العمد العدوان حق للآدمي خالص، ولذلك يمكن إسقاطه مطلقاً.

وأما بجهة الزنا والردة فحق الله تعالى خالص دون الآدمي، وذلك غير متصور في شيء واحد، ثم على تقدير الاستيفاء يقدم حق الآدمي، لأن حقه مبني على الشح والمضايقة، أما حق الله تعالى فهو مبني على التسامح والمساهلة من حيث أن الآدمي يتضرر بفوات حقه دون الباري تعالى.

وأما المسّ واللمس وباقي الأسباب في الأحداث المترتبة عليها متعددة على رأي لنا، وعلى هذا فلو نوى رفع حدث واحد منها، لارتفع الباقي، فأحكامها أيضاً متعددة، لا أنها حكم واحد، والنزاع إنما هو في تعليل الحكم الواحد بالشخص بعلتين [٥].

وأجيب عن هذا الاعتراض: بأنه لو تعددت الأحكام ثم، لكان تعددها بالإضافات إلى أدلتها، إذ ليس ثم ما به الاختلاف إلا ذلك، وتعدد العلل بالإضافات باطل، لأن إضافة الحكم إلى أحد الدليلين تارة، وإلى

---

(١) ينظر: بيان المختصر، الأصفهاني، ٥٤/٣

(٢) ينظر: التحبير شرح التحرير، المرداوي، ٣٢٥١/٧، شرح الكوكب المنير، ابن النجار الفتوحي، ٧١/٤

(٣) ينظر: التحبير شرح التحرير، المرداوي، ٣٢٥١/٧-٣٢٥٢، شرح الكوكب المنير، ابن النجار الفتوحي، ٧٢/٤

(٤) التحبير شرح التحرير، المرداوي، ٣٢٥٢/٧

(٥) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي،

الآخر تارة أخرى لا توجب تعدداً في ذات المضاف، وهو الحكم كما في الحدث في المثال الأول، وإلا لزم مغايرة حدث البول لحدث الغائط مثلاً، فكان يتصور أن يرتفع أحد الأحداث بالوضوء الواحد ويبقى غيره [١].

الدليل الخامس:

أنه لو امتنع تعدد العلة، لامتنع تعدد الأدلة؛ لأن العلل أيضا أدلة لكونها معرفة للأحكام.

والتالي باطل باتفاق؛ إذ يجوز أن يكون لمدلول واحد أدلة [٢].

القول الرابع:

يجوز تعليل الحكم الواحد في صورةٍ واحدةٍ بعلَلٍ مختلِفة في العلل المنصوصة دون العلل المستنبطة.

قال الزركشي: "وينبغي أن يلحق بالمنصوصة المجمع عليها" [٣].

وقد ذهب إلى ذلك: الأستاذ أبوبكر بن فورك [٤]، والغزالي [٥]، والفخر الرازي [٦]، والبيضاوي [٧]، وابن قدامة [٨]، والقرافي [٩]، والطوفي [١٠]، والأمين الشنقيطي [١١].

ونُقِل عن القاضي أبي بكر [١٢].

قال إمام الحرمين:" وللقاضي إليه-يعني: للقول بذلك- صفو ظاهر في كتاب التقريب" [١٣].

قال ابن السبكي: "وظاهر ما في التخليص مختصر التقريب تجويزه مطلقا" [١٤].

قال الزركشي: "وإليه-أي: إلى القول بذلك- يرشد كلام الغزالي في المستصفى وإن كان أطلق صريح الجواز في صدر المسألة إطلاقا" [١٥].

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

الدليل الأول:

أن العلة الشرعية علامة ولا يمتنع نصب علامتين على شيء واحد وإنما يمتنع هذا في العلل العقلية، ودليل جوازه وقوعه فإن من لمس ومس وبال في وقت واحد ينتقض وضوءه ولا يحال على واحد من هذه الأسباب، ومن أرضعتها زوجة أخيك وأختك أيضا أو جمع لبنهما وانتهى إلى حلق المرضَع في لحظة واحدة حرمت عليك؛ لأنك خالها وعمها، والنكاح فعل واحد وتحريمه حكم واحد ولا يمكن أن يحل على الخؤلة دون العمومة أو بعكسه، ولا يمكن أن يقال: هما تحريمان وحكمان، بل التحريم له حد واحد وحقيقة واحدة ويستحيل اجتماع مثلين[١٦].

---

(١) ينظر: شرح مختصر ابن الحاجب، الإيجي، ٢٢٤/٢، التقرير والتحبير، ابن أمير حاج الحنفي، ١٨٣/٣

(٢) ينظر: بيان المختصر، الأصفهاني، ٥٤/٣-٥٥

(٣) البحر المحيط، الزركشي، ٢٢٤/٧

(٤) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٠/٨، الإبهاج في شرح المنهاج، ابن السبكي، ١١٥/٣، البحر المحيط، الزركشي، ٢٢٤/٧

(٥) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ٢٣٦/٣، نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٠/٨، الإبهاج في شرح المنهاج، ابن السبكي، ١١٥/٣

(٦) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٠/٨، الإبهاج في شرح المنهاج، ابن السبكي، ١١٥/٣، نهاية السول، الإسنوي، ١٩٤/٤، البحر المحيط، الزركشي، ٢٢٤/٧

(٧) ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج، ١١٥/٣

(٨)

(٩) ينظر: شرح تنقيح الفصول، القرافي، ٤٠٤.

(١٠) ينظر: شرح مختصر الروضة، الطوفي، ٣٤٠/٣

(١١) ينظر: مذكرة في أصول الفق، الأمين الشنقيطي، ٣٣٦

(١٢) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٠/٨، بيان المختصر، الأصفهاني، ٥٠/٣.

(١٣) الإبهاج في شرح المنهاج، ابن السبكي، ١١٥/٣، البحر المحيط، الزركشي، ٢٢٤/٧

(١٤) الإبهاج في شرح المنهاج، ابن السبكي، ١١٥/٣

(١٥) البحر المحيط، الزركشي، ٢٢٤/٧

(١٦) ينظر: المستصفى، الغزالي، ٧٢٣/٣-٧٢٤

أن علل الشرع أمارات ومعرفات، وحينئذ لا يمتنع أن يجعل الشارع شيئين أمارة على حكم، كاللمس والبول علامة على نقض الوضوء، وتحريم الرضيعة على الشخص الواحد، لكونه عمها وخالها بأن ترضعها أخته، فيكون خالها، لأنها بنت أخته من الرضاع، وترضعها زوجة أخيه بلبن أخيه، فيكون عمها، لأنها بنت أخيه من الرضاع، وكذلك تعليل تحريم وطء المرأة بالصوم والإحرام والاعتداد من غيره، أو تحريمه بالعدة والردة، وتعليل وجوب القتل بالردة والمحاربة، وتحريم الاستجمار بالروث النجس لنجاسته، وكونه طعام إخواننا من الجن، وأشباه ذلك كله جائز لا مانع منه عقلا ولا شرعا. وقد وقع شرعا، فلا وجه لمنعه(١).

بأن العلل الشرعية أمارات في الحقيقة، ولا يمتنع نصب علامتين على شيء واحد، وإنما يمتنع ذلك في العلل العقلية. ودليل جوازه وقوعه فإن الحدث يقع بالبول والغائط والمذي وخروج الدم من الجراحة معا مع استقلال كل منها في إيجاب الحدث. وكذا القتل حكم واحد؛ لأن إبطال حياة الواحد شيء واحد ثم إنه قد يقع بالقصاص والردة معا كمن قتل وارتد مع استقلال كل منهما في إيجاب القتل.

وكذا لو جمعت لبن زوجة أخيك، ولبن أختك، وأوجرت مرتضعة دفعة منها تحرم عليك؛ لأنك عمها وخالها مع أن الحرمة حكم واحد معلل بالخؤولة والعمومة إذ لا يمكن أن تحال إلى أحديهما دون الأخرى(٢).

نعم لو فرض رضاع ونسب فيجوز أن يرجح النسب لقوته، أو اجتمع ردة وعدة وحيض فيحرم الوطء فيجوز أن يتوهم تعديد التحريمات، ولو قتل وارتد فيجوز أن يقال: المستحق قتلان ولو قتل شخصين، وكذلك لو باع حرا بشرط خيار مجهول ربما قيل: علة البطلان الحرية دون الخيار. فهذه أوهام ربما تنقدح في بعض المواضع، وإنما فرضناه في اللمس والمس والخؤلة والعمومة لدفع هذه الخيالات، فدل هذا على إمكان نصب علامتين على حكم واحد وعلى وقوعه أيضا (٣).

فإن قيل: فإذا قاس المعلل على أصل بعلة فذكر المعترض علة أخرى في الأصل بطل قياس المعلل، وإن أمكن الجمع بين علتين فلم يقبل هذا الاعتراض؟ فنقول: إنما يبطل به استشهاده بالأصل إن كانت علته ثابتة بطريق المناسبة المجردة دون التأثير أو بطريق العلامة الشبهية، أما إن كان بطريق التأثير أعني ما دل النص أو الإجماع على كونه علة فاقتران علة أخرى بها لا يفسدها كالبول والمس والخؤلة والعمومة في الرضاع، إذ دل الشرع على أن كل واحد من المعنيين علة على حيالها، أما إذا كان إثباته بشهادة الحكم والمناسبة انقطع الظن بظهور علة أخرى (٤).

---

(١) ينظر: شرح مختصر الروضة، الطوفي، ٣٤٠/٣

(٢) ينظر: كشف الأسرار، عبدالعزيز البخاري، ٤٦/٤

(٣) ينظر: المستصفى، الغزالي، ٧٢٤/٣

(٤) ينظر: المستصفى، الغزالي، ٧٢٤/٣-٧٢٥

مثاله: أن من أعطى إنسانا شيئاً فوجدناه فقيرا ظننا أنه أعطاه لفقر وعللنا به، وإن وجدناه قريبا عللنا بالقرابة، فإن ظهر لنا الفقر بعد القرابة أمكن أن يكون الإعطاء للفقر لا للقرابة أو يكون لاجتماع الأمرين فيزول ذلك الظن؛ لأن تمام ذلك الظن بالسبر وهو أنه لا بد من باعث على العطاء، ولا باعث إلا الفقر فإذاً هو الباعث، أو لا باعث إلا القرابة فإذا هو الباعث، فإذا ظهرت علة أخرى بطلت إحدى مقدمتي السبر، وهو أنه لا باعث إلا كذا، وكذلك عتقت بريرة تحت عبد فخيرها النبي -عليه السلام- فيقول أبو حنيفة: خيرها لملكها نفسها ولزوال قهر الرق عنها فإنها كانت مقهورة في النكاح، وهذا مناسب فيبنى عليه تخييرها وإن عتقت تحت حر [١]، فقلنا:

العلة خيرها لتضررها بالمقام تحت عبد ولا يجري ذلك في الحر فكيف يلحق به؟ وإمكان هذا يقدح في الظن الأول، فإنه لا دليل له عليه إلا المناسبة؛ ودفع الضرر أيضا مناسب وليست الحوالة على ذلك أولى من هذا إلا أن يظهر ترجيح لأحد المعنيين [٢].

وأما مثال العلامة الشبهية فعلة الربا، فإنه لم يذهب أحد إلى الجمع بين القوت والطعم والكيل على أن كل واحد علة لأنه لم يقم دليل من جهة النص والإجماع على كون كل واحد مؤثرا على حياله كما في العمومة والخؤلة واللمس والمس بل طريقه إظهار الضرورة في طلب علامة ضابطة مميزة مجرى الحكم عن موقعه، إذ جرى الربا في الخبز والعجين مع زوال اسم البر فلا يتم النظر إلا بقولنا: ولا بد من علامة، ولا علامة أولى من الطعم، فإذا هو العلامة، فإذا ظهرت علامة أخرى مساوية بطلت المقدمة الثانية من النظر فانقطع الظن [٣].

والحاصل أن كل تعليل يفتقر إلى السبر فمن ضرورته اتحاد العلة وإلا انقطع شهادة الحكم للعلة، وما لا يفتقر إلى السبر كالمؤثر فوجود علة أخرى لا يضر [٤].

فإن قيل: العلل إذا كانت متعددة كانت الأحكام متعددة تقديرا؛ لأن قتل القصاص مثلا مغاير لقتل الردة، ولذلك ينتفي قتل القصاص بالعفو ويبقى الآخر، وهو قتل الردة لعدم عوده إلى الإسلام وبالعكس إذا عاد إلى الإسلام، ولم يعف عنه ينتفي قتل الردة ويبقى قتل القصاص، ولولا تغاير القتلين لما كان كذلك [٥].

قلنا: إضافة الشيء إلى أحد دليليه لا يوجب تعددا في ذلك الشيء، وإلا لزم مغايرة حدث البول حدث الغائط، وهو باطل. وأما العقل فلا تعدد فيه بل في استناده ولهذا كان الزائل بالعفو هو استناده إلى القتل العمد العدوان، والزائل بالإسلام هو استناده إلى الردة لا نفس القتل فإنه باق على ما كان، ولم يزل عما عليه. وأما دعواهم لزوم التناقض ففاسد؛ لأنه إنما يلزم لو كان معنى الاستقلال ما ذكروا، ولا نسلم لهم

(١) ينظر: فتح القدير، ابن الهمام الحنفي، ٤٠٢/٣-٤٠٣
(٢) ينظر: المستصفى، الغزالي، ٧٢٥/٣-٧٢٦
(٣) ينظر: المستصفى، الغزالي، ٧٢٦/٣
(٤) ينظر: المستصفى، الغزالي، ٧٢٦/٣-٧٢٧
(٥) ينظر: كشف الأسرار، عبدالعزيز البخاري، ٤٦/٤

ذلك بل معناه عندنا أن كل علة إذا انفردت استقلت على أنه ثبت بها لا غير، وإذا كان كذلك فلا تناقض في التعدد إذ قد يجتمع لحكم واحد علل لو انفردت استقلت بإثباته كما اجتمع للملك، وهو حكم واحد أسباب متعددة من البيع والهبة والميراث وغيرها [١].

وكذا تعلقهم ترجيح الأئمة علة الربا فاسد؛ لأنا لا نسلم أنهم تعرضوا للترجيح بل إنما تعرضوا لإبطال كون الغير علة، ولو سلم أنهم تعرضوا للترجيح فلا نسلم أنهم تعرضوا له لامتناع التعليل بعلتين بل لانعقاد الإجماع على اتحاد العلة في الربا، ولا يمكن أن يكون اتحاد العلة هاهنا بكون المجموع علة إذ يلزم منه جعل علل الربا المختلف فيها آخر العلة، ولا قائل به [٢].

الدليل الثاني:

أن الإنسان إذا أعطي فقيهًا فقيرًا قريبًا، احتمل أن يكون الداعي إلى الإعطاء كونه فقيهًا فقط، أو فقيرًا فقط، أو كونه قريبًا فقط، أو مجموعها أو مجموع اثنين منها، وهذه الاحتمالات متنافية؛ لأن قولنا: الداعي إلى الإعطاء هو الفقر [لا غير] ينافي أن يكون غير الفقر داعيًا، أو جزءًا من الداعي، وإذا كانت هذه الاحتمالات متنافية فإن بقيت على حد التساوي امتنع حصول الظن بواحد منها على التعيين: فلا يجوز الحكم بكونه علة.

وإن ترجح بعضها، فذلك الترجيح يحصل بأمر وراء "المناسبة والاقتران"؛ لأن ذلك مشترك بين هذه الاحتمالات وحينئذ يكون الراجح هو العلة دون المرجوح وهو ضعيف؛ وهذا لأنا نسلم أن احتمال كونه أعطاه لفقره فقط ينافي احتمال كونه أعطاه لفقهه فقط، لكن لم قلتم: إن احتمال كونه أعطاه لفقره ينافي احتمال كونه أعطاه لفقهه أيضًا كما في المنصوصة؟ ولا نسلم أن هذا في قوة ذاك، وأين الدليل عليه؟

ثم الذي يدل على أنه ليس في قوة ذلك هو: أنه يمكن تقسيمه إليه، وإلى ما ذكرنا، ومورد التقسيم يجب أن يكون مشتركًا بين القسمين: فإن قلت: ذاك بحسب اللغة، أما بحسب العرف فلا لأن قولنا: أعطاه لفقره يفيد في العرف أنه أعطاه له لا لغيره بدليل أن من أراد تكذيبه ومناقضته فإنه يقول: أعطاه لفقهه، ولولا أنه يفيد نفي غيره وإلا لما جاز ذلك [٣].

وقد أجيب عنه: بأنا لا نسلم ذلك؛ وهذا لأن الأصل عدم التغيير، وأما التكذيب والمناقضة فلا نسلم أن ذلك على الإطلاق، بل حيث عرف المقصود.

سلمناه لكن لا يدل على المقصود، لاحتمال أن ذلك بطريق النقل للفظ عن وضعه الأصلي، لا لأنه لا يجوز تعليل الحكم بعلتين مختلفتين [٤].

الدليل الثالث:

أن الصحابة والأئمة من بعدهم أجمعوا على قبول الفرق: وذلك يدل على أنه لا يجوز تعليل الحكم الواحد بعلتين مستنبطتين.

---

(١) ينظر: كشف الأسرار، عبدالعزيز البخاري، ٤٦/٤

(٢) ينظر: كشف الأسرار، عبدالعزيز البخاري، ٤٦/٤

(٣) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٨٠/٨

(٤) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٨٠/٨-٣٤٨١

بيان الأول: بما روي أن عمر ﷺ لما شاور عبد الرحمن في قضية المجهضة قال له عبد الرحمن: إنك مؤدب ولا أري عليك شيئًا، وشاور عليا أيضًا في ذلك فقال له ﷺ: إن لم يجتهد فقد غشك، وإن اجتهد أخطأ، أرى عليك الغرة.

ووجه الاستدلال به: أن عبد الرحمن ﷺ شبهه بالتأديب، والتأديب لكونه مشروعًا مستحقًا يقتضي أن لا يجب بسببه شيء وإن أفضى إلى الهلاك كالحدود، وأن عليا ﷺ فرق بينه وبين سائر الزاجرات من الحدود بأن التعزيرات المستحقة والتأديبات المندوبة إنما تجوز بشرط سلامة العاقبة فإذا انتهى إلى الهلاك علمنا فوات شرطه، فلا جرم وجب الضمان بخلاف الحدود المقدرة فإنها تجوز مطلقًا، ولم ينكر عليه أحد منهم فكان إجماعًا على ما تقدم بيانه في الإجماع.

بيان الثاني: ظاهر، فإنه لو جاز تعليل الحكم بعلتين لم يكن الفرق قادحًا فيما ذكره الخصم من الجامع، فإنه يجوز حينئذ أن يكون الحكم في الأصل ثابتًا بكل واحد من الجامع والفارق، أو بالجامع ومجموع الجامع والفارق [١].

قال صفي الدين الهندي: "ويمكن أن يجاب عنه ببعض ما سبق في حجة المانعين مطلقًا" [٢].

الدليل الرابع:

أن مستند ظن علية المستنبطة إنما هو المناسبة، والاقتران وما يجري مجراه، فإذا وجد ذلك بعينه في وصف آخر لم يكن حصول ظن العلة في أحد الوصفين أولى من حصوله في الآخر، فأما أن لا يحصل أصلًا في كل واحد منهما ولا في مجموعهما وهو باطل، أو يحصل في مجموعهما وحينئذ تكون العلة مجموعهما لا كل واحد منهما، أو يحصل في كل واحد منهما، وهو أيضًا باطل؛ فإنا نجد من أنفسنا اختلال ظن علية الوصف عند الشعور بوصف آخر مناسب لذلك الحكم ولو كان مفيدًا لعلية كل واحد من الوصفين لما اختل ذلك الظن كما في المنصوصتين، فإن الشارع إذا نص على علية وصف الحكم ثم نص على علية وصف آخر فإنه لا يختل ذلك الظن [٣].

الدليل الخامس:

لا بعد في العلة المنصوصة أن تكون متعددة؛ لأنه إذا نص الشارع على أن كل واحدة منها علة مستقلة، جعل كل واحدة علامة للحكم.

وأما العلة المستنبطة فإنها إذا تعددت، يلزم أن يكون كل واحدة منها جزءا للعلة؛ لأن المستنبط إذا استنبط في الأصل وصفين، يصلح كل منهما للعلة، فإن عين بالنص علية كل منهما، رجعت العلة منصوصة، والتقدير بخلافه.

وإذا لم يعين بالنص علية واحد منهما، فإن أسند الحكم إلى واحد منهما، لزم التحكم، وإن أسند إلى كل واحد منهما، يلزم أن يكون الحكم مستغنيا عن كل منهما، غير مستغن، فيلزم التناقض، فتعين أن

(١) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٨١/٨
(٢) نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٨١/٨
(٣) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٨٢/٨

يسند الحكم إليهما معا، فيكون كل واحد منهما جزءا للعلة [١].

وقد أجيب عنه: بأنه ثبت الحكم في محال أفرادها، أي ثبت الحكم في محال كل واحد منها على سبيل الانفراد، فيستنبط أن كل واحد منها على سبيل الانفراد علة مستقلة، ولا يلزم أن يكون كل واحد منها على سبيل الاجتماع علة مستقلة، فلا يلزم استغناؤه عن كل واحد منها وعدم استغنائه عنها عند اجتماعها [٢].

الدليل السادس:

أن لصاحب الشرع أن يربط الحكم بعلة وبغير علة وبعلتين فأكثر، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ثم إن المصالح قد تتقاضى ذلك في وصفين كما قلنا في الصغر والبكارة، فينص الشرع عليهما وعلى استقلال كلّ واحد منهما تحصيلاً لتلك المصلحة، وتكثيراً لها [٣].

الدليل السابع:

أنه قد وقع تعليل الواحد بالشخص بعلتين منصوصتين فدل على جوازه ودليل وقوعه اللعان والإيلاء فإنهما علتان مستقلتان في تحريم وطء المرأة [٤].

ولك أن تقول الإيلاء لا تحرم به الزوجة فلا يصح التمثيل به ولا يمكن أن يبدل الإيلاء بالظهار لأن الظهار وإن كان محرما إلا أنه لا يمكن اجتماعه مع اللعان إذا اللعان يقطع الزوجية فلا تجتمع علتان على معلول واحد فينبغي التمسك بالطلاق الرجعي مع الظهار فإنهما علتان في تحريم الوطء وقد يجتمعان في المرأة فتكون رجعية مظاهرة أمنها [٥].

قال الإسنوي:" التمثيل بالإيلاء فاسد، فإن الزوجة لا تحرم به أصلا، وليس فيه الحنث على تقدير الوطء، وهذا المثال لم يذكره الإمام هنا، غير أنه ذكر في موضع آخر ما يوافقه، وتبعه فيه المصنف، وكأنه توهم أن الحلف على الشيء يكون محرما له، ولو مثل بالظهار لاستقام" [٦].

ودليل وقوعه أيضا المرتد الجاني فإن كلا من الارتداد والجناية علة مستقلة في إراقة دمه وكذلك الصوم والعدة والإحرام في تحريم الوطء الزوجية [٧].

وكذلك من ارتد والعياذ بالله وجنى على شخص فقتله، كل منهما علة مستقلة في إراقة دمه [٨]،

ومثل الغزالي بأن من لمس ومس وبال في وقت واحد انتقض طهره ولا يخال على واحد من هذه الأسباب ومن أرضعتها زوجة أخيك وأختك أيضا وجمع لبنهما وانتهيا إلى حلق المرتضعة في لحظة واحدة حرمت عليك لأنك خالها وعمها، والنكاح فعل واحد، وتحريمه حكم واحد، ولا يمكن أن يحال على الخؤلة دون العمومة أو بعكسه، ولا يمكن أن يقال

---

(١) ينظر: بيان المختصر، الأصفهاني، ٥٨/٣

(٢) ينظر: بيان المختصر، الأصفهاني، ٥٨/٣-٥٩

(٣) ينظر: شرح تنقيح الفصول، القرافي، ٤٠٤

(٤) ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج، ابن السبكي، ١١٥/٣، نهاية السول، الإسنوي، ١٩٦/٤-١٩٧

(٥) ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج، ابن السبكي، ١١٥/٣-١١٦

(٦) نهاية السول، الإسنوي، ٢٠٠/٤-٢٠٢

(٧) ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج، ابن السبكي، ١١٦/٣

(٨) ينظر: نهاية السول، الإسنوي، ١٩٧/٤-١٩٨

هما تحريمان وحكمان بل التحريم له حد واحد وحقيقة واحدة يستحيل اجتماع المثلين [١].

وإذا ثبت هذا في الواحد بالشخص وضح ثبوته في الواحد بالنوع بطريق أولى؛ لأن كل من قال بالأول قال بالثاني بخلاف العكس [٢].

الدليل الثامن:

وأما المنع في المستنبطة فاستدل عليه بأن ظن ثبوت الحكم لأجل أحد الأمرين مانع من ظن ثبوته لأجل الأمر الآخر بمفرده أو لأجل المجموع وما لا يحصل الظن لثبوت الحكم لأجله لا يحكم بعلتيه بالاستنباط والاجتهاد فلا نحكم بعلية أمور متعددة لشيء واحد بالاستنباط والاجتهاد وهذا كما إذا تصدق على فقيه فقير قريب فإنه يحتمل أن يكون الداعي إلى الصدقة مجموع الأوصاف أو بعضها أو فرد منها والاحتمالات متنافية [٣].

وأما المنع في المستنبطة فاستدل عليه بأن الحكم فيها، وإنما هو مستبد إلى ما ظن المجتهد أنه علة له. وعلى هذا التقدير يمتنع التعليل بعلتين؛ لأن ظن ثبوت الحكم لأجل أحد الوصفين يصرفه عن ثبوته لأجل الوصف الآخر أو لأجل مجموع الوصفين، وحينئذ فلا يحصل الظن بعلية كل منهما. ومثال ذلك إذا أعطى شيئا لفقيه، فإنه يحتمل أن يكون الإعطاء للفقه، وأن يكون للفقر فلا يجوز إسناده إليهما [٤].

قال الإسنوي:" وهذا الدليل منقوض بالعلل المنصوصة" [٥].

الدليل التاسع:

لأن المنصوصة دل الشرع على تعددها فكانت أمارات / وأما المستنبطة فما فائدة استخراجها علة؟ إلا أنه لا علة غيرها تتخيل [٦].

وقد أجيب عنه: بأنها إذا كانت أمارات فاستنبطت متعددة فلا فرق [٧].

الدليل العاشر:

أن الأوصاف المستنبطة الصالح كل منها للعلية يجوز أن يكون مجموعها العلة عند الشارع فلا يتعين استقلال كل منها بخلاف ما نص على استقلاله بالعلية [٨].

وأجيب عنه: بأنه يتعين الاستقلال بالاستنباط أيضا [٩].

الدليل الحادي عشر:

أن العلة لا تعدو تلك الأوصاف المجتمعة ولا تميز لواحد منها بعينه فيتعين اعتبار مجموعها [١٠]،

ولا يرد على ذلك القدح بعدم العكس أي ملازمة المعلول للعلة في الانتفاء كما لو قلت قد ينتفي البول والغائط ولا ينتفي نقض الوضوء لوجود علل أخرى كالنوم مثلا: وكقولك قد ينتفي رضاع الأخت وزوجة الأخ ولا ينتفي تحريم النكاح لوجوده بعلة أخرى كالمصاهرة أو ارضاع من غير من ذكر لأن عدم

---

(١) ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج، ابن السبكي، ١١٦/٣

(٢) ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج، ابن السبكي، ١١٦/٣، نهاية السول، الإسنوي، ١٩٨/٤-١٩٩

(٣) ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج، ابن السبكي، ١١٦/٣

(٤) ينظر: نهاية السول، الإسنوي، ٢٠٢/٤

(٥) نهاية السول، الإسنوي، ٢٠٢/٤

(٦) ينظر: التحبير شرح التحرير، المرداوي، ٣٢٥٣/٧

(٧) ينظر: التحبير شرح التحرير، المرداوي، ٣٢٥٣/٧

(٨) ينظر: شرح جمع الجوامع، المحلي، ٢٨٥/٢

(٩) ينظر: شرح جمع الجوامع، المحلي، ٢٨٥/٢

(١٠) ينظر: مذكرة في أصول الفقه، الأمين الشنقيطي، ٣٣٦

العكس على القول بأنه قادح محله في الحكم المعلل بعلة واحدة دون المعلل بعلل فلا يقدح فيه قولا واحداً [١].

الدليل الثاني عشر:

أنه إذا اجتمعت الأوصاف التي يصلح كل منها للعلية، كما إذا احتمل أن يكون كل واحد علة مستقلة وأن يكون كل واحد منها جزء علة، فالحكم بترجيح أحد الاحتمالين على الاحتمال الآخر تحكم، لقيام الاحتمالين عقلاً، ولعدم وجود نص يدل على تعيين استقلال بعضها دون بعض، وإلا عادت منصوصة، وهو خلاف المفروض [٢].

وقد أجيب عنه: بمنع التحكم، لإمكان استنباط الاستقلال بالعقل، وذلك أنه كما ثبت الحكم بها مجتمعة ثبت بها منفردة، فيعلم أن ثبوت الحكم بها منفردة دليل استقلال كل واحدة منها كما يوجد ذلك في المسّ وحده واللمس وحده في محلين، ويوجد بثبوت الحدث معهما، فعلم أن كل واحد منهما علة، وإلا لما ثبت الحكم في محل إفرادهما، فيحكم بثبوته بهما عند الاجتماع [٣].

القول الخامس:

يجوز تعليل الحكم الواحد في صورةٍ واحدةٍ بعلَلٍ مختلِفة في العلل المستنبطة دون العلل المنصوصة[٤].

قال الزركشي: "حكاه ابن الحاجب وابن المنير في شرحه للبرهان وقد استغربت حكايته" [٥].

قال ابن السبكي:" ولم أره لغيره" [٦].

وقال الشوكاني:" وهو قول غريب" [٧].

قال المحلي: "وأسقط المصنف–أي: ابن السبكي– هذا القول لقوله لم أره لغيره" [٨].

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

أن المنصوصة قطعية فلو تعددت لزم المحال الآتي بخلاف المستنبطة لجواز أن تكون العلة فيها عند الشارع مجموع الأوصاف [٩].

أن المنصوصة قطعية فأشبهت العلة العقلية واجتماعها على معلول واحد، شخصي غير جائز، فهذا بخلاف المستنبطة فإنها ظنية فيصح أن يكون كل واحد منهما علة كما أن سبب ظن العلل حاصل في كل واحد من الوصفين [١٠].

وجوابه: أن العلة العقلية إنما لا يجوز اجتماعها على المعلول الواحد لكونها موجبة لا لكونها قطعية، وكونها قطعية لا يقتضي كونها موجبة فلا يلزم من عدم جواز اجتماع تلك العلل العقلية عدم جواز العلل المنصوصة وإن كانت قطعية، ثم هذا لا يتأتى فيما إذا كان النص الدال على علية الوصف من باب الآحاد فإنها منصوصة أيضًا وليست بقطعية [١١].

---

(١) ينظر: مذكرة في أصول الفقه، الأمين الشنقيطي، ٣٣٦

(٢) ينظر: شرح مختصر ابن الحاجب، الإيجي، ٢٢٦/٢، التقرير والتحبير، ابن أمير حاج الحنفي، ١٨٤/٣

(٣) ينظر: شرح مختصر ابن الحاجب، الإيجي، ٢٢٦/٢، التقرير والتحبير، ابن أمير حاج الحنفي، ١٨٤/٣

(٤) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٧٠/٨، بيان المختصر، الأصفهاني، ٥٠/٣، الإبهاج في شرح المنهاج، ابن السبكي، ١١٥/٣

(٥) البحر المحيط، الزركشي، ٢٢٥/٧

(٦) ينظر: شرح مختصر ابن الحاجب، الإيجي، ٢٢٣/٢، شرح جمع الجوامع، المحلي، ٢٨٦/٢

(٧) إرشاد الفحول، الشوكاني، ١١٥/٢

(٨) شرح جمع الجوامع، المحلي، ٢٨٦/٢

(٩) ينظر: شرح جمع الجوامع، المحلي، ٢٨٦/٢

(١٠) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٨٢/٨

(١١) ينظر: نهاية الوصول، صفي الدين الهندي، ٣٤٨٢/٨

أن المنصوصة قطعية، فلو كانت كل واحدة منهما علة مستقلة، لزم اجتماع المثلين، أو تحصيل الحاصل على سبيل القطع.

وأما المستنبطة فعليتها وهمية، أي غير قطعية، فقد يتساوى الإمكان، أي إمكان التعليل بالنسبة إلى كل واحدة منهما، فلا يمكن ألا يجعل واحدة منها علة، لبقاء الحكم بلا علة، ولا أن يجعل العلة واحدة لعدم الأولوية للتساوي، ولا أن يجعل المجموع علة مستقلة؛ لثبوت الاستقلال في محال أفرادها، فتعين أن يكون كل واحدة علة مستقلة [١].

أن المنصوصة قطعية بتعيين الشارع، فهي باعثة على الحكم، لتعيين الشارع إياها له، وذلك ينفي احتمال غيرها للعلية كلا وجزءاً للمنافاة بينهما.

وأما المستنبطة فهي وهمية غير قطعية، وقد يتساوى الإمكان في كون العلة المجموع، أو الجزء، ويترجح كل بمرجح، فيغلب على الظن علية كل منهما، فيجب اتباعه [٢].

وقد أجيب عنه: بأنا لا نسلم أن المنصوصة قطعية، ولو سلم أنها قطعية، فلا نسلم أن اجتماع العلل الشرعية القطعية محال؛ لأن العلل الشرعية دلائل، ويجوز اجتماع الأدلة القطعية على مدلول واحد[٣].

وأجيب عنه: بمنع القطع في المنصوصة المراد بها السمعية، لجواز أن تكون دلالتها ظنية، وأن يكون إسنادها ظنياً، وإن سلم فلا يمنع القطع بالاستقلال، لجواز تعدد البواعث، لأن الحكم الواحد قد يكون محصلاً لمصالح متعددة، دافعاً لمفاسد مختلفة [٤].

تنبيه:

إذا قلنا: بالجواز فإن: من شرطه أن لا يتنافيا، لئلا يؤدي إلى تضاد الأحكام بأن تقتضي إحداهما إثبات حكم والأخرى نفيه، بل ويتضادان بالإجماع كتعليل البر أنه مكيل، وبأنه قوت، لأن الإجماع إذا قرر أنه لا يعلل إلا بعلة واحدة وجب التنافي [٥].

المبحث الثالث: الترجيح ومناقشة الأدلة

والذي يترجح عندي هو ما ذهب إليه الجمهور من جواز تعدد العلل الشرعية لحكم واحد، وذلك لوروده كما في البول والغائط والمسّ، واللمس، وكما في وجوب الغسل بالتقاء الختانين، وانقطاع دم الحيض، لاجتماع هذه العلل على حكم واحد كما هو واضح، مع أن كل واحدة منها توجب الحكم بانفرادها، وذلك دليل الاستقلال، ولأنه لو نوى رفع أحد هذه الأحداث، لارتفع الباقي، كما في اجتماع الأدلة السمعية على المدلول الواحد مع حصوله بأحدها عند تخلف غيره.

وما استدل به الآمدي وغيره على أن الحكم متعدد شخصاً، وإن اتحد نوعاً هو ما أوردوه على مثال إباحة القتل بالردة عن الإسلام، والقتل العمد العدوان، والزنا بعد الإحصان –أعاذنا الله منها– من أنه لا يلزم من انتفاء إباحة القتل بالعود عن الردة إلى

---

(١) ينظر: بيان المختصر، الأصفهاني، ٦٠/٣-٦١
(٢) ينظر: شرح مختصر ابن الحاجب، الإيجي، ٢٢٦/٢، التقرير والتحبير، ابن أمير حاج الحنفي، ١٨٤/٣
(٣) ينظر: بيان المختصر، الأصفهاني، ٦١/٣
(٤) ينظر: شرح مختصر ابن الحاجب، الإيجي، ٢٢٦/٢، التقرير والتحبير، ابن أمير حاج الحنفي، ١٨٤/٣
(٥) البحر المحيط، الزركشي، ٢٢٩/٧

الإسلام، انتفاء الإباحة في الباقي وبالعكس، وهو ظاهر، لأن الإباحة في جهة القتل العمد العدوان حق للآدمي بجهة الخلوص، وفي الباقي حق لله تعالى الخ ما تقدم تقريره، والجواب عنه مما جعلوه دليلاً على تعدد الحكم.

فإن ما أوردوه على هذا المثال، لا يكفي دليلاً على تعدد الحكم، وإن سلم لهم، فإنه لا يرد على ما ذكرت من الأمثلة التي تعددت العلل فيها لحكم واحد

ويدل على هذا ما ذكره الغزالي ونصه: قال: "اختلفوا في تعليل الحكم بعلتين، والصحيح عندنا جوازه، لأن العلة الشرعية علامة، ولا يمتنع نصب علامتين على شيء واحد، وإنما يمتنع هذا في العلل العقلية، ودليل الجواز وقوعه، فإن من لمس، ومسّ وبال في وقت واحد ينتقض وضوءه، ولا يحال على واحد من هذه الأسباب، ومن أرضعته زوجة أخيك وأختك أيضاً، أو جمع لبنهما، وانتهى إلى حلق المرضع في لحظة واحدة، حرمت عليك، لأنك خالها وعمها، والنكاح فعل واحد، وتحريمه حكم واحد، ولا يمكن أن يحال على الخئولة دون العمومة، أو بعكسه، ولا يمكن أن يقال: هما تحريمان، وحكمان، بل التحريم له حد واحد، وحقيقة واحدة، ويستحيل اجتماع مثلين.

نعم لو فرض رضاع ونسب، فيجوز أن يرجح النسب لقوته، أو اجتمع ردة وعودة وحيض، فيحرم الوطء، فيجوز أن يتوهم تعديد التحريمات، ولو قتل وارتد، فيجوز أن يقال: المستحق فلان، ولو قتل شخصين فكذلك ولو باع حراً بشرط خيار مجهول ربما قيل: علة البطلان الحرية دون الخيار، فهذه أوهام ربما تنقدح في بعض المواضع، وإنما فرضناه في اللمس والمسّ، والخئولة والعمومة لدفع هذه الخيالات.

فدل هذا على إمكان نصب علامتين على حكم واحد، وعلى وقوعه أيضاً"

الخاتمة

من أهم نتائج هذا البحث ما يلي:

١- أن الأصوليين اتفقوا على جواز تعليل الحكم الواحد بعلل في كل صورة بعلة، واختلفوا في جواز تعليله في صورة واحدة بعلتين أو أكثر معاً على مذاهب خمسة.

٢- القول الأول في المسألة: أنه لا يجوز تعليل الحكم الواحد في صورةٍ واحدةٍ بعلَلٍ مختلِفة مطلقاً، أي سواء في العلل المنصوصة أو المستنبطة. واستدل أصحابه بأحد عشر دليلًا، منها: أنه لو كان الحكم الواحد معللًا بعلل مختلفة، لم يخل إما أن يستقل كل واحد منها بالتعليل، أو لا يستقل واحد منها به، بل لا يتم إلا بمجموعها، أو يستقل أحدها به دون البواقي، والأقسام الثلاثة باطلة، والتعليل بالعلل المختلفة باطل.

٣- القول الثاني في المسألة: أنه يجوز عقلاً تعليل الحكم الواحد في صورةٍ واحدةٍ بعلَلٍ مختلِفة، ولم يقع شرعاً. واستدل أصحابه عليه بأنه لو لم يمتنع شرعا، لوقع عادة، ولو على سبيل الندرة؛ لأن إمكانه عقلا واضح، ولو وقع، لعلم، لكنه لم يعلم، فلم يقع، فيكون ممتنعًا شرعًا.

٤- القول الثالث في المسألة: أنه يجوز تعليل الحكم الواحد في صورةٍ واحدةٍ بعلَلٍ مختلِفة مطلقاً، أي: سواء في العلل المنصوصة أو المستنبطة. واستدل أصحابه بخمسة أدلة، منها: أن علل الشرع أمارات ومعرفات على الأحكام، ويجوز اجتماع المعرفات والأمارات على شيء واحد، فكذا العلل.

٥- القول الرابع في المسألة: أنه يجوز تعليل الحكم الواحد في صورةٍ واحدةٍ بعلَلٍ مختلِفة في العلل المنصوصة دون العلل المستنبطة. واستدل أصحابه باثني عشر دليلًا، منها: أن العلة الشرعية علامة ولا يمتنع نصب علامتين على شيء واحد وإنما يمتنع هذا في العلل العقلية، ودليل جوازه وقوعه؛ فإن من لمس ومس وبال في وقت واحد ينتقض وضوؤه ولا يحال على واحد من هذه الأسباب.

٦- القول الخامس في المسألة: أنه يجوز تعليل الحكم الواحد في صورةٍ واحدةٍ بعلَلٍ مختلِفة في العلل المستنبطة دون العلل المنصوصة. ومما استدل به أصحابه هذا القول: أن المنصوصة قطعية فلو تعددت لزم المحال الآتي بخلاف المستنبطة، لجواز أن تكون العلة فيها عند الشارع مجموع الأوصاف.

٧- الراجح في هذه المسألة هو ما ذهب إليه الجمهور من جواز تعدد العلل الشرعية لحكم واحد، وذلك لوروده كما في البول والغائط والمسّ، واللمس، وكما في وجوب الغسل بالتقاء الختانين، وانقطاع دم الحيض، لاجتماع هذه العلل على حكم واحد كما هو واضح، مع أن كل واحدة منها توجب الحكم بانفرادها، وذلك دليل الاستقلال، ولأنه لو نوى رفع أحد هذه الأحداث، لارتفع الباقي، كما في اجتماع الأدلة السمعية على المدلول الواحد مع حصوله بأحدها عند تخلف غيره.

قائمة المصادر والمراجع

الإبهاج في شرح المنهاج ، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي(ت٧٥٦هـ) ، وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب (ت٧٧١هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م .

الإحكام في أصول الأحكام ، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت٦١٣هـ) ، تعليق: عبدالرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق.

إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

البحر المحيط في أصول الفقه ، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي الشافعي (ت٧٩٤هـ)، دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

البرهان في أصول الفقه، أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله ابن يوسف الجويني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق:

صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، شمس الدين أبي ثناء محمود بن عبدالرحمن الأصفهاني (ت٧٤٩هـ)، تحقيق د. محمد مظهر بقا، مركز البحث العلمي و إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٦هـ.

التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت ٨٨٥هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م

سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

سنن الترمذي؛ (وهو الجامع الصحيح)؛ محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:، أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط: ٢، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.

شرح تنقيح الفصول، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط١، ١٣٩٣ هـ– ١٩٧٣م.

شرح جمع الجوامع في أصول الفقه، شمس الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٦٤هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٥٦هـ.

شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (ت٧١٦هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه؛ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ؛ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد السيواسي الإسكندري المعروف بابن الهمام الحنفي(ت٨٦١هـ)، دار الفكر، بيروت.

كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (ت٧٣٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي. بدون تاريخ.

المجتبى من السنن؛ (السنن الصغرى للنسائي)؛ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية –حلب، ط: ٢، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م.

مذكرة في أصول الفقه، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ٢٠٠١م.

المستصفى من علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق: د. حمزة بن زهير حافظ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

نهاية السول شرح منهاج الوصول، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (ت ٧٧٢هـ)، ومعه سلم الوصول شرح نهاية السول لمحمد بخيت المطيعي الحنفي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٢م.

نهاية الوصول في دراية الأصول، صفي الدين محمد عبدالرحيم الأرموي الهندي(ت٧١٥هـ)، تحقيق: د.صالح بن سليمان اليوسف، و د.سعد بن سالم السويح ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

Explanation of a single judgment in one image with two or more reasons together Fundamental stud

Dr.mosreg monaea motlaq alruqi
Assistant Professor of Jurisprudence and Principles at King Abdulaziz University in Jeddah

this research is an accurate problem of measurement in measurement:
Explanation of a single judgment in one image with two or more reasons together
It has been the subject of dispute in the matter, and mentioned the fundamentalist statements and evidence of five statements, and then mentioned the discussion of the evidence and the correct argument in the matter based on the study on the fundamentalist sources, and appended the conclusion of the most important findings

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٢ ص ص: ٣٣- ٤٨ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-2.2

أنواع معاملات الصرف في الأسواق المالية باعتبار الملكية وحق الاختيار وتضعيف القوة الشرائية وأحكامها

د. منصور بن عبد الرحمن بن محمد الغامدي

أستاذ مساعد

جامعة الملك عبدالعزيز – كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مستخلص. تتنوع عقود المشتقات المالية للمتاجرة في العملات باعتبارات متعددة، ناقش البحث منها ثلاثة اعتبارات: اعتبار الملكية، واعتبار حق الخيار، واعتبار تضعيف القوة الشرائية.

الاعتبار الأول: بحسب ملكية العاقد للعملة التي يبيعها، وخلاصة تأثير هذا الاعتبار على الحكم الشرعي أن عدم الملكية مؤثرة على صحة العقد إذا لم يحصل التقابض في مجلس العقد، وأما إذا حصل التقابض في مجلس العقد فهو عقد جائز صحيح.

الاعتبار الثاني: بحسب وجود خيار من عدمه، وجمهور الفقهاء المعاصرين على تحريم عقود الخيارات عموما، وبه صدر قرار مجمع الفقه الإسلامي، والشأن في عقود الخيارات في متاجرة العملات أشد تحريما لإحاطة الشارع عقود الصرف بمزيد من الشروط.

الاعتبار الثالث: بحسب اتفاقية المستثمر مع السمسار في شأن تضعيف القوة الشرائية للمستثمر، وخلاصة تأثير هذا الاعتبار على الحكم الشرعي أن مضاعفة القوة الشرائية يكون من خلال تمويل، فإن كان قرضا بفائدة فهو مندرج في الربا المحرم، وإن كان معاملة مرابحة فهو جائز، وإن كان من خلال قرض بدون فائدة فيقع فيه إشكال الجمع بين سلف وبيع.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فإن أشكال معاملات الصرف في الأسواق المالية والمتاجرة في العملات تعددت اليوم وانتشرت انتشارا هائلا، وصارت متاحة لصغار المستثمرين بعد أن كانت غير متاحة من قبل إلا لكبار المستثمرين، وزادت الإعلانات عنها ممنّية الناس بتحقيق الثراء السريع.

وللأسف فإن بعض البنوك الاستثمارية تزج بعملائها في معاملات من أنواع معاملات الصرف في الأسواق المالية، دون أن يتحروا عن شرعية هذه المعاملات، ودون أن يتحروا عن مدى ملاءمة هذه المنتجات لهؤلاء العملاء، فخسر كثير من الناس أموالهم في المتاجرة في الصرف في الأسواق المالية وهم لا يدركون كيف تعمل هذه الأسواق، ولا يدرون عن أحكامها وآثارها.

وهذا الانتشار استدعى بحث هذه المستئل وبيان أنواعها وأحكامها.

مشكلة البحث

يمكن تلخيص مشكلة البحث في ثلاثة أسئلة مهمة:

ما أنواع معاملات الصرف في الأسواق المالية – باعتبار ملكية البائع لما يبيع؟ وما أحكامها؟

ما أنواع معاملات الصرف في الأسواق المالية – باعتبار لزوم العقد لطرف والخيار للطرف الآخر–؟ وما أحكامها؟

ما أنواع معاملات الصرف في الأسواق المالية – باعتبار تضعيف القوة الشرائية كخدمة مقدمة من السمسار للمستثمر–؟ وما أحكامها؟

لذا فقد بني البحث على ثلاثة مباحث رئيسية، كل مبحث منها يبين صورة نوع من أنواع معاملات الصرف في الأسواق المالية بحسب أحد الاعتبارات ثم يبين حكمه الشرعي.

خطة البحث

هذا البحث يشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، مرتبة على النحو الآتي:

مقدمة، وتشتمل على:

مشكلة البحث:

خطة البحث:

منهج البحث:

إجراءات البحث:

تمهيد– أنواع عقود المشتقات المالية للمتاجرة في العملات بحسب اعتبار الملكية وحق الاختيار وتضعيف القوة الشرائية:

الاعتبار الأول– بحسب الملكية:

الاعتبار الثاني– بحسب حق الاختيار:

الاعتبار الثالث– بحسب تضعيف القوة الشرائية:

تداخل الاعتبارات:

المبحث الأول: الأحكام الشرعية المرتبطة باعتبار الملكية

المطلب الأول– تعريف البيع القصير في العملات:

المطلب الثاني– أنواع البيع القصير في العملات:

المطلب الثالث– توصيف إجراءات البيع القصير في العملات:

المطلب الرابع– حكم البيع القصير في العملات:

المبحث الثاني: الأحكام الشرعية المرتبطة باعتبار حق الاختيار

المطلب الأول– تعريف بيوع الخيارات:

المطلب الثاني– نشأة عقود الخيارات:

المطلب الثالث– أنواع عقود الخيارات وتوصيفها:

الفرع الأول– أنواع عقود الاختيار باعتبار نوع الاختيار محل العقد:

أولا– عقود اختيار الشراء (طلب):

ثانيا– عقود اختيار البيع (العرض):

ثالثا– عقود الاختيار المزدوج:

الفرع الثاني– أنواع عقود الاختيار باعتبار محل الخيار:

الفرع الثالث– أنوع عقود الخيار باعتبار التغطية من عدمها:
المطلب الرابع– حكم الخيارات عموما وعلى العملات خصوصا:
المبحث الثالث: الأحكام الشرعية المرتبطة باعتبار تضعيف القوة الشرائية
المطلب الأول– تعريف الهامش:
المطلب الثاني– أنواع الهامش الذي يطلبه السمسار من العميل:
المطلب الثالث– إجراءات المتاجرة بالهامش:
المطلب الرابع– حكم المتاجرة بالهامش :
خاتمة، وتشمل أهم النتائج والتوصيات، ثم قائمة المصادر وفهرس المحتويات.

منهج البحث

اعتمد هذا البحث على المنهج التأصيلي التطبيقي، وذلك من خلال بيان صورة معاملة المشتقات المالية للمتاجرة في العملات وطريقة تطبيقها من الناحية الواقعية، ثم تطبيق الأحكام الشرعية وتنزيلها على كل صورة من الصور.

إجراءات البحث

١. عزو الآيات ببيان اسم السورة، ورقم الآية، في صلب البحث بعد ذكر الآية مباشرة بحيث يكون العزو بين معكوفتين.
٢. عزو الأحاديث إلى مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فقد تم الاكتفاء بالعزو إليهما، وإن لم يكن في أحد الصحيحين فإن العزو يكون المصادر الأخرى المعتمدة.
٣. توثيق المعاني اللغوية من معاجم اللغة المشهورة، والإحالة عليها بذكر المادة.
٤. تذييل البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.
٥. وضع قائمة في نهاية البحث تشتمل على ذكر بيانات المصادر مرتبة وفق حروف المعجم.

أسأل الله أن يجعل هذا البحث من العلم النافع في حق كاتبه وقارئه وناشره، وأن يلهمنا فيه الحق والتوفيق والسداد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

أنواع عقود المشتقات المالية للمتاجرة في العملات بحسب اعتبار الملكية وحق الاختيار وتضعيف القوة الشرائية:

تتنوع عقود المشتقات المالية للمتاجرة في العملات بحسب اعتبارات عديدة:

الاعتبار الأول– بحسب الملكية:

يحتمل حين العقد أن يكون كل من الطرفين مالكا لما سيسلمه، ويحتمل أنه غير مالك لما سيسلمه. وبهذا ينقسم العقد باعتبار كون البائع مالكا لما سيبيعه إلى:

١– عقود قد ملك البائع فيها العملة بعقد شراء سابقٍ تعرض فيه لمخاطر التملك، ثم يبيع لاحقا. وتسمى البيع الطويل (LONG SALE).

٢– عقود لم يملك البائع فيها العملةَ بعقد شراء سابق تعرض فيه لمخاطر التملك، ثم يبيع بدون تملك أو من خلال اقتراض للأسهم. وتسمى البيع القصير. (SHORT SALE) وهي العقود التي يتوقع فيها البائع انخفاض سعر العملة بعد بيعها، بحيث

يخطط لشرائها لاحقا بسعر منخفض. ويخسر فيها البائع لو ارتفع سعر العملة خلافا لتوقعه.

وحسب مثالنا السابق؛ فإن:

زيدا يبيع دولارا؛

- فإن كان زيد مالكا للدولار قبل بيعه –بعقد شراء تعرض فيه لمخاطر ملكية الدولار–؛ فهذا يقال فيه إن زيدا باع ما ملكه سابقا (وهذا أقفل مراكزه في العملات أي إنه غير معرض لمخاطر تقلبات الأسعار لأنه أغلق مراكزه).
- وإن لم يكن مالكا للدولار قبل بيعه –بعقد شراء تعرض فيه لمخاطر ملكية الدولار– فهذا يقال فيه إن زيدا باع بيعا قصيرا (وهذا لا يزال مركزه مفتوحا في العملات؛ أي إنه معرض لمخاطر تقلبات الأسعار إلى أن يغلق مراكزه).

الاعتبار الثاني– بحسب حق الاختيار:

عقود المتاجرة في العملات إما أن تكون ملزمة للعاقدين جميعا، وإما أن تكون ملزمة لأحدهما دون الآخر.

ولا يوجد في أسواق المال عقد يكون اختياريا لكلا المتعاقدين؛ إذ سيكون حينئذ وعدا غير ملزم في حق كلا الطرفين ولا فائدة منه.

وتنقسم العقود بهذا الاعتبار إلى:

١– عقود غير مشتملة على حق الخيار (لازمة عليهما)

٢– عقود مشتملة على حق الخيار لأحد المتعاقدين، والآخر ليس له خيار، وتسمى عقود الخيارات. (Options)

الاعتبار الثالث– بحسب تضعيف القوة الشرائية:

وهذا الاعتبار لا يرتبط مباشرة بعقد المتاجرة في العملات، وإنما يرتبط بالعلاقة مع السمسار؛

وتنقسم العلاقة مع السمسار إلى:

١– علاقة بسيطة؛ يقدم فيها السمسار خدمة التنفيذ والمقاصة فقط.

٢– علاقة متاجرة بالهامش: يقدم فيها السمسار خدمة مضاعفة القوة الشرائية للعميل من خلال تمويله بعقد قرض بفائدة أو عقد مرابحة أو غيرها.

تداخل الاعتبارات:

ويظهر تداخل الاعتبارات من خلال الجدول التالي؛ فإن كل متعامل في سوق العملات لا يخلو شكل عقده في هذه السوق من أن يتصف بخمسة أوصاف بحسب كل اعتبار:

موقف زيد في صفقة في صفقة واحدة من صفقات العملات.

صفته في العملة (لا بد أن يكتسب صفتين: بائع لعملة ومشتر للأخرى)	هل يملك ما يبيعه أم لا؟	متى موعد التسليم؟	هل لأحدهما حق خيار؟	هل علاقته مع السمسار تضعيفية؟
(١)بائع دولار أو غيره (و) (٢)مشتري يورو أو غيره	يملك ما يبيع بشراء سابق (أو) لا يملك ما يبيع بشراء سابق	تسليم يوم العقد (T) (أو) تسليم يوم العمل التالي (T+1) (أو) تسليم بعد يومي عمل (Spot T+2) (أو) تسليم مؤجل (Forwards)	ملزم للطرفين (No Options) (أو) ملزم لأحدهما (Options)	علاقة بسيطة بدون مضاعفة (No Margin Trade) (أو) علاقة تضعيفية (Margin Trade)

المبحث الأول: الأحكام الشرعية المرتبطة باعتبار الملكية

المطلب الأول- تعريف البيع القصير في العملات:

يسمى البيع القصير ويسمى البيع على المكشوف وأيضا البيع بالعجز.

ومن تعريفاته: بيع العملات أو الأوراق المالية المقترضة على أمل انخفاض سعرها ومن ثم شراؤها من السوق وتسليمها للمقرض متى طلبها(١).

وطريقته: بيع لعملات أو أوراق مالية مقترضة على أمل أن ينخفض السعر فإذا انخفض السعر قام المتاجرون بشراء العملات أو الأوراق التي باعوها بإعادتها إلى مالكها، ويجري تسهيل تنفيذ هذه العملية من خلال سمسار، والذي يرتب لعملية الشراء، وحينما يقوم شخص ما بالبيع على المكشوف، يقال له إنه أخذ مركزاً قصيراً، بينما يفترض في حالة شراء الأوراق المالية للاستثمار الإبقاء عليها أمدا طويلاً(٢).

المطلب الثاني- أنواع البيع القصير في العملات:

(١) البيع على المكشوف المغطى (Short Selling): يقوم السمسار بإقراض البائع على المكشوف العملات أو الأوراق التي يرغب العميل في المتاجرة بها (مودعة لديه) مقابل فائدة، ويتوقع البائع انخفاض أسعارها فيبيعها، وعندما تنخفض الأسعار يشتري البائع على المكشوف عملات أو أوراق مماثلة من السوق المالي ويعيدها للسمسار، ويكون قد استفاد من فرق السعرين.

(٢) البيع على المكشوف غير المغطى (Naked Short Selling): هو بيع العملة أو الورقة المالية على المكشوف دون أن يكون لدى البائع على المكشوف سهم مقترض أو عملة مقترضة، أي أن يبيع المضارب أسهما أو عملات لا وجود لها.

وهو إحدى الميزات التي منحتها إدارة سوق ناسداك الأمريكية لصُناع سوقها كامتياز لاستخدامه عند الحاجة رغم أنه أداة غير قانونية؛ لأن الولايات المتحدة منعته قانونيا منذ عام ٢٠٠٥م.

المطلب الثالث- توصيف إجراءات البيع القصير في العملات:

١- توقع أحد المستثمرين انخفاض القيمة السوقية لعملة ما، فأعطى أوامره للسمسار الذي يتعامل معه بأن يبيع له على المكشوف ١٠٠ دولار، بالسعر الجاري الذي يبلغ ٢ يورو للدولار الواحد.

٢- الاتفاق بين البائع والسمسار إما أن يقوم على أساس إقراض السمسار للبائع هذه العملات، أو يكون هناك بيع بالآجل في حال تقديم المنتج بطريقة متوافقة مع الشريعة.

٣- بمجرد استلام الأمر، يسعى السمسار للبحث عمن يرغب في شراء تلك العملات بالسعر السائد، ويبرم معه الصفقة.

---

(١) انظر: أسواق الأوراق المالية؛ د. سمير رضوان؛ ص٣٢٢.

(٢) انظر: الخدمات الاستثمارية في المصارف، د. يوسف الشبيلي؛ ٢٩٨/٢، والأوراق المالية وأسواق المال؛ د. منير هندي؛ ص١٤٧، وأحكام التعامل في الأسواق المالية المعاصرة؛ د. مبارك ال سليمان؛ ٧٤٣/٢، والأسواق المالية؛ د. الداغر؛ ص٢٦٥، وبورصة الأوراق المالية؛ شعبان البرواري؛ ص١٩٥.

٤- يقوم السمسار بتسليم العملات المباعة للمشتري في التاريخ المحدد للتسليم، الذي يقع بعد يوم واحد، أو يومي عمل، من تاريخ تنفيذ الأمر، حسب ما هو متبع في كل بورصة.

٥- يقبض السمسار الثمن من المشتري، ولكنه لا يسلمه إلى البائع، وإنما يسلمه إلى مقرض العملات، ليكون رهناً عنده إلى حين الوفاء بالقرض، على أن للمقرض أن ينتفع بهذا الثمن، ويستثمره في أي وجوه الاستثمار، دون أن يدفع عليه فوائد، وهو الأمر الذي من أجله يقدم مالك العملات على إقراضها.[٣]

المطلب الرابع- حكم البيع القصير في العملات:

كما سبق في بيان أنواع البيع القصير؛ فهو نوعان:

النوع الأول: وهو البيع القصير المغطى، وهو الذي يقترض فيه المتداول العملات قبل بيعها، وفي هذه الحالة فإن البائع حين بيعه يكون مالكا للعملة بموجب قرض من غيره.

وبالتالي فإننا حينئذ نطبق ضوابط الصرف الأخرى وهي التقابض في مجلس العقد إن كان العقد بين عملتين مختلفتين، وأما إذا كان بين عملتين متماثلتين فإننا نطبق ضابط التقابض والتماثل.

النوع الثاني: وهو البيع القصير غير المغطى، وهو الذي يبيع فيه المتداول العملات قبل تملكها؛ وهنا يرد السؤال هل تحقق القبض في مجلس العقد؟ فإن كان قد تحقق القبض في مجلس العقد فهو جائز، وإن لم يتحقق القبض في مجلس العقد فلا يجوز.

المبحث الثاني: الأحكام الشرعية المرتبطة باعتبار حق الاختيار

المطلب الأول- تعريف بيوع الخيارات:

تم تعريفه بأنه "عقد يتم بموجبه منح الحق وليس الالتزام لشراء أو بيع شيء معين (كالأسهم أو السلع أو العملات أو المؤشرات أو الديون) بثمن محدد لمدة محددة، ولا التزام واقعاً فيه إلا على البائع هذا الحق"[٤].

وعُرِّف بأنه "عقد أو اتفاق بين طرفين، يتعهد أو يلتزم فيه أحدهما ببيع شيء معين أو شرائه في المستقبل، في مقابل مبلغ معين يدفع عند التعاقد"[٥].

المطلب الثاني- نشأة عقود الخيارات:

"بدأت عقود الخيارات أولاً في السلع في سنة ١٦٣٠م، ثم توسع التعامل بها فشملت العقارات ومعاملات الأوراق المالية في الأسواق خارج البورصة، حيث تم التعامل بعقود الخيارات في الأسهم في سوق لندن في الأوراق المالية في بدايات

---

(٣) انظر لمزيد من التفصيل في توصيف إجراءات المتاجرة بالهامش، أحكام تمويل الاستثمار في الأسهم؛ د. فهد العريض؛ ص١٠٨، وأحكام التعامل في الأسواق المالية المعاصرة؛ مبارك ال سليمان؛ ٧٤٤/٢، والاستثمار في الأوراق المالية؛ د. عبدالغفار حنفي؛ ص٥٢، والأوراق المالية وأسواق المال؛ د. هندي ص١٤٨، وبورصة الأوراق المالية؛ شعبان البرواري؛ ص١٩٧، والأسهم والسندات؛ د. أحمد الخليل؛ ص٢٢٣.

(٤) معايير الشرعية؛ للموسسات المالية الإسلامية؛ معيار رقم (٢٠)؛ بند رقم ٥/٢/١

(٥) مجلة مجمع الفقة الإسلامي؛ التوصيات والنتائج؛ العدد السادس؛ ١٦٦٣/٢. انظر: الفكر الحديث في إدارة المخاطر؛ د. منير هندي؛ ٥/٣، المشتقات المالية؛ د. طارق الحماد؛ ص٤١، المشتقات المالية؛ د. سمير رضوان؛ ص١٥٣، المعاملات المالية المعاصرة؛ د. وهبة الزحيلي؛ ص٥٠٢، أحكام التعامل في الأسواق المالية المعاصرة؛ د. مبارك ال سليمان؛ ١٠٠٥/٢، الخدمات الاستثمارية في المصارف؛ د. يوسف الشبيلي؛ ٣٠٦/٢، الأسواق المالية؛ د. الداغر؛ ص١٢٦، الهندسة المالية الإسلامية؛ د. عبدالكريم قندوز؛ ص٦٦، المتاجرة في العملات؛ د. نجيب الخريس؛ ص١١٨، أحكام تمويل الاستثمار في الأسهم؛ د. فهد العريض؛ ص٤٤١.

سنة ١٨٢٠م، وفي سنة ١٨٦٠م كانت هنالك سوق الخيارات في السلع والأوراق المالية في أمريكا، وكانت تلك العقود غير نمطية، فلم تكن لها قابلية التداول في الأسواق الثانوية. وأما النمو المتطور للتعامل بالخيارات بدأ بفعل التقدم الصناعي والتطور السياسي بين سنة ١٩٧٠م و١٩٨٠، حيث ظهرت أول سوق منظمة للخيارات في أمريكا في مدينة شيكاغو سنة ١٩٧٣م، حيث أنشأ مجلس شيكاغو سوقاً متخصصة للخيارات صممت فيها العقود بشكل نمطي مكن من تداولها والتعامل بها بوصفها أدوات مالية، ثم انتشر التعامل بهذه العقود النمطية في الأسواق الأخرى في داخل الولايات المتحدة، حيث وصلت عقود الخيارات إلى أكثر من مليون عقد يومياً. وقد اتباع نفس الأنظمة التي وضعت العمليات الآجلة (Futures) كتنميط العقود وطرق التسليم والتسلم.

ولم بيدأ التعامل بهذه العقود بشكلها النمطي في الدول الأخرى إلا في عقد الثمانينات، ففي سنة ١٩٧٩م تم التعامل بالخيارات المنمطة في سوق لندن للأوراق المالية، ثم زاد عدد الأسواق التي تتعامل بهذه العقود أكثر من ٤٠ سوقاً على مستوى العالم.

كانت الاختيارات في بادئ الأمر في السلع، وخاصة المحاصيل الزراعية، ثم تطورت وأصبحت تشمل معظم السلع و الأوراق المالية، ولا سيما بعد إنشاء أسواق شيكاغو، وتنميط عقود الاختيارات، وفي بداية الثمانينات تم إدراج أنواع جديدة من الاعتبارات شملت الأسهم، وسندات الخزينة (الأمريكية والأجنبية)، والسلع والبضائع، والمؤشرات والعملات".[٦]

المطلب الثالث– أنواع عقود الخيارات وتوصيفها:

تتنوع عقود الخيارات إلى عدة أنواع بحسب الاعتبارات الآتية:

الفرع الأول– أنواع عقود الاختيار باعتبار نوع الاختيار محل العقد:

١– عقود اختيار الشراء.

٢. عقود اختيار البيع.

٣. عقود اختيار مركبة أو مزدوج.

أولا– عقود اختيار الشراء (طلب):

ويسمى أيضا اختيار طلب أو اختيار استدعاء.

وهو"عقد بين طرفين، يخول أحدهما الآخر حق شراء عملة معينة بالسعر المتفق عليه، في التاريخ المتفق عليه، أو خلال الفترة الزمنية المقدرة".[٧]

ثانيا– عقود اختيار البيع (العرض):

ويسمى أيضاً باختيار الدفع.

وهو"هو عقد بين الطرفين، يخول أحدهما الآخر حق بيع عملة معينة بسعر معلوم، في تاريخ معلوم، أو خلال مدة معلومة، مقابل عوض معلوم".[٨]

---

(٦) بورصة الأوراق المالية؛ شعبان البرواري؛ ص٢٢٤. وانظر: الفكر الحديث في إدارة المخاطر ٥٥/٣-٥٨، عقود التحوط؛ طلال الدوسري؛ ص٩٨-١٠٠، المخاطرة في المعاملات المالية المعاصرة؛ د. عبدالرحمن الخميس؛ ص٢٧٧-٢٧٨، المشتقات المالية؛ د. سمير رضوان؛ ص١٤٥-١٤٨.

(٧) أحكام التعامل في الأسواق المالية المعاصرة؛ د. مبارك ال سليمان؛ ١٠١٤/٢.

(٨) انظر: أحكام التعامل في الأسواق المالية المعاصرة؛ د. مبارك ال سليمان؛ ١٠٢٢/٢.

ثالثا- عقود الاختيار المزدوج:

"بأن يجمع الشخص بين نوعي الاختيار السابقين، فيشتري اختيار شراء صادر على عملة معينة، واختيار بيع صادر على العملة إلا أنه لايحق للمشتري في هذا النوع إلا تنفيذ أحد عقدي الاختيار، إما عقد اختيار الشراء، وإما عقد اختيار البيع، وفي هذا النوع يدفع المشتري الاختيار المزدوج ضعف ثمن الاختيار الواحد.

وينقسم الخيار المزدوج إلى نوعين:

[١] عقد خيار مزدوج لا يتغير فيه سعر الشراء عن سعر البيع (Straddle)

وهذا النوع ينقسم إلى قسمين:

(أ) عقد خيار مزدوج مُرجِح لارتفاع الأسعار (strap)

ينطوي هذا النوع على شراء عقدي خيار شراء، وعقد خيار بيع واحد، ويسمى هذا الخيار أيضاً: الخيار المجرد.

(ب) عقد خيار مزدوج مُرجِح لانخفاض الأسعار (strip)

ينطوي هذا النوع على شراء عقدي خيار بيع، وعقد خيار شراء واحد، ويسمى أيضاً الخيار المطوق.

[٢] عقد خيار مزدوج يتغير فيه سعر الشراء عن سعر البيع (strangle).

وهذ النوع كسابقه، إلا أنهما يفترقان في أمر واحد، وهو أن هذا النوع يتغير فيه سعر الشراء عن سعر البيع، بخلاف النوع الأول الذي لايتغير فيه سعر الشراء عن سعر البيع كما سبق قريباً".[٩]

الفرع الثاني- أنواع عقود الاختيار باعتبار محل الخيار:

والمقصود بمحل الخيار: هو الشيء الذي يقع عليه الخيار سواء كان الخيار خيار بيع أو شراء أو مركب منهما، وينقسم بهذا الاعتبار إلى عدة أقسام، أبرزها:

(أ) خيار محله الأوراق المالية.

(ب) خيار محله السلع.

(ج) خيار محله المؤشرات.

(د) خيار محله العملات.

(هـ) خيار محله أسعار الفائدة.

والخياران الأخيران هو محل بحثنا بإذن الله تعالى.

الفرع الثالث- أنوع عقود الخيار باعتبار التغطية من عدمها:

ويراد بهذا التقسيم: النظر إلى بائع الخيار (محرر الخيار) من حيث ملكيته للأصل محل التعاقد الذي وقع عليه الخيار، وعقود الخيارات تنقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين:

(أ) عقود الخيار المغطاة:

هو أن يكون بائع الاختيار أو مشتريه مالكاً للعملة في محل العقد، فيطلق على العقد حينئذ بـ(عقد الاختيار المغطى).

---

(٩) عقود التحوط؛ طلال الدوسري؛ ص١١٣-١١٤. وانظر: المشتقات المالية؛ د. طارق الحماد؛ ص٤٥، بورصة الأوراق المالية؛ شعبان البرواري؛ ص٢٢٥-٢٢٨، أحكام التعامل في الأسواق المالية المعاصرة؛ د. مبارك ال سليمان؛ ١٠١٢/٢-١٠٣٦، الهندسة المالية الإسلامية؛ د. عبدالكريم قندوز؛ ص٦٧،

(ب) عقود الخيار غير المغطاة:

هو أن يكون بائع الاختيار أو مشتريه غير مالكاً للعملة وليس عنده ما يغطي التزامه إذا ما طولب بتنفيذ العقد وتسليم الأصل محل التعاقد في وقت إصدار الاختيار . إن كان العقد خيار شراء . أو لم يكن لديه سيولة نقدية كافية للوفاء بالتزامه . إن كان العقد خيار بيع . فيطلق على العقد (عقد الاختيار غير المغطى)، وهذا النوع هو أغلب ما يقع للمتعاملين بالاختيارات.[١٠]

المطلب الرابع– حكم الخيارات عموما وعلى العملات خصوصا:

قرر جمهور الفقهاء المعاصرين أن الخيارات عموماً ممنوعة لعدد من الاعتبارات؛

ومن هؤلاء:

د. أحمد محيي الدين: ذهب إلى عدم جوازها، حيث قال "إذا عرضنا عمليات أسواق الخيارات على موازين الفقه يتضح أنها: يشوبها غرر فاحش، وأنها تتعارض مع قصد الشارع من إباحة الشروط، وأن الشروط الموجودة فيها من الشروط الفاسدة في المذاهب الفقهية (كاشتراط عقد آخر على صاحبه يبطل البيع)، وتتعارض مع القاعدة العدل في المعاملات المالية". [١١]

ود. علي القره داغي: وقد استدل بعدم جواز الاختيارات بأنها لم يتم فيها التسليم والتسلم، وأن الاختيارات لا ترجع إلى خيار الشرط، ولاتحقق أركان العقد فيها، وفيها اشتراط التنازل عن جزء من المال دون أن تربطه بضرر فعلي محقق. ويرد على المجيزين الذين يستدلون ببيع العربون وقياس خيار الشراء عليه، على أن بيع العربون غير جائز عند أكثر العلماء خلافاً للحنابلة. هذه ناحية ومن ناحية أخرى يرى أن القياس على بيع العربون قياس مع الفارق، لأن في بيع العربون يحسب العربون جزءاً من الثمن إذا نفذت العملية. وأما إذا كان الخيار للبائع فغير جائز أيضاً. هذا بالنسبة للاختيارات البسيطة أما المزدوجة والمضاعفة فلا تجوز أيضاً لنفس الأسباب، إضافة إلى أنها تتضمن بيعتين في بيعة المنهي عنه شرعاً.

و د. الجارحي قرر أيضاً حرمة التعامل بالاختيارات، حيث يقول إنها عقد قمار على أسعار المستقبل، فتكون عمليات محرمة.[١٢]

والشيخ محمد مختار السلامي، قال بأن: "عقود الاختيارات عقود حادثة...وهي في منطلقها وغاياتها غير قابلة للتصحيح الشرعي"[١٣]. ثم يرد على المجيزين الذين استدلوا ببيع العربون، وذلك بذكره الفروق بين الاختيارات وبيع العربون. ويقول في التكييف الفقهي لها: "إن أقرب شيء للاختيارات هو القمار، فكل مشتر لخيار بيع أو شراء يربط بتقلبات

---

١٠ انظر: عقود التحوط؛ د. طلال الدوسري؛ ص١١٧-١١٨، الفكر الحديث في إدارة المخاطر ؛ د.منير هندي ؛ ٣/١١-١٢.

(١١) أسواق الأوراق المالية؛ أحمد محيي الدين؛ ص٤٤٣-٤٤٨.

(١٢) الأسواق المالية في ضوء مبادئ الإسلام؛ للجارحي؛ الإدارة المالية؛ ١٣٤/١.

(١٣) الاختيارات؛ للسلامي؛ مجلة مجمع الفقة الإسلامي؛ ٢٤١/١/٧.

الأسواق أما لفائدته أو ضده، وفي بعض أحواله إضافة إلى القمار صرف مؤجل وتعمير ذمتين"[١٤].

وسمير رضوان، قرر "انطواء البيوع الآجلة على بيع الإنسان ما لا يملك، وصورية أغلب البيوع الخيارية الشرطية، واشتراط منفعة لأحد طرفي العقد مقابل حق الاختيار هو من قبيل الشرط الفاسد، لأنها منافية لمقتضى العقد ومقصوده ولانطوائه على مصلحة زائدة فيها شبهة الربا، وتعد من جنس القمار والرهان المحرم شرعاً، ولأن بيع حق الخيار وتداوله من مشتر لآخر إنما هو بيع لما لا يقبل حكم العقد شرعاً"[١٥].

وذهب مجمع الفقه الإسلامي في قراره رقم (٦٥/١/٧) بشأن الأسواق المالية إلى حرمة التعامل بالاختيارات حيث جاء فيه: "إن عقود الاختيارات كما تجري اليوم في الأسواق المالية العالمية، هي عقود مستحدثة لا تنضوي تحت أي عقد من العقود الشرعية المسماة، وبما أن المعقود عليه ليس مالاً ولا منفعة، ولا حقاً مالياً يجوز الاعتياض عنه، فإنه عقد غير جائز شرعاً، وبما أن هذه العقود لا تجوز فلا يجوز تداولها"[١٦].

ولا شك أننا عندما ننظر إلى بيوع الخيارات في العملات فإن الأمر يزيد إشكالا؛ إذ بيوع الخيارات فرعٌ عن البيوع المستقبلية، إذ لا يتم تداول عملات حالّة بشرط الخيار في أسواق المال. وإنما يتم التداول في العقود الآجلة والمستقبلية بشرط الخيار.

والشارع قد أحاط بيوع الصرف بمزيد من الشروط، كالتقابض في مجلس العقد، والتماثل إن كان العوضان من الجنس نفسه، وهو ما لا يتحقق في عقود الخيارات على العملات.

المبحث الثالث: الأحكام الشرعية المرتبطة باعتبار تضعيف القوة الشرائية

المطلب الأول- تعريف الهامش:

من تعريفاته أنه "المبلغ النقدي الذي يودعه العميل في الحساب المصرفي المخصص لهذا الغرض لدى مقدم الخدمة أو لدى بنك آخر باسم مقدم الخدمة وبناء عليه يتمكن المشترك من الاستفادة من الخدمات التي تقدمها شركة الاستثمار"[١٧].

ومن تعريفاته: أنه "نقود يقدمها عميل كدفعة جزئية من ثمن شراء بموجب عقد آجل"[١٨].

ومن تعريفاته "قيمةُ عمليةٍ ما، مودعةٌ كضمان بانتظار إتمام هذه العملية لاحقاً"[١٩].

"المبلغ الذي يدفعه العميل كنسبة من القيمة السوقية للأوراق المالية المنوي شراؤها"[٢٠].

ووصفه د. عبدالله السعيدي قائلاً: هو "ما يضعه العميل (المستثمر) لدى البنك، أو السمسار، في حساب خاص، يسمى (حساب الهامش) من مال -

(١٤) الاختيارات؛ للسلامي؛ مجلة مجمع الفقة الإسلامي؛ ٢٣٩/١/٧-٢٤٠.
(١٥) أسواق الأوراق المالية؛ د. سمير رضوان؛ ص٣٦٣-٣٧١.
(١٦) قرارات مجمع الفقة الإسلامي؛ ١/٧؛ ص٥.
(١٧) المتاجرة بالهامش؛ د. محمد القري؛ ص٦.
(١٨) انظر: الموسوعة الاقتصادية؛ د. عمرو حسين؛ ص٥٤٧.
(١٩) انظر: معجم المصطلحات المصرفية؛ ص٨١.
(٢٠) انظر: مجلس مفوضي هيئة الأوراق المالية بعمان؛ تعليمات التمويل على الهامش؛ لسنة ٢٠٠٣م؛ المادة الثانية.

أوراق مالية أو نقدية- ليمكنه من المتاجرة (الاستثمار في السوق المالية) بمثله، أو أضعافه، على وجه القرض، أو البيع الآجل"[٢١].

المطلب الثاني- أنواع الهامش الذي يطلبه السمسار من العميل:

١- الهامش المبدئي:

وتعريفه: هو الحد الأدنى الذي يشترط أن يدفعه المشتري من ماله الخاص عند إرادة الشراء. ويطلق (الهامش المبدئي) على المبلغ الذي دفعه المستثمر من أمواله الخاصة، ويحدد هذا الهامش بنسبة معينة من قبل البنك المركزي، وعادة لا تزيد عن ٦٠% من قيمة الصفقة إلا أن للبورصة أو مؤسسات السمسرة أن تحدد نسبة الهامش بنسبة أعلى مما يحدده البنك المركزي.

يعمد البنك المركزي إلى رفع نسبة الهامش إذا لاحظ ارتفاع مستويات الأسعار بصورة غير طبيعية بسبب ارتفاع حدة المضاربة، ويؤدي هذا الرفع لنسبة الهامش إلى انخفاض الطلب على الأسهم والعملات تبعا لذلك.

وكذا يعمد إلى خفض نسبة الهامش إذا ضعف نشاط البورصة، وقلَّ الإقبال على الشراء حتى يتمكن المستثمرون من الحصول على القروض، وبالتالي يزيد الإقبال على السوق مرة أخرى، وهكذا فالبنك المركزي يتحكم في نشاط السوق قوة وضعفا عن طريق الهامش.

٢- الهامش الوقائي:

وتعريفه: هو الحد الأدنى الذي يشترط ألا تقل عنه حقوق الملكية المتمثلة في الفرق بين القيمة السوقية لمجموع الاستثمارات المرهونة وبين المبلغ المقترض.[٢٢]

المطلب الثالث- إجراءات المتاجرة بالهامش:

١- أن يقوم العميل بفتح حساب لدى البنك أو بيت السمسرة يسمّى حساب الهامش (Margin account).

٢- أن يقوم بإيداع جزء من قيمة العقد المراد شراؤه بحسب نوعه، عقد شراء وبيع عملات، أو غير ذلك؛ وتختلف قيمة العقود، ومقدار الهامش المطلوب من العميل بحسب نوع العقد.

٣- أن يكون البيع والشراء عن طريق البنك، أو الوسيط مع احتساب عمولات البيع والشراء له، وفي بعض العقود تحتسب عمولات البيع فقط.

٤- أن تكون العقود المشتراة رهناً لدى البنك، أو الوسيط حتى يتم البيع وتصفية الحساب.

---

(٢١) انظر: المتاجرة بالهامش؛ دراسة تصويرية فقهية؛ د. عبدالله السعيدي؛ ص٨. وانظر كذلك تعريفات مقاربة تصور المعنى في عدد من المراجع: أحكام تمويل الاستثمار في الأسهم؛ د. فهد العريض؛ ص١١٨، والخدمات الاستثمارية في المصارف؛ د. يوسف الشبيلي؛ ٢٩٥/٢، وأسواق الأوراق المالية؛ د. سمير رضوان؛ ص٣١٦، والأوراق المالية وأسواق المال؛ د. منير هندي؛ ص١٣٥، والأسواق المالية؛ د. الداغر؛ ص٢٥٩، والاستثمار في الأوراق المالية؛ د. عبدالغفار حنفي؛ ص٤٩، وبورصة الأوراق المالية؛ شعبان البرواري؛ ص١٨٧، وتحويل بورصة الأوراق المالية؛ د. محمد حنيني؛ ص٧١.

(٢٢) انظر: أحكام التعامل في الأسواق المالية المعاصرة؛ مبارك ال سليمان؛ ٦٨٧/٢، وحكم الشرع في البورصة؛ د. زياد سليم؛ ص١١، والأسواق المالية؛ د. الداغر؛ ص٢٦٠.

٥- أن يتعهد العميل بإكمال الفرق الذي يطرأ على الهامش الابتدائي فيتسبب في انخفاضه حتى يصل إلى المستوى الأول.

٦- إعطاء الحق للبنك أو الوسيط ببيع العقد وتصفية العملية في حال انخفاض الهامش الابتدائي وعدم قيام العميل بتغطية هذا الانخفاض، وكذلك في حال الخسارة الكبيرة التي يخشى منها على مبلغ القرض فيباع العقد ويسدد القرض منه وإن حصل نقص أو خسارة أخذت من مبلغ الهامش.

٧- تشترط كثير من البنوك وشركات الوساطة دفع فوائد على القرض الممنوح للعميل.

٨- تشترط كثير من البنوك وشركات الوساطة دفع رسوم على تبييت العقود في حال عدم بيع العقد الممول بالقرض مع الهامش في اليوم نفسه، فتأخذ عن كل ليلة يبيتها العقد قبل بيعه عمولة معينة.[٢٣]

المطلب الرابع- حكم المتاجرة بالهامش :

لا خلاف بين المعاصرين على تحريم المتاجرة بالهامش القائم على قرض ربوي.[٢٤]

وأما المتاجرة بالهامش التي لا تقوم على قرض ربوي؛ فهي نوعان:

النوع الأول: القائمة على معاملة تورق؛ وهذه يخضع حكمها لحكم مسألة التورق، والتورق المنظم.

النوع الثاني: القائمة على قرض بدون فائدة: ويُشكل على هذا النوع من التعامل أن السمسار المقرض يشترط أن يتم التداول من خلاله، وهذا الاشتراط مرده إلى أمرين: الأول ائتماني لئلا يضيع الرهن عليه بسبب إذنه بالتداول خارج المحفظة. والثاني: تجاري لتزيد عمولاته بسبب هذا القرض. وهو ما قد يدخل في حديث النهي عن سلف وبيع.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وهذه قائمة بأهم النتائج:

١. تتنوع عقود المشتقات المالية للمتاجرة في العملات باعتبارات متعددة.

٢. الاعتبار الأول: بحسب ملكية العاقد للعملة التي يبيعها، وخلاصة تأثير هذا الاعتبار على الحكم الشرعي أن عدم الملكية مؤثرة على صحة العقد إذا لم يحصل التقابض في مجلس العقد، وأما إذا حصل التقابض في مجلس العقد فهو عقد جائز صحيح.

٣. الاعتبار الثاني: بحسب وجود خيار من عدمه، وجمهور الفقهاء المعاصرين على تحريم عقود الخيارات عموما، وبه صدر قرار مجمع الفقه الإسلامي، والشأن في عقود الخيارات في متاجرة العملات أشد تحريما لإحاطة الشارع عقود الصرف بمزيد من الشروط.

---

(٢٣) انظر: الأبحاث المقدمة لمجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة عشرة المنعقدة بمقر الرابطة بمكة المكرمة. وعنوانه: الأحكام الشرعية لتجارة الهامش.

(٢٤) انظر: د. يوسف الشبيلي؛ الخدمات الاستثمارية؛ ٢٩٨/٢، ود. حمزة الفعر في الأحكام الشرعية لتجارة الهامش بحث مقدم إلى مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة عشرة المنعقدة بمقر الرابطة بمكة المكرمة، ود. أحمد الخليل؛ الأسهم والسندات؛ ص٢٢٢، وتحويل بورصة الأوراق المالية؛ د. محمد حنيني؛ ص٧١-٧٢، و أ.د. عبدالله السعيدي؛ في المتاجرة بالهامش؛ دراسة تصويرية فقهية؛ ٢٣-٢٥)، وبورصة الأوراق المالية؛ د. شعبان البرواري؛ ص١٩٤،

٤. الاعتبار الثالث: بحسب اتفاقية المستثمر مع السمسار في شأن تضعيف القوة الشرائية للمستثمر، وخلاصة تأثير هذا الاعتبار على الحكم الشرعي أن مضاعفة القوة الشرائية يكون من خلال تمويل، فإن كان قرضا بفائدة فهو مندرج في الربا المحرم، وإن كان معاملة مرابحة فهو جائز، وإن كان من خلال قرض بدون فائدة فيقع فيه إشكال الجمع بين سلف وبيع.

قائمة المراجع

- الإجماع؛ لابن المنذر، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.
- أحكام التعامل في الأسواق المالية المعاصرة؛ د. مبارك آل سليمان، الناشر: كنوز إشبيليا، سنة النشر: ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.
- الأحكام الشرعية لتجارة الهامش؛ د. حمزة الفعر؛ بحث مقدم إلى مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الثامنة عشرة،
- أحكام تمويل الاستثمار في الأسهم؛ د. فهد العريض، الناشر: كنوز اشبيليا، سنة النشر: ١٤٢٨هـ..
- الاختيارات؛ للسلامي؛ بحث منشور ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد السابع.
- إدارة الأسواق والمنشآت المالية؛ د. منير هندي، الناشر: مركز الدلتا للطباعة، سنة النشر: ٢٠٠٦م.
- إدارة العملات الأجنبية؛ د. إسماعيل الطراد، الناشر: دار وائل للطباعة والنشر، سنة النشر: ٢٠٠١م.
- أدوات التعامل الحديثة في الأسواق المالية – المشتقات؛ بحث منشور في المجلة الاقتصادية؛ البنك المركزي المصري؛ المجلد ٣٥؛ العدد ٤.
- الاستثمار في الأوراق المالية؛ أ.د محمد الحناوي وآخرون، الناشر: دار التعليم الجامعي، سنة النشر: ٢٠١٤م.
- الاستثمار في الأوراق المالية؛ د. عبدالغفار حنفي، الناشر: الدار العربية للنشر، سنة النشر: ٢٠٠٠م.
- الاستذكار؛ لابن عبدالبر، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.
- الأسهم والسندات؛ د. أحمد الخليل، الناشر: دار ابن الجوزي، سنة النشر: ١٤٢٤هـ.
- أسواق الأوراق المالية وآثارها الإنمائية في الاقتصاد الإسلامي، أحمد محيي الدين، الطبعة الأولى، من مطبوعات سلسلة صالح كامل للرسائل الجامعية في الاقتصاد الإسلامي، ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م.
- أسواق الأوراق المالية؛ د. سمير رضوان، من منشوراتالمعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة دراسات في الاقتصاد الإسلامي.

- الأسواق المالية في ضوء مبادئ الإسلام؛ للجارحي؛ الإدارة المالية؛ مؤسسة آل البيت؛ عمان – الأردن؛ عام ١٩٨٩م.
- الأسواق المالية في ميزان الفقه الإسلامي؛ د. علي القره داغي؛ بحث منشور ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي؛ العدد السابع.
- الأسواق المالية؛ د. محمود الداغر، الطبعة الثالثة، الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع، سنة النشر: ٢٠١٨م.
- الأسواق المالية؛ د. نضال الشعار، الطبعة الثالثة، الناشر: دار الجندي للنشر، سنة النشر: ٢٠٠٦م.
- الأوراق المالية وأسواق المال؛ د. منير هندي، الطبعة الأولى، سنة النشر: ٢٠١٥م.
- بورصة الأوراق المالية من منظور إسلامي؛ شعبان البرواري؛ دار الفكر؛ دمشق – سوريا؛ ط١؛ ٢٠٠٢م.
- بورصة الأوراق المالية؛ د. عبدالرزاق عفيفي، الناشر دار السلفية، سنة النشر: ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م.
- بورصة الأوراق المالية؛ د. عبدالغفار حنفي، الدار الجامعية بالاسكندرية، سنة النشر: ٢٠٠٧م.
- تحويل المصرف الربوي إلى مصرف إسلامي ومقتضياته، سعود محمد الربيعة، سنة النشر: ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م.
- تحويل بورصة الأوراق المالية؛ د. محمد حنيني، الناشر: دار النفائس للنشر، سنة النشر: ٢٠١٠م.
- التخريج الفقهي للقيد المصرفي؛ د. عبد الله بن محمد الربعي، سنة النشر: ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.
- تعليق د. صالح المرزوقي؛ مطبوع ضمن مجلة المجمع الفقهي الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي في الدورة الحادية عشرة.
- تعليق د. محمد الصديق الضرير. مطبوع ضمن مجلة المجمع الفقهي الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي في الدورة الحادية عشرة.
- تعليمات التمويل على الهامش؛ مجلس مفوضي هيئة الأوراق المالية بعمان؛ لسنة ٢٠٠٣م.
- التمهيد؛ لابن عبدالبر، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، سنة النشر: نشر على عدة سنوات من عام ١٣٨٧هـ حتى عام ١٤١٢هـ..
- حكم الشرع في البورصة؛ د. زياد سليم، زياد غزال، الناشر: دار الوضاح للنشر، عمان الآردن، الطبعة الثانية، سنة النشر: ١٤٢٨هـ=٢٠٠٨م.
- الخدمات الاستثمارية في المصارف، د. يوسف الشبيلي، سنة النشر: ١٤٣١هـ.
- عقود التحوط؛ د. طلال الدوسري، مطبوعات مصرف الراجحي؛ عام ٢٠١٠م.
- فقة النوازل؛ د. محمد الجيزاني؛ دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع؛ ط٢؛ عام ١٤٢٦هـ÷– ٢٠٠٦م.

- الفكر الحديث في إدارة المخاطر؛ د. منير هندي؛ ط١؛ عام ٢٠٠٢م.
- الفكر الحديث في مجال مصادر التمويل؛ د. منير هندي؛ منشأة المعارف؛ ط١؛ ١٩٩٨م.
- قرارات الهيئة الشرعية ببنك البلاد:
- https://www.bankalbilad.com/albilad/Pages/ShariacommitteedecisionS.aspx
- قرارات الهيئة الشرعية بمصرف الراجحي؛ للهيئة الشرعية بمصرف الراجحي؛ دار كنوز إشبيليا؛ ضمن سلسلة مطبوعات مصرف الراجحي؛ ط١.
- قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي؛ مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي الدولي.
- المتاجرة بالهامش؛ د. محمد القري؛ بحث مقدم ضمن أبحاث الدورة الثامنة عشرة للمجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي.
- المتاجرة بالهامش؛ دراسة تصويرية فقهية؛ د. عبدالله السعيدي. بحث مقدم ضمن أبحاث الدورة الثامنة عشرة للمجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي.
- المتاجرة في العملات؛ د. نجيب خريس؛ دار النفائس؛ عمان – الأردن؛ ط١؛ عام٢٠١٢م.
- مجلة مجمع الفقه الإسلامي؛ الصادرة عن مجمع الفقه الإسلامي.
- المخاطرة في المعاملات المالية المعاصرة؛ د. عبدالرحمن الخميس؛ دار كنوز إشبيليا؛ ضمن سلسلة الصندوق الخيري لنشر البحوث والرسائل العلمية؛ ط١؛ عام٢٠١٣م.
- المشتقات المالية: دراسة فقهية؛ د. خالد المهنا؛ بحث مطبوع ضمن سلسلة كرسي سابك لدراسات الأسواق المالية الإسلامية؛ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ ط١؛ عام١٤٣٥هـ.
- المشتقات المالية؛ د. سمير رضوان؛ دار النشر للجامعات؛ ط١؛ عام٢٠٠٩م.
- المعايير الشرعية؛ هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية.
- معجم المصطلحات المصرفية والمالية؛ مجموعة من المؤلفين؛ ط١؛ عام١٩٩٩م.
- المغني؛ لابن قدامة؛ الناشر: مكتبة القاهرة، بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م
- المنفعة في القرض؛ د. عبدالله العمراني؛ مصرف الراجحي؛ ضمن سلسلة إصدارات المجموعة الشرعية بمصرف الراجحي؛ ط٢؛ عام١٤٣١هـ.
- الموسوعة الاقتصادية؛ د. عمرو حسين؛ دار الفكر العربي؛ ط١؛ عام١٩٩٨م.
- الهندسة المالية الإسلامية؛ د. عبدالكريم قندوز؛ مؤسسة الرسالة ناشرون؛ عام٢٠٠٨م.

Types of Forign Exchange transactions in the financial markets considering ownership, options and margen tradings and its Sharia rulings

Dr. Mansour Abdulrahman Muhammed Alghamdi
Assistant Professor
King Abdulaziz University – Art and Humanities College

Derivative contracts for Forign Exchange tradings vary in several considerations.
This research discussed three considerations: consideration of ownership, consideration of option, and consideration of margin trading.
The first consideration: According to the ownership of the underlying currency. The impact of this consideration on the Shariah ruling that the lack of ownership affects the validity of the contract if the parties did not have possession of the underlying currency at the contract session which is called "Majlis Al-Aqd", but if the possession happened in the contract session then the contract is valid.
Second consideration: According to the existence of an option or not. The public of Sharia scholars prohibit option tradings in general, And decision of the Islamic Fiqh Academy has been issued in this regard. The options contracts in FX trading is more likely to be prohibited, considering the fact that Sharia surrounded FX contracts with more conditions.
The third consideration: According to the investor agreement with the broker on Margin trading to maximize the purchasing power of the investor. The impact of this consideration on the Shariah ruling that the Margin trading is done through financing. If the financing method is through an interest-bearing loan, then it is forbidden. If the financing method is through Murabaha, then it is permissible. If the financing method is through an interest-free loan, then it is facing the question of hidden interest which is "Combining Loan and Sale rulings"
God bless our Prophet Muhammad and his family and companions.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٢ ص ص: ٤٩- ٩٢ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-2.3

الدلالة المحورية للحرف(مِنْ) عند سيبويه

إبراهيم بن مسعود الفيفي
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الملك عبدالعزيز
جدة – المملكة العربية السعودية

مستخلص. حرف الجر (مِنْ) أصل حروف الإضافة كما ذكر ابن السراج، فهي حرية بالتقديم لكثرة دورانها في الكلام، وسعة تصرفها ومعانيها كما قال ابن يعيش. واتسع النحويون وغيرهم من علماء الأصول والفقهاء والمفسرين في معانيها حتى ربت عن خمسة عشر معنى. وبالرجوع إلى أول نص ذكر معانيها، وهو لسيبويه رحمه الله نراه قد ذكر لها ثلاثة معان فقط (ابتداء الغاية والتبعيض والتوكيد) وجعلها كلها معان محورية لـ (من) كل معنى أصل قائم برأسه، لا يتداخل مع غيره، فهو من قبيل (المشترك اللفظي)، ولم يوافقه في ذلك إلا ابن جني. أما بقية النحاة فقد جعلوا لها معنى واحدا فقط (ابتداء الغاية) ترجع إليه بقية المعاني، وتعسفوا في كثير من التخريجات والتأويلات لإثبات ذلك الأصل. وقد وقفنا عند نص سيبويه رحمه الله تحليلا وفرزا لأمثلته، ثم عارضناه بأقوال أئمة النحو لأنهم يمثلون الجانب المعياري، وبأقوال علماء الأصول والفقه والمفسرين لأنهم يمثلون الجانب التطبيقي؛ قصد الوصول إلى مذاهبهم فيما ينبغي أن يكون من تلك المعاني الكثيرة معنى محوريا. وقد لاحظنا أن سيبويه رحمه الله في كتابه لم يتعامل مع الحرف (من) عند معالجته كتعامله مع بقية حروف الجر عند تناولها، من جعله لتلك الحروف معنى محوريا واحدا، وما خرج من ذلك فهو توسع عائد إلى ذلك المعنى المحوري الذي قرره. وكأن سيبويه رحمه الله يرى أن لـ (من) مزية وخصوصية لا يشركه فيها غيره من الحروف؛ فكثرة دورانه في كتاب الله وفي كلامهم، واتساع تصرفه جعلت له تلك الخصوصية والاستثناء. وهذا ما لمحه ابن جني؛ ولذا نراه يميل إلى أنها في دلالة (التبعيض) قد تتقمص قميص الاسمية في بعض استعمالاتها. كما يؤيد لمح الاسمية فيها صحة مجيء(بعض) وهي اسم بدلا عنها، وإلا كيف يعاقب الاسم الحرف أو يرادفه؟ إذ الترادف لا يكون بين مختلفي الجنس. وقريب منه إذا حسن أن يقع موقعها (الذي) وذاك إذا جاءت لبيان الجنس. وما سبق يقوي جعل (التبعيض) معنى محوريا غير مندرج في ابتداء الغاية، فهو من قبيل المشترك اللفظي، فهذا منطوق نص سيبويه رحمه الله، فـ (من) بهذا المعنى أخذت خصوصية امتازت بها عن بقية المعاني، وجعلنا الاسمية حاضرة في بعض تصرفاتها في السياق يخلصنا من تأويلات النحاة وتخريجاتهم البعيدة عن روح اللغة، وعلى وجه الخصوص ما جاء من تأويلاتهم وتخريجاتهم لأي

من الذكر الحكيم جاءت كأنها ناقصة المسند إليه كقوله تعالى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ وأمثلته في القرآن الكريم وكلامهم كثيرة. واقتضت طبيعة البحث أن يكون في مبحثين، الأول: طرائق النحويين في معالجة معاني حروف الجر. والثاني: الدلالة المحورية للحرف (من). وهما مسبوقان بتمهيد، متبوعان بخاتمه.

تمهيد

يحد الحرف بأنه كلمة تدل على معنى في غيرها فقط، ويشرح ابن الحاجب هذا بقوله: (معنى قولهم: في غيره، أي أن المعنى الذي دل عليه الحرف يتعلق بمتعلق لابد من ذكره من حيث الوضع، بخلاف الاسم والفعل؛ لأنهما يدلان على المعنى من غير أن يتوقف معناهما على متعلق من حيث الوضع) [١]

ويفهم من هذا أن للحرف وظيفة دلالية، هي إظهار معنى في غيره، فالمعاني الكامنة في الأفعال إنما يثيرها ويظهرها حروف الجر، وذلك أنك إذا قلت: خرجت فأردت أن تبين ابتداء خروجك قلت خرجت من الدار، فإن أردت أن تبين أن خروجك مقارن لاستعلائك قلت خرجت على الدابة، فإن أردت المجاوزة للمكان قلت خرجت عن الدار، وإن أردت الصحبة قلت خرجت بسلاحي فقد وضح بهذا أنه ليس يلزم في كل ألا يتعدى إلا بحرف واحد. [٢]

يقول أبو البقاء الكفوي في كلياته : (الفعل المتعدي بالحروف المتعددة لابد من أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر، وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف. فإن ظهر اختلاف الحرفين ظهر الفرق نحو رغبت فيه وعنه، وعدلت إليه وعنه، وملت إليه وعنه، وسعيت إليه وبه. وإن تقارب معاني الأدوات عسر الفرق، نحو قصدت إليه وله، وهديت إلى كذا ولكذا. فالنحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر. أما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال، وهذه طريقة إمام الصناعة: سيبويه) [٣]

فالأصل أن يوضع لكل حرف من الحروف معنى لا يشركه فيه غيره، وقد يتوسع فيه، فيجعل له أكثر من معنى خلافا للأصل. وهذا مدار الخلاف عند النحاة. وإذا طالعنا كتب ما سطره النحويون في مصنفاتهم وجدناهم قد جعلوا لحرف واحد أكثر من معنى، وأكثرهم على أن واحدا من تلك المعاني أصل في ذلك الحرف، إما بقية المعاني فهي فرع من ذلك المعنى. فهم يرون أن للحرف دلالة أصلية ودلالة فرعية. وفي المقابل نجد منهم طائفة ترى التنوع في

---

(١) (الإيضاح في شرح المفصل ١٣٧/٢)
(٢) (انظر الأشباه والنظائر ٩٩/٦)
(٣) (الكليات ١٠٠٢)

معاني الحروف، وتعتبر دلالة الحرف على تلك المعاني كلها دلالة أصلية، ولم يقوموا بتحديد المعنى الأصلي للحرف الواحد.

فذهب الجمهور من نحويي البصرة على المشهور أن الأصل أن يجعل للحرف معنى واحد، فلا ينوب حرف جر عن آخر، شأنه شأن بقية ألفاظ العربية، كما فعل في الأسماء والأفعال، وما توسع فيه من المعاني راجع لذلك المعنى الأصلي، كما قال سيبويه عند معالجة الباء: (وباء الجر إنما هي للإلزاق والاختلاط، وذلك قولك: خرجت بزيد، ودخلت به، وضربته بالسوط: ألزقت ضربك إياه بالسوط. فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله). [١]

وقال المرادي بعد ذكر معنى الإلزاق: (قيل: وهو معنى لا يفارقها) [٢]

وعن (من) يقول التفتازاني: (تكون للتبيين، أو التبعيض، أو غيرهما، والمحققون على أن أصلها ابتداء الغاية، والبواقي راجعة إليها) [٣]

ولما كان لكل حرف من حروف الجر معنى أصيل خاص به، تتبعه معان أخرى، وقف النحويون أمام ذلك على وجهين. فمنهم من توسع في الحرف ومنهم من توسع في الفعل، كما نبين.

وهذا ما يبينه ابن هشام بقوله: (مذهب البصريين أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس كما أن أحرف الجزم وأحرف النصب كذلك وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلا يقبله اللفظ كما قيل في (ولأصلبنكم في جذوع النخل) إن في ليست بمعنى على، ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء، وإما على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف، كما ضمن بعضهم شربن في قوله :شربن بماء البحر، معنى: روين، وأحسن في (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي) معنى: لطف وإما على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى ،وهذا الأخير هو مجمل الباب كله عند أكثر الكوفيين، وبعض المتأخرين ولا يجعلون ذلك شاذا، ومذهبهم أقل تعسفا). [٤]

ويلخصه المرادي بقوله: (ومذهب البصريين إبقاء الحرف على موضوعه الأول، إما بتأويل يقبله اللفظ، أو تضمين الفعل معنى فعل آخر، يتعدى بذلك الحرف. وما لا يمكن فيه ذلك فهو من وضع أحد الحرفين موضع الآخر على سبيل الشذوذ). [٥]

وهذا يحتاج إلى بيان وتفصيل كما يلي:

المبحث الأول: طرائق النحويين في معالجة معاني حروف الجر

الوجه الأول: التوسع في الحرف. وذلك بطريقين، التأويل والنيابة

الطريق الأول: التأويل: ويقتضي أن يحتال على

---

(١) (الكتاب ٢١٧/٤)
(٢) (الجنى الداني ٣٧)
(٣) (شرح التلويح على التوضيح ٢٢٠/١)
(٤) (مغني اللبيب ١١١/١)
(٥) (الجنى الداني ٤٦)

المعاني الزائدة بإرجاعها إلى المعنى الأصلي. وذلك لاعتبار أن لكل حرف معنى رئيسا حقيقيا، ومعان أخرى فرعية على سبيل المجاز، يكمن وراءها أغراض بلاغية وأسرار دلالية، تفرضها خصوصية كل حرف من الحروف، وفي هذا يقول ابن السراج: (فإن كان سمع ممن ترضى عربيته، فلا بد أن يكون قد حاول به مذهبا، ونحا نحوه من الوجوه، أو استهواه أمر غلطه). [١]

فهو يرى أن ما ظاهره المخالفة في استعمال حروف الجر، ووضع بعضها مكان بعض مخالفة بقصد، لقصد في نفس المتكلم، وليست من باب النيابة في تلك الحروف.

ونلاحظ أن هؤلاء النحاة يذهبون إلى أن لكل حرف معنى مستقلا دفعا للاشتراك. وما ألحق به من معان فذاك على سبيل المجاز توسعا، وينبغي أن يدرك ويصحب المعنى الأصلي في كل تلك المعاني الفرعية، وإن كان على تأويل بعيد، كما قال المرادي: (التحقيق أن معنى اللام، في الأصل، هو الاختصاص. وهو معنى لا يفارقها، وقد يصحبه معان أخر. وإذا تؤملت سائر المعاني المذكورة وجدت راجعة إلى الاختصاص. وأنواع الاختصاص متعددة؛ ألا ترى أن من معانيها المشهورة التعليل، قال بعضهم: وهو راجع إلى معنى الاختصاص، لأنك إذا قلت: جئتك للإكرام، دلت اللام على أن مجيئك مختص بالإكرام. إذ كان الإكرام سببه، دون غيره. فتأمل ذلك. والله أعلم). [٢]

لذا فالاختصاص معنى عام لجميع مواد استعمال اللام، وبأي معنى استعملت لا تخلو منه. [٣]

ويقول المالقي: (وهذا المعنى- يعني الإلصاق- في كلام العرب في الباء أكثر من غيره فيها، حتى أن بعض النحويين قد ردوا أكثر معاني الباء إليه، وإن كان على بعد، والصحيح التنوع كما ذكر ويذكر). [٤]

وممن سار على هذا النهج الفخر الرازي عند حديثه عن (من) قال: (المشهور أن لفظة (من) ترد لابتداء الغاية كقولك سرت من الدار إلى السوق وللتبعيض كقولك باب من حديد وللتبيين كقوله تعالى (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) وقد تجئ صلة في الكلام كقولك ما جاءني من رجل والحق عندي أنه للتمييز فقولك سرت من الدار إلى السوق ميزت مبدأ السير عن غيره وقولك باب من حديد ميزت الشيء الذي يكون منه الباب عن غيره وقوله عز وجل: (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) ميزت الرجس الذي يجب اجتنابه عن غيره وكذلك قولك ما جاءني من أحد ميزت الذي نفيت عنه المجيء) [٥]

وعن (من) قال التفتازاني: (تكون للتبيين، أو

---

(١) (الأصول ٥٦/١)

(٢) (الجنى الداني ١٠٩)
(٣) (البحر المحيط في أصول الفقه ٢٧١/٢)
(٤) (رصف المباني ١٤٣)
(٥) (المحصول ٣٧٧/١)

التبعيض، أو غيرهما، والمحققون على أن أصلها ابتداء الغاية، والبواقي راجعة إليها) [١]

ومثله قول المرادي بأنه قول الجمهور، قال بعد ذكر معاني (من): (ولم يثبت أكثر النحويين ل من جميع هذه المعاني. وتأولوا كثيرا من ذلك على التضمين، أو غيره. وقد ذهب المبرد، وابن السراج، والأخفش الأصغر، وطائفة من الحذاق، والسهيلي، إلى أنها لا تكون إلا لابتداء الغاية، وأن سائر المعاني التي ذكروها راجع إلى هذا المعنى؛ ألا ترى أن التبعيض من أشهر معانيها، وهو راجع إلى ابتداء الغاية. فإنك إذا قلت: أكلت من الرغيف، إنما أوقعت الأكل على أول أجزائه، فانفصل. فمآل معنى الكلام إلى ابتداء الغاية. وإلى هذا ذهب الزمخشري؛ قال في مفصله ف من لابتداء الغاية، كقولك: سرت من البصرة. وكونها مبعضة في نحو: أخذت من الدراهم، ومبينة في نحو (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ)، ومزيدة في نحو: ما جاءني من أحد، راجع إلى هذا). [٢]

وإذا عدنا إلى سيبويه وجدناه ينزع إلى القول بأن لكل حرف معنى خاصا به، ولكنه يجوز أن يخرج عن هذا المعنى توسعا، فيحتال على تلك المعاني بالتأويل لردها إلى المعنى الأول الأصلي، فعند حديثه عن (إلى) يقول: (أما إلى فمنتهى لابتداء الغاية، تقول: من كذا إلى كذا ... ويقول الرجل: إنما أنا إليك، أي: إنما أنت غايتي ... فهذا أمر (إلى) وأصله وإن اتسعت). [٣]

وهذا شأن سيبويه رحمه الله كلما عرض عليه شيء من هذا، يأخذه بحسن التأويل، ويحتال على للمعنى لإرجاعه إلى أصله الذي قرره.

وربما بدأ بذكر المعنى الأصلي الحقيقي للحرف، ثم يورد من الأمثلة ما يبدو فيها الحرف كأنه قد جاوز هذا المعنى الأصلي، ثم يردها كلها إلى ذلك المعنى الذي قدم به، ومن أمثلة ذلك قوله عند حديثه عن (على): (أما على فاستعلاء الشيء؛ تقول: هذا على ظهر الجبل، وهي على رأسه. ويكون أن يطوي أيضا مستعليا كقولك: مر الماء عليه؛ وأمررت يدي عليه. وأما مررت على فلان فجرى هذا كالمثل. وعلينا أمير كذلك. وعليه مال أيضا؛ وهذا لأنه شيء اعتلاه ويكون: مررت عليه، أن يريد مروره على مكانه؛ ولكنه اتسع. وتقول: عليه مال؛ وهذا كالمثل؛ كما يثبت الشيء على المكان كذلك يثبت هذا عليه؛ فقد يتسع هذا في الكلام ويجيء كالمثل) [٤]

وهذا مذهبه رحمه الله في عموم كتابه، ولم يخرج عنه إلا عند معالجته للحرف (من)، لخصيصة لمحها فيه وماز بها عن غيره من حروف الجر، فنراه يقول: (وأما من فتكون لابتداء الغاية في الأماكن، وذلك قولك: من مكان كذا وكذا إلى مكان كذا وكذا.

---

(١) (شرح التلويح على التوضيح ٢٠١٤/١)
(٢) (الجنى الداني ٣١٥)
(٣) (الكتاب ٢٣١/٤)
(٤) (الكتاب ٢٢٤/٤)

وتقول إذا كتبت كتابا: من فلان إلى فلان. فهذه الأسماء سوى الأماكن بمنزلتها. وتكون أيضا للتبعيض تقول: هذا من الثوب، وهذا منهم، كأنك قلت: بعضه. وقد تدخل في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيما ولكنها توكيد بمنزلة ما، إلا أنها تجر لأنها حرف إضافة، وذلك قولك: ما أتاني من رجل، وما رأيت من أحد. ولو أخرجت من كان الكلام حسنا، ولكنه أكد بمن لأن هذا موضع تبعيض، فأراد أنه لم يأته بعض الرجال والناس. وكذلك: ويحه من رجل، إنما أراد أن يجعل التعجب من بعض الرجال. وكذلك: لي ملؤه من عسل، وكذلك: هو أفضل من زيد، إنما أراد أن يفضله على بعض ولا يعم. وجعل زيدا الموضع الذي ارتفع منه أو سفل منه في قولك: شر من زيد، وكذلك إذا قال: أخزى الله الكاذب مني ومنك. إلا أن هذا وأفضل منك لا يستغني عن من فيهما، لأنها توصل الأمر إلى ما بعدها) [١]

فجعل معانيها الثلاثة كلها أصلية. فالتأويل توسع منه في الحرف، وقد توسع كذلك في الفعل بالتضمين كما سيأتي قريبا. وإنما قلت هذا خلاف مذهبه وطريقته – أعني جعله لـ (من) أكثر من معنى، كل معنى قائم برأسه– لأنه نزر يسير، ولهذا نرى المبرد رحمه الله يخالفه ويرد معنى التبعيض في (من) الذي قال به سيبويه إلى ابتداء الغاية، جاء في المقتضب: (ومنها (من) وأصلها ابتداء الغاية نحو سرت من مكة إلى المدينة وفي الكتاب من فلان إلى فلان فمعناه أن ابتداءه من فلان ومحله فلان وكونها في التبعيض راجع إلى هذا وذاك أنك تقول أخذت مال زيد فإذا أردت البعض قلت أخذت من ماله فإنما رجعت بها إلى ابتداء الغاية وقولك زيد أفضل من عمرو إنما جعلت غاية تفضيله عمرا فإذا عرفت فضل عمرو علمت أنه فوقه). [٢]

فأنت ترى كيف أرجع المبرد معنى التبعيض إلى معنى الابتداء بالتأويل، مصرحا به هنا، وإن كان في موطن آخر قد ذكر معانيها ولم يحدد الأصل. وقد قال بما يشعر بالتناوب خلافا لطريقته، وذاك قوله: (تدخل الإضافة بعضها على بعض فمن ذلك قوله عز وجل {يحفظونه من أمر الله} أي بأمر الله وقال {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ } أي على وقال {أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ } أي يستمعون عليه) [٣]

وهذا الباب خفي يحتاج فيه إلى الدربة كما قال ابن جني: (هذا باب يتلقاه الناس مغسولا ساذجا من الصنعة، وما أبعد الصواب عنه، وأوقفه دونه) [٤]

ويقول المالقي: (وكثيرا ما تقرب التي للتبعيض من التي لبيان الجنس، حتى لا يفرق بينهما إلا بمعنى خفي) [٥]

وإنما نُسب هذا المذهب إلى البصريين عند أكثر

---

(١) (الكتاب ٤/٢٣٠-٢٣١)

(٢) (المقتضب ١/٤٤)
(٣) (المقتضب ٢/٣١٩)
(٤) (الخصائص ٢/٣٠٦)
(٥) (رصف المباني ٣٢٣)

النحاة لكثرة دورانه وتقديمه على غيره، فلا يسار عندهم إلى التضمين أو النيابة إلا إذا تعذر التأويل. وهذا لا يعني أن قول الكوفيين بالنيابة المنسوبة إليهم طريقة لا يفارقونها. فلا يؤخذ هذا على إطلاقه كما شاع، بل تجد منهم من نزع منزع البصريين، فهذا الفراء رحمه الله يأخذ بالتأويل، فمن قوله: (وقوله: (أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ)، المعنى: إلى السماء. غير أن جوازه أنهم قالوا: أو تضع سلما فترقى عليه إلى السماء، فذهبت (في) إلى السلم) . [1]

فهذا تأويل من غير شك.

الطريق الثاني: النيابة

مسألة النيابة في حروف الجر أخذت حيزا ليس بالقليل في كتب النحاة والبيانيين والأصوليين والمفسرين قديمهم وحديثهم. وتباينت أقوالهم، فمنهم من أنكر وقوعها على الحقيقة وحمل ما جاء منها على التأويل أو التضمين أو الشذوذ. ومنهم من جوزها دون قيد، ومنهم من توسط فجوزها بقيد. ونسب إلى البصريين عدم التجويز، ونسب تجويزها دون قيد إلى الكوفيين. هذا ما شاع بين أكثر الدارسين، والصواب في هذا غير ما ذكر. ونسبة الأقوال على الإطلاق هكذا لا تصح، وهذا ما سنحرره.

ونقصد بالنيابة هنا صحة وقوع بعض حروف الجر موقع بعضها الآخر. والقول بالنيابة يقتضي أن العرب وضعت لحرف أكثر من معنى على سبيل الحقيقة، وهو ما يسمى بالمشترك اللفظي، ووضعت لآخر مثل ذلك، فتداخلت بعض معاني الأول مع الآخر، فوقع بعضها موقع بعض فحدث الترادف، أي حرفان يؤديان معنى واحد. وهذا الاشتراك عند جمهور نحاة البصرة يقع خلاف الأصل؛ شذوذا أو لغفلة من الواضع، ورغم هذا فهو ممكن الوقوع على قلته؛ فالمعاني غير متناهية ، والألفاظ متناهية؛ لأنها صيغت من الحروف والحروف متناهية، وما صيغ من متناه فهو متناه.

ولا يسار إلى هذا عند المحققين إلا إذا تعذر التأويل والتضمين؛ لأن الكلمات المشتركة بالاستقراء أقل من المفردة. ومتى دار الاحتمال بين الانفراد والاشتراك رجح الحمل على الانفراد..

فتحقيق الاشتراك سبيل إلى تحقيق الترادف، وكلاهما خلاف الأصل. لذا نرى أصحاب هذا المذهب ينعتون ما جاء منه بالشذوذ، وربما احتالوا عليه بالتأويل أو التضمين وإن كانا بعيدين.

وأشهر حروف الجر التي دار حولها القول:

أ- حرف (الباء) وتنوب عن:

معنى "في" الظرفية ، نحو قوله تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ) أي: في بدر.

معنى "على" الاستعلائية، نحو قوله تعالى: (وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ) أي: إذا مروا عليهم.

معنى "من " التبعيضية ، مثل قوله تعالى: (عَيْنًا

---

[1] (معاني القرآن ١٣١/٢)

يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ) أي: يشرب منها.

ب- حرف (اللام) وينوب عن:

معنى "على" الاستعلاء، نحو قوله: (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ) أي: على جنبه.

معنى "في" الظرفية، نحو قوله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) أي: في يوم القيامة.

معنى "عن"، نحو قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ) أي: عن اللذين آمنوا.

معنى "إلى"، نحو قوله: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ) أي: فاستمعوا إليه.

ج- الحرف (في) تنوب عن:

معنى "على" الاستعلائية أو الفوقية. نحو قوله تعالى: (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) أي: على جزوع النخل. معنى "إلى" نحو قوله تعالى: (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) أي: إلى أفواههم.

د- الحرف (عن) تنوب عن:

معنى "على" مثل قوله تعالى: (وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ) أي: يبخل على نفسه.

معنى "من" نحو قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) أي: من عباده.

معنى "الباء" نحو قوله: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) أي: ما ينطق بالهوى..

هـ - الحرف (من) تنوب عن:

معنى "في" الظرفية نحو قوله تعالى: (أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) أي: في الأرض.

معنى "على" نحو قوله: (وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ) أي: على القوم.

معنى "الباء" نحو قوله: (يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ) أي: بطرف خفي.

معنى "اللام" نحو قوله: (مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ) أي: لأجل ذلك.

معنى " عن " للمجاوزة نحو قوله: (قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا) أي: عن هذا.

و- الحرف (على) و تنوب عن معاني:

معنى "اللام" التعليلية. نحو قوله: (وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ) أي: لهدايتكم.

معنى "في" الظرفية. نحو قوله تعالى: (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ) أي: دخل المدينة في حين غفلة.

معنى "من" نحو قوله تعالى: (الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) أي: إذا اكتالوا من الناس يستوفون.

وعند سيبويه ما يشعر بهذا، ولكنه نزر يسير، ويمكن أن يحمل على التأويل أو التضمين كما هو مذهبه في الكتاب، كما سبق آنفا في الكلام عن التأويل وكما سيأتي من قول في التضمين. ومن ذاك قوله: (وأما عن فلما عدا الشيء، وذلك قولك: أطعمه عن جوع، جعل الجوع منصرفا تاركا له قد جاوزه. وقال: قد سقاه عن العيمة... وقد تقع من موقعها أيضا، تقول: أطعمه من جوع، وكساه من عري، وسقاه من العيمة) [1]

وإذا ما نظرنا إلى عموم مذهبه وأكثر أقواله عند مرور ما يشعر بتعدد المعنى نراه يقدم التأويل والتضمين، ويرد بحسن الصنعة المعاني الكثيرة إلى

---

(١) (الكتاب ٢٢٧/٤)

معنى واحد، فالمعنى الأصلي مصطحب مع كل معنى فرعي، يدرك بالتأمل والدربة. فكل حرف عنده له معنى لا يفارقه.

أما ما نسب إلى البصريين من إنكارهم للنيابة مطلقا فالتتبع لأقوالهم يبطل هذا القول ويرده. وإنما منشأ هذه الأقوال ما تناقله الدارسون في كتبهم دون تمحيص. ومن ذاك ما قال به المرادي بعد ذكر معاني (عن)، وفيه: (واعلم أن هذه المعاني السابقة إنما أثبتها الكوفيون، ومن وافقهم). [١]

وقول أبي حيان: (وأجاز ذلك هشام، وذهب الكوفيون، والقتبي وتبعهم ابن مالك إلى أن (إلى) تكون بمعنى (من)) [٢].

وقوله: («الذين إذا اكتالوا على الناس» أي من الناس، وبمعنى الباء كقوله تعالى: «حقيق علي أن لا أقول» أي بألا أقول، وزعم الكوفيون والقتبي أنها تكون بمعنى اللام). [٣]

وقال ابن هشام: (مذهب البصريين أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس كما أن أحرف الجزم وأحرف النصب كذلك وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلا يقبله اللفظ كما قيل في {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ } إن في ليست بمعنى على ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء وإما على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف كما ضمن بعضهم شربن في قوله: (شربن بماء البحر ...) معنى روين. وأحسن في { وَقَدْ أَحْسَنَ بِي } معنى لطف. وإما على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى وهذا الأخير هو مجمل الباب كله عند أكثر الكوفيين وبعض المتأخرين ولا يجعلون ذلك شاذا ومذهبهم أقل تعسفا) [٤]

وأصرح من هذا ما قال به أبو حيان، قال: (وقيل: إلى بمعنى الباء، لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، وهذا ضعيف، إذ نيابة الحرف عن الحرف لا يقول بها سيبويه، والخليل، وتقرير هذا في النحو) [٥]

قلت ليس الأمر كما ذكروه من نسبة النيابة للكوفيين دون غيرهم، فهذا الخليل رحمه الله يثبتها كما جاء في كتاب العين، قال: (فثر: الفاثور عند العامة الطست خان، وأهل الشام يتخذون خوانا من رخام يسمونها الفاثور، قال: (والأكل في الفاثور بالظهائر) وقوله: في الفاثور، أي على الفاثور، كما قال تعالى: (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) ، أي على جذوع النخل). [٦]

وفي الصحاح أن يونس يرى جواز النيابة، جاء فيه: (وزعم يونس أن العرب تقول: نزلت في أبيك،

---

(١) (الجنى الداني ٢٤٨)
(٢) (ارتشاف الضرب ٤/٧٣١)
(٣) (ارتشاف الضرب ٤/ ٧٣٤)
(٤) (مغني اللبيب ١٥١)
(٥) (البحر المحيط ١/١١٣)
(٦) (معجم العين مادة فثر)

يريدون عليه. وربما استعمل بمعنى الباء). [١]

وسبق قال سيبويه في الكتاب: (وأما عن فلما عدا الشيء، وذلك قولك: أطعمه عن جوع، جعل الجوع منصرفا تاركا له قد جاوزه. وقال: قد سقاه عن العيمة... وقد تقع من موقعها أيضا، تقول: أطعمه من جوع، وكساه من عري، وسقاه من العيمة) [٢]

و قال الأخفش : (وتكون "إلى" في موضع "مع" نحو { مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ } كما كانت "من" في معنى (على) في قوله { وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ } أي: على القوم، وكما كانت الباء في معنى "على" في قوله "مررت به" و "مررت عليه". وفي كتاب الله عز وجل { مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ } يقول "على دينار". وكما كانت "في" في معنى "على" نحو { فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} يقول "على جذوع النخل". وزعم يونس أن العرب تقول: "نزلت في أبيك" تريد "عليه" وتقول: "ظفرت عليه" اي "به" و "رضيت عليه" أي: "عنه"). [٣]

وقال فيه كذلك: { فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ } والمعنى: فوسوس اليهما الشيطان. ولكن العرب توصل بهذه الحروف كلها الفعل). [٤]

وقال المبرد: (كما تدخل الإضافة بعضها على بعض فمن ذلك قوله عز وجل { يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } أي بأمر الله وقال { وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} أي على وقال { أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ } أي يستمعون عليه وقال الشاعر:

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة ... فلا عطست شيبان إلا بأجدعا

وقال الآخر:

إذا رضيت على بنو قشير ... لعمر الله أعجبني رضاها

أي: عني) [٥]

وجاء في الكامل: (وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض، إذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضع، قال الله جل ذكره: { وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ } ، أي على ولكن الجذوع إذا أحاطت دخلت في، لأنها للوعاء، يقال: فلان في النخل. أي قد أحاط به) [٦]

وقال ابن السراج في أصوله مجوزا النيابة إذا تقاربت المعاني: (واعلم: أن العرب تتسع فيها فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني فمن ذلك: الباء تقول: فلان بمكة وفي مكة، وإنما جازا معا لأنك إذا قلت: فلان بموضع كذا وكذا. فقد خبرت عن اتصاله والتصاقه بذلك الموضع، وإذا قلت: في موضع كذا فقد خبرت "بفي" عن احتوائه إياه وإحاطته به، فإذا تقارب الحرفان فإن هذا التقارب يصلح لمعاقبة، وإذا تباين معناهما لم يجز، ألا ترى أن رجلا لو قال:

---

(١) (الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية مادة (في) ٦/ ٤٥٨)
(٢) (الكتاب ٤/ ٢٢٧)
(٣) (معاني القرآن ١/ ٥١)
(٤) (معاني القرآن ٣٢٢/١)
(٥) (المقتضب ٣٢٠/٢)
(٦) (الكامل ٧٣/٣)

مررت في زيد أو: كتبت إلى القلم، لم يكن هذا يلتبس به، فهذا حقيقة تعاقب حروف الخفض، فمتى لم يتقارب المعنى لم يجز) [١]

ومثله ما قال به ابن جني، قال: (باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض. هذا باب يتلقاه الناس مغسولا ساذجا من الصنعة، وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دون وذلك أنهم يقولون: إن "إلى " تكون بمعنى مع. ويحتجون لذلك بقول الله سبحانه: { مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ } أي: مع الله، ويقولون: إن "في " تكون بمعنى "على"، ويحتجون بقوله عز اسمه: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ } أي: عليها، ويقولون: تكون الباء بمعنى عن وعلى، ويحتجون بقولهم: رميت بالقوس أي: عنها وعليها... ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا، لكنا نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه، والمسوغة له، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا، ألا ترى أنك إن أخذت بظاهر هذا القول غفلا هكذا، لا مقيدا لزمك عليه أن تقول: سرت إلى زيد، وأنت تريد: معه، وأن تقول: زيد في الفرس، وأنت تريد: عليه، وزيد في عمرو، وأنت تريد: عليه في العداوة، وأن تقول: رويت الحديث بزيد، وأنت تريد: عنه، ونحو ذلك مما يطول ويتفاحش. ولكن سنضع في ذلك رسما يعمل عليه، ويؤمن التزام الشناعة لمكانه). [٢]

أما ما نسب إلى الكوفيين من تجويزهم النيابة بين الحروف مطلقا دون قيد أو شرط فلا يصح، فهم يشترطون ما اشترطه بعض البصريين كالمبرد وابن السراج وابن جني من تقارب الحروف في المعاني، ووجود مسوغ لذلك التناوب. وهذا قول الفراء: (وقوله: (فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ) ويصلح في مثله من الكلام عن وعلى والباء. وقوله (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) يصلح (على) في موضع (في) وإنما صلحت (في) لأنه يرفع في الخشبة في طولها فصلحت (في) وصلحت (على) لأنه يرفع فيها فيصير عليها). [٣]

وفي نصه السابق نرى الفراء يعلل لتجويزه النيابة. كما أننا نشتم من قوله (وإنما صلحت (في) لأنه يرفع في الخشبة في طولها) ذهابه للتأويل، فتغير الحرف لتغير صورة وحال الصلب ، فالفراء هنا يذهب مذهب أكثر البصريين. فكل حرف مقصود، لا يغني عنه غيره. والقول بالاشتراك تفويت لجزء من المعنى المراد.

وإنما قلت مذهب الكوفيين بالنيابة مطلقا خلاف ما شاع؛ لأنهم لم يغفلوا كذلك التضمين فمنهم من عول عليه وخرج، فهذا شيخ الكوفيين الفراء يقول: (وقوله: (مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ) المفسرون يقولون: من

---

(١) (الأصول ٤١٤/١)

(٢) (الخصائص ٣٠٨/٢)

(٣) (معاني القرآن ١٨٦/٢)

أنصارى مع الله، وهو وجه حسن. وإنما يجوز أن تجعل (إلى) موضع (مع) إذا ضممت الشيء إلى الشيء مما لم يكن معه كقول العرب: إن الذود إلى الذود إبل أي إذا ضممت الذود إلى الذود صارت إبلا. فإذا كان الشيء مع الشيء لم تصلح مكان مع إلى، ألا ترى أنك تقول: قدم فلان ومعه مال كثير، ولا تقول في هذا الموضع: قدم فلان وإليه مال كثير. وكذلك تقول: قدم فلان إلى أهله، ولا تقول: مع أهله، ومنه قوله: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ) معناه: ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم). [١]

وقوله: (وقوله (وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ) إلى قصد الصراط. وهذا مما تدخل فيه (إلى) وتخرج منه. قال الله (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) وقال (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) وقال (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) ولم يقل (إلى) فحذفت إلى من كل هذا. ثم قال في موضع آخر (أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) وقال (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ) ويقال هديتك للحق وإليه قال الله (الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ) وكأن قوله (اهْدِنَا الصِّرَاطَ) أعلمنا الصراط، وكأن قوله: اهدنا إلى الصراط أرشدنا إليه والله أعلم بذلك). [٢]

وفي المقابل نرى من تمسك بالنيابة صراحة من القدماء والمحدثين، وسأذكر قولين على سبيل التمثل فقط. فمن القدماء المالقي، حيث يقول في حرف الباء:(وهذا المعنى (يعني الإلصاق) في كلام العرب في الباء أكثر من غيره، والصحيح التنوع). [٣]

ومن المحدثين الأستاذ عباس حسن، حيث يقول: (المذهب الثاني: أن قصر حرف الجر على معنى حقيقي واحد، تعسف وتحكم لا مسوغ له، فما الحرف إلا كلمة، كسائر الكلمات الاسمية والفعلية، وهذه الكلمات الاسمية والفعلية تؤدي الواحدة منها عدة معان حقيقية، لا مجازية، ولا يتوقف العقل في فهم دلالتها الحقيقية فهما سريعا، فما الداعي لإخراج الحرف من أمر يدخل فيه غيره من الكلمات الأخرى، ولإبعاده عما يجري على نظائره من باقي الأقسام؟ ...لا شك أن المذهب الثاني نفيس كما سبق؛ فمن الأنسب الاكتفاء به؛ لأنه عملي سهل، بغير إساءة لغوية، وبعيد من الالتجاء إلى المجاز، والتأويل، ونحوهما من غير داع؛ فلا غرابة في أن يؤدي الحرف الواحد عدة معان مختلفة، وكلها حقيقي كما قلنا، ولا غرابة أيضا في اشتراك عدد من الحروف في تأدية معنى واحد؛ لأن هذا كثير في اللغة، ويسمى: المشترك اللفظي). [٤]

ولكن المدقق في كثير من الأقوال يجدهم يستعملون (قد) تحفظا من الإطلاق. كما مر معنا من قول المرادي: (حروف الجر قد ينوب بعضها عن بعض. ومذهب البصريين إبقاء الحرف على موضوعه

---

(١) (معاني القرآن ٢١٨/١)
(٢) (معاني القرآن ٤٠٣/٢)
(٣) (رصف المباني ١٤٣)
(٤) (النحو الوافي ٥٤٠/٢)

الأول، إما بتأويل يقبله اللفظ، أو تضمين الفعل معنى فعل آخر، يتعدى بذلك الحرف. وما لا يمكن فيه ذلك فهو من وضع أحد الحرفين موضع الآخر على سبيل الشذوذ). [١]

وقول الهروي: (اعلم أن حروف الخفض قد يدخل بعضها مكان بعض، وقد جاء ذلك في الفرآن الكريم) [٢].

وقال ابن هشام متحفظا على إطلاق النيابة: (قولهم ينوب بعض حروف الجر عن بعض وهذا أيضا مما يتداولونه ويستدلون به وتصحيحه بإدخال قد على قولهم ينوب وحينئذ فيتعذر استدلالهم به) [٣]

ومن العرض السابق لأقوال أئمة النحاة من البصريين والكوفيين يتبن لنا حقيقة قولهم، وأن التأويل والتضمين مقدم عندهم، ولا يسار إلا النيابة إلا إذا تعذرتا دفعا للاشتراك، والترادف تبعا له. وهذا ما أميل إليه.

ومن جميل القول ما قال به السخاوي، وأنقله بتمامه، حيث قال: (وأما نقل الكلمة فهو تأولك (أحسن بي) على (لطف بي). وإنما حملك على ذلك أنك وجدت (أحسن) يتعدى بـ (إلى)، فهي مثل قول القائل: قد أحسنت إليه، ولا تقول: أحسنت به. جهلت أن الفعل قد يتعدى بعدة من حروف الجر على مقدار المعنى المراد من وقوع الفعل؛ لأن هذه المعاني الكامنة في الفعل، وإنما يثيرها ويظهرها حروف الجر؛ وذلك أنك إذا قلت: خرجت، فأردت أن تبين ابتداء خروجك، قلت: خرجت من الدار فإن أردت أن تبين أن خروجك مقارن لاستعلائك قلت: خرجت على الدابة؛ فإن أردت المجاوزة للمكان قلت: خرجت عن الدار، وإن أردت الصحبة قلت: خرجت بسلاحي وعلى ذلك قول المتنبي:

أسير إلى إقطاعه في ثيابه .... على طرفه من داره بحسامه

قد وضح بهذا أنه ليس يلم في كل فعل ألا يتعدى إلا بحرف واحد. ألا ترى أن (مررت) المشهور فيه أنه يتعدى بالباء نحو: مررت به، وقد يتعدى بـ (إلى) و (على)، فتقول: مررت إليه ومررت عليه؟ وكذلك قوله سبحانه: (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي) ، وذلك أن الباء قد جاءت متصلة بـ (حسن) و (أحسن) فتقول: حسن به ظني، ثم تنقله بالهمزة: أحسنت به الظن؛ وكذلك في الإساءة، فيكون التقدير في الآية: وقد أحسن الصنع بي، ثم حذف المفعول لدلالة المعنى عليه، وحذف المفعول كثير في العربية. من ذلك قوله سبحانه: (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ)، يريد: وأمر الناس بالمعروف وانههم عن المنكر وكذلك قوله عز وجل: (رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) ،أي: يحيي الموتى ويميت الأحياء. فيصير المعنى في قوله: (أَحْسَنَ بِي) أي: أوقع جميل صنعه بي. وإذا عديته بـ (إلى) يصير المعنى فيه الإيصال، كأنه قال: أوصل

---

(١) (الجنى الداني ٤٩)
(٢) (الأزهية في علم الحروف ٢٦٧)
(٣) (مغني اللبيب ٨٦١)

إحسانه إلي، والمعنى متقارب، وإن كان تقدير كل واحد منهما غير تقدير الآخر؛ فليس ينبغي أن يحمل فعل على معنى فعل آخر إلا عند انقطاع الأسباب الموجبة لبقاء الشيء على أصله) [١]

ويقول الزمخشري: (فإن قلت: يجرى لأجل مسمى، ويجرى إلى أجل مسمى: أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت: كلا، ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن. ولكن المعنيين. أعنى الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لأن قولك يجرى إلى أجل مسمى: معناه يبلغه وينتهى كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض، لأن قولك يجرى إلى أجل مسمى: معناه يبلغه وينتهى إليه. وقولك: يجرى لأجل مسمى: تريد يجرى لإدراك أجل مسمى، تجعل الجري مختصا بإدراك أجل مسمى) [٢]

فالسرخسي والزمخشري يرون أن اختلاف المعنى المراد يستدعي اختلاف الحرف، فلا نيابة وإن عسر الفرق.

وقال الطبري عند تفسيره لقوله تعالى (تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ) : (وإنما يوضع الحرف مكان آخر غيره، إذا تقارب معنياهما. فأما إذا اختلفت معانيهما، فغير موجود في كلامهم وضع أحدهما عقيب الآخر. وكتاب الله وتنزيله أحرى الكلام أن يجنب ما خرج عن المفهوم والغاية في الفصاحة). [٣]

وقال: (لكل حرف من حروف المعاني وجها هو به أولى من غيره فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها). [٤]

ومن مجموع ما سبق نخلص إلى أن أئمة نحاة البصرة والمحققين من بعدهم يرون أن كل حرف يجب أن يستقل بمعنى خاص لا يشركه فيه غيره، وما ظاهره خروج عن هذا المعنى الخاص إنما هو توسع بقصد لقصد، مع وجوب اصطحاب المعنى الأصلي مع كل معنى فرعي للحرف. ولذا يقول ابن السراج: (فإن سمع ممن ترضى عربيته فلا بد أن يكون قد حاول به مذهبا، ونحا نحوه من الوجوه، أو استهواه أمر غلطه). [٥]

والأصل أن يبقى لكل حرف معناه كما ذكر الرضي: (الأولى إبقاء الحروف على معناها ما أمكن) [٦]

والتناول السابق إنما هو تناول نحوي معياري، أما علماء البيان فلهم تناول مغاير ينصب على السياق، فالحروف عندهم لا يشع معناها ولا تظهر فيها الفروق الدلالية إلا من السياقات، مصطحبة المقام ومقتضياته وقرائنه. ولا يمكن عندهم أن يكون المعنى واحدا عند تنوع استعمالات الحرف في عدة سياقات.

---

(١) (سفر السعادة وسفير الإفادة ٢/ ٨٢٦ ومثله عند السيوطي في الأشباه والنظائر ٩٩/٦)
(٢) (تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٥٠٢/٣)
(٣) (تفسير الطبري = جامع البيان ٥٥٢/٩)
(٤) (تفسير الطبري = جامع البيان ١٩٩/١)
(٥) (الأصول ٥٦/١)
(٦) (شرح الرضي على الكافية ٣٢٠/٢)

قال ابن القيم رحمه الله: (فعل السمع يراد به أربعة معان أحدهما: سمع إدراك ومتعلقه الأصوات الثاني: سمع فهم وعقل ومتعلقه المعاني الثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سئل الرابع: سمع قبول وانقياد فمن الأول: { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا } و { لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا } ومن الثاني قوله: { لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا } ليس المراد سمع مجرد الكلام بل سمع الفهم والعقل ومنه سمعنا وأطعنا ومن الثالث سمع الله لمن حمده وفي الدعاء المأثور اللهم اسمع أي أجب وأعط ما سألتك ومن الرابع قوله تعالى: { سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ} أي قابلون له ومنقادون غير منكرين له... وإذا عرف هذا فسمع الإدراك يتعدى بنفسه وسمع القبول يتعدى باللام تارة وبمن أخرى وهذا بحسب المعنى فإذا كان السياق يقتضي القبول عدي ب من وإذا كان يقتضي الانقياد عدي باللام وأما سمع الإجابة فيتعدى باللام نحو سمع الله لمن حمده لتضمنه معنى استجاب له ولا حذف هناك وإنما هو مضمن وأما سمع الفهم فيتعدى بنفسه لأن مضمونه يتعدى بنفسه) [١]

الوجه الثاني: التوسع في الفعل. وذلك بالتضمين.

لما رأى النحاة أن هناك نصوصا فصيحة توحي بتناوب الحروف ولاحظوا أن لكل فعل من تلك الأفعال مشاركا له في معناه قد عدي بذلك الحرف قالوا بالتضمين وأعطوا الفعل الأول حكم الثاني المضمن في التعدية. وساغ لهم ذلك واستحسنوه لأمرين:

الأول: أن التضمين توسع في الفعل، والمقرر عند علماء العربية أن التوسع في الفعل أكثر في كلامهم من التوسع في الحرف ، فقالوا: (التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف). [٢]

الثاني: أن تعدية الفعل بحرف الجر أمر توقيفي مبني على السماع، وتعدية الفعل بحرف جر غير الحرف الذي وضع له وسمع منهم خروج عن طرائقهم في البيان.

ويعرفون التضمين بأنه إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه. ويعرفه أبو البقاء الكفوي بقوله : (التضمين: هو إشراب معنى فعل لفعل ليعامل معاملته وبعبارة أخرى: هو أن يحمل اللفظ معنى غير الذي يستحقه بغير آلة ظاهرة). [٣]

وفي المغني يقول ابن هشام: (قد يشربون لفظا معنى لفظ فيعطونه حكمه). [٤]

قال الأشموني: (إن التضمين النحوي إشراب كلمة معنى أخرى بحيث تؤدي المعنيين) [٥]

وفي الإتقان قال السيوطي: (التضمين وهو إعطاء الشيء معنى الشيء ويكون في الحروف والأفعال

---

(١) (بدائع الفوائد ٧٥/٢)

(٢) (مغني اللبيب ٨٦١)
(٣) (الكليات ٢٦٦)
(٤) (مغني اللبيب ٦٨٥/٢)
(٥) (حاشية الصبان على شرح الأشمونى ٢١/١)

والأسماء، أما الحروف فتقدم في حروف الجر وغيرها، وأما الأفعال فأن يضمن فعل معنى فعل آخر فيكون فيه معنى الفعلين معا وذلك بأن يأتي الفعل متعديا بحرف ليس من عادته التعدي به فيحتاج إلى تأويله أو تأويل الحرف ليصح التعدي به والأول تضمين الفعل والثاني تضمين الحرف

واختلفوا أيهما أولى فقال أهل اللغة وقوم من النحاة التوسع في الحرف وقال المحققون التوسع في الفعل لأنه في الأفعال أكثر مثاله عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ) فيشرب إنما يتعدى بمن فتعديته بالباء إما على تضمينه معنى " يروي" و " يلتذ " أو تضمين الباء معنى " من " نحو(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ) فالرفث لا يتعدى بـ "إلى" إلا على تضمن معنى الإفضاء). [١]

والسيوطي بقوله: (ويكون في الحروف والأفعال والأسماء) يمثل طائفة من النحاة الذين يرون أن التضمين يجرى في ذلك كله.

ورأى غيرهم أن التضمين لا يقع إلا في الفعل ويستدل عليه بذكر شيء من متعلقاته، قال الجرجاني (أن يقصد بلفظ فعل معناه الحقيقي، ويلاحظ معه معنى فعل آخر يناسبه ويدل عليه بذكر صلته كأحمد إليك فلانا أي أنهى حمده إليك). [٢]

وهذا المتعلق هو حرف الجر المختار بعده فهو ما يكشف عن المعنى الكامن في الفعل ويثيره. وهذا يفهم من قول ابن جني كذلك، قال: (اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع، فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه، إيذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر) [٣]

كما يصرح به ابن عاشور بقوله:(ومن بديع الإيجاز في القرآن وأكثره ما يسمى بالتضمين، وهو يرجع إلى إيجاز الحذف، والتضمين أن يضمن الفعل أو الوصف معنى فعل أو وصف آخر ويشار إلى المعنى المضمن بذكر ما هو من متعلقاته من حرف أو معمول فيحصل في الجملة معنيان). [٤]

ويرى ابن هشام ان الحرف باق على معناه، وتبع لما تعلق به: يقول: (أن البصريين ومن تابعهم يرون في الأماكن التي ادعيت فيها النيابة أن الحرف باق على معناه وأن العامل ضمن معنى عامل يتعدى بذلك الحرف لأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف). [٥]

فالمشهور من قول النحاة أن يضمن فعل معنى فعل آخر فيكون فيه معنى الفعلين معا، فالفعل دال على المتضمِّن والحرف دال على المتضمَّن. وذهب

---

(١) (الاتقان في علوم القرآن ١٠٩/٢)
(٢) (حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي ٢١٠/١)
(٣) (الخصائص ٣١٠/٢)
(٤) (التحرير والتنوير ١/ ١٢٣)
(٥) (مغني اللبيب ٨٦١)

غيرهم إلى أن الفعل الأول صرف عن معناه فلم يبقى له منه شيء وألبس معنى الفعل المضمن فتبعه حرف الجر وقال به الكفوي:(إذا ضمنت كلمة معنى كلمة أخرى ووصلت بصلتها لم يبق معناها الأول مرادا). [١]

وهذا الرأي مرجوح لأن لا يبقي للتضمين دلالة ولا فائدة فمقتضى التضمين الجمع بين الدلالتين دلالة الفعل الظاهر وما أشرب معناه. فإعطاء مجموع معنيين أقوى من إعطاء معنى فذ. ومن أحسن ما يرد به على القائلين بهذا القول قول ابن عاشور: (ومما أعده في هذه الناحية صراحة كلماته باستعمال أقرب الكلمات في لغة العرب دلالة على المعاني المقصودة، وأشملها لمعان عديدة مقصودة بحيث لا يوجد في كلمات القرآن كلمة تقصر دلالتها عن جميع المقصود منها في حالة تركيبها، ولا تجدها مستعملة إلا في حقائقها مثل إيثار كلمة حرد في قوله تعالى: (وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ) إذ كان جميع معاني الحرد صالحا للإرادة في ذلك الغرض، أو مجازات أو استعارات أو نحوها مما تنصب عليه القرائن في الكلام، فإن اقتضى الحال تصرفا في معنى اللفظ كان التصرف بطريق التضمين وهو كثير في القرآن مثل قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ) فجاء فعل أتوا مضمنا معنى مروا فعدي بحرف على لأن الإتيان تعدى إلى اسم القرية والمقصود منه الاعتبار بمآل أهلها، فإنه يقال أتى أرض بني فلان ومر على حي كذا. وهذه الوجوه كلها لا تخالف أساليب الكلام البليغ بل هي معدودة من دقائقه ونفائسه التي تقل نظائرها في كلام بلغائهم لعجز فطنة الأذهان البشرية عن الوفاء بجميعها). [٢]

ويقول ابن القيم : (وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال فيشربون الفعل المتعدى به معناه هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه رحمه الله تعالى وطريقة حذاق أصحابه يضمنون الفعل معنى الفعل لا يقيمون الحرف مقام الحرف وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فطنة ولطافة في الذهن وهذا نحو قوله تعالى: { عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ } فإنهم يضمنون يشرب معنى يروي فيعدونه بالباء التي تطلبها فيكون في ذلك دليل على الفعلين أحدهما: بالتصريح به والثاني: بالتضمن والإشارة إليه بالحرف الذي يقتضيه مع غاية الاختصار وهذا من بديع اللغة ومحاسنها وكمالها). [٣]

وقلنا بأن هذا الرأي مرجوح لأن استبدال كلمة بأخرى من غير مقصد وغرض يقصده المتكلم تغيير لنظم

---

(١) (الكليات ١٠٧٨)

(٢) (التحرير والتنوير ١١٣/١)

(٣) (بدائع الفوائد ٢١/٢)

الكلام، وتغافل عن خصائص الحرف وما يوحي به من دلالات، وما يشي به من أغراض. فكل تغيير لابد أن يكون لمناسبة يدركها أهل العربية العارفين بمواقع الكلم وأسراره.

وقال ابن جني: (وجدت في اللغة من هذا الفن شيئا كثيرا لا يكاد يحاط به، ولعله لو جمع أكثره "لا جميعه" لجاء كتابا ضخما، وقد عرفت طريقه. فإذا مر بك شيء منه فتقبله وأنس به، فإنه فصل من العربية لطيف حسن يدعو إلى الأنس بها والفقاهة فيها. وفيه أيضا موضع يشهد على من٤ أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد حتى تكلف لذلك أن يوجد فرقا بين قعدە وجلس، وبين ذراع وساعد). [١]

وقال: (ذلك أن قولك: خدعت زيدا عن نفسه، يدخله معنى: انتقصته نفسه، وملكت عليه نفسه، وهذا من أسد وأدمث مذاهب العربية، وذلك أنه موضع يملك فيه المعنى عنان الكلام فيأخذه إليه، ويصرفه بحسب ما يؤثره عليه وجملته: أنه متى كان فعل من الأفعال في معنى فعل آخر، فكثيرا ما يجرى أحدهما مجرى صاحبه، فيعدل في الاستعمال به إليه، ويحتذى في تصرفه حذو صاحبه، وإن كان طريق الاستعمال والعرف ضد مأخذه، ألا ترى إلى قوله الله جل اسمه: { هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ } ؟ وأنت إنما تقول: هل لك في كذا؟ لكنه لما دخله معنى: أجذبك إلى كذا وأدعوك إليه، قال: { هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ }).[٢]

وفي القول السابق رد على من زعم بأن ابن جني يجيز في النيابة الحروف دون قيد أخذا من قول له في الخصائص، حيث عقد بابا بعنوان [باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض] قال فيه: هذا باب يتلقاه الناس مغسولا ساذجا من الصنعة، وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه وذلك أنهم يقولون: إن "إلى " تكون بمعنى مع...ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا، لكنا نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه، والمسوغة له، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا، ألا ترى أنك إن أخذت بظاهر هذا القول غفلا هكذا، لا مقيدا لزمك عليه أن تقول: سرت إلى زيد، وأنت تريد: معه، وأن تقول: زيد في الفرس، وأنت تريد: عليه، وزيد في عمرو، وأنت تريد: عليه في العداوة، وأن تقول: رويت الحديث بزيد، وأنت تريد: عنه، ونحو ذلك مما يطول ويتفاحش. ولكن سنضع في ذلك رسما يعمل عليه، ويؤمن التزام الشناعة لمكانه. اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك

---

(١) (الخصائص ٣١٢/٢)

(٢) (المحتسب ٥٢/١)

جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه). [١]
فالتضمين يميل إليه أكثر نحاة البصرة، ولم يغفله نحاة الكوفة كما شاع عنهم .واختلفوا فقال البصريون لا يسار إلى النيابة إلا إذا تعذر التأول والتضمين بشرط تقارب المعنى، أما الكوفيون فالتوسع في الحرف بالنيابة أولى.

وإنما قلت أكثر نحاة البصرة لأن منهم من أجاز النيابة إذا تقاربت الحروف، فهذا ابن السراج يقول: (واعلم: أن العرب تتسع فيها فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني فمن ذلك: الباء تقول: فلان بمكة وفي مكة، وإنما جازا معا لأنك إذا قلت: فلان بموضع كذا وكذا. فقد خبرت عن اتصاله والتصاقه بذلك الموضع، وإذا قلت: في موضع كذا فقد خبرت بـ "في" عن احتوائه إياه وإحاطته به، فإذا تقارب الحرفان فإن هذا التقارب يصلح لمعاقبة، وإذا تباين معناهما لم يجز، ألا ترى أن رجلا لو قال: مررت في زيد أو: كتبت إلى القلم، لم يكن هذا يلتبس به، فهذا حقيقة تعاقب حروف الخفض، فمتى لم يتقارب المعنى لم يجز وقد حكي: كنت بالمال حربا وفي المال حربا، وهو يستعلي الناس بكفه وفي كفه). [٢]

وإنما قلت لم يغفله نحاة الكوفة لأن منهم من عول عليه وخرج، فهذا شيخ الكوفيين الفراء يقول: (وقوله: (مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ) المفسرون يقولون: من أنصارى مع الله، وهو وجه حسن. وإنما يجوز أن تجعل (إلى) موضع (مع) إذا ضممت الشيء إلى الشيء مما لم يكن معه كقول العرب: إن الذود إلى الذود إبل أي إذا ضممت الذود إلى الذود صارت إبلا. فإذا كان الشيء مع الشيء لم تصلح مكان مع إلى، ألا ترى أنك تقول: قدم فلان ومعه مال كثير، ولا تقول في هذا الموضع: قدم فلان وإليه مال كثير. وكذلك تقول: قدم فلان إلى أهله، ولا تقول: مع أهله، ومنه قوله: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ) معناه: ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم). [٣]

وقوله: (وقوله (وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ) إلى قصد الصراط. وهذا مما تدخل فيه (إلى) وتخرج منه. قال الله (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) وقال (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) وقال (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) ولم يقل (إلى) فحذفت إلى من كل هذا. ثم قال في موضع آخر (أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) وقال (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ) ويقال هديتك للحق وإليه قال الله (الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ) وكأن قوله (اهْدِنَا الصِّرَاطَ) أعلمنا الصراط، وكأن قوله: اهدنا إلى الصراط أرشدنا إليه والله أعلم بذلك). [٤]

وقد استهوى التضمين علماء التفسير وأصول الفقه والبيانيين لما رأوا فيه من أغراض بلاغية ترتبط

---

(١) (الخصائص ٢/ ٣٠٩)
(٢) (الأصول ٤١٥/١)
(٣) (معاني القرآن ٢١٨/١)
(٤) (معاني القرآن ٤٠٣/٢)

بالمعنى والمبنى والسياق الكلي. ولما فيه من اختصار وإيجاز.

قال ابن تيمة: (ومن الأقوال الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافا أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة فإن الترادف في اللغة قليل وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه؛ بل يكون فيه تقريب لمعناه وهذا من أسباب إعجاز القرآن...وكذلك إذا قال: " الوحي " الإعلام أو قيل {أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ } أنزلنا إليك أو قيل: { وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ } أي أعلمنا وأمثال ذلك فهذا كله تقريب لا تحقيق فإن الوحي هو إعلام سريع خفي والقضاء إليهم أخص من الإعلام فإن فيه إنزالا إليهم وإيحاء إليهم. والعرب تضمن الفعل معنى الفعل وتعديه تعديته ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض كما يقولون في قوله: { لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ } أي مع نعاجه و { مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ} أي مع الله ونحو ذلك والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلى نعاجه وكذلك قوله: { وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ } ضمن معنى يزيغونك ويصدونك وكذلك قوله: { وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا } ضمن معنى نجيناه وخلصناه وكذلك قوله: { يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ } ضمن يروى بها ونظائره كثيرة). [١]

وقال ابن القيم: (وظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال فيشربون الفعل المتعدى به معناه هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه رحمه الله تعالى وطريقة حذاق أصحابه يضمنون الفعل معنى الفعل لا يقيمون الحرف مقام الحرف وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فطنة ولطافة في الذهن). [٢]

وقال الطبري في تفسيره: (فكان بعض نحويي البصرة يقول: يقال "خلوت إلى فلان" إذا أريد به: خلوت إليه في حاجة خاصة. لا يحتمل –إذا قيل كذلك– إلا الخلاء إليه في قضاء الحاجة. فأما إذا قيل: "خلوت به" احتمل معنيين: أحدهما الخلاء به في الحاجة، والآخر في السخرية به. فعلى هذا القول، (وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ) ، لا شك أفصح منه لو قيل" وإذا خلوا بشياطينهم"، لما في قول القائل: "إذا خلوا بشياطينهم" من التباس المعنى على سامعيه، الذي هو منتف عن قوله: (وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ) وأما بعض نحويي أهل الكوفة فإنه كان يتأول أن ذلك بمعنى: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا) ، وإذا صرفوا

---

(١) (مجموع الفتاوى ٣٤٢/١٣)
(٢) (بدائع الفوائد ٢١/٢)

خلاءهم إلى شياطينهم – فيزعم أن الجالب لـ "إلى"، المعنى الذي دل عليه الكلام: من انصراف المنافقين عن لقاء المؤمنين إلى شياطينهم خالين بهم، لا قوله "خلوا". وعلى هذا التأويل لا يصلح في موضع "إلى" غيرها، لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها وهذا القول عندي أولى بالصواب، لأن لكل حرف من حروف المعاني وجها هو به أولى من غيره فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها). [١]

والطبري مع قوله بالتضمين لا ينكر تناوب الحروف وتعاقبها إذا تقاربت المعاني، فتراه يقول: (القول في تأويل قوله: { تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ }... وقد قال بعض أهل التأويل: معنى قوله: "مما علمكم الله"، كما علمكم الله... ولسنا نعرف في كلام العرب "من" بمعنى "الكاف"، لأن "من" تدخل في كلامهم بمعنى التبعيض، و"الكاف" بمعنى التشبيه. وإنما يوضع الحرف مكان آخر غيره، إذا تقارب معنياهما. فأما إذا اختلفت معانيهما، فغير موجود في كلامهم وضع أحدهما عقيب الآخر). [٢]

وقال ابن العربي: (الإيلاء في لسان العرب هو الحلف، والفيء هو الرجوع، والعزم هو تجريد القلب عن الخواطر المتعارضة فيه إلى واحد منها. نظم الآية: للذين يعتزلون من نسائهم بالألية، فكان من عظيم الفصاحة أن اختصر، وحمل آلى معنى اعتزل النساء بالألية حتى ساغ لغة أن يتصل آلى بقولك من، ونظمه في الإطلاق أن يتصل بآلى قولك على، تقول العرب: اعتزلت من كذا وعن كذا، وآليت وحلفت على كذا، وكذلك عادة العرب أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال لما بينهما من الارتباط والاتصال، وجهلت النحوية هذا فقال كثير منهم: إن حروف الجر يبدل بعضها من بعض، ويحمل بعضها معاني البعض، فخفي عليهم وضع فعل مكان فعل، وهو أوسع وأقيس، ولجوا بجهلهم إلى الحروف التي يضيق فيها نطاق الكلام والاحتمال) [٣]

وكذلك علماء أصول الفقه. قال عبدالعزيز البخاري في كشف الأسرار: (قوله تعالى: { وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ } ، وقولهم الذود إلى الذود إبل لكنه راجع في التحقيق إلى معنى الانتهاء أيضا فإن الأكل في الآية ضمن معنى الضم إذ النهي لا يختص بالأكل فعدي بـ إلى أي لا تضموها إلى أموالكم في الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم، قلة مبالاة بما لا يحل وتسوية بينه وبين الحلال. أو المعنى لا ينته أكل أموالهم إلى أموالكم فيكون إلى صلة فعل الانتهاء). [٤]

من المبحث السابق تبين لنا منهج الحذاق والمحققين

---

(١) (جامع البيان ١٩٨/١)
(٢) (جامع البيان ٥٥٢/٩)
(٣) (أحكام القرآن ٢٤٣/١)
(٤) (كشف الأسرار شرح أصول البزدوي ١٧٧/٢)

من النحويين في معالجة الحرف، وذلك على النحو التالي:

– أنهم جعلوا للحرف معنى محوريا، وقت يتوسع فيه فيرد لمعان أخرى فرعية، فالمعنى الفرعي المتوسع به يرجع بوجه من الوجوه إلى المعنى الحوري للحرف؛ فهم لا يقولون بالنيابة دفعا للاشتراك، والترادف تبعاله.

– أنهم جعلوا من التأويل مركبا يحتالون به لإرجاع المعنى الفرعي إلى الدلالة المحورية.

أنهم يلجؤون إلى التضمين في الفعل إذا ورد الحرف مشعراً بتلبسه معنى حرف آخر، كقوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ)، فهم يرفضون إجراء النيابة والمجاز والتضمين في الحرف، ويرون أن التوسع في الفعل أولى من التوسع في الحرف.

ولبيان ذلك اقتضى المبحث أن نورد معاني الحرف (من) إجمالا، ثم نتبعها بأقوالهم فيما ينبغي أن يكون معنى محوريا يلحظ في بقية المعاني الفرعية المتوسع بها، وهي محصورة في (ابتداء الغاية والتبعيض والتبيين (التمييز) والتوكيد) موازنين ومرجحين. ولن نتطرق لما جاء من تلك المعاني مشعرا بالنيابة من نحو قولهم: إن (من) ترد بمعنى (عن، على، في، الباء، اللام) فمردها إلى المعاني الأصلية بالتضمين أو التأويل، وهو مبسوط في كتب القوم.

معاني من: [١]

له أربعة عشر معنى:

الأول: ابتداء الغاية، في المكان اتفاقاً، وكذا فيما نزل منزلة المكان، نحو: من فلان إلى فلان. وفي الزمان عند الكوفيين.

الثاني: التبعيض، نحو قوله تعالى: (مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ) ومجيئها للتبعيض كثير.

الثالث: بيان الجنس، نحو قوله تعالى: (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) و قوله تعالى: (وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ)

وهذه المعاني الثلاثة هي المتفق عليها، إضافة إلى الزائدة للتوكيد.

الرابع: التعليل، نحو قوله تعالى: (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ) و قوله تعالى: (مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ).

الخامس: البدل، نحو قوله تعالى:(أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ) وقوله تعالى (لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً).

السادس: المجاوزة. فتكون بمعنى عن، كقوله تعالى: (طْعَمَهُم مِّن جُوعٍ) أي: عن جوع.

السابع: الانتهاء. مثله ابن مالك بقوله: قربت منه. فإنه مساو لقولك: تقربت إليه.

الثامن: أن تكون للغاية، نحو: أخذت من الصندوق. ذكره بعض المتأخرين.

التاسع: الاستعلاء، نحو قوله تعالى: (وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ) أي: على القوم.

العاشر: الفصل، نحو قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ

---

(١) (الجنى الداني ٣٠٨، المغني ١٣٧، رصف المباني ١٤٢)

مِنَ الْمُصْلِحِ) وتعرف بدخولها على ثاني المتضادين. وقد تدخل على ثاني المتباينين من غير تضاد، نحو: لا يعرف زيداً من عمرو.

الحادي عشر: موافقة الباء، نحو قوله تعالى: (يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ) أي: بطرف خفي.

الثاني عشر: أن تكون بمعنى في. ذكر ذلك بعضهم، في قوله تعالى: (مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) أي : في الأرض.

الثالث عشر: أن تكون لموافقة رب. وأنشد عليه:

وإنا لمما نضرب الكبش، ضربة ... على رأسه، تلقي اللسان من الفم

الرابع عشر: أن تكون للقسم. ولا تدخل إلا على الرب، فيقال: من ربي لأفعلن. بكسر الميم وضمها.

الخامس عشر: الزائدة فلها حالتان: الأولى: أن يكون دخولها في الكلام كخروجها. وتسمى الزائدة لتوكيد الاستغراق. وهي الداخلة على الأسماء، الموضوعة للعموم، وهي كل نكرة مختصة بالنفي، نحو: ما قام من أحد. فهي مزيدة هنا، لمجرد التوكيد، لأن ما قام من أحد وما قام أحد سيان في إفهام العموم، دون احتمال.

والثانية: أن تكون زائدة لتفيد التنصيص على العموم. وتسمى الزائدة، لاستغراق الجنس، وهي الداخلة على نكرة لا تختص بالنفي، نحو: ما في الدار من رجل. فهذه تفيد التنصيص على العموم، لأن ما في الدار رجل محتمل لنفي الجنس، على سبيل العموم، ولنفي واحد من هذا الجنس، دون ما فوق الواحد. ولذلك يجوز أن يقال: ما قام رجل بل رجلان. فلما زيدت من صار نصاً في العموم، ولم يبق فيه احتمال. وقيل: إنها في نحو ما جاءني من رجل، زائدة، على حد زيادتها في: ما جاءني من أحد، لأنك إذا قلت: ما جاءني من رجل، فإنما أدخلت من على النكرة، عند إرادة الاستغراق، فصار رجل لما أردت به الاستغراق مثل أحد.

المبحث الثاني: الدلالة المحورية لـ (مِنْ) عند سيبويه: رحمه الله

إذا كان النحويون يمثلون الجانب المعياري والفقهاء والأصوليون يمثلون الجانب التطبيقي فمن الحسن أن يجمع بين أقوالهم بغية الوصول إلى المعنى المحوري للحرف (من) في أصل وضعه. وأقوال الأصوليين من الخطورة بمكان لما يترتب عليها من أمور ليست بخافية.

وسنبدأ حديثنا أولا فيما ينبغي أن يكون معنى محوريا يلحظ في بقية المعاني الفرعية المتوسع بها ؟ ونحصره في أربعة معان، هي: (ابتداء الغاية والتبعيض والتبيين (التمييز) والتوكيد)

قال المرادي بعد ذكره أربعة عشر معنى لها: (ولم يثبت أكثر النحويين لـ (من) جميع هذه المعاني. وتأولوا كثيراً من ذلك على التضمين، أو غيره). [1]

وأول نص يطالعنا بذكر معانيها ما جاء في الكتاب،

([1]) (الجنى الداني ٣٠٨ وما بعده)

قال سيبويه رحمه الله: (وأما من فتكون لابتداء الغاية في الأماكن، وذلك قولك: من مكان كذا وكذا إلى مكان كذا وكذا. وتقول إذا كتبت كتابا: من فلان إلى فلان. فهذه الأسماء سوى الأماكن بمنزلتها وتكون أيضا للتبعيض تقول: هذا من الثوب، وهذا منهم، كأنك قلت: بعضه. وقد تدخل في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيما ولكنها توكيد بمنزلة ما، إلا أنها تجر لأنها حرف إضافة، وذلك قولك: ما أتاني من رجل، وما رأيت من أحد. ولو أخرجت من كان الكلام حسنا، ولكنه أكد بمن لأن هذا موضع تبعيض، فأراد أنه لم يأته بعض الرجال والناس. وكذلك: ويحه من رجل، إنما أراد أن يجعل التعجب من بعض الرجال . وكذلك: لي ملؤه من عسل، وكذلك: هو أفضل من زيد، إنما أراد أن يفضله على بعض ولا يعم. وجعل زيدا الموضع الذي ارتفع منه أو سفل منه في قولك: شر من زيد، وكذلك إذا قال: أخزى الله الكاذب مني ومنك. إلا أن هذا وأفضل منك لا يستغني عن من فيهما، لأنها توصل الأمر إلى ما بعدها.) [١]

فما أراه في تحليل النص السابق بعد إعادة فرزه أن سيبويه رحمه الله أثبت لـ (من) ثلاثة معان:

الأول: (ابتداء الغاية) في الأماكن وذلك قولك: من مكان كذا وكذا إلى مكان كذا وكذا. وشبه الأماكن تقول إذا كتبت كتابا: من فلان إلى فلان، ومنه قولك: (هو أفضل من زيد، وشر من زيد) فقد جعلت زيدا الموضع الذي ارتفع منه، أو سفل منه في قولك: ولا تكون عنده لابتداء غاية الزمان.

الثاني: (التبعيض) ومثاله: هذا من الثوب، وهذا منهم (كأنك قلت: بعضه)، وويحه من رجل (إنما أراد أن يجعل التعجب من بعض الرجال)، ولي ملؤه من عسل.

الثالث: (زيادتها للتوكيد) ومثاله: ما أتاني من رجل، وما رأيت من أحد، (ولو أخرجت من كان الكلام حسنا، ولكنه أكد بمن لأن هذا موضع تبعيض).

فجعل سيبويه في معانيها ثلاثة أصول ولم يحدد أيهم أولى:

الأصل الأول: (ابتداء الغاية) وأرجع إليه نحو: هو أفضل من زيد، وذكر سيبويه تأويلها.

والأصل الثاني : (التبعيض) وأرجع إليه نحو: ويحه من رجل، ولم يذكر تأويله، وتأويله أن هذا الموضع ربما التبس فيه التمييز بالحال، فأتوا بـ "من" لتخلصه للتمييز، ألا ترى أنك إذا قلت: "ويحه رجلا"، و"لله دره فارسا"، و"حسبك به ناصرا" جاز أن تعني في هذه الحال؛ فلما كان قد يقع فيه لبس مشتبهين، فصل بينهما بدخول "من". [٢]

والأصل الثالث: (التوكيد) فجعله بمنزلة (ما) زائدة.

---

(١) (الكتاب ٢٢٤/٤)

(٢) (شرح المفصل ٤١/٢)

وقلت أن سيبويه جعله أصلا في نحو: ما أتاني من رجل، وما رأيت من أحد، لأنه قصد بقوله: (ولو أخرجت من كان الكلام حسنا) أي تركيبا مع تحول المعنى من التوكيد إلى التبعيض لأنك لو قلت: (ما جاءني رجل)، جاز أن يكون نافيا لمجيء رجل واحد، وقد جاء أكثر. وقصد بقوله: (ولكنه أكد بمن لأن هذا موضع تبعيض) دفع احتمال التبعيض، فالموضع هذا صالح للتبعيض.

وقد وقف النحاة عند نص سيبويه السابق وما أورده من معان لـ (من) مواقفا متباينة، وهم في ذلك فريقين:

الفريق الأول: أثبت المعاني التي ذكرها سيبويه، لكنه خالف بجعل المعنى الأول (ابتداء الغاية) أصل معانيها، وبقية المعاني راجع إليه. وهذا لا يفهم من قول سيبويه السابق، ولا من نصوص الكتاب التي تتبعتها.

فعند مطالعة أقوال المبرد رحمه الله نراه ينزع إلى أن لـ (من) ثلاثة معان، وأمامنا نصان، الأول ذكر فيه المعاني دون تصريح بالأصل منها، والثاني نص فيه على أن ابتداء الغاية أصل معانيها، قال: (أما من فمعناها ابتداء الغاية وتكون للتبعيض وتكون زائدة لتدل على أن الذي بعدها واحد في موضع جميع ويكون دخولها كسقوطها) [١]

فذكر في قوله السابق المعاني التي ذكرها سيبويه، من غير تحديد للمعنى المحوري. لكن نجده في موطن آخر ينص على أن ابتداء الغاية أصل والتبعيض عائد إليه، ولا يرى الزيادة.

قال: (وأصلها ابتداء الغاية نحو سرت من مكة إلى المدينة وفي الكتاب من فلان إلى فلان فمعناه أن ابتداءه من فلان ومحله فلان وكونها في التبعيض راجع إلى هذا وذاك أنك تقول أخذت مال زيد فإذا أردت البعض قلت أخذت من ماله فإنما رجعت بها إلى ابتداء الغاية وقولك زيد أفضل من عمرو إنما جعلت غاية تفضيله عمرا فإذا عرفت فضل عمرو علمت أنه فوقه. وأما قولهم إنها تكون زائدة فلست أرى هذا كما قالوا وذاك أن كل كلمة إذا وقعت وقع معها معنى فإنما حدثت لذلك المعنى وليست بزائدة). [٢]

ونص المرادي على أن هذا ما يقول به أئمة النحو قال: (وقد ذهب المبرد، وابن السراج، والأخفش الأصغر، وطائفة من الحذاق، والسهيلي، إلى أنها لا تكون إلا لابتداء الغاية، وأن سائر المعاني التي ذكروها راجع إلى هذا المعنى؛ ألا ترى أن التبعيض من أشهر معانيها، وهو راجع إلى ابتداء الغاية). [٣]

وذهب إليه الزمخشري؛ قال في مفصله: (ف من لابتداء الغاية، كقولك: سرت من البصرة. وكونها

---

(١) (المقتضب ١٣٦/٤)

(٢) (المقتضب ٤٤/١)

(٣) (الجنى الداني ٣٠٨ وما بعده)

مبعضة في نحو: أخذت من الدراهم، ومبينة في نحو (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) ، ومزيدة في نحو: ما جاءني من أحد، راجع إلى هذا). [١]

وعقب عليه ابن يعيش بقوله: (قد صدر صاحب الكتاب كلامه وابتدأه بـ "من"، وهي حرية بالتقديم؛ لكثرة دورها في الكلام، وسعة تصرفها ومعانيها، وإن تعددت فمتلاحمة، فمن ذلك كونها لابتداء الغاية مناظرة لـ "إلى" في دلالتها على انتهاء الغاية؛ لأن كل فاعل أخذ في فعل فلفعله ابتداء منه يأخذ، وانتهاء إليه ينقطع، فالمبتدأ تباشره "من"، والانتهاء تباشره "إلى"، والغالب على استعمال "من" في هذا المعنى). [٢]

لذا نرى التفتازاني يحكي إطباق أئمة اللغة على أنها حقيقة في ابتداء الغاية، قال: (تكون للتبيين أو للتبعيض أو غيرهما، والمحققون على أن أصلها ابتداء الغاية، والبواقي راجعة إليها، وذهب بعض الفقهاء إلى أن أصل وضعها للتبعيض دفعا للاشتراك، وهذا ليس بسديد لإطباق أئمة اللغة على أنها حقيقة في ابتداء الغاية) [٣].

ويظهر لي أن ابن هشام يميل إلى هذا دون تصريح، قال: (ابتداء الغاية وهو الغالب عليها حتى ادعى جماعة أن سائر معانيها راجعة إليه) [٤]

هذا رأي الفريق الأول القائل بأن (ابتداء الغاية) أصل معانيها، وبقية المعاني راجع إليه.

وعند استقراء أقوال سيبويه رحمه الله عند معالجته حروف الجر نرى اختلافا في تناوله لـ (من) فلم يحدد لها معنى محوريا تعود إليه كبقية الحروف كعادته. فهو يرى هناك أن الحرف لابد أن يكون له معنى محوريا واحدا يؤديه، وما خرج من هذا فهو توسع. ويرد بحسن الصنعة إلى معنى واحد، فالمعنى الأصلي مصطحب مع كل معنى فرعي، يدرك بالتأمل والدربة. فكل حرف عنده له معنى لا يفارقه. وهذا ما لا نراه هنا عند تناوله لمعنى (من).

من هذا قوله في الكتاب عن (الباء): (وباء الجر إنما هي للإلزاق والاختلاط، وذلك قولك: خرجت بزيد، ودخلت به، وضربته بالسوط: ألزقت ضربك إياه بالسوط. فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله). [٥]

وفي القول في (على) يقول: (أما على فاستعلاء الشيء؛ تقول: هذا على ظهر الجبل، وهي على رأسه. ويكون أن يطوي أيضا مستعليا كقولك: مر الماء عليه؛ وأمررت يدي عليه. وأما مررت على فلان فجرى هذا كالمثل. وعلينا أمير كذلك. وعليه مال أيضا؛ وهذا لأنه شيء اعتلاه ويكون: مررت عليه، أن يريد مروره على مكانه؛ ولكنه اتسع.

---

(١) (شرح المفصل ٤٦٣/٤)
(٢) (شرح المفصل ٤٥٩/٤)
(٣) (شرح التلويح على التوضيح ٢٢٠/١)
(٤) (مغني اللبيب ٤١٩)
(٥) (الكتاب ٤/ ٢١٧)

وتقول: عليه مال؛ وهذا كالمثل؛ كما يثبت الشيء على المكان كذلك يثبت هذا عليه؛ فقد يتسع هذا في الكلام ويجيء كالمثل) [١]

وعند القول في حرف الجر (إلى) تراه يقول: (وأما إلى فمنتهى لابتداء الغاية، تقول: من كذا إلى كذا. وكذلك حتى، وقد بين أمرها في بابها، ولها في الفعل نحو ليس لإلى. ويقول الرجل: إنما أنا إليك، أي إنما أنت غايتي، ولا تكون حتى ههنا: فهذا أمر إلى وأصله وإن اتسعت) [٢]

أما الفريق الثاني: فقد فهم من نص سيبويه ما فهمه النحويون في القسم الأول وذاك أنه يقول أن معانيها ابتداء الغاية والتبعيض والتوكيد، إلا أنهم لم يحددوا المعنى المحوري للحرف (من) كما فعل الفريق السابق. كما أنهم أخطئوا في فهم كلام سيبويه وحملوه على أوجه تخالف ما أراده الشيخ . وممن فهم هذا الفهم ابن مالك رحمه الله، فقد حمل على سيبويه في مسألتين، المسألة الأولى: ما فهمه عن سيبويه أنه يعيد من الزائدة إلى التبعيض، وتعقبه صاحب التذييل والتكميل بالرد كما سيأتي. أما المسألة الثانية: ما فهمه عن سيبويه أنه قال بالتبعيض في (من) المصاحبة لأفعل التفضيل، وأسماه بالتفضيل بالمصاحبة. ورد عليه في هذا كذلك. جاء في شرح التسهيل: (مجيء من للتبعيض كثير... وأشار سيبويه إلى أن "من" الزائدة قصد بها التبعيض لأنه قال بعد تمثيله بما أتاني من رجل: "أدخلت من لأنه موضع تبعيض، فأراد أنه لم يأت بعض الرجال" هكذا قال. يريد أن من دلت على شمول الجنس، فلكل بعض منه قسط من المنسوب إلى جميعها، فالتبعيض على هذا التقدير مقصود. وهذا غير مرضي؛ لأنه يلزم منه أن تكون ألفاظ العموم للتبعيض. وإنما المقصود بزيادة من في نحو: ما أتاني من رجل: جعل المجرور بها في العموم، وإنما تكون للتبعيض إذا لم يقصد عموم، وحسن في موضعها بعض نحو (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) و (مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) و (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) وقد صرح سيبويه بذا المعنى فقال: "وتكون للتبعيض نحو هذا منهم، كأنك قلت بعضهم". وأشار أيضا إلى قصد التبعيض بالمصاحبة أفعل التفضيل فقال في: هو أفضل من زيد: "فضلة على بعض ولم يعم) . [٣]

وتعقبه أبو حيان في فهمه الأول لقول سيبويه من أنه يعيد من الزائدة للتبعيض بقوله: (وما فهمه الشارح المصنف عن سيبويه ليس بصحيح؛ لأن سيبويه لم يرد بقوله "لأن هذا موضع تبعيض" أنه حين زيدت كان الكلام بزيادتها استفيد منه التبعيض، وإنما يريد

---

(١) (الكتاب ٤/ ٢٣٠)
(٢) (الكتاب ٤/ ٢٣١)
(٣) (شرح التسهيل ٣/ ١٣٥)

أنها زيدت ناصة على العموم؛ لأن الكلام قبل الزيادة كان يفهم منه التبعيض، ولم يكن نصاً على العموم كما هو بزيادتها. وقد يمكن إجراء لفظ سيبويه على ظاهره، فيكون قوله "لأن" تعليلاً لدخول من الزائدة، وأنها يستفاد من دخولها التبعيض ... وزعم علي بن سليمان أن "من" الزائدة لابتداء الغاية، فإذا قلت ما قام من رجل ابتدأت النفي ...قال ابن هشام: وهذا الذي ذكره صحيح، إلا أنها لما كان العامل يطلب موضعها ولم تكن معدية جعلها سيبويه بهذا الاعتبار زائدة. [١]

وتعقبه كذلك في فهمه الثاني لكلام سيبويه من مجيئها بعد أفعل التفضيل للتبعيض، قال: (وما رد به على سيبويه لا يلزم؛ لأن سيبويه لم يدع في نحو زيد أفضل من عمرو أنها للتبعيض فقط، إنما قال: "إنها لابتداء الغاية، ولا تخلو من التبعيض" ، يعني حيث يمكن التبعيض ...وأما كونها لا تصلح مكان بعض فقريباً من كلام المصنف قول ابن عصفور، قال: "الصحيح عندي أن التبعيض ليس مفهوماً في أفعل من، وإنما فهم ذلك من جهة أنك إذا أدخلت من التي لابتداء الغاية على الموضع الذي ابتدأ منه التفضيل علم أنك لم ترد التعميم في التفضيل؛ وإنما أردت أن تذكر الموضع الذي ابتدأت منه التفضيل، وليست كذلك طريقة من في إفادتها التبعيض، وإنما طريقها أن تدخل على اسم ما تريد بعضه؛ ألا ترى أنك إذا قلت قبضت من الدراهم أفدت بذلك أنك قبضت بعض ما دخلت عليه من؛ وهو الدراهم، وليست كذلك في: زيد أفضل من عمرو، لأنك لم ترد بعض ما دخلت عليه من" انتهى كلام ابن عصفور.

ولم يرد سيبويه إلا أن ما دخلت عليه من ليس بعام، وأنك إذا أردت العموم حذفتها، فما دخلت عليه من بعض، لا أنها دلت على التبعيض فيما دخلت عليه، بل ما دخلت عليه هو البعض، فالتبعيض لفظ مشترك، يراد به أن ما دخلت عليه يكون بعضاً من عام، ويراد به أن ما دخلت عليه يكون عاماً، فتفيد تسليط العامل على بعضه) [٢]

ويوجز المرادي اختلافهم في معنى "من" المصاحبة لأفعل التفضيل. فمذهب المبرد ومن وافقه إلى أنها لابتداء الغاية، وذهب سيبويه إلى أنها لابتداء الغاية أيضا، وأشار إلى أنها مع ذلك تفيد معنى التبعيض. وذهب في شرح التسهيل إلى أنها لمعنى المجاوزة، فإن القائل: زيد أفضل من عمرو كأنه قال: جاوز زيد عمرا في الفضل. قال: ولو كان الابتداء مقصودا لجاز أن يقع بعدها إلى.

ثم قال: (الظاهر كونها لابتداء الغاية، ولا تفيد معنى التبعيض، كقول المبرد). [٣]

ويلاحظ هنا أن المرادي نسب إرجاعها إلى الابتداء

---

(١) (التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ١٣٤/١١ وما بعده)

(٢) (التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ١٢٧/١١ وما بعده)

(٣) (توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ٩٣٤/٢)

للمبرد، ولم يشر إلى قول سيبويه مع التصاقه بالكتاب مطالعة ودرسا ؛ وهذا يدل على اختلافهم في فهم مراد سيبويه في النص الذي قدمنا به، فما نسبه للمبرد هو قول سيبويه من غير شك وظاهر قوله عند التأمل، وهوما فهمته عند فرزي لأمثلته رحمه الله التي مثل بها.

وتبعه الأشموني في هذا الرأي ونسبته، قال: (والظاهر – كما قال المرادي– ما ذهب إليه المبرد، وما رد به الناظم ليس بلازم). [١]

وقال الصبان شارحا قول الأشموني ("والظاهر ما ذهب إليه المبرد" أي: من كونها لابتداء الغاية فقط، ووجه ظهوره أن من لا تحمل على غير الابتداء إلا إذا منع منه مانع؛ لأنه أشهر معانيها وهنا لا مانع منه فلا حاجة إلى إخراجها عنه. [٢]

وهذه مسألة مشهورة في كتب النحو، وما أوردتها إلا لأظهر اختلافهم في تفسير قول سيبويه رحمه الله، وخدمة لما نحن فيه من بحث.

فاجتمع لنا من الطرح السابق إذا استثنينا قول سيبويه مذهبان، الأول: القائلون صراحة أن الدلالة المحورية في الحرف (من) هي ابتداء الغاية فقط وبقية المعاني عائدة إليه بوجه من الوجوه. الثاني: أن له دلالات منها ابتداء الغاية والتبعيض والتوكيد، ولم يحددوا الدلالة المحورية، وحملوا شيئا من قول سيبويه على غير مراده . وما ذكر يمثل أقوال النحويين فهم يمثلون الجانب المعياري، فلزم إتباعه بأقوال الفقهاء والأصوليين لأنهم يمثلون الجانب العملي.

فعند مطالعة آراء الأصوليين والفقهاء والمفسرين في تناولهم للحرف (من) وتحديد معنى محوريا له نجدهم يذهبون مذهبا مغايرا لما قرره النحويين وذكرته آنفا. ويبنون مسائلهم وتخريجاتهم على ما استقر عندهم من دلالات أصيلة وفرعية. ولم يقل بما قال به النحاة من أن ابتداء الغاية أصل معناها إلا القليل منهم.

ويمكننا حصر مذاهبهم في أربعة أقوال، الأول: القائلين بأن الدلالة المحورية في (من) ابتداء الغاية موافقة لقول النحويين. الثاني: القائلين بأن الدلالة المحورية في (من) التبعيض وبقية المعاني فرعية تعود إليه. الثالث: القائلين بأن الدلالة المحورية في (من) التبيين وقد يعبرون عنه بـ (التمييز). الرابع: القائلين بأن الدلالة المحورية في (من) ابتداء الغاية والتبعيض جميعا وكل واحد في موضعه حقيقة.

القول الأول: القائلين بأن الدلالة المحورية في (من) ابتداء الغاية موافقة لقول النحويين ومنهم ابن العربي، قال: (قال علماؤنا هي لابتداء الغاية تارة وللتبعيض أخرى ورأيت أبو بكر بن السراج رحمه الله قال في شرحه لكتاب سيبويه رحمه الله إنها لا تكون إلا لابتداء الغاية وأنها لا تكون للتبعيض بحال وهذا الذي قاله صحيح المال فإن كان تبعيض ابتداء غاية

---

(١) (شرح الأشمونى ٣٠١/٢)
(٢) (شرح الأشمونى ٣٠١/٢)

وليس كل ابتداء غاية تبعيض). [١]

وذكر بدرالدين الزركشي أن عبد القاهر الجرجاني يقول: لا تنفك من عن ابتداء الغاية. أما أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي فأنكر مجيئها للتبعيض، وإنما وضعت للابتداء عكس إلى. ورد بعضهم التبيين إلى ذلك. [٢]

أما أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي فيذهب مذهب النحويين في أنها لابتداء الغاية فيقول: (وهذا أصلها على ما ذكره القوم، وهي نقيضة "إلى"؛ لأن "إلى" تجيء لانتهاء الغاية، و "من" تجيء لابتدائها. وقد تدخل في الكلام للتبعيض، وتكون صلة في الكلام وزيادة) [٣]

الثاني: القائلين بأن الدلالة المحورية في (من) التبعيض وبقية المعاني فرعية تعود إليه. ومنهم السرخسي، قال: (وكلمة من للتبعيض باعتبار أصل الوضع وقد تكون لابتداء الغاية يقول الرجل خرجت من الكوفة وقد تكون للتمييز يقال باب من حديد وثوب من قطن وقد تكون بمعنى الباء قال } أي بأمر الله وقد تكون صلة قال تعالى { لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ } وقال تعالى { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ } وفي حمله على الصلة يعتبر تعذر حمله على معنى وضع له باعتبار الحقيقة أو يستعار له مجازا وتعتبر الحاجة إلى إتمام الكلام به لئلا يخرج من أن يكون مفيدا

وعلى هذا قال في الجامع إن كان ما في يدي من الدراهم إلا ثلاثة فإذا في يده أربعة فهو حانث لأن الدرهم الرابع بعض الدراهم وكلمة من للتبعيض

ولو قالت المرأة لزوجها اخلعني على ما في يدي من الدراهم فإذا في يدها درهم أو درهمان تلزمها ثلاثة دراهم لأن من هنا صلة لتصحيح الكلام فإن الكلام لا يصح إلا بها حتى إذا قالت اخلعني على ما في يدي دراهم كان الكلام مختلا وفي الأول لو قال إن كان في يدي دراهم كان الكلام صحيحا فعمل الكلمة في التبعيض لا في تصحيح الكلام). [٤]

قال البزدوي: (وأما من فللتبعيض هو أصلها ومعناها الذي وضعت له)

قال علاء الدين البخاري شارحا : (إلا أن بعض الفقهاء لما وجدها أكثر استعمالا في التبعيض جعلوها فيه أصيلا وفيما سواه دخيلا وإليه مال الشيخ هاهنا فقال هو أصلها ومعناه الذي وضعت له لما قلنا إن الاشتراك خلاف الأصل فجعلناها للتبعيض ليكون له معنى يخصه. ورأيت في بعض نسخ أصول الفقه أنها للتبعيض وابتداء الغاية جميعا عند الفقهاء وكل واحد من موضعه حقيقة).

قال التفتازاني: (تكون للتبيين أو للتبعيض أو

---

(١) (المحصول لابن العربي ٤٣)
(٢) (البحر المحيط في أصول الفقه ١٩٢/٣)
(٣) (الواضح في أصول الفقه ١١١/١)
(٤) (أصول السرخسي ٢٢٢/١)

غيرهما، والمحققون على أن أصلها ابتداء الغاية، والبواقي راجعة إليها، وذهب بعض الفقهاء إلى أن أصل وضعها للتبعيض دفعا للاشتراك). [١]

جاء في تيسير التحرير: (من: تحقيق معناها فكثير من الفقهاء) كفخر الإسلام وصاحب البديع قالوا هي للتبعيض وعلامته إمكان وضع لفظ بعض في موضعها وليس بمرادف له، إذ الترادف لا يكون بين مختلفي الجنس كالاسم والحرف وكثير من أئمة اللغة كالمبرد وغيره ذهبوا إلى أنها لابتداء الغاية ورجع معانيها إليه أي إلى ابتداء الغاية) [٢]

الثالث: القائلين بأن الدلالة المحورية في (من) التبيين وقد يعبرون عنه بـ (التميز). ومنهم فخر الدين الرازي، قال في المحصول: (المشهور أن لفظة من ترد لابتداء الغاية كقولك سرت من الدار إلى السوق وللتبعيض كقولك باب من حديد وللتبيين كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان وقد تجئ صلة في الكلام كقولك ما جاءني من رجل والحق عندي أنه للتمييز) [٣]

ثم برهن لما ذهب إليه من أن دلالتها المحورية التمييز بأمثلة منها قولك: سرت من الدار إلى السوق ميزت مبدأ السير عن غيره وقولك: باب من حديد ميزت الشئ الذي يكون منه الباب عن غيره وقوله عز وجل: (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) ميزت الرجس الذي يجب اجتنابه عن غيره، وكذلك قولك: ما جاءني من أحد ميزت الذي نفيت عنه المجيء.

وحكاه بدر الدين الزركشي وعقب بأن التبيين قدر مشترك بين الجميع، وقال : (أجاب الجمهور بأن معنى الابتداء مغمور في بعض المواضع، وغير مقصود، وفي بعضها لا يجيء إلا بتمحل) . [٤]

وإلى هذا مال القرافي، أي أنها حقيقة في التمييز، قال في نفائس الأصول بعد أن ذكر معانيها : (والحق عندي: أنها للتمييز؛ فقولك : سرت من الدار إلى السوق، ميزت مبدأ السير عن غيره، وقولك: باب من حديد، ميزت الشيء الذي يكون منه الباب عن غيره، وقوله عز وجل: (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ)، ميزت الرجس الذي يجب اجتنابه عن غيره، وكذلك قولك: ما جاءني من أحد، ميزت الذي نفيت عنه المجيء). [٥]

وذهب البيضاوي رحمه الله إلى القول بهذا، معللا لرأيه في منهاج الأصول: (من لابتداء الغاية، والتبيين، والتبعيض، وهي حقيقة في التبيين؛ دفعا للاشتراك). [٦]

قال شمس الدين الجزري شارحا قول البيضاوي:

---

(١) (كشف الأسرار شرح أصول البزدوي/ لعلاء الدين البخاري ١٧٦/٢)
(٢) (تيسير التحرير حمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي ١٠٧/٢)
(٣) (المحصول ٣٧٧/١)
(٤) (البحر المحيط في أصول الفقه ١٩٢/٣)
(٥) (نفائس الأصول في شرح المحصول للقرافي ٣/ ٩٩٦)
(٦) (منهاج الوصول إلى علم الأصول في أصول الفقه ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ٩٢)

(قال المصنف إنها حقيقة في التبيين المطلق لأنها في ابتداء الغاية لبنت منشأ التبيين، كذلك في بيان الجنس، وفي التبعيض بينت مقدار المأخوذ بالنسبة إلى المأخوذ منه، وإنما جعله حقيقة في التبيين العام لئلا يلزم من جعلها حقيقة فيما ذكر من المعاني الاشتراك، والأصل عدمه). [١]

وعقب عليه الإسنوي في نهاية السؤل بقوله: (لو قال المصنف دفعا للاشتراك والمجاز لكان أولى) [٢].

وممن ذهب إلى أنها حقيقة في التبيين، لأنه قدر مشترك في جميع المعاني الصفي الهندي، ونعت هذا الرأي بأنه الأولى فقال في الفائق: (لابتداء الغاية، وأمارته في الغالب: صلاحية، ذكر الانتهاء في مقابله. لتبيين الجنس، وأمارته: صلاحية إقامة اسم الموصول مقامه. وللتبعيض، وأمارته: صلاحية إقامة البعض مقامه. وللصلة، وأمارته: أن حذفها لا يغير المعنى، وفي مجيئها صلة في الإثبات خلاف. والأولى: تجعل حقيقة في التبيين لوجوده في الشكل). [٣]

ويلاحظ أن الفقهاء يستعملون مصطلح التمييز والتنويع مرادفا للتبيين. من ذلك قول عبد القاهر الجرجاني في درج الدرر: ({وَلَنَبْلُوَنَّكُم } ولنختبرنكم بشيء، ولم يقل: بأشياء كراهة لإيهام تواتر الخوف من جهات كثيرة ولم يكرر شيئا؛ لأن حروف العطف تغني عن التكرار، و(من) للتنويع أو للتبعيض). [٤]

الرابع: القائلين بأن الدلالة المحورية في (من) ابتداء الغاية والتبعيض جميعا وكل واحد في موضعه حقيقة وقال به أبو المظفر السمعاني: (أما من فمعناها ابتداء الغاية يقال سرت من الكوفة إلى البصرة وهذا الكتاب من فلان إلى فلان وهذا باب من حديد يعنى ابتداء عمله من حديد قال سيبويه قد تكون للتبعيض مثل قولهم هذه الخرقة من الثوب وهذا الرجل من القوم وقال غيره من حيث وجدت كانت لابتداء الغاية وقوله أخذت من ماله فقد جعل ماله ابتداء غاية وأخذ وإنما دل على البعض من حيث أنه صار ما بقى انتهاء له فالأصل واحد وكذلك قوله أخذت منه درهما وهذا كلام النحويين فيما بينهم فأما الذي تعرفه الفقهاء فهو لابتداء الغاية والتبعيض جميعا وكل واحد في موضعه حقيقة) [٥]

من العرض السابق واستعراض أقوال أئمة النحو وعلماء الأصول والمفسرين – فيما ينبغي أن يكون من المعاني معنى محوريا للحرف (من) تعود إليه بقية المعاني الفرعية بوجه من الوجوه وبطريقة من الطرق كالتأويل والتضمين _ يمكن أن نجمل أقوالهم فيما يلي:

القول الأول: أن (ابتداء الغاية) دلالة محورية للحرف

---

(١) (معراج المنهاج شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول في أصول الفقه ٢٦٥/١)
(٢) (نهاية السؤل شرح منهاج الوصول ١٩٠/٢)
(٣) (الفائق في أصول الفقه ١١٥/١)
(٤) (درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر ٢٦٦/١)
(٥) (قواطع الأدلة في الأصول ٤١/١)

(من) تعود إليه بقية المعاني الفرعية. ويتزعم هذا القول المبرد رحمه الله فهو أول القائلين به فيما ظهر لي من تتبع. وعليه جمع غفير من النحويين.

القول الثاني: أن (التبعيض) دلالة محورية للحرف (من) تعود إليه بقية المعاني الفرعية. وتزعم هذا القول السرخسي الأصولي، فهو أول القائلين به، وتبعه في القول بهذا العالم الأصولي البزدوي، وعلاء الدين البخاري، وحكاه التفتازاني.

القول الثالث: أن (التبيين) وقد يسمونه (تمييزا) دلالة محورية للحرف (من) تعود إليه بقية المعاني الفرعية، و. وتزعم هذا القول فخر الدين الرازي، وقال: هو الحق عندي، وتبعه القرافي، والبيضاني، وشمس الدين الجزري، والإسنوي، والصفي الهندي، وحكاه بدر الدين الزركشي رحمهم الله جميعا.

القول الرابع: أن (ابتداء الغاية والتبعيض والتوكيد) كلها دلالات محورية للحرف (من) تعود إلي واحد منها بقية المعاني الفرعية. وتزعم هذا القول سيبويه رحمه الله؛ فهو أول القائلين به، وهو منطوق النص الذي في أول المبحث قدمناه، وغيره مما تتبعناه.

وإنما أخرت هذا المذهب عن سابقيه، وحقه التقديم، وجعلته رابعا لأني أراه الصواب ومستحقا للتعليق عليه ولارتباط بما سيأتي من قول.

فيلاحظ أن سيبويه رحمه الله في كتابه لم يتعامل مع الحرف (من) عند معالجته كتعامله مع بقية حروف الجر عند تناولها، من جعله لتلك الحروف معنى محورا واحدا، وما خرج من ذلك فهو توسع عائد إلى ذلك المعنى المحوري الذي قرره. من هذا قوله في الكتاب عن (الباء): (وباء الجر إنما هي للإلزاق والاختلاط، وذلك قولك: خرجت بزيد، ودخلت به، وضربته بالسوط: ألزقت ضربك إياه بالسوط. فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله). [١]

وفي القول في (على) يقول: (أما على فاستعلاء الشيء؛ تقول: هذا على ظهر الجبل، وهي على رأسه. ويكون أن يطوي أيضا مستعليا كقولك: مر الماء عليه؛ وأمررت يدي عليه. وأما مررت على فلان فجرى هذا كالمثل. وعلينا أمير كذلك. وعليه مال أيضا؛ وهذا لأنه شيء اعتلاه ويكون: مررت عليه، أن يريد مروره على مكانه؛ ولكنه اتسع. وتقول: عليه مال؛ وهذا كالمثل؛ كما يثبت الشيء على المكان كذلك يثبت هذا عليه؛ فقد يتسع هذا في الكلام ويجيء كالمثل). [٢]

وعند القول في حرف الجر (إلى) تراه يقول: (وأما إلى فمنتهى لابتداء الغاية، تقول: من كذا إلى كذا. وكذلك حتى، وقد بين أمرها في بابها، ولها في الفعل نحو ليس لإلى. ويقول الرجل: إنما أنا إليك، أي إنما أنت غايتي، ولا تكون حتى ههنا: فهذا أمر إلى وأصله وإن اتسعت). [٣]

وكأن سيبويه رحمه الله يرى أن لـ (من) مزية

---

(١) (الكتاب ٤/ ٢١٧)
(٢) (الكتاب ٤/ ٢٣٠)
(٣) (الكتاب ٤/ ٢٣١)

وخصوصية لا يشركه فيها غيره من الحروف؛ فكثرة دورانه في كتاب الله وفي كلامهم، واتساع تصرفه جعلت له تلك الخصوصية والاستثناء. وهذا ما لمحه ابن جني في قوله: (فإن قلت: يكون من الحروف ما يصلح من المعاني لأكثر من الواحد نحو: (من) فإنها تكون تبغيضا وابتداء ولا تكون نفيا ونهيا وتوكيدا، وإن فإنها تكون شرطا ونفيا وتوكيدا. قيل: هذا إلزام يسقطه تأمله. وذلك أن (من) ولا وإن ونحو ذلك لم يقتصر بها على معنى واحد؛ لأنها حروف وقعت مشتركة كما وقعت الأسماء مشتركة ... مما اتفق لفظه واختلف معناه. وكما وقعت الأفعال مشتركة، نحو وجدت في الحزن، ووجدت في الغضب ووجدت في الغنى ووجدت في الضالة، ووجدت بمعنى علمت ونحو ذلك فكذلك جاء نحو هذا في الحروف). [١]

فهي عند سيبويه وابن جني من المشترك اللفظي، له دلالات ثلاث كلها دلالات محورية، وبقية المعاني الفرعية تعود لواحد منها. وانظر قوله في اللمع مطابقا به قول سيبويه: (فمعنى من الابتداء تقول سرت من البصرة أي ابتدأت السير من البصرة وتكون تبعيضا كقولك أخذت من المال أي بعضه وشربت من الماء أي بعضه وتكون زائدة دخولها كخروجها نحو قولك ما جاءنا من أحد أي أحد وما رأيت من أحد أي أحدا). [٢]

ويعقب أبو البركات عمر الكوفي في شرحه للمع بقوله: (ويكون التبعيض كقولك: أخذت من المال، أي بعضه، هذا مذهب سيبويه. قال أبو العباس المبرد: وليس هو عندي كما قال سيبويه؛ لأن قوله: أخذت من ماله، إنما جعل ماله ابتداء غاية ما أخذ. وكذلك: أخذت منه درهما، وسمعت منه حديثا، أي أول الحديث، وأول مخرج الدراهم فيكون عند أبي العباس لابتداء الغاية، ودلالتها على التبعيض عنده من حيث ما هي انتهاء، وهذا مذهبه فاعرفه. وعند سيبويه إنها تكون للتبعيض في هذا مجردة عن الابتداء). [٣]

ويؤيد هذا القول – أعني أن ابتداء الغاية معنى محوريا مستقلا، تتبعه معان أخرى فرعية، وكذا التبعيض معنى محوريا مستقلا، تتبعه معان أخرى فرعية، وكذلك الزائدة للتوكيد – ما نراه عند أكثر علماء أصول الفقه المحققين، القائلين بأصالة (من) في التبعيض كأصالتها في ابتداء الغاية، واندراج معنى التبيين (التمييز) فيه فكأنه معنى فرعي له، كما قال المالقي: (وكثيرا ما تقرب التي للتبعيض من التي لبيان الجنس، حتى لا يفرق بينهما إلا بمعنى خفي). [٤]

---

(١) (الخصائص ١١٢/٣)

(٢) (اللمع ٧٢)
(٣) (البيان في شرح اللمع ٢٤٥) .
(٤) (رصف المباني ١٤٣)

ولنا وقفة مع دلالة (من) التي للتبعيض، فهي الدلالة الأكثر دورانا وتصرفا في المعاني؛ ولذا نرى بعض النحويين يميل إلى أنها بهذا المعنى قد تتقمص قميص الاسمية في بعض استعمالاته. وقد ألمح إلى هذا ابن جني في سر صناعة الإعراب عند بيت النابغة:

كأنك من جمال بني أقيش ... يقعقع خلف رجليه بشن

بقوله: (أي جمل من جمال بني أقيش، وغير ذلك مما يطول ذكره. فالجواب أن حذف الموصول وإقامة الصفة مقامة على كل حال قبيح، وهو في بعض الأماكن أقبح منه في بعض ، وأما قوله : كأنك من جمال بني أقيش فإنما جاز ذلك في ضرورة الشعر، ولو جاز لنا أن نجد(من) في بعض المواضع قد جعلت اسما، لجعلناها هاهنا اسما، ولم نحمل الكلام هنا على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه). [١]

وجاء في مجالس ثعلب: (لم تقع " من " في موضع الاسم إلا في ثلاثة مواضع:

جادت بكفَّي كان من أرمى البشر

وقوله:

ألا رب منهم من يقوم بمالكا

وقوله:

ألا رب منهم وادع وهو أشوس). [٢]

كما يؤيد لمح الاسمية فيها صحة مجيء(بعض) وهي اسم بدلا عنها، وإلا كيف يعاقب الاسم الحرف أو يرادفه؟ إذا الترادف لا يكون بين مختلفي الجنس. قال ابن عصفور: (لأن الأسماء قد تدل على معنى في غيرها، ألا ترى أنك إذا قلت: قبضت بعض الدراهم، أدت بعض من المعنى في الدراهم ما تؤديه (من) إذا قلت: من الدراهم). [٣]

قال ابن مالك: (وحسن في موضعها بعض). [٤]

وقريب منه إذا حسن موقعها (الذي) وذاك إذا جاءت لبيان الجنس وقد أسلفنا بأن التبيين مندرج في التبعض، قالوا علامتها: أن يحسن مكانها (الذي). قال أبو الفداء: (والتي للتبيين، هي التي يحسن مكانها الذي نحو قوله تعالى: (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) أي الرجس الذي هو وثن). [٥]

قال ناظر الجيش في تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: (كون «من» لبيان الجنس ، المنقول عن الشلوبين: أنه ينكر أن تكون للبيان بالوضع ، قال ابن عصفور، يتخرج على أن يكون المراد بالرجس: عبادة الوثن؛ فكأنه قيل: فاجتنبوا من الأوثان الرجس الذي هو العبادة؛ لأن المحرم من الأوثان إنما هو عبادتها). [٦]

---

(١) (سر صناعة الإعراب ٢٩٣/١)
(٢) (مجالس ثعلب ٤٤٥)
(٣) (شرح جمل الزجاجي ١٠٠/١)
(٤) (شرح التسهيل ٣/ ١٣٥)
(٥) (الكناش في فني النحو والصرف ٧٤/٢) وانظر (الجنى الداني ٣٠٨ وما بعده)
(٦) (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ٨٨٩/٦)

فعلامتها: صحة وقوع الموصول موقعها مع ضمير يعود على ما قبلها إن بينت معرفة، كقوله تعالى: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ} أي: الذي هو الأوثان. لأن الرجس جنس عام يشمل الأوثان وغيرها. فإن بينت نكرة فعلامتها: أن يقع موقعها الضمير وحده، كقوله تعالى: { يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ } أي: هي ذهب. (١)

وما سبق يقوي جعل (التبعيض) معنى محوريا غير مندرج في ابتداء الغاية، فهو من قبيل المشترك اللفظي، فهذا منطوق نص سيبويه رحمه الله، ف (من) بهذا المعنى أخذت خصوصة امتازت بها عن بقية المعاني، وجعلنا الاسمية حاضرة في بعض تصرفاتها في السياق يخلصنا من تأويلات النحاة وتخريجاتهم البعيدة عن روح اللغة، وعلى وجه الخصوص ما جاء من تأويلاتهم وتخريجاتهم لأي من الذكر الحكيم جاءت كأنها ناقصة المسند إليه كقوله تعالى: (مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ) وقوله تعالى: (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ) وقوله تعالى؛ (وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ) وأمثلته في القرآن الكريم وكلام العرب كثير.

وجميع ما وقفت عليه من مثل هذا لا تخرج فيه (من) عن معنى التبعيض.

الخاتمة

من العرض السابق نستخلص مايلي:

إن نسبة النيابة إلى الكوفيين كما يتداولها الدارسون لا تصح هكذا على إطلاقها، فقد رأينا من أئمة البصريين من يقول بها، ويخرج أقوالا عليها، من ذلك قول الخليل في العين: (فثر: الفاثور عند العامة الطست خان، وأهل الشام يتخذون خوانا من رخام يسمونها الفاثور، قال: (والأكل في الفاثور بالظهائر) وقوله: في الفاثور، أي على الفاثور، كما قال تعالى: (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) ، أي على جذوع النخل). وفي الصحاح أن يونس يرى جواز النيابة، جاء فيه: (وزعم يونس أن العرب تقول: نزلت في أبيك، يريدون عليه. وربما استعمل بمعنى الباء). وقال سيبويه في الكتاب: (وأما عن فلما عدا الشيء، وذلك قولك: أطعمه عن جوع، جعل الجوع منصرفا تاركا له قد جاوزه. وقال: قد سقاه عن العيمة... وقد تقع من موقعها أيضا، تقول: أطعمه من جوع، وكساه من عري، وسقاه من العيمة). و قال الأخفش : (وتكون "إلى" في موضع "مع" نحو {من أنصاري إلى الله} كما كانت "من" في معنى (على) في قوله {وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ } أي: على القوم، وكما كانت الباء في معنى "على" في قوله "مررت به" و "مررت عليه". وفي كتاب الله عز وجل { مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ } يقول "على دينار". وكما كانت "في" في معنى "على" نحو {في جذوع النخل} يقول "على جذوع النخل". وزعم يونس أن العرب تقول: "نزلت

(١) (انظر تعجيل الندى بشرح قطر الندى ٢١٤)

في أبيك" تريد "عليه" وتقول: "ظفرت عليه" اي "به" و "رضيت عليه" أي: "عنه").وعند المبرد في المقتضب والكامل مثله، وهو قول مشهور عند ابن السراج كما مر في ثنايا البحث.

إن نسبة التأويل والتضمين إلى البصريين لا تصح كذلك على إطلاقها، فمن كبار نحاة الكوفة من قال بهما، وعول عليهما في تخريجاته، من نحو ما نراه عند الفراء، حين يقول بالتأويل: (وقوله (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) يصلح (على) في موضع (في) وإنما صلحت (في) لأنه يرفع في الخشبة في طولها فصلحت (في) وصلحت (على) لأنه يرفع فيها فيصير عليها). وفي موطن آخر يقول بالتضمين، من نحو قوله: (ومنه قوله: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ) معناه: ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم). وقوله: (وكأن قوله (اهْدِنَا الصِّرَاطَ) أعلمنا الصراط، وكأن قوله: اهدنا إلى الصراط أرشدنا إليه والله أعلم بذلك).

وتبين لنا من البحث أن سيبويه رحمه الله عند معالجته لمعاني حروف الجر كان يميل إلى جعل معنى واحد للحرف، يجعله دلالة محورية تنجذب إليه بقية المعاني الفرعية بتأول أو تضمين، فيجعل التوسع في الفعل، وما خرج عن هذا فشذوذ. ولم يخرج عن مذهبه هذا إلى عند معالجته لمعاني الحرف (من).

كما أثبت البحث أن سيبويه قد جعل لـ (من) ثلاثة معان، كلها دلالات محورية (ابتداء الغاية، والتبعيض، والتوكيد)، كل معنى قائم برأسه لا يشركه فيه غيره، وبقية المعاني الفرعية تعود لواحد منها، فهو عنده من المشترك اللفظي، ولم يوافق سيبويه من نحاة البصرة إلا ابن جني، فهو يوافق سيبويه بقوله: (وذلك أن (من) و(لا) و(إن) ونحو ذلك لم يقتصر بها على معنى واحد؛ لأنها حروف وقعت مشتركة كما وقعت الأسماء مشتركة ... مما اتفق لفظه واختلف معناه. وكما وقعت الأفعال مشتركة، نحو وجدت في الحزن، ووجدت في الغضب ووجدت في الغنى ووجدت في الضالة، ووجدت بمعنى علمت ونحو ذلك فكذلك جاء نحو هذا في الحروف). و كذا أبو البركات عمر الكوفي في شرحه للمع بقوله: (ويكون التبعيض كقولك: أخذت من المال، أي بعضه، هذا مذهب سيبويه. قال أبو العباس المبرد: وليس هو عندي كما قال سيبويه؛ لأن قوله: أخذت من ماله، إنما جعل ماله ابتداء غاية ما أخذ. وكذلك: أخذت منه درهما، وسمعت منه حديثا، أي أول الحديث، وأول مخرج الدراهم فيكون عند أبي العباس لابتداء الغاية، ودلالتها على التبعيض عنده من حيث ما هي انتهاء، وهذا مذهبه فاعرفه. وعند سيبويه إنها تكون للتبعيض في هذا مجردة عن الابتداء)، وتبعة في هذا كثير من الأصوليين كما سبق في موطنه من البحث.

جعل سيبويه دلالة (التبعيض) معنى محوريا وهذا منطوق كلامه في النص الذي تناوله االبحث

بالتحليل، وما ذاك إلا لما رآه في هذه الدلالة، من كثرة دورانها وتصرفها في التراكيب؛ ولذا نرى بعض النحويين يميل إلى أنها بهذا المعنى قد تتقمص قميص الاسمية في بعض استعمالاته. وقد ألمح إلى هذا ابن جني في سر صناعة الإعراب بقوله: (وأما قوله : كأنك من جمال بني أقيش فإنما جاز ذلك في ضرورة الشعر، ولو جاز لنا أن نجد(من) في بعض المواضع قد جعلت اسما، لجعلناها هاهنا اسما، ولم نحمل الكلام هنا على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه). ومثله عند ثعلب في مجالسه كما مر.

المصادر والمراجع

_أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي ، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

_الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

_ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد مراجعة: رمضان عبد التواب الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

_الأشباه والنظائر عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: عبد العال سالم مكرم الطبعة الأولى ١٤٠٦-١٩٨٥ مؤسسة الرسالة –بيروت لبنان.

_الأزهية في علم الحروف، علي محمد الهروي، تحقيق عبد المعين الملوحي، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤١٣هـ ١٩٩٧م.

_أصول السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت.

_الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج المحقق: عبد الحسين الفتلي الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت.

_الإيضاح في شرح المفصل أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب، تحقيق عبدالله إبراهيم محمد، ناشر: دار سعدالدين دمشق– سوريه.

_البحر المحيط في أصول الفقه: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الناشر: دار الكتبي الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

_البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ .

_بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد

شمس الدين ابن قيم الجوزية الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
_البيان في شرح اللمع، عمر بن إبراهيم الكوفي، تحقيق علاء الدين حموية، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
_لتحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤.
_التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل : أبو حيان الأندلسي المحقق: د. حسن هنداوي الناشر: دار القلم – دمشق (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا الطبعة: الأولى.
_تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين المحقق: محمد كامل بركات الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر سنة النشر: ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧.
_تعجيل الندى بشرح قطر الندى، عبد الله بن صالح بن عبد الله الفوزان، دار الجوزي، السعودية– الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ .
_تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن .
_تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – جمهورية مصر العربية الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ .
_توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر الناشر : دار الفكر العربي الطبعة : الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.
_تيسير التحرير: محمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي الناشر: مصطفى البابي الْحلَبِي – مصر ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م.
_جامع البيان في تأويل القرآن= تفسير الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري المحقق: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
_الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ) المحقق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.
_حاشية الشِّهاب على تفسير البَيضاوي، الْمُسَمَّاة: عناية القاضى وكفاية الرَّاضِى على تفسير البَيضاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر

الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ) دار النشر: دار صادر.

_حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك المؤلف: أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

_الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة.

_دَرْجُ الدُّرر في تفسير الآيِ والسُّوَر: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير الناشر: دار الفكر - عمان، الأردن الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

_رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد عبد النور المالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤.

_سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان الطبعة: الأولي ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

_سفر السعادة وسفير الإفادة: علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣ هـ) المحقق: د. محمد الدالي تقديم: د. شاكر الفحام (رئيس مجمع دمشق) الناشر: دار صادر الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

_شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (المتوفى: ٩٠٠هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ط الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

_شرح تسهيل الفوائد: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ) المحقق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

_شرح التلويح على التوضيح: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (المتوفى: ٧٩٣هـ) الناشر: مكتبة صبيح بمصر الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ <

_شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الإشبيلي أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي، تحقيق صاحب أبو جناح، جامعة الموصل - مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

_شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (المتوفى: ٣٦٨ هـ) المحقق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى،٢٠٠٨

_شرح الكافية رضي الدين الاستراباذي. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،طبعة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

_شرح المفصل للزمخشري: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ) قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

_الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

_عناية القاضي وكفاية الرَّاضي على تفسير البَيضاوي = حاشية الشِّهاب على تفسير البَيضاوي

_الفائق في أصول الفقه المؤلف: صفي الدين محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي الهندي الشافعي (المتوفى: ٧١٥ هـ) المحقق: محمود نصار الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

_ قواطع الأدلة في الأصول: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) المحقق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٩م.

_الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

_الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨.

_الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

_كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: ٧٣٠هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

_الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش – محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

_الكناش في فني النحو والصرف: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢ هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور رياض بن حسن الخوام الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر،

بيروت – لبنان عام النشر: ٢٠٠٠ م.
_اللمع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) المحقق: فائز فارس الناشر: دار الكتب الثقافية – الكويت.
_مجالس ثعلب: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب (المتوفى: ٢٩١هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، مطبوعات سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف– مصر.
_مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
_المحصول: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.
_المحصول في أصول الفقه: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) المحقق: حسين علي اليدري – سعيد فودة الناشر: دار البيارق – عمان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
_معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر الطبعة: الأولى.
_معانى القرآن للأخفش أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ) تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م .
_معراج المنهاج شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول إلى علم الأصول، شمس الدين محمد بن يوسف الجزري، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
_مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت ط ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
_المقتضب: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة. الناشر: عالم الكتب. – بيروت.
_منهاج الوصول إلى علم الأصول في أصول الفقه، ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، دار ابن حزم، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

_النحو الوافي: عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ) الناشر: دار المعارف الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة.

_نفائس الأصول في شرح المحصول: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت ٦٨٤هـ) المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

_نهاية السول شرح منهاج الوصول: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ) الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

_الواضح في أصول الفقه: أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، (المتوفى: ٥١٣هـ) المحقق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

The Central Meaning of the Arabic Preposition min (from) in Sibawaih's Work

Dr. Ibrahim al-Faifi
Department of Arabic
King Abdulaziz University

Research. findings. the research revealed that Sibawaih realized that the preposition min cannot be considered to have one central meaning which is the case with any Arabic preposition. Sibawaih did actually identify some more meanings of min which have been also recognized by Ibn Jinni (died 392 Hijri). Other grammarians think that min can only mean ibtidā' alghāyah (beginning of the target). Sibawaih also stated that it is possible for min to be considered as a noun when it has the meaning of tab'īdh some of all.

Key words: Arabic grammar, Arabic prepositions, Sibawaih.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٢ ص ص: ٩٣- ١٢٤ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-2.4

القراءات المتواترة والشاذّة في سورة الإخلاص ودلالاتها العقدية (جمعا ودراسة)

د. بشرى حسن هادي اليمني
أستاذ مساعد بقسم (القراءات)
كلية القرآن والدراسات الإسلامية – جامعة جدة – المملكة العربية السعودية

مستخلص. يهدف هذا البحث إلى دراسة القراءات القرآنية في سورة الإخلاص – التي يعدل ثواب قراءتها ثلث القرآن الكريم– وبيان مدى تأثر معاني هذه السورة وتفسيرها بالقراءات القرآنية الواردة فيها، وإظهار بعض الدلالات العقدية المتعلقة بتوحيد أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته، من خلال تحليل هذه القراءات لغويا ومعنويا.
كما أنه يهدف إلى إيضاح العلاقة اللفظية والمعنوية بين حروف القراءات المتواترة والشاذّة المختلف فيها في قوله: (قل هو الله أحد، وقل هو الله الواحد) والفرق بين إثبات بعض الألفاظ فيها وحذفها والتنوع الخطابي بين الخبر والإنشاء وأثره في الأحكام العقدية من خلال اختلاف القراءات، والفرق بين معاني(الأحد والواحد) ودلالاتها العقدية من جهة، ومن جهة أخرى بيان العلاقة بين هذا الاختلاف فيها وبين معاني(الصمد) ثم بيان العلاقة بين معاني(الصمد) المختلف فيها وبين معاني **القراءات المختلف** فيها في قوله: (كفؤا أحد، وكفوا أحد) بتحقيق الهمز وتخفيفه.
ثم دراسة العلاقة التكاملية بين ألفاظ القراءات ومعانيها وبين السياق العام للسورة بصورة خاصة وعلاقتها بأسباب نزول السورة وما جاء في فضلها وقدرها بصورة عامة.
الكلمات الافتتاحية: القراءات القرآنية، سورة الإخلاص، الدلالات المعنوية، الدلالات العقدية.

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فيكافأه، وليس يكافيه ولا يحصي نعمه وإحسانه من خلقه أحد، تبارك وتعالى وتنزه جل جلاله وتقدست أسماؤه عن الوالد والصاحبة والولد، ثم الصلاة والسلام على إمام الموحدين وسيد الأولين والآخرين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن سورة الإخلاص صفة الرحمن وحجته على خلقه وفيها تمام وكمال توحيده وتمجيده، فهي سورة بأربع آيات وحروف وكلمات معدودات، ولكنها بعظم فضلها وجزيل ثوابها تعدل ثلث القرآن، فعظمها وقدرها من تعلق ما تحدثت عنه وصفة من وصفته تبارك وتعالى، فهي بذلك من أعظم سور القرآن، وقد صح فيها من الأحاديث الدالة على فضلها مع قصرها ما لم يصح لغيرها، وقد جاء فيها من القراءات المتواترة والشاذة ما يربو عن السبعة أوجه من أوجه القراءة على حروف مختلفة في ألفاظها متكاملة في معانيها، مما دفعني لدراسة هذه السورة وإفرادها بدراسة مستقلة **متقصدة** في ذلك تتبع القراءات القرآنية وتوجيهها وبيان دلالاتها المعنوية واللفظية والعقدية والبلاغية، من خلال هذا البحث الذي أسميته: **القراءات المتواترة والشاذّة في سورة الإخلاص ودلالاتها (جمعا ودراسة).**

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

وتكمن أهمية اختياري لهذا الموضوع؛ لأسباب عدة من أبرزها:

١- أن سورة الإخلاص تعد من أقصر السور في القرآن الكريم إلا إنها تعدل في ثواب قراءتها ثلث القرآن، وما ذلك إلا لأسرار وحكم أودعها الله في هذه السورة منها ما تجلى ومنها ما يحتاج لمزيد بحث ودراسة، فشرعت في هذا البحث محاولة استنباط ما يمكن استنباطه من هذه السور العظيمة.

٢- أن موضوع السورة يتحدث عن صفات المولى تبارك وتعالى، فأحببت أن أفردها بدراسة مستقلة.

٣- تَنوعت القراءات القرآنية والأساليب البلاغية في السورة، فحاولت دراسة قيمة هذا الاختلاف وأهميته في تغيير معاني ومفردات هذه السورة في ضوء اختلاف القراءات القرآنية.

أهداف البحث:

١- يهدف هذا البحث لدراسة بعض أسماء وصفات المولى جل جلاله في ضوء اختلاف القراءات، إذ إنها عند بعض العلماء تمثل الشطر الثالث من أركان التوحيد، بعد توحيد الربوبية والألوهية.

٢- محاولة إظهار بعض الأحكام العقدية في السورة وتفصيلها، من خلال دراسة القراءات المتواترة والشاذة في السورة وبيان أثرها في هذه الأحكام.

٣- بيان صور من ملامح وصور تكامل القراءات في هذه السورة وبيان دلالاتها المعنوية والبلاغية.

٤- محاولة إظهار مدى تأثر القراءات القرآنية بقاعدة تخفيف الهمز **وتحقيقه** في بعض وجوه القراءات القرآنية، وأثر ذلك في توجيه اللغات واللهجات العربية.

منهج البحث:

انتهجت في دراستي هذه: المنهج الوصفي والتحليلي والمقارن، وقمت بـ :

١- جمع القراءات المتواترة والشاذة في السورة وتخريجها وتحليل ألفاظها لغويا ومعنويا.

٢- قارنت بين كل قراءة واردة في كلمة واحدة أو حرف واحد على حدة، ثم قمت بمقارنة كل قراءتين معا على انفراد وتوجيه معانيها، ثم بعد ذلك عملت على مقارنة معاني القراءات المختلفة مع السياق العام والخاص للآيات والسورة، تارة على إفراد القراءات وتارة على جمعها.

الدراسات السابقة:

لم يقع بين يدي **الباحثة** بعد طول بحث وتتبع لأي دراسة مخصوصة بدراسة معاني القراءات الواردة في سورة الإخلاص، وإن كان كثير من المفسرين قد أدرجوها ضمن تفاسيرهم، مكتفين بذكر معانيها وفضلها وسبب نزولها، ومنهم من تحدث عن القراءات الواردة في: (كفوا) بالهمز والتخفيف وحملها في جميع وجوه القراءة بها على المعنى الواحد واللغات واللهجات العربية الواحدة.

هيكل البحث:

المبحث الأول: التعريف بسورة الإخلاص، وفيه مطلبان

المطلب الأول: اختلاف العلماء في تسميتها:

المطلب الثاني: سبب نزول سورة الإخلاص وفضلها:

المبحث الثاني: اختلاف المفسرين في مفردات السورة، وأثر القراءات في توجيه آرائهم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاختلاف في التفسير وأقسامه:

المطلب الثاني: اختلاف المفسرين في غريب السورة، وتوجيه آرائهم في ضوء اختلاف القراءات: وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: اختلافهم في (قل هو الله):

المسألة الثانية: اختلافهم في معنى (الواحد والأحد) والقراءات الواردة فيها:

المسألة الثالثة: اختلافهم في معنى (الصمد):

المسألة الرابعة: اختلاف القراء في (كفوا وكفؤا):

المسألة الخامسة: اختلاف المفسرين في معاني(كفوا أحد) في ضوء اختلاف القراءات:

المبحث الثالث: تعاضد القراءات المتواترة والشاذة وتكاملها في سورة الإخلاص ودلالاتها العقدية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التكامل اللغوي والمعنوي للقراءات القرآنية في (قل هو الله أحد، وقل هو الله الواحد):

المطلب الثاني: تكامل معاني القراءات مع لفظ (الصمد):

المطلب الثالث: تكامل معاني القراءات في (كفوا):

المبحث الأول: التعريف بسورة الإخلاص، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختلاف العلماء في تسميتها:

سورة الإخلاص سورة مكية، وقيل مدنية، وهي أربع آيات، وخمس عشرة كلمة، وسبعة وأربعون حرفا[١].

وسميت بأسماء كثيرة أشهرها: (سورة الإخلاص)؛ لأنها تتحدث عن التوحيد الخالص لله جل جلاله، المنزه عن كل نقص، المبرأ من كل عيب؛ ولأنها تخلّص العبد من الشرك، أو من النار، وسميت أيضا: (سورة التفريد) أو (التجريد) أو (التوحيد) أو (النجاة) أو (الولاية)؛ لأن من قرأها صار من أولياء الله، أو (المعرفة)، وتسمى كذلك (سورة الأساس)؛ لاشتمالها على أصول الدين[٢].

وقال ابن عاشور: "المشهور في تسميتها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفيما جرى من لفظه وفي أكثر ما روي عن الصحابة تسميتُها: (سورة قل هو الله أحد)[٣]. وروى الترمذي عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "قل هو الله تعدِل ثلث القرآن"[٤] وهو ظاهر في أنه أراد تسميتها بتلك الجملة لأجل تأنيث الضمير من قوله : (تَعدل) فإنه على تأويلها بمعنى السورة، وقد روي عن جمع من الصحابة ما فيه تسميتها بذلك، فذلك هو الاسم الوارد في السنة"[٥].

وأما حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة" فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال: "الله الواحد الصمد ثلث القرآن"[٦] فقد ذكر ألفاظاً تخالف ما تقرأ به، ومحمله على إرادة التسمية، وسميت في أكثر المصاحف ومعظم التفاسير: (سورة الإخلاص) واشتهر هذا الاسم لاختصاره وجمعه معاني هذه السورة؛ لأن فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالى، أي: سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غَيره في الإلهية[٧]، وذكر الزمخشري في الكشاف: " أنها وسورة الكافرون تسميان المقشقشتين، أي: المبرئتين من الشرك ومن النفاق"[٨] .

المطلب الثاني: سبب نزول سورة الإخلاص وفضلها:

(١) ينظر: الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤١٥هـ): (٤/ ٤٩٦).

(٢) ينظر: الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، (١٤٢٠هـ): (٣٢/ ٣٥٧).

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الناشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، الطبعة التونسية، (١٩٩٧م): (٣٩/ ٦٠٩).

(٤) أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح، كتاب: فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في سورة الإخلاص، رقم(٢٨٩٦)، ينظر: الترمذي، محمد بن عيسى، (الجامع الصحيح) سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت: (٥/ ١٦٧).

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٣٩/ ٦٠٩).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل قل هو الله أحد، رقم(٤٧٢٧)، البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري(الجامع الصحيح المختصر)، تحقيق وتعليق: د/ مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط٣، (١٤٠٧ه – ١٩٨٧م): (٤/ ١٩١٦).

(٧) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٣٩/ ٦٠٩).

(٨) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت: (٤/ ٨٣٠)، والخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسمّاة: (عناية القاضي وكفاية الرّاضي على تفسير البيضاوي)، الناشر: دار صادر – بيروت: (٨/٤١٠).

ذكر الواحدي في سبب نزولها عن قتادة والضحاك ومقاتل: أنه جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: صف لنا ربك، فإن الله أنزل نعته في التوراة، فأخبرنا من أي شيء هو؟ ومن أي جنس هو؟ أذهب هو أم نحاس أم فضة؟ وهل يأكل ويشرب؟ وممن ورث الدنيا ومن يورثها؟ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه السورة وهي نسبة الله خاصة(١).

وروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه" أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص:١– ٤] قال: فالصمد الذي لم يلد ولم يولد؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث، ولم يكن له كفوا أحد، قال: لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء"(٢).

وعلى قصر هذه السورة إلا إنه قد جاء في فضلها وصح فيه ما لم يرد في غيرها من الآيات والسور، فقد وردت أحاديث كثيرة في فضلها، وأنها تعدل في ثواب قراءتها ثلث القرآن؛ لأن كل ما جاء في القرآن بيان لما أجمل فيها؛ ولأن الأصول العامة للشريعة ثلاثة: توحيد الله وذكر صفاته، وتقرير تكاليف الشرع من الأمر والنهي في الحدود والأحكام، وقصص الأنبياء والمواعظ والأخبار، فمن قرأها فكأنما أعطي من الأجر كما لو قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن كله(٣).

ومن هذه الأحاديث: ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: " أن رجلا سمع رجلا يقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يرددها، فلما أصبح، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالّها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن"(٤).

وفي رواية أخرى للبخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم لأصحابه: " أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشقّ ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول اللَّه؟ فقال: اللَّه الواحد الصمد ثلث القرآن"(٥).

وروى مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: " احشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، فحشد من حشد، ثم

(١) ينظر: علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، أسباب النزول، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت: (٥٠١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل من حديث أبي العالية الرياحي، عن أبي بن كعب، وصححه الحاكم وقال هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وحسنه الألباني دون قوله: (الصمد الذي...) ينظر: ابن **حنبل**، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م): (٣٥/ ١٤٣)، وابن البيع(الحاكم)، محمد بن عبد الله بن محمد، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤١١ه – ١٩٩٠م): (٢/ ٥٨٩).

(٣) ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، ط٣، (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م): (٦/١٧).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب: فضل (قل هو الله أحد) من حديث أبي سعيد الخدري رقم: (٥٠١٣)، صحيح البخاري: (٦/ ١٨٩).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب: باب فضل قل هو الله أحد، من حديث أبي سعيد الخدري رقم: (٥٠١٥)، صحيح البخاري: (٦/ ١٨٩).

خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، إني لأرى هذا خبرا جاء من السماء، ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: إني قلت: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن"(١)، وروي عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله جزّأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾جزءا من أجزاء القرآن"(٢).

ولمّا اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة، وهو التّقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن؛ لأن منتهى التقديس في أن يكون واحدا في ثلاثة أمور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ولا يكون حاصلا ممن هو نظيره، وشبيهه، ودل عليه قوله: ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ولا يكون أحد في درجته وإن لم يكن أصلا له، ولا فرعا منه، ودل عليه قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ويجمع ذلك كله قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وجملته وتفصيله، هو قولك: (لا إله إلا الله) فهذا سر من أسرار القرآن المجيد الذي لا تتناهى أسراره، ولا تنقضي عجائبه(٣).

وقال الفخر الرّازي: "لعل الغرض منه أن يكون المقصود الأشرف في جميع الشرائع، والعبادات معرفة ذات الله جلّ جلاله وتعالى، ومعرفة أفعاله، وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى، فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن"(٤).

وقال النّووي: " قيل معناه إن القرآن على ثلاثة أنحاء قصص، وأحكام وصفات الله تعالى، و(قل هو الله أحد) متضمنة للصفات، فهي ثلث القرآن، وجزء من ثلاثة أجزاء، وقيل: معناه أن ثواب قراءتها يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف"(٥).

المبحث الثاني: اختلاف المفسرين في مفردات السورة، وأثر القراءات في توجيه آرائهم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاختلاف في التفسير وأقسامه:

الاختلاف: ضد الاتفاق، يقال: "خالفته مخالفة وخلافاً، وتخالف القوم واختلفوا إذا ذهب كل واحد

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن وما يتعلق به، باب: فضل قراءة (قل هو الله أحد)، مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم(صحيح مسلم) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت: (٥٥٧/١)، وسنن الترمذي: (١٩/٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن وما يتعلق به، باب: فضل قراءة قل هو الله أحد، صحيح مسلم: (١/ ٥٥٦).

(٣) ينظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: (٤/ ٤٩٦).

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب: (٣٢/ ٣٥٨)، بتصرف يسير.

(٥) النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، (١٣٩٢ه): (٩٤/٦-٩٥).

إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، وتخالف الأمران واختلفا: لم يتفقا، وكل ما لم يتساو، فقد تخالف واختلف، والاختلاف أعمّ من التضاد؛ لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين[١]؛ لذلك فإن اختلاف المفسرين يختلف عن اختلاف القراء؛ لأن اختلاف المفسرين منه ما هو اختلاف تنوع ومنه ما يكون اختلاف تضاد، وأما اختلاف القراء في حروف القراءات فإنه اختلاف تنوع فقط[٢]، وأما ابن تيمية فقد ذهب إلى القول بأن غالب ما يصح عن السلف من الخلاف – في التّفسير– يرجع إلى اختلاف التنوع لا التضاد، وذكر أن من هذا الخلاف صنفان:

الأوّل: أن يُعبّر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى، مثل الصراط في قوله تعالى:﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[الفاتحة: ٦]: قال البعض: هو الإسلام، وقال آخرون: هو السنة والجماعة، وقيل: طريق العبودية، وقيل: طريق الخوف والرجاء...**الثاني:** أن يذكر كل واحد منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه، مثل اختلافهم في قوله تعالى: ﴿ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[فاطر: ٣٢]: فالظالم لنفسه: هو تارك المأمور، فاعل المحظور، والمقتصد: هو فاعل الواجب وتارك المحرم، والسابق: هو فاعل الواجب والمستحب، وتارك المحرم والمكروه، فيجاب عن السائل عن هذه المعاني ممن لا يعي هذه المعاني، كأن يقال: الظالم: هو الذي يفوت الصلاة ولا يسبغ الوضوء، والمقتصد: الذي يصلي في الوقت كما أمر، والسابق: الذي يؤدي الصلاة بواجباتها وأركانها[٣].

فمن ظاهر كلامه يمكن تقسيم الاختلاف في التفسير إلى قسمين:

القسم الأول: اختلاف التنوع، وهو الأكثر والأعم وعليه يحمل اختلاف أكثر أهل التفسير والعلم من أهل الفضل والصلاح، وإن كان بعض هذا الاختلاف يوحي في ظاهرة إلى التضاد، وخاصة ما دخلت بعض أصنافه في معاني المتشابه أو المجاز والتأويل، وغالبا ما يمكن الجمع بين تلك المعاني إذا حملت معانيها على العموم والإطلاق من جهة، ومن جهة أخرى إذا ما توفرت لدى المحققين دوافع الحيادية والإنصاف، واجتنبت العصبية للمذاهب والفرق والآراء، والله أعلم.

(١) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: (٨٢/٩-٨٦)، والفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت: (١٧٨/١)، والكفوي، أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أعده للطبع: د/ عدنان درويش، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٢، (١٤١٩ه – ١٩٩٨م): (٤١٤).

(٢) ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: (٢٨/١).

(٣) ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، شرح مقدمة في أصول التّفسير، شرح: د/ مساعد بن سليمان الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢، (١٤٢٨ه): (٣١٨-٣٢٠).

القسم الثاني: اختلاف التضاد، وهو قليل الوقوع عند المشهود لهم بالعلم والفضل، والغالب فيه أنه يقع بين الفرق المختلفة في الأصول العقدية، أو الفرق التي أهملت أصول التفسير المجمع عليها عند العلماء، وكذلك في اختلافهم في الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، والله أعلم.

المطلب الثاني: اختلاف المفسرين في غريب السورة، وتوجيه آرائهم في ضوء اختلاف القراءات: وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: اختلافهم في (قل هو الله):

قرأ الجمهور –متواترا–: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم: (هو الله) بغير (قل)، وروي عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بغير (قل و هو) وقرأ عمر وابن مسعود رضي الله عنهم: (قل هو الله الواحد)، وقرئ أيضا: (الله الواحد الصمد) بغير (قل وهو)[١].

فهذه القراءات المتواترة والشاذة في هذه الآية، والمتأمل فيها يجد أن اختلاف القراء في قراءتها على قسمين، **الأول:** اختلافهم في إثبات: (قل وهو) أو أحدهما، **وأما الثاني:** فهو حذفهما أو حذف أحدهما، والخطاب على قراءة من قرأ بـ (قل) يحتمل أحد الوجوه الثلاثة الآتية: **أحدها:** أنه خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك كله، وشارك فيه قومه، وفي القرآن كثير أنه خاطب رسوله بأشياء فيشرك قومه في ذلك، **والثاني:** خاطب كلا في نفسه كما في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: ٦] وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:٢١] وقوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق:١] ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١] ونحوه من الخطابات، خاطب كل أحد في نفسه؛ إذ لا يحتمل أن يخاطب في: (قل هو الله أحد) رسول الله خاصة، ولا يخاطب غيره؛ بل المخاطب به كل الناس وكل إنسان، **والثالث:** خاطب رسوله على إرادة غيره على سبيل الخصوصية له، نحو ما يخاطب ملوك الأرض خواصهم وأعقلهم من رعيتهم؛ على إرادة ذلك الخطاب غير المخاطبين[٢].

فإثبات فعل الأمر(قل) تَنَوع الخطاب بين الأمر على صيغة الإخبار والأمر الصريح علي صيغة الإنشاء والطلب والأمر، فتغيرت الدلالات في ضوء ذلك من

(١) ينظر: خالويه، الحسين بن أحمد، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، الناشر: مكتبة المتنبي، القاهرة: (١٨٥)، و د/ عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، الناشر: دار سعد الدين، دمشق، ط١، (١٤٢٢ه – ٢٠٠٢م): (١٠/٦٣٥-٦٣٦).

(٢) ينظر: الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د/ مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م): (٦/٣٦ -٧٣)

الدلالة القطعية المستوحاة من فعل الأمر الصريح، إلى الدلالة القطعية المستوحاة من صيغة الإخبار الظنية التي تستلزم الأمر الغير مباشر بنشر التوحيد وتفصيل صفات المولى تبارك وتعالى والعمل بمقتضاها.

وأما ضمير الشأن(هو) فبإثباته مزيد مبالغة وتوكيد، فإن سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن صفة ربه جل جلاله أوجب حصر اللفظ وتوكيده وبتخصيص الموصوف تبارك وتعالى، وقد احتج القرطبي لهذه المعاني المستوحاة من القراءة المتواترة واعترض اعتراضا شديدا على جميع من قرأ بالقراءات الشاذة في هذا الموضع كمن قرأ بغير (قل هو) أو بلفظ(الواحد مكان الأحد) فقال:" وقد أُسقط من هذه السورة من أبعده الله وأخزاه، وجعل النار مقامه ومثواه، وقرأ: (الله الواحد الصمد) في الصلاة، والناس يستمعون، فأسقط: (قل هو) وزعم أنه ليس من القرآن، وغير لفظ أحد، وأدعى أن هذا هو الصواب، والذي عليه الناس هو الباطل والمحال، فأبطل معنى الآية؛ لأن أهل التفسير قالوا: نزلت الآية جوابا لأهل الشرك لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: صف لنا ربك، أمن ذهب هو، أم من نحاس، أم من صفر؟ فقال الله عز وجل ردا عليهم: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ففي (هو) دلالة على موضع الرد، ومكان الجواب، فإذا سقط بطل معنى الآية، وصح الافتراء على الله عز وجل، والتكذيب لرسوله صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن أبي بن كعب: "أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك، فأنزل الله عز وجل: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾و(الصمد): الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وأن الله تعالى لا يموت ولا يورث"، وروي عن أبي العالية: أن النبي صلى الله عليه وسلم: ذكر آلهتهم فقالوا: انسب لنا ربك، قال: فأتاه جبريل بهذه السورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فذكر نحوه، ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب، وهذا أصح، قاله الترمذي، قلت: ففي هذا الحديث إثبات لفظ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وتفسير الصمد"[1].

المسألة الثانية: اختلافهم في معنى (الواحد والأحد) والقراءات الواردة فيها:

ذهب طائفة من العلماء مثل ابن عباس وأبو عبيدة والبغوي وغيرهم كثير إلى أن (الواحد والأحد) بمعنى واحد ولا فرق بينهما، وصرح البغوي بذلك مستشهدا

(١) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٢٧ه – ٢٠٠٦م): (٢٠/ ٢٤٥-٢٤٦)

بقراءة ابن مسعود –شاذة– فقال: " (قل هو الله أحد) أيّ واحد، ولا فرق بين الواحد والأحد، يدل عليه قراءة ابن مسعود: (قُلْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ)"[١]، وقال ابن عطية: "وقرأ عمر بن الخطاب وابن مسعود: (قل هو الله أحد الواحد الصمد)، وأَحَدٌ معناه: فرد من جميع جهات الوحدانية، ليس كمثله شيء، وهو ابتداء واللَّهُ ابتداء ثان وأَحَدٌ خبره، والجملة خبر الأول، وقيل: هُوَ ابتداء واللَّهُ خبره وأَحَدٌ بدل منه"[٢]، و(أَحَدٌ) أصله وحد، و(وحد، وواحد) بمعنى، وكونه واحدا: أنه لا قسيم له ولا شبيه له ولا شريك له[٣].

وفرَّق قوم بينهما فقال ابن الجوزي(ت:٥٩٧هـ): "الواحد: هو المنفرد بالذات، فلا يضاهيه أحد، والأحد: هو المنفرد بالمعنى، لا يشاركه فيه أحد"[٤]، فهنا فرق بينهما ابن الجوزي، ثم جعلهما من الألفاظ المشتركة، مع توافقهما في بعض الدلالات، فـ (أَحَدٌ) أبلغ من (واحِد)؛ لأنّه لا يدخل في العدد، وإذا قلت: لا يقاومه واحد يجوز أن يقاومه اثنان[٥]، وفي أَحَدٌ فائدة ليست في (واحد) لأنك إذا قلت: لا يقوم لزيد واحد، جاز أن يقوم له اثنان فأكثر، وإذا قلت: لا يقوم له أحد، نفيت الكل، وهذا إنما يكون في النفي خاصة، فأما في الإيجاب فلا يكون فيه ذلك المعنى، و(أَحَدٌ) إذا كان بمعنى (واحد) وقع في الإيجاب، تقول: مرّ بنا أحد، أي: واحد، فكذا ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أي: (واحد)[٦].

والواحد على ضروب، الواحد: الفرد الذي لا ثاني له من العدد، كقولك: إذا قصدت العدد الواحد والثاني والثالث والرابع وما أشبه ذلك، فالله عز وجل الواحد الأول الأحد الذي لا ثاني له ولا شريك ولا مثل ولا نظير لم يسبقه في أوليته شيء عز وجل عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، ولذلك يقول أصحاب العدد: إن الواحد ليس بعدد لأن العدد إنما هو تركب من أعداد أضيف بعضها إلى بعض، فالواحد لم يتركب من ضم شيء إلى شيء فيكون عددًا فكأنه عندهم مادة العدد، قالوا: ألا ترى أن معنى الوحدة موجود في كل

(١) البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، (١٤٢٠ه): (٣٣٠/٥)

(٢) ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤٢٢هـ): (٥/ ٥٣٦).

(٣) ينظر: القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط٣: (٣/ ٧٨٣).

(٤) الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي– بيروت، ط١، (١٤٢٢هـ): (٥٠٦/٤).

(٥) ينظر: النيسابوري، محمود بن أبى الحسن بن الحسين أبو القاسم، إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق: د/ حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، (١٤١٥هـ): (٢/ ٨٩٦).

(٦) ينظر: مكي، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: د/ حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، (١٤٠٥ه): (٢/ ٨٥٣)، والنيسابوري، إيجاز البيان عن معاني القرآن: (٢/ ٨٩٦).

عدد قل أو كثر كالخمسة والستة والألف وما بعد ذلك إلى ما لا نهاية له لابد من أيكون معنى الوحدة فيه موجودًا، وكذلك الكسور نحو النصف والربع والعشر وعشر العشر وما دون ذلك لا بد من أن يكون معنى الوحدة موجودًا فيه وليس في قولنا: (واحد) معنى عن شيء من ذلك موجودًا[١]، ولذلك فالواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر، وهو الفرد المتفرد في ذاته وصفاته وأفعاله وألوهيته، فهو واحد في ذاته لا يتجزأ أو لا يتفرق، أحد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وهو واحد في صفاته لا شبيه له على الوجه اللائق به من غير أن يماثله أحد فيما يختص به وهو واحد في أفعاله لا شريك له، واحد في ألوهيته لا معبود حق إلا هو[٢] وقد ورد اسم الله(الواحد) في القرآن الكريم في أكثر من عشرين موضعاً، اقترن في ستة منها بالقهار، والأحد هو الذي تفرد بكل كمالٍ ومجدٍ وجلالٍ وجمالٍ وحمدٍ وحكمةٍ ورحمةٍ وغيرها من صفات الكمال، فليس له فيها مثيل ولا نظير ولا مناسب بوجه من الوجوه، فهو الأحد في حياته وقيوميته، وعلمه وقدرته، وعظمته وجلاله، وجماله وحمده، وحكمته ورحمته، وغيرها، من صفاته، موصوف بغاية الكمال ونهايته من كل صفة من هذه الصفات، وقد ورد اسم الأحد مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة الإخلاص.

ومن فرق من العلماء بين معنى الاسمين –الواحد والأحد– فمرد ذلك عندهم إما على أصل الاشتقاق وإما إلى الاشتراك المعنوي بينهما، وآراؤهم في ذلك على ثلاثة أقسام: **الأول:** أن الواحد اسم لمفتتح العدد، فيقال: واحد واثنان وثلاثة، أما أحد فينقطع معه العدد فلا يقال: أحد اثنان ثلاثة، **الثاني:** أن أحداً في النفي أعم من الواحد، فيقال: ما في الدار واحد، ويجوز أن يكون هناك اثنان أو ثلاثة أو أكثر، أما لو قيل: ما في الدار أحد فهو نفي وجود الجنس بالمرة، فليس فيها أحد ولا اثنان ولا ثلاثة ولا أكثر ولا أقل، **الثالث:** لفظ الواحد يمكن جعله وصفاً لأي شيء أريد، فيصح القول: رجل واحد، وثوب واحد، ولا يصح وصف شيء في جانب الإثبات بأحد إلا الله الأحد: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فلا يقال: رجل أحد ولا ثوب أحد فكأن الله عز وجل استأثر بهذا النعت.

ويمكن إبراز الفرق بين اللفظين –الواحد والأحد– وتوجيه أقوال المفسرين والعلماء من خلال استعراض القراءات القرآنية في الآية وتوجيهها واستقراء معانيها

(١) ينظر: النهاوندي، عبد الرحمن بن إسحاق، اشتقاق أسماء الله، تحقيق: د/ عبد الحسين المبارك، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٢، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م): (٩٠-٩١).

(٢) ينظر: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تقريب التدمرية، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، (١٤١٩هـ): (١١٨).

واستنباط بعض الدلالات اللفظية والمعنوية من خلال التنوع والاختلاف في قراءتها ونقل الرواة لها، واختلافهم في ذلك.

فقد قرأ الجمهور –متواترا–: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم: (هو الله أحد) وروي عن الأعشى وابن مسعود: (الله الواحد) وقرأ عمر وابن مسعود رضي الله عنهم: (قل هو الله الواحد)، وقرئ أيضا: (الله الواحد الصمد) بغير (قل وهو) وبلفظ الواحد مكان الأحد[١].

فهذه أشهر القراءات المتواترة والشاذة في هذه الآية، والمتأمل فيها يجد أن اختلاف القراء في قراءتها على قسمين، **الأول:** اختلافهم في إثبات: (قل وهو) أو أحدهما، وأما **الثاني:** فهو حذفهما أو حذف أحدهما، وسيأتي بيان فوائد هذا الاختلاف ودلالاته في سياق هذا البحث.

وأما اختلافهم في لفظي: (الأحد والواحد) فهو على قسمين: **الأول:** القراءة الأولى: (أحد) وهي قراءة الجمهور وهي القراءات المتواترة التي اشتملت على وجوه القراءة الصحيحة المتواترة عند عامة القراء من صحة السند وتواتره واتصاله وموافقتها لرسم المصحف ووجه من وجوه العربية ولو احتمالا[٢]، **والثاني:** قراءة (الواحد) وهي القراءة الشاذة وإنما شذت لفقدها أحد الشروط الثلاثة السابقة، وقد رويت عن ثلاثة من كبار الصحابة، والاحتجاج بها جائز والاستشهاد بها سائغ، فهي وإن شذت كقراءة قرآنية إلا أن معانيها وروايتها معمول به ومحتج به عند **بعض** المفسرين والفقهاء.

وبناء على قاعدتي الزيادة في المبنى زيادة في المعنى وإعمال اللفظ أَولى من تركه، ومن خلال المسلمات والبديهيات العقدية التي تستلزم أن تكون لله جل جلاله صفات الكمال والجمال التي لا يلابسها عيب ولا نقص، يتبين من خلالها ومن خلال أقوال المفسرين واختلافاتهم أن بين لفظي: (الأحد والواحد) خصوص وعموم.

فقراءة: (الله أحد) هي المتواترة والمقدمة في اللفظ والمعنى لشمول اللفظ – أحد – لصفة التفرد والكمال في الذات والعدد، من جهة ومن جهة أخرى فإن لفظ (أحد) يحتمل نفس معنى (الواحد) بل ويكمله ويضيف إليه معان أخرى تبعد اللبس المحتمل في اللفظ والمعنى.

ولفظ: (الواحد) كما قرره بعض العلماء له وجهان في الاحتجاج، **فالأول:** أنه بمعنى(الأحد) لأن أصله من (وحد) فأبدلت الواو بالهمز، فهو على هذا المعنى بمعنى(الأحد) وإن اختلف اللفظ، **والثاني:** أنه للعد، فالله جل جلاله واحد ليس له ثان ولا ثالث ولا أكثر،

(١) ينظر: د/ عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات: (١٠/٦٣٥-٦٣٦).
(٢) ينظر: النحاس، إعراب القرآن: (١/١٢٧-١٣٠)، وابن الجزري، النشر في القراءات العشر: (١/٩) .

وهو على هذا يحمل معنى(أحد) فمن تفرد بالعدد لزم أن يتفرد بجميع الصفات.

وقال ابن جزي الكلبي: "إلهكم إله واحد: الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى: **أحدها:** أنه لا ثاني له فهو نفي للعدد، **والآخر:** أنه لا شريك له، **والثالث:** أنه لا يتبعض ولا ينقسم، وقد فسر المراد به هنا في قوله لا إله إلا هو"[١].

وقد وصف الله جل جلاله بهذين الاسمين الكريمين في القرآن الكريم في أكثر من عشرين موضعاً، اقترن فيها (الواحد) في ستة منها بالقهار، وذكر(الأحد) في موضع واحد، في سورة الإخلاص، وفي هذا الذكر لهما في مواضع مختلفة في غير ما آية دليل على أن لكل واحد منها معان ودلالات قد لا يحتملها الآخر والمرجع في هذه الدلالات إلى السياق القرآني للآيات، وإنما ذكر الاسمان الكريمان في سورة الإخلاص وفي موضع واحد لدلالات معنوية وعقدية ولفظية بديعة، فبذكرهما في موضع واحد وبترابط معناهما مع السياق القرآني في السورة وتكامل معانيها ومناسبتهما لأسباب نزول السورة، دليل واضح على عناية القرآن الكريم بتفصيل صفات المولى جل جلاله وتقدست أسماؤه أتم تفصيل وأجمل توصيف، فاحتمل الاسمان – الأحد والواحد– جميع صفات التفرد والوحدانية، وسيأتي بيان تكاملهما مع معنى الصمد بعد تفصيل اختلاف العلماء في معنى الصمد وباقي مفردات السورة والقراءات الواردة فيها.

المسألة الثالثة: اختلافهم في معنى (الصمد):

جمع الله تبارك وتعالى في سورة الإخلاص بين النفي والإثبات فوصف نفسه بأوصاف الكمال في قوله: (قل هو الله أحد الله الصمد) ونفى عن نفسه النقصان بقوله: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ففيها إثبات كل صفة لا يتم الخلق إلا بها ونفي كل صفة لا يجوز وصفه بها؛ لأن الصمد في اللغة: هو السيد الذي يُرجع إليه في الحوائج وهذا يوجب له إثبات صفات الكمال التي يتم بها اتساق الأفعال وقد جاء في اللغة: أن (الصمد) هو الذي لا جوف له[٢].

فعن ابن عباس: " أن وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أساقفة من بني الحارث بن كعب منهم العاقب والسيد من مذحج فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك أمن زبرجد أم من يا قوت أم من ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم" إن ربي ليس من شيء كان بان من الأشياء ولم تكن الأشياء منه" فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ **الذي ليس كمثله شيء، فقال هذا أنت واحد وهذا واحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس كمثله**

(١) ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١، (١٤١٦هـ): (١/ ١٠٤)

(٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: (٢/٢٥٨-٢٥٩)، والأسفراييني، طاهر بن محمد، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب – لبنان، ط١، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م): (١٤)

شيء كل أحد يموت إلا هو) قالوا زدنا في الصفة فأنزل: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ فقالوا: "وما الصمد" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: السيد الذي يصمد إليه في الحوائج كقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣] يريد إليه تستغيثون قالوا زدنا في الصفة فأنزل الله: ﴿ لَمۡ يَلِدۡ ﴾ كما ولدت مريم ﴿ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾ كما ولد عيسى ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ يريد نظيرا من خلقه فأنكروا ذلك وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم يلاعنهم فأجابوه إلى ذلك وقالوا أخرنا ثلاثا يوم الرابع نلاعنك فقالت اليهود والنصارى لا تلاعنوه فإنه نبي يستجاب له فيكم" أورد نحوه بمعناه مختصرا عن الضحاك وغيره الواحدي في أسباب النزول والبغوي[١].

فالله سبحانه منزه عن أن يوصف بشيء من الصفات المختصة بالمخلوقين، وكل ما اختص بالمخلوق فهو صفة نقص، والله تعالى منزَّه عن كل نقص ومستحق لغاية الكمال، وليس له مثل في شيء من صفات الكمال، فهو منزه عن النقص مطلقاً، ومنزه في الكمال أن يكون له مثل، كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ فبين أنه أحدٌ صمدٌ، واسمه الأحد يتضمن نفي المثل، واسمه الصمد يتضمن جميع صفات الكمال[٢]، والصمدُ: هو الذي لا يأكُلُ ولا يشرب ولا جوف له، وهذه السورةُ هي نسبُ الرحمن، وهي الأصل في هذا الباب، ولهذا كانت الملائكة صمداً لا تأكلُ ولا تشربُ، وقد تقدَّم أنَّ كُلَّ **كمالٍ** فالخالقُ أولى به، وكلَّ نقص فالخالقِ أولى بالتنزيهِ عنه، وقد قال سبحانه في حقِّ المسيح وأمه: ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[المائدة: ٧٥] فجعل أكل الطعام دليلاً على نفي **الأُلوهية**، فدلَّ ذلك على تنزيهه عن ذلك بطريق الأولى والأحرى، فهو سبحانه مُنزَّهٌ عن ذلك، وعن آلاتِه وأسبابِه[٣].

وقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ فبين أنه المستحق لأن يكون هو الصمد دون ما سواه، فإنه المستوجب لغايته على الكمال، والمخلوق وإن كان صمدا من بعض الوجوه فإن حقيقة الصمدية منتفية عنه، فإنه يقبل التفرق والتجزئة، وهو أيضاً محتاج إلى غيره، فإن كل ما سوى الله محتاج إليه من كل وجه، فليس أحد يصمد إليه كل شيء ولا يصمد هو إلى شيء إلا الله، وليس في المخلوقات إلا ما يقبل أن يتجزأ ويتفرق وينقسم وينفصل بعضه من بعض، والله

(١) ينظر: الهروي، عبد الله بن محمد بن علي، ذم الكلام وأهله، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١، (١٤١٨هـ -١٩٩٨م): (٤/١٠٠-١٠٣).

(٢) ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، العرش، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م): (١/ ١٣٥).

(٣) ينظر: القاسمي، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م): (٤/١٦٧).

سبحانه هو الصمد الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك، بل حقيقة الصمدية وكمالها له وحده واجبة لازمة لا يمكن عدم صمديته بوجه من الوجوه، كما لا يمكن تثنية أحديته بوجه من الوجوه، فهو أحد لا يماثله شيء من الأشياء، ودل قوله (الأحد الصمد) على أنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فإن الصمد هو الذي لا جوف له ولا أحشاء، فلا يدخل فيه شيء، فلا يأكل ولا يشرب سبحانه وتعالى، كما قال: ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام: ١٤] وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٧][(١)].

وقد ذكر الماوردي ونقل عن العلماء في معنى الصمد عشرة أقوال كلها متكاملة وتصب في معنى واحد وإن كان ظاهرها يوحي بالاختلاف إلا أن هذا الاختلاف يحمل على كونه من اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، وهذه الأقوال العشرة هي: **الأول:** أن الصمد: المصمت الذي لا جوف له، قاله الحسن وعكرمة والضحاك وابن جبير، **الثاني:** هو الذي لا يأكل ولا يشرب، قاله الشعبي، **الثالث:** أنه الباقي الذي لا يفنى، قاله قتادة، وقال الحسن: إنه الدائم الذي لم يزل ولا يزال، **الرابع:** هو الذي لم يلد ولم يولد، قاله محمد بن كعب، **الخامس:** أنه الذي يصمد الناس إليه في حوائجهم، قاله ابن عباس، **السادس:** أنه السيد الذي قد انتهى سؤدده، قاله أبو وائل وسفيان، **السابع:** أنه الكامل الذي لا عيب فيه، قاله مقاتل، الثامن: أنه المقصود إليه في الرغائب والمستغاث به في المصائب، قاله السدي، **التاسع:** أنه المستغني عن كل أحد قاله أبو هريرة، **العاشر:** أنه الذي يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد، قاله الحسين بن فضيل[(٢)].

والمتأمل لهذا الاختلاف في معنى الصمد يظهر له بكل وضوح تكامل هذه المعاني فيما بينها من جهة وفيما بينها وبين سياق السورة على العموم من جهة أخرى، فمعنى (الصمد) لم يكد يخرج عن معنيين متكاملين – السيد والأحد الذي لا جوف له– إذا ما جمعا معا ووصف بهما على الاستقلال اللفظي، ومنفردين في المعنى فكل واحد مستقل بمعناها مع احتماله لمعنى الآخر، إذ إن صفات المولى جل جلاله لا تحمل إلا على الكمال دون النقص، فحاصل جمع المعنيين وتكاملهما أن الله تبارك وتعالى هو الواحد الأحد الصمد الذي لا جوف له، فلم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وهو بهذه الصفات العلية المستحق للسيادة والقهر والغلبة.

وأما إذا أفردت معاني الصمد وفصل الكلام فيها فإن الدلالة في معاني الصمد يمكن من خلالها

(١) ينظر: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – السعودية، ط٣، (١٤١٩ه): (١٠/ ٣٤٧٤)، والألوسي، محمود شكري بن عبد الله، غاية الأماني في الرد على النبهاني، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط١، (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م): (٣٦٧/٢).

(٢) ينظر: الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت: (٦/ ٣٧٢)

تقسيم صفات المولى عز وجل إلى قسمين متكاملين في المعنى ومنفصلين في الدلالة، فتفسير معنى (الصمد): بالسيد، يفهم من صفات الخلق وتدبير شؤون الخلائق والأكوان والحكم والسيادة والعدل والقضاء وما يدخل تحت هذه الصفات من صفات الوحدانية والكمال، وأما حمل تفسير (الصمد): بأنه الذي لا جوف له وما يدخل في معناها، فإن الدلالة فيه تكون للصفات الذاتية بالمولى جل جلاله فهو الذي لا جوف له فلم يلد ولم يولد، فهو لا يرث بذلك ولا يورث وليس له كفوا ولا يكافئه أحد، المتفرد بكل صفات الكمال والجلال، المنزه عن كل نقص وعيب تبارك وتعالى وتقدست أسماؤه.

فما ذكرته آنفا فيه مجمع ما ذهب إليه أهل التفسير في معنى(الصمد) من حيث اللغة ومن حيث أسباب النزول.

وأما دلالة هذا الاسم العظيم والصفة الجليلة للمولى جل جلاله وتقدست أسماؤه في ضوء اختلاف القراءات القرآنية والعلاقة بين اختلاف المعنى فيه وبين القراءات من جهة وبين معانيه وبين السياق القرآني للسورة من جهة أخرى، **فيمكن إبرازه من خلال الوجوه الآتية:**

الوجه الأول: العلاقة بين معنى (الصمد) وبين معنى (الواحد والأحد) على رأي من قال بأنهما بمعنى واحد، وقد سبقت الإشارة إلى اختلاف المفسرين في معنى(الواحد والأحد) والفرق بينهما بين ثنايا هذا البحث، وخلاصة القول فيه أنهما إما بمعنى واحد عند بعض المفسرين، ومن قال بذلك فقد حمل معنى كل واحد منها على معنى الأخر إما صراحة وإما احتمالا، فقالوا بأن الأحد هو الله الصمد السيد الذي لا جوف له، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا من خلقه ليس كمثله شيء، وإليه تلجأ الخلائق وتصمد بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير.

والوجه الثاني: أنهما بمعنيين مختلفين متكاملين ولكل واحد منها دلالاته اللغوية والعقدية، واحتجوا لذلك أنهما قد ذكر منفصلين في مواضع عديدة فلهما بذلك دلالات مختلفة من جهة ومن جهة أخرى فإن هذين الاسمين(الواحد والأحد) لهما دلالات لغوية وعقدية وتشريعية من خلال تكامل معانيهما مع سياق اللفظين السابقين.

ويمكن تقريب ذلك من خلال عرض بعض التوافق المعنوي بينهما وبين لفظ الصمد من خلال الآتي:

أولا: إن لفظ الأحد أكمل وأشمل من الواحد في هذا الموضع؛ وذلك أن الأحد ليس له ثان ولا ثالث ولا رابع، وهو المتفرد الذي لم يلد ولم ويولد، فيوافقه معنى الصمد الذي هو بمعنى: المصمت الذي لا جوف له، الحي الباقي الدائم الذي لا يفنى.

ثانيا: إن معنى الواحد يوافقه معنى الصمد الذي هو: السيد الذي قد كمُل في سُؤدَده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني

الذي قد كمل في غناه، والجبَّار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته، فلا تنبغي إلا له[١].

الوجه الثالث: معنى الصمد في ضوء تكامل القراءات ودلالات السياق القرآن للسورة، وعلى هذا الوجه يمكن حمل معنى (الواحد والأحد والصمد) على التكامل والترابط من خلال اختلاف القراءات فيها، فإن من ذهب من المفسرين إلى أنهما بمعنى واحد، فإنه قد فسر المعنى على ما يحتمله سياق السورة وعلى أسباب النزول، فمفهومها يوحي بأنهما بمعنى واحد، فالله هو الأحد وهو الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فبهذا المعنى تكون الآيات اللاحقة من السورة تفسيرا لقوله: (قل هو الله أحد) أو (قل هو الله الواحد) فيكون الجواب ما بعدها.

ويمكن الاستئناس لهذا الرأي بحديث ابن عباس الذي طالب فيه وفد نجران بكمال الإيضاح لمعنى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ونصه " أن وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أساقفة من بني الحارث بن كعب منهم العاقب والسيد من مذحج فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك أمن زبرجد أم من يا قوت أم من ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم" إن ربي ليس من شيء كان بان من الأشياء ولم تكن الأشياء منه" فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ الذي ليس كمثله شيء، فقال هذا أنت واحد وهذا واحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس كمثله شيء كل أحد يموت إلا هو) قالوا زدنا في الصفة فأنزل: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ فقالوا: "وما الصمد" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: السيد الذي يصمد إليه في الحوائج كقوله: ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣] يريد إليه تستغيثون قالوا زدنا في الصفة فأنزل الله: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ كما ولدت مريم ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ كما ولد عيسى ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ يريد نظيرا من خلقه فأنكروا ذلك وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم يلاعنهم فأجابوه إلى ذلك وقالوا أخرنا ثلاثا يوم الرابع نلاعنك فقالت اليهود والنصارى لا تلاعنوه فإنه نبي يستجاب له فيكم" [٢].

وأما من حملها على معنيين مختلفين، فقد احتج لذلك بورود أكثر من قراءة في نفس الموضع وأنه سبحانه وتعالى قد أفرد كل واحد منهما في موضع مختلف، فكان لزاما أن يكون لكل واحد منهما دلالات تميزه عن الآخر، فبين الواحد والأحد اختلاف وتوافق، فبذكرهما معا في هذا الموضع عُمل بقواعد اللغة العربية وأن إعمال اللفظ أولى من تركه،

(١) ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م): (٢٤/ ٦٩١-٦٩٢، ٧٣٢).

(٢) الهروي ذم الكلام وأهله: (٤/١٠٠-١٠٣).

وكل زيادة في المبنى زيادة في المعنى، ففي ذكرهما معا في موضع واحد إثبات لجميع صفات الكمال في التفرد والوحدانية الملكوت، ونفي كل صفات النقص عن تبارك وتعالى من خلال جمع معانيهما وتكامله.

المسألة الرابعة: اختلاف القراء في (كفوا وكفؤا):

قرأ حفص عن عاصم وابن جماز عن أبي جعفر: (كُفُوا) بإبدال الهمز واوا في الحالين –وقفا ووصلا– وضم الواو، وقرأ أبو جعفر ونافع في رواية بتسهيل الهمز، وروي عن أبي جعفر وحمزة (كفوا) بإبدال الهمز وإسكان الفاء، وقرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي وأبو عمرو في رواية اليزيدي، ونافع وقالون وغيرهم من طرق مختلفة: (كُفُؤا)مهموزا مثقلا، وقرئ: (كُفْؤا) بتخفيف الفاء مع الهمز، وصورتها في كتابتنا القياسية (كُفْئا)، وروي عن ابن عباس: (كِفاء) بكسر الكاف والمد[١]، وقرأ نافع في رواية: (كِفى) بكسر الكاف من غير مد، وروي عنه أنه قرأ: (كُفَى) من غير همز، فقد نقل حركة الهمزة إلى الفاء وحذف الهمزة.

وقرئ: (كِفْئا) بكسر الكاف وسكون الفاء وهمز بعدها، وهي لغة، وقرئ: (كِفْوا) بكسر الكاف وسكون الفاء وإبدال الهمز واوا[٢].

وأما حمزة فإن له في الوقف الوجوه التالية:

١– نقل حركة الهمزة إلى الفاء ثم حذف الهمزة وهذا هو القياس.

٢– إبدال الهمزة واوا مفتوحا مع إسكان الفاء: (كُفْوا) وذلك على اتباع الرسم.

٣– تسهيل الهمزة بين بين، وضعفه بعضهم.

٤– ضم الفاء مع إبدال الهمزة واوا: (كُفُوا) وهذا الوجه كقراءة حفص ومن وافقه.

وقرأ ورش بنقل حركة الهمزة إلى التنوين وحذف الهمزة في الوصل: (كفون احد)، قال النشار(ت: ٩٣٨هـ): " وليس هذا النقل كنقل حمزة المذكور؛ لأن حمزة ينقل في الوقف حركة الهمزة إلى الفاء التي هي ساكنة عنده، وورش إنما ينقل حركة الهمزة من (أحد) إلى التنوين من: (كفوا) إذا وصل: (كفوا بـ (أحد)"[٣].

(١) ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: (١/ ٣٩٥ ، ٤٨٢)، والبنا إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: (١٨١)، والخطيب، معجم القراءات: (٦٣٩/١٠-٦٤٠).

(٢)ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: (١/ ٣٩٥ ، ٤٨٢)، والبنا إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: (١٨١)، والخطيب، معجم القراءات: (٦٣٩/١٠-٦٤٠).

(٣) النشَّار، عمر بن قاسم بن محمد بن علي، المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر ويليه/ موجز في ياءات الإضافة بالسور، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م): (٥٥١).

المسألة الخامسة: اختلاف المفسرين في معاني(كفوا أحد) في ضوء اختلاف القراءات:

اختلف المفسرون وموجهو القراءات القرآنية في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ اختلاف تنوع في معنى (كفوا) ومجمل اختلافهم يدور حول معان متقاربة في الدلالات مختلفة في الأصول، ويمكن حمل اختلاف التنوع هذا إلى عدة عوامل، فالأول: تناسب معاني الآية مع ما قبلها من السياق القرآني، الثاني: الاشتقاق اللفظي للكلمة واختلاف معانيها بسبب تخفيف الهمز وتحقيقه ومخالفة ذلك لقاعدة العمل بتخفيف الهمز المشروط بعدم اختلاف المعنى والذي لم ينطبق الشرط على ما ههنا انطباقا كليا، والسبب الثالث: المؤثر في اختلافهم في تأويل هذه الآية هو سبب النزول، والرابع: وهو الأكثر أهمية مما سبق هو أن الآية خصوصا والسورة عموما تتحدث عن صفات المولى جل جلاله وتقدست أسماؤه، حيث إن هذه الصفات باتفاق العلماء المشهود لهم بالفضل والعلم وسلامة الاعتقاد تحمل على جهة الكمال في الصفات والأسماء وأن الله تبارك وتعالى مبرأ من كل عيب ونقص، وقد ذهب كثير من العلماء في هذه الآية إلى ذكر المعاني التي تدل على هذا الكمال والجلال، فمنهم من تفرد بذكر لفظ واحد، ثم حمل هذا اللفظ على جميع ما يمكن وصفه به تبارك وتعالى من صفات الكمال والجلال والإكرام، كما نقل عن ابن جريج ومجاهد وغيرهما بأن معنى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أي: مثل[١]، وقال آخرون: معنى ذلك، أنه لم يكن له صاحبة، وروي عن مجاهد أيضا: مثله، وفسر الكرماني قول مجاهد فقال: " ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أي: لا يماثله ولا يساويه أحد، فلا صاحبة له؛ لأن المرأة كفؤ الرجل، والمعنى: لا ولد له ولا والد له ولا صاحبة[٢]، وعن ابن عباس قال: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ليس كمثله شيء، فسبحان الله الواحد القهار[٣].

في حين أن بعض المفسرين استعمل أكثر من لفظ في تفسير هذه الكلمة – كفوا – كقول ابن عطية: " ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ معناه: ليس له ضد ولا ند ولا شبيه، والكفأ والكفؤ والكفاء النظير"[٤]، وقال أبو العالية قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾: لم يكن له شبيه، ولا عِدْل، وليس كمثله شيء[٥].

وهم بذلك أقرب إلى تفصيل معناها وأكمل؛ فإن زيادة المباني زيادة في المعاني، ويمكن الاحتجاج لمذهب هؤلاء بسبب نزول السورة فإنها نزلت في وفد وجماعة من الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه

---

(١) ينظر: الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، غرائب التفسير وعجائب التأويل، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت: (٢/ ١٤٠٨).
(٢) ينظر: الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل: (٢/ ١٤٠٨).
(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان: (٢٤/ ٦٩٣).
(٤) ابن عطية، المحرر الوجيز: (٥/ ٥٣٧).
(٥) ينظر: الطبري، جامع البيان: (٢٤/ ٦٩٣).

وسلم عن صفة ربه تبارك وتعالى، فلما أجابهم بقوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ قالوا زدنا –أي زدنا تفصيلا– فقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ فقالوا زدنا فقال: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ فلما طلبوا المزيد من التفصيل قال: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ فكمال التفصيل في أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته يتجلى ويتضح اتضاحا كاملا من خلال تكامل معاني السورة جميعا، وإن كان كل لفظ منها يحتمل ما في باقي الأسماء والصفات جميعا، كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم عن ربه جل جلاله حيث قال: " قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي: فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد"(١).

قال الرازي معلقا على المعنى في سياق الحديث: " فانظر كيف احتج الله تعالى في المقام الأول بالقدرة على الابتداء على القدرة على الإعادة، وفي المقام الثاني احتج بالأحدية على نفي الجسمية والوالدية والمولودية(٢).

فانظر كيف بيّن الله تبارك وتعالى صفاته العلية بنفيه كذب وافتراء ابن آدم عليه بألفاظ متلاحقة متكاملة يكمل بعضها بعضا ويفسر بعضها بعضا – وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد– وهو ذات السياق الذي سار عليه القرآن الكريم في كثير من المواضع، وإن كان هذا السياق جاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم كغيره من الأحاديث القدسية.

وحاصل اختلافهم في معناها لا يكاد يخرج عن ثلاثة وجوه: **أحدها:** لم يكن له مثل ولا عديل، قاله أبي بن كعب وعطاء، **الثاني:** يعني لم تكن له صاحبة، فنفى عنه الولد والوالدة والصاحبة، قاله مجاهد، **الثالث:** أنه لا يكافئه من خلقه أحد، قاله قتادة وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ولم يكن له أحد كفوا(٣).

وأما معنى(كفوا) من حيث اللغة فهو يحتمل معنيين رئيسيين، لا يكاد معناها يخرج عنهما بحال، فأحدهما من الكفاءة والآخر من المكافأة بمعنييها، بمعنى الكفاءة كالمعنى الأول، وإما من المكافأة التي هي المجازاة على الشيء بالشيء مثله، **وفيما يلي تفصيل ذلك:**

قال ابن منظور في لسان العرب: " كفأ: كافأه على الشيء مكافأة وكفاء: جازاه، تقول: ما لي به قبل ولا كفاء أي ما لي به طاقة على أن أكافئه"(٤)، وفي الحديث: "..فنظر إليهم فقال: من يكافئ هؤلاء.."(٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) رقم(٤٤٨٢) صحيح البخاري: (٦/ ١٩).
(٢) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: (٢/ ٣٢٧).
(٣) ينظر: الماوردي، النكت والعيون: (٦/ ٣٧٢).
(٤) ابن منظور، لسان العرب،: (١/ ١٣٩-١٤٠).
(٥) حديث صحيحٌ، رجاله رجال الصحيح، إلا محمد بن عثمان الثقفي، وقد قال أبو حاتم: إنه ثقة، كما في (تهذيب التهذيب) ووقد خرجه أحمد في مسنده برقم(١٨٩٣٧) باب حديث صهيب بن سنان من النمر بن قاسط، ينظر: ابن حنبل، مسند أحمد: (٣١/ ٢٦٧)، والوادعي، مقبل بن هادي(١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين، الناشر: دار الآثار - صنعاء، ط٤: (١/ ٤٣٣).

والكفيء: النظير، وكذلك الكفء والكفوء، على فعل وفعول، والمصدر الكفاءة، بالفتح والمد، وتقول: لا كفاء له، بالكسر، وهو في الأصل مصدر، أي لا نظير له. والكفء: النظير والمساوي، ومنه الكفاءة في النكاح، وهو أن يكون الزوج مساويا للمرأة في حسبها ودينها ونسبها وبيتها وغير ذلك، وتكافأ الشيئان: تماثلا، وكافأه مكافأة وكفاء: ماثله، ومن كلامهم: الحمد لله كفاء الواجب أي قدر ما يكون مكافئا له، والاسم: الكفاءة والكفاء[١].

وقال الزجاج:"(كُفُواً) فيها أربعة أوجه، بضم الكاف والفاء، و(كُفْواً) بضم الكاف وسكون الفاء، و(كِفْواً) " بكسر الكاف وسكون الفاء، وقد قرئ بها، و(كِفَاء) بكسر الكاف، والكَفْء – بفتح الكاف وسكون الفاء– اسم، لم يقرأ بها، وفيها وجه آخر لا يجوز في القراءة، ويقال فلان كُفءُ فلان، مثل: كُفِيّ فلان"[٢]، وفيها للقراء وجوه أخرى لم يذكرها الزجاج وإنما ذكر وجه التخفيف وجعله ووجه التحقيق من أصل واحد وجعلهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد، وسيأتي بيان الفرق بينهما.

وفي الحديث: "شاتان مكافأتان"[٣]: مشتبهتان، وقيل: متساويتان، أي متساويتان في السن، أي: لا يعق عنه إلا بمسنة، وأقله أن يكون جذعا، كما يجزئ في الضحايا، وقيل: مكافئتان، أي: مستويتان أو متقاربتان، واختار الخطابي الأول، قال: واللفظة مكافئتان، بكسر الفاء، يقال: كافأه يكافئه فهو مكافئه أي مساويه[٤].

قال ابن منظور: "والمحدثون يقولون مكافأتان، بالفتح، قال: وأرى الفتح أولى لأنه يريد شاتين قد سوي بينهما أي مساوى بينهما. قال: وأما بالكسر فمعناه أنهما مساويتان، فيحتاج أن يذكر أي شيء ساويا، وإنما لو قال متكافئتان كان الكسر أولى"[٥].

ونقل عن الزمخشري بأنه لا فرق بين المكافئتين والمكافأتين، لأن كل واحدة إذا كافأت أختها فقد كوفئت، فهي مكافئة ومكافأة، أو يكون معناه: معادلتان، لما يجب في الزكاة والأضحية من الأسنان، قال: ويحتمل مع الفتح أن يراد مذبوحتان، من كافأ الرجل بين البعيرين إذا نحر هذا ثم هذا معا من غير تفريق؛ كأنه يريد شاتين يذبحهما في وقت واحد، وقيل: تذبح إحداهما مقابلة الأخرى، وكل شيء ساوى شيئا، حتى يكون مثله، فهو مكافئ له، والمكافأة بين الناس

(١) لسان العرب، لابن منظور: (١/ ١٣٩-١٤٠)
(٢) الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م): (٥/ ٣٧٨)
(٣) حديث حسن، أخرجه الإمام أحمد في مسنده وصححه الحاكم ووافقه الذهبي: ينظر: مسند الإمام أحمد: (١١/ ٣٢١)، وابن البيع، المستدرك على الصحيحين: (٤/ ٢٦٦).
(٤) ينظر: أبو السعادات، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م): (٤/ ٣٣٧).
(٥) ابن منظور، لسان العرب: (١/ ١٣٩-١٤٠)، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، شرح السيوطي لسنن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، (١٤٠٦ه – ١٩٨٦م): (١٦٣/٤).

من هذا، يقال: كافأت الرجل أي فعلت به مثل ما فعل بي، ومنه الكفء من الرجال للمرأة، تقول: إنه مثلها في حسبها[١]، وروي عن كعب، قال: إن الله –تعالى ذكره– أسس السموات السبع، والأرضين السبع، على هذه السورة ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ وإن الله لم يكافئه أحد من خلقه"[٢]، فقوله: لم يكافئه أحد يحتمل وجهين متكاملين، أي: لم يكن له نظير ولا شبيه ولا مثيل، والثاني: أنه ليس أحد من خلقه يستطيع أن يكافأه على خلقه لذلك فيقابله بالإحسان إحسانا وبالجزاء جزاء يوافي صنيعه ونعمه تبارك وتعالى، ومصداق ذلك قوله جل جلاله: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم: ٣٤).

والمتأمل لجميع وجوه القراءة بالأحرف السبعة من خلال تنوع القراءات واختلافها في(كفوا) مخففا ومحققا، يظهر له جوامع هذا الاختلاف من وجوه: **الوجه الأول:** والمراد به اختلاف القراءات في(كفوا) وهو على حالين لا ثالث لهما، إما القراءة: بتحقيق الهمز، وله وجوه في القراءة مختلف فيها، وإما القراءة: بالتخفيف، وله أيضا وجوه للقراءة مختلف فيها، وفي الحالين يمكن حصر أقوال الموجهين فيها على نحوين أيضا لا ثالث لهما: الأول: أن التخفيف والتحقيق بجميع صورهما لغتان مشهورتان ومقروء بهما على وجوه متواترة وأخرى شاذة، بحسب استكمال كل وجه منها لشروط القراءة الصحيحة، والثاني: أنهما بمعنيين مختلفين ومن أصلين مختلفين، وهذا الوجه يحتاج لمزيد إيضاح وكثير بيان، فهما وإن كانا بمعنيين مختلفين، إلا أن جعلهما من أصلين مختلفين قد يتعسر من وجوه، فمنها أن المعنيين متكاملين وكل واحد منهما يحمل معنى الآخر، والثاني: أن جعلهما من أصلين مختلفين قد يشكل علينا من حيث إسناد كل قراءة من القراءة المتواترة الصحيحة إلى أصل من هذه الأصول وهذا متعذر لشدة التكامل والتوافق بينهما.

وعلى هذا فإنه لا يمكن الخروج من هذا الإشكال إلا بجعلهما بمعنيين متكاملين متوافقين يعضد أحدهما الآخر، فهما من أصل واحد، إذ أن أحدهما محقق بالهمز، والثاني مخفف منه، فيكون بينهما على هذا النحو عموم وخصوص في المعنى، فيحمل المهموز على الأصل فيكون معنى(كفؤا) بمعنى المكافئ والنظير والمثيل وكذلك الذي لا يكافئه أحد ولا يساويه ولا يقدر أحد أن يوافي نعمه أو يجازيه عليها، وذلك لاستكماله تبارك وتعالى لصفات الكمال في الخلق والتدبير، **والوجه الثاني:** (كفوا) بالتخفيف لفظا ومعنى، فيحمل معناه على أحد المعنيين دون الآخر، فهو بمعنى المكافئ الذي ليس كمثله شيء، فلا شبيه له ولا نظير، فانحصر معناه على هذا، وهو مذهب كثير من المفسرين، كما

(١) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: (١/ ١٣٩-١٤٠)، والسيوطي، شرح السيوطي لسنن النسائي: (١٦٣/٤).
(٢) الطبري، جامع البيان: (٢٤/ ٦٩٣)

سبق بيانه في مطلع هذا المبحث، وعلى كل حال فإن حمل المهموز على هذا المعنى يقبل أن يدخل فيه المعنى الآخر ولو احتمالا، وذلك لاشتراكهما في الأصل، والله أعلم.

المبحث الثالث: تكامل القراءات المتواترة والشاذة وتكاملها في سورة الإخلاص ودلالاتها العقدية، وفيه ثلاثة مطالب:

وتكمن أهمية هذا التعاضد والتكامل في وجوه القراءة المختلف فيها في هذه السورة من نواح عديدة وجوانب بالغة الأهمية، وكل ذلك مصبه في مسار واحد هو إعجاز القرآن الكريم للجن والإنس في ألفاظه ومعانيه، وسأبرز من خلال التفصيل الآتي التناسق والتكامل لمعاني القراءات القرآنية، من خلال الوجوه الآتية:

المطلب الأول: التكامل اللغوي والمعنوي للقراءات القرآنية في (قل هو الله أحد، وقل هو الله الواحد) [١]:

وهو على قسمين: القسم الأول: فعلى قراءة من قرأ من غير(قل وهو) فإن معنى القراءة على هذا الوجه يحمل بلاغيا على جهة الإخبار على صفة الكمال بأن الله تبارك وتعالى هو الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وهي على هذا الوجه أمرٌ بصيغة الإخبار، فوجوب الإيمان بذلك والعمل بمقتضاه شرط من شروط الإيمان والتوحيد لا يكتمل إلا به.

وأما القراءة على وجه من أثبت اللفظين(قل وهو) فهو أمرُ صريح بوجوب الإيمان وإخلاص التوحيد، على صيغة الإنشاء والأمر والطلب، والأمر فيه عام وخاص، فالعام فيه إبلاغ للنبي صلى الله عليه وسلم أن يؤمن بذلك وأن يأمر قومه أن يؤمنوا بذلك ويصدقوه وأن يعملوا بمقتضاه، وأما على الخصوص، ففيه أمرٌ للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يرد على كل من سأله عن صفة الله جل جلاله سواء كان السائل يهوديا أو نصرانيا أو من مشركي قومه، ويدخل في ذلك كل من جهل صفات المولى عز وجل، كان مؤمنا أو كان كافرا.

وفي العموم وعلى الوجهين معا – القراءة بحذف اللفظين أو إثباتهما– فإن المعنى لم يزل متكاملا، ومشتملا لجميع المعاني وإن تفردت بعض الوجوه بلاغيا لحكم أخرى[٢].

القسم الثاني: ويراد به التكامل اللفظي والمعنوي في(الله أحد، والله الواحد):

وفيه أن كل واحد من اللفظين له دلالات خاصة ودلالات عامة، وقد سبقت الإشارة إلى الفروق بينهما في الاشتقاق والمعاني في مبحث سابق، وخلاصة التكامل بينهما: أنهما إذا ما تفرد بهما قارئ بقراءة مستقلة فإن كل واحد منهما يحتمل معنى الثاني ولو احتمالا من حيث الخصوص، وأما من حيث العموم

(١) ينظر: ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع،: (١٨٥)، د/ عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات: (١٠/٦٣٥-٦٣٦).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٢٠/ ٢٤٥- ٢٤٦).

فإنهما يكونان بمعنى واحد، فإن جميع صفات المولى تبارك وتعالى المأخوذة من أحدهما هي نفسها وبذاتها تنطبق على الآخر، ولا ينبغي لأحد أن يصفه تبارك وتعالى بأي صفة من صفات النقص ولو تعريضا، وأما إذا ما اجتمعا في موضع واحد كما في الآية الأولى من سورة الإخلاص فإنه يمكن حمل معاني كل واحد منهما على صفة المبالغة والتأكيد في إثبات باقي الصفات المتعلقة بهذين اللفظين، فالأحد: هو الفرد الصمد الذي لا جوف له، فلا يأكل وليس له والد ولا ولد، ويدخل في هذه المعاني أنه واحد في العد لانتفاء المشابه له والنظير، وأما الواحد، فهو كالأول في المعنى مختلفا قليلا في الدلالة، فهو الواحد الذي لا ثاني له، وهذا يستوجب أن يكون فردا صمدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وبجمع المعاني يتضح التكامل وتتجلى الدلالات اللفظية والمعنوية لاختلاف القراءات القرآنية هنا.

المطلب الثاني: تكامل معاني القراءات في لفظ(الصمد) [١]:

سبقت الإشارة إلى اختلاف المفسرين في معنى الصمد، وأن اختلافهم في معناه لا يخرج عن معنيين رئيسيين متكاملين ومتوافقين، فهما إما بمعنى: الذي لا جوف له فهو لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وهو الذي لا يأكل ولا يشرب، فاستوجب بذلك جميع صفات الكمال، والمعنى الثاني: أنه تبارك وتعالى السيد المتفرد بالسؤدد الذي خضع له كل شيء الواحد القهار الذي تصمد إليه الخلائق في حاجاتها.

وعلى هذه المعاني فإنه يمكن القول بأن تفسير معنى الصمد بأنه الذي لا جوف له فلم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، يناسب وجه القراءة على وجه من قرأ: (الله أحد)؛ وذلك لوضوح التوافق اللفظي بين المعنيين، فمعنى الأحد يراد به الذي لا جوف له ولا والد له ولا صاحبة ولا ولد، وهذه الصفات والمعاني هي نفسها معاني الصمد على الوجه الأول.

وأما تفسير معنى الصمد: بالسيد الذي له السؤدد وإليه تصمد حوائج الخلق فيناسبه قراءة من قرأ: (الله الواحد) فإن الواحد في الملك والسيد المتصرف في شؤون الكون المتفرد بتدبير الأمر، لا ينبغي إلا أن يكون إلها واحد، متفردا بالحكم، إذ لو كان هناك إله آخر أو آلهة أخرى لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، لقوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء: ٢٢).

وعلى الوجهين فإنه ومع بديع هذا الإشارات ولطائف دلالتها في هذه الآيات إلا أنه لا ينبغي الجزم بهذا المعني على الحصر، وإنما تحمل جميعها على التنوع والتوافق والتكامل، وأن كل لفظ منها يحتمل ما يحتمله الآخر إما ضما وإما صراحة، والله أعلم.

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان: (٦٩١/٢٤-٦٩٢، ٧٣٢).

المطلب الثالث: تكامل معاني القراءات في (كفوا)[١]:

ذكرت في مبحث سابق اختلاف المفسرين والقراء في معاني القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ وخلاصة ما ذهب إليه المفسرون في معنى (كفوا) لا يكاد يخرج عن معنى من المعاني الثلاثة، فالأول: أنه بمعنى الشبيه والعدل، والثاني: المكافئ له على صنيعه، والثالث: بمعنى: لا ثاني له[٢].

وأما القراء فقد اختلفوا في وجوه قراءتها على وجوه عديدة[٣]، ويمكن حصر معانيها بناء على وجهين رئيسيين، إما على التثقيل بالهمز لفظا، فيحمل معناها على العموم فيكون الكفؤ والكفو بمعنى واحد تدخل فيه الوجوه الثلاثة الذي ذكرها المفسرون، وهي انتفاء المكافأة والمساوة له والمشابهة له جل جلاله، وإما من المجازاة له والمكافأة على صنيعه وإما أنه لا ثاني له.

وإما على التخفيف لفظا ومعنى، فيحمل لفظ (كفوا)مخففا، على انتفاء النظير والشبيه والمثيل له سبحانه وتعالى، وعلى العموم من ذلك فإن صحة القراءة بالوجهين معا في هذا الموضع بجميع أحرف القراءة المختلف فيها يستوجب إعمال الألفاظ؛ لأنه أولى من تركها، فإن حمل معناها على المكافأة والمجازاة والمماثلة وأنه لا ثاني له أولى من ترك أحدها، وأما عند حمل معنى المهموز على المكافأة والمجازاة فقط بحسب مدلوله اللغوي فإنه يُحمل على ذكر الخاص بعد العام، على سبيل المبالغة والتوكيد والعكس كذلك صحيح، فإن حمل (كفوا) على أنه لا نظير له ولا شبيه له ولا عدل له، يدخل فيه ضمنا أنه لا يكافئوه أحد ولا يجازيه على إنعامه أحد، كيف ذلك وبيده ملكوت السموات والأرض وعند خزائنها.

فإذا ما ذهبنا إلى جمع معاني هذين اللفظين في هذا الموضع فإنه كما ذكرت آنفا يزداد معناهما اتضاحا وتكتمل المعاني بتنوع القراءة واختلاف دلالاتها، فإن كل واحد منهما على إفراد كل قراءة أو حرف قرآني يحتمل معنى الآخر إما ضمنا أو احتمالا، والله أعلم.

وخلاصة التَّأمُل في تكامل القراءة في هذه السورة يمكن وصفه من ثلاثة وجوه[٤]:

الأول: تكامل القراءات الواردة في كل آية مثل: تكامل قراءتي(الواحد والأحد) وقراءتي (كفوا وكفؤا).

والثاني: تكامل معاني القراءات مع معاني وغريب الألفاظ في السورة، مثل: تكامل معاني (الواحد والأحد) مع معاني (الصمد) وتكامل معاني (الصمد) مع قراءتي(كفوا وكفؤا).

والثالث: تكامل معاني القراءات في السورة عموما، مثل: تكامل معاني الأحد مع الصمد الذي

(١) ينظر: الماوردي، النكت والعيون: (٦/ ٣٧٢).
(٢) الطبري، جامع البيان: (٢٤/ ٧٣٨-٧٤١).
(٣) ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: (١/ ٣٩٥ ، ٤٨٢)، والبنا إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: (١٨١)، والخطيب، معجم القراءات: (٦٣٩/١٠-٦٤٠).
(٤) ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: (١/ ٣٩٥ ، ٤٨٢)، والبنا إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: (١٨١)، والخطيب، معجم القراءات: (٦٣٩/١٠-٦٤٠).

لا جوف له فلم يلد ولم يولد، ولا شبيه له ولا نظير، مع ما يوافقها من معاني كفوا، الذي هو لا يكافئه لا يشابهه ولا يساويه أحد.

وكذلك توافق الواحد مع معنى الصمد الذي له السؤدد وكمال الملك وإليه تصمد الخلائق في حاجاتها وتلتجأ إليه، مع ما يوافقها من معاني(كفؤا) الذي بمعنى لا يجازيه على إحسانه ولا إنعامه أحد، فهو الغني بذاته عن غيره والكل محتاج إليه.

الخاتمة

وتشمل: أهم النتائج والتوصيات:

بعد أن منّ الله عليّ وأعانني على إتمام هذا البحث والذي أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعني به في الدنيا والآخرة أحببت أن أدوّن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، وهي كالتالي:

أولاً النتائج:

١- تنوعت الأساليب البلاغية في سورة الإخلاص باختلاف القراءات القرآنية ما بين الخبر والإنشاء، وقد انعكس ذلك على معاني مفردات السورة ودلالاتها اللفظية والمعنوية.

٢- كان لاختلاف القراء في لفظي(الواحد والأحد) الأثر الكبير في تفصيل معاني القراءات وشمولها لجميع صفات الكمال والجلال للمولى جل جلاله، وكذلك اختلافهم في (كفؤا وكفوا).

٣- تنوع تكامل القراءات القرآنية في سورة الإخلاص على صور عدة، منها:

أولا: تكامل القراءتين في(أحد والواحد) مع معنيي الصمد الذي اختلف المفسرون فيه.

ثانيا: تكامل معاني(الصمد) المختلف فيها مع وجوه القراءات في(كفؤا وكفوا) بالتحقيق والتخفيف بجميع صورها.

ثالثا: تكامل معاني(الواحد والأحد) مع (كفؤا وكفوا).

رابعا: تكاملت معاني القراءات في(الأحد والواحد) مع معاني(الصمد) مع معاني القراءات في(كفؤا وكفوا).

٤- عند إفراد كل قراءة من القراءات القرآنية في السورة فإنه يمكن حمل جميع معانيها على معاني القراءات جميعا إما ضمنا وإما احتمالا.

ثانيا: التوصيات والمقترحات:

توصي الباحثة بإجراء الدراسات والبحوث التالية:

١- دراسة اختلاف أصول القراءات بين التحقيق والهمز في جميع القرآن وتتبع دلالاتها المعنوية واللغوية والحكمية.

٢- دراسة القراءات الواردة في صفات المولى تبارك وتعالى في جميع القرآن الكريم وتتبع دلالاته العقدية.

٣- دراسة الأساليب البلاغية كالخبر والإنشاء وغيرها في القرآن الكريم في ضوء اختلاف القراءات القرآنية.

المراجع والمصادر

ـ**القرآن الكريم.**

ـالإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلي علم الأصول، للبيضاوي) (ت – ٧٨٥هـ)، تأليف: علي

بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده: عبد الوهاب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .

ـإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، المسمى(منتهي الأماني والمسرات في علوم القراءات) لأحمد بن محمد البنّا، تحقيق: د/ شعبان محمد إسماعيل، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ومكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

ـالأحرف السبعة للقرآن، لأبي عمرو الداني، تحقيق: د/ عبد المهيمن الطحّان، الناشر: دار المنارة للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

ـأسباب النزول، علي بن أحمد، الواحدي، النيسابوري، الناشر : مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.

ـاشتقاق أسماء الله، عبد الرحمن بن إسحاق، النهاوندي(ت: ٣٣٧هـ) تحقيق: د/ عبد الحسين المبارك، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

ـإعراب القرآن، لأحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: د/ زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

ـإيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري(ت: نحو ٥٥٠هـ) تحقيق: د/ حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

ـالتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الأسفراييني(ت: ٤٧١هـ) تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب – لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

ـالتحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، الطبعة التونسية ،١٩٩٧م.

ـالتسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ) تحقيق: عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.

ـتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي(ت: ٣٢٧هـ) تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – السعودية، ط٣ ١٤١٩هـ.

ـتفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د/ مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

ـتقريب التدمرية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين(ت: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري (ت: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

ـ الجامع الصحيح، سنن الترمذي، محمد بن عيسى، أبو عيسى، الترمذي، السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ـالجامع لأحكام القرآن والمُبيِّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، محمد بن أحمد بن أبي بكر، القرطبي، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

ـحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسمّاة: (عناية القاضي وكفاية الرّاضي على تفسير البيضاوي)، أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي(ت: ١٠٦٩هـ) الناشر: دار صادر – بيروت.

ـحجة القراءات، لأبي زرعة، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعد الأفغاني، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

ـالدر المصون في علوم الكتاب المكنون أحمد بن يوسف السمين الحلبي، دار القلم، دمشق، تحقيق د/ أحمد محمد الخراط.

ـذم الكلام وأهله، عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي(ت: ٤٨١هـ) تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط١، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

ـروضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، المقدسي، الشهير بابن قدامة المقدسي(ت: ٦٢٠هـ) الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

ـزاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد، الجوزي، أبو الفرج(ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

ـسنن الترمذي(الجامع الكبير) محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى(ت: ٢٧٩هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.

ـشرح السيوطي لسنن النسائي، عبدالرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل، السيوطي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

ـشرح مقدمة في أصول التّفسير، لابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ)، شرح: د/ مساعد بن سليمان الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢، ١٤٢٨هـ.

ـالصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

ـصحيح البخاري(الجامع الصحيح المختصر)، محمد بن إسماعيل البخاري، الجعفي، تحقيق وتعليق: د/ مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

ـالصحيح المسند مما ليس في الصحيحين، مقبل بن هادي الوادعي (ت: ١٤٢٢ هـ)الناشر: دار الآثار – صنعاء، ط٤، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

ـالعرش، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢ ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

ـالعواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، آل الوزير (ت: ٨٤٠هـ) حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

ـغاية الأماني في الرد على النبهاني، محمود شكري بن عبد الله، الألوسي (ت: ١٣٤٢هـ) تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.

ـغرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: نحو ٥٠٥هـ) الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.

ـفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، الناشر: دار الفكر، بيروت.

ـالقراءات وأثرها في التفسير والأحكام، محمد بن عمر سالم بازمول، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ. ١٩٩٦م.

ـالكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر، أبو القاسم، الزمخشري، الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ـالكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي(ت: ١٠٩٤هـ)، أعده للطبع: د/ عدنان درويش، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

ـلباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، أبو الحسن، المعروف بالخازن(ت: ٧٤١هـ) تحقيق: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

ـلسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين، ابن منظور، الأنصاري(ت: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

ـلطائف الإشارات (تفسير القشيري) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري(ت: ٤٦٥هـ) تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط٣.

ـمجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الحراني(ت: ٧٢٨هـ) تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

ـالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية(ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

ـمختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، للحسين بن أحمد بن خالويه، الناشر: مكتبة المتنبي، القاهرة.

ـالمستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم، أبو عبد الله، الحاكم، الضبي، النيسابوري، المعروف بابن البيع(ت: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

ـمسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.

ـالمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم(صحيح مسلم) مسلم بن الحجاج، النيسابوري(ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ـمشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ) تحقيق: د/ حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

ـالمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي(ت: ٧٧٠هـ): الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.

ـمعالم التنزيل في تفسير القرآن(تفسير البغوي) الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، البغوي(ت: ٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

ـمعاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، الزجاج (ت: ٣١١هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

ـمعجم القراءات، د/ عبد اللطيف الخطيب، الناشر: دار سعد الدين، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

ـمفاتيح الغيب (التفسير الكبير) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، أبو عبد الله، التيمي، الرازي،

فخر الدين الرازي خطيب الري(ت: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
ـمقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: عبد الله محمد الدّرويش، الناشر: مكتبة الهداية، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ –٢٠٠٤م.
ـالمكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر ويليه / موجز في ياءات الإضافة بالسور، عمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري النشَّار الشافعي المصري (ت: ٩٣٨هـ) تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
ـالمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف، أبو زكريا، محيي الدين، النووي (ت: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
ـالنبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، اعتنى به وخرَّج أحاديثه: عبد الحميد الدخاخني، الناشر: دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ .١٩٩٧م.
ـالنشر في القراءات العشر: محمد بن محمد بن يوسف، أبو الخير، ابن الجزري(ت: ٨٣٣ هـ) تحقيق: علي محمد الضباع، الناشر : المطبعة التجارية الكبرى(تصوير دار الكتاب العلمية).
ـالنكت والعيون (تفسير الماوردي) علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي(ت: ٤٥٠هـ) تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
ـالنهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

Frequent and abnormal readings in Surat Al-Ikhlas and its nodal connotations (Collecting and studying)

Dr. Bushra Hasan Hadi AlYamani

Assistant Teacher Department of Quranic Studies
Faculty of Quran and Islamic Studies
University of Jeddah
Kingdom of Saudi Arabia

***Research*.** this research aims to: Study the quranic recitations of the chapter Al-Ikhlaas – the recitation of which earns the reciter a reward equating to reciting one-third of the whole Quran.

· Explain the extent to which the derived meanings and exegesis of this chapter are affected by the various modes of recitation that are present.

· Show some of the implications arising from the linguistic and interpretational analysis of these various modes of recitation on the monotheistic theology of the names and attributes of Allah, the Exalted.

· Clarify the linguistic and interpretational connection between the letters in the authentic and non-authentically related and differed-over recitations of His statement: 'Say, 'He is Allah Al-Ahad' and 'Say, 'He is Allah Al-Al-Waahid'.

· Clarify the difference between affirming certain phrases in the recitations and omitting others.

· Clarify the varied types of linguistic address found in the various modes of recitation and its impact on derived theological rulings.

· Explain the difference between the meanings of Al-Ahad and Al-Al-Waahid and the implications of that on theology.

· Explain the connection between this difference and the differences existing in the meanings of 'Al-Samad'.

· Explain the connection between the differed-over meanings of Al-Samad and meaning derived from the deferring recitations of the phrase 'Kufu-an Ahad' (by emphasizing the Hamza) and 'Kufu-wan had' (by omitting the Hamza).

· Study the integrated connection between the phrases in the various modes of recitation and their consequential meaning, and the general context of the chapter in relation to the reasons for its revelation, its virtues and status in the general sense.

Key Words: Quranic modes of recitations, the chapter of Purity, indicated meanings, theological indications.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٢ ص ص: ١٢٥- ١٥٧ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-2.5

جدل الصحراء والغابة في ضوء التأويل التقابلي
(دراسة تقابلية سيميائية)

د. سعود بن حامد مرزوق الصاعدي

أستاذ مشارك بقسم البلاغة والنقد

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

مستخلص. تستند هذه الدراسة على التأويل التقابلي بين فضاءين مختلفين هما الصحراء والغابة، وتفترض أن اختلافهما أدّى إلى اختلاف في الرؤية والتفاعل مع العالم، سواء على المستوى الفكري أو على المستوى الثقافي والحضاري، كما أدّى إلى اختلاف في أدوات التعبير.

وقد قمنا في هذه الدراسة بتجريب التأويل التقابلي من خلال عنصر بياني هو النصبة باعتبار الصحراء بيانا موسومًا بالعلامات، وباعتبار الغابة نصا متشابك العلاقات، فأفضى بنا هذا التأويل إلى تقابلات وافرة تفسّر الاختلاف بين هذين الفضاءين اللذين فسّرنا من خلال هذه الدراسة اثرهما على الرؤية والتفكير والتعبير، فجاءت مباحث الدراسة ذات منزع تقابلي على النحو الآتي: الفضاء والرؤية، روح الثقافة وجسد الحضارة، البيان اللطيف والنص الكثيف، غواية الشعر ومتاهة الرواية.

وجاءت تحت كل مبحث من هذه المباحث مطالب لم تخرج عن الثنائية التقابلية نحو التشبيه والاستعارة، والكناية والرمز، والمسير والمصير.

وقد سلكنا في هذه الدراسة منهج التأويل التقابلي الذي طرحه د. محمد بازّي في مشروع علمي في إطار النظرية التقابلية من خلال عدة كتب أشرنا إلى بعضها في الدراسة، فاقتضى هذا المسلك أن نبدأ بمدخل ،فمبحث يعالج تفاعل الإنسان مع الكون عبر ثلاثة مستويات، كانت نتيجة للنظر التقابلي بين الشرق والغرب، والثقافة والحضارة، وهي في نظرنا أهم المداخل التقابلية لهذه الدراسة.

وقد أفادت الدراسة من المنهج التقابلي والسيميائي منطلقة في البدء من النصبة، أحد أهم عناصر البيان عند الحاجظ، ونراه مدخلا تأويليا علاماتيا يتيح النظر والدراسة التأويلية باعتبار الكون بيانًا شاملا ،منصوبا بعلاماته للقراءة والتأويل.

وتهدف الدراسة إلى ما يلي:

١. النظر في أثر الفضاء المكاني على الرؤية وتبعا لذلك الموقف من العالم في النموذج الفكري الحاكم.

٢. الوقوف على العلاقة بين البيان والمكان وأثر ذلك على أدوات التفكير والتعبير.

٣. الوصول إلى أبرز الفروق التقابلية بين الثقافة العربية الإسلامية والحضارة الغربية، وتبعًا لذلك

الفرق بين مفهومي الثقافة والحضارة في علاقتهما بالشرق والغرب.

٤. توسيع النظر إلى عنصر البيان الخامس، النصبة، وتجريبه في قراءة الفضاء المكاني بغية الانتقال من البلاغة القولية إلى البلاغة الكونية، ومن البيان البليغ إلى الكون البليغ.

أما عنوان الدراسة فجاء على هذا النسق التقابلي:(جدل الصحراء والغابة في ضوء التأويل التقابلي، دراسة تقابلية سيميائية).

جاء هيكل الدراسة في مدخل، وثلاثة مباحث، المبحث الأوّل: مستويات تفاعل الإنسان مع الكون، والمبحث الثاني: الجدل التقابلي وأثره في التفكير والتعبير.والميحث الثالث: مقاربات تقابلية تطبيقية، ثم جاءت الخاتمة وفيها أبرز النتائج.

١ . مدخل:

ترتكز هذه المقاربة على فكرة البلاغة الكونية التي يتحوّل فيها الفضاء المكاني إلى فضاء علامات قابلة للتأويل من طريق النصبة التي عدّها الجاحظ من أبرز أقسام البيان ونحا بها نحو العلامات المنصوبة للدلالة على الخالق[١]، وهذا بالطبع يستلزم ضرورة أن يتحول المكان إلى فضاء نصّي بديلا لفضاء النص على المستوى القولي.

وفي هذه المقاربة التأويلية رأينا أن نقابل بين فضاءين مهمين في تشكيل حضارتين، و إن شئت ثقافتين، بينهما اختلاف ضدي تقابلي يرجع إلى طبيعة المكان والرؤية والأدوات في التفاعل مع العالم، وهو ما نتجت عنه هذه الضدية في فهم العالم وقراءته وتأويله بما يعزز افتراض أن لكل ثقافة مرجعيّة حاكمة في تأويل العالم.

على هذا الأساس سننطلق في التأويل السيميائي مرتكزين على ثنائية التأويل التقابلي الذي يكشف لنا طبيعة هذا الاختلاف، مستفيدين من مفهوم النصبة تعزيزا للتأويل العلاماتي في إطار محكوم بالسياق، و قبل ذلك بالرؤية التي تحكم السياق الكلي بدءا من الفضاء المكاني إلى أن ننتهي بالممثّل القولي في منظومة البناء الثقافي والحضاري بين قبيلين هما: الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية الأوروبية.

وقد اخترنا الصحراء والغابة بوصف كل واحدة منهما العلامة الكبرى التي تنضوي تحتها مجموعة من العلامات، أو، بتعبير النصبة الجاحظية، تنطوي على مجموعة من الدلائل المنصوبة التي تفضي إلى مدلولات يحكمها السياق.

ويستند تأويلنا لهذين الفضاءين إلى تقابلات متعددة وفقًا لنظرية التأويل التقابلي التي طرحها د.محمد بازّي في مشروعه التأويلي للخطاب، غير أنّنا تجاوزنا به في هذه الدراسة الخطاب إلى النصّ الكوني المشيّد على التقابلات الكونية وهو ما أشار إليه بازّي نفسه وعقد عليه هذا المشروع في تأكيده على"مقدّمات لمعرفة بديلة بالنصّ والخطاب"[٢]، وهي

[١] ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، توزيع مكتبة ابن سينا، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ٧٠/١

[٢] هذا هو العنوان الفرعي لكتابه(نظرية التأويل التقابلي، مقدمات لمعرفة بديلة بالنصّ والخطاب، محمد بازّي، منشورات ضفاف، دار الأمان،الرباط ،الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

معرفة تقوم على "التقابلات الكونية والكون البليغ والخطاب البليغ"[٣]، يدعم ذلك" استحضار تقابل السياق الأصغر والسياق الأكبر للنص موضوع التأويل"[٤]، وذلك في إطار منهجي يتحرّك في ضوء"الرؤية التقابلية للنصّ والعالم ،ولطرائق تشكّل المعنى وتأويله"[٥].

[المبحث الأوّل]

(مستويات تفاعل الإنسان مع الكون)

١ . مستويات تفاعل الإنسان مع الكون(الأداة /العلامة/ الآية):

تتأسس مستويات تفاعل الإنسان مع الكون فهمًا وتأويلا على ما ورد من أصناف الدلالات عند الجاحظ وهي:" خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أوّلها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخطّ، ثم الحال التي تُسمَّى النّصبة"[٦]، والنصبة هي"الحال الناطقة بغير لفظ والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهرٌ في خلق السماوات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد ونامٍ، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص"[٧].

ونلحظ هنا أنّ النصبة هي المدخل الكوني لهذا التأويل باعتبارها إطارا للعلامات الدالة، أو هي على حد تعبير الجاحظ "الناطقة بغير لفظ والمشيرة بغير يد"[٨]، وذلك ما يجعلنا نولي الإشارة والنصبة اهتماما خاصا في سياق تأويل العالم.

ومما هو مطروح في الدرس السيميائي أنّ ثمة فرقا مهما بين الإشارة والعلامة؛ فالإشارة لا تصبح علامة حتى تكون ذات دلالة بين طرفين "فاللون الأحمر على سبيل المثال لا يعني شيئا في ذاته سوى كونه نورا أحمر اللون، ولكن إن وجد مع الضوء الأخضر والبرتقالي في قارعة الطريق (وهذا هو السياق) وتوقّف الراجلون والسيارات كلما اشتعل دلّت الإشارة على الوقوف، وانقلبت إلى علامة"[٩].

وعلى هذا الأساس سنقرأ العلامات في هذه الفضاءات باعتبارها منظومة في سياقات مكانية وثقافية تجعلها محتملة لما نطرحه من تأويل يرشّحه السياق، سواء كان سياقا كليّا يتعلّق بالرؤية الكلية للثقافة أو سياقا جزئيا يتعلّق بالمقام، كما نضيف إلى ذلك الآية التي تعد تطورا طبيعيا في الدلالة للمسار العلاماتي على هذا النحو:

إشارة ⟵ علامة ⟵ آية

غير أنّ الفارق يكمن في أن الآية ذات خصوصية في الدلالة تنبثق من الرؤية التوحيدية التي تربط الكون بخالقه، ومن هنا فهي أقرب إلى مفهوم الدليل منها إلى مفهوم العلامة في الفكر الحديث[١٠].

بناء على هذا التصوّر يمكن تصنيف التأويل السيميائي إلى مستويين:

١– مستوى الدلالة، وينسجم مع نظام العلامات التي تشير إلى دلالاتها ضمن سياق كلي.

---

[٣] السابق، ص ١٨
[٤] السابق، ص٢٠
[٥] السابق،ص ٢١
[٦] البيان والتبيين، ١/ ٧٠
[٧] السابق ،١/ ٧٣
[٨] نفسه

[٩] الجاحظ والبيان الآخر،بحوث سيميائية تأويلية، أزد. العادل خضر، مسكيلياني، تونس، الطبعة الأولى ٢٠١٧م، ص٤٧.
[١٠] ينظر،السابق ١٢١

٢- مستوى الدليل، وينسجم مع غاية البيان الكبرى ومفهوم النصبة ضمن الرؤية البيانية في نظام الآيات الكونية التي "تشكّل لغة هي لغة الإلهي في مخاطبة الإنسان عبر كتاب الطبيعة"[١١].

و بما أن المستويين ينضويان ضمن أصناف البيان الخمسة من طريق الإشارة والنصبة، كما أسلفنا، فإن قراءة الفضاء المكاني في أفق هذا التصور يعدّ نوعا من التلقّي لبلاغة الكون، إما من طريق العلامات أو من طريق الآيات.

وبهذا نخلص إلى أن التفاعل الإنساني مع الوجود ينتظم ضمن ثلاثة أصناف نستطيع أن نصف بها الإنسان، على النحو الآتي:

١. إنسان الأدوات[١٢]: وهو الذي يتفاعل مع الوجود من جهة استعماله وتوظيفه، كتوظيف إنسان الغابة للعصا واللحاء والورق في صناعة مسكنه وسلاحه الذي يحتمي به وحضارته.

٢. إنسان العلامات: ويأتي هذا المستوى بعد تسمية الأدوات وتحديدها لتتحول إلى علامات يعرف بها ما يصنع، كما يتم تداولها لاحقا في نظام التسمية الذي يضفي عليها بعدا ثقافيا.

٣. إنسان الآيات: وفي هذا المستوى تتنقل العلامة من الدلالة إلى الدليل، ويعنى هذا الصنف بالتوصل إلى حقيقة الوجود من طريق الآيات الدالة و المنصوبة للدلالة على حكمة هذا الوجود وأبرزها وأعلاها معرفة الله من آياته الكونية.

وفي هذا السياق يتمّ النظر إلى الفضاء المكاني بوصفه إطارا ومرجعا يتيح للإنسان هذا التفاعل من جهاته الثلاث:

١. الأداة: وهي ذات بعد استعمالي حضاريّ تمثّل إنسان ماقبل التاريخ وذلك من جهة تحقيق التوازن مع الطبيعة والعيش على مكتسباته منها.

٢. العلامة: وهي ذات بعد ثقافي دلالي،تمثّل الإنسان في انتقاله من المستوى الحضاري الطبيعي إلى المستوى الحضاري الثقافي، حيث يُسمّي الأشياء ويتفاعل معها ثقافيا ومن هنا يبدأ إنسان التاريخ.

٣. الآية: وهي ذات بعد تأمّلي استدلاليّ، ترقى بالإنسان من مستوى التفاعل الثقافي العلاماتي إلى مستوى التأمّل وقراءة الكون وتجاوز الطبيعة إلى خالق الطبيعة.

وتختلف الآية الكونية، بحسب طه عبد الرحمن، عن الظاهرة الكونية، من جهة أنّ الأخيرة "تنضبط بالعلل والقوانين الطبيعية انضباطًا كليّا"[١٣] في حين أنّ الأولى، أي الآية الكونية، "تتعدّى ذلك إلى طلب الأسباب الملكوتية التي هي من وراء هذه العلل والقوانين المُلكية"[١٤].

وعلى هذا الأساس فرّق طه عبد الرحمن بين آيات القرآن والجملة القولية في البيان الإنساني، "فإذا

---

[١١] السابق،١٢١

[١٢] من المهم التنويه إلى أن مصطلح (إنسان الأدوات) و(إنسان العلامات) قد وردا عند أ.د. العادل خضر في كتابه (الجاحظ والبيان الآخر)، وقد أضفت إليهما (إنسان الآيات) لتكتمل الرؤية والصورة الحضارية للإنسان بأبعادها الثلاثة: المادي، الثقافي، الروحي.

[١٣] دين الحياء، من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني، أ.د. طه عبد الرحمن، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م، ١/ ١٠٦

[١٤] نفسه.

كانت الجملة القولية تنضبط بالعلل والقوانين اللغوية انضباطًا كليّا، من غير أن يعني أن الإنسان سوف يعلم بها جميعًا ، فإنَّ "الآية القولية"،كالآية الكونية، تتعدّى ذلك إلى طلب الأسباب والأسرار الملكوتية التي هي من وراء هذه العلل والقوانين اللغوية"[١٥]، وهذا ما يجعل الآية خارجة عن طوق البشر، فهي ،كما يذكر محمد أبو موسى "دلالة قاطعة على أنّه [أي القرآن] من عند الله، ولا تكون الآية آية إلا إذا كانت خارجة عن طوق البشر، يعني كانت برهانًا، وسلطانًا من الله قاهرًا، وقاطعًا، فالقرآن رسالة وآية والإنجيل رسالة وليس آية، وكذلك التوراة"[١٦].

وبرغم اتفاقنا مع الدكتور طه عبد الرحمن في الفارق الواضح بين الآية القولية والجملة القولية، أو بين الآية القرآنية والجملة البشرية بتعبير أوضح، بالإضافة إلى التوافق بين الآية القرآنية والآية الكونية، إلا أنّنا نعد الظواهر الكونية من الآيات التي لفت إليها القرآن الأنظار وجعلها موضع التأمّل والتدبّر في الكون، كما أنّ الآية القرآنية موضع التدبّر في القرآن، ولا يضر ذلك سواء كانت جارية على السنن والقوانين أو كانت تنطوي على أسرار لا تنكشف إلا للخاصة كالأنبياء مثلا، لأنّ تعطيل الظواهر الكونية من التفكّر والتدبّر هو ما يجعلها ظواهر طبيعية فقط، فالأمر، في نظرنا، متعلّق بالنظر في الآية من جهة التدبّر، لا بطبيعتها ذاتها من حيث القوانين والسنن، ويصدق هذا على الجملة القولية ،من زاوية مقاربة، حيث يفضي التأمّل البلاغي في لطائفها وأسرارها إلى ما لا يفضي إليه النظر النحوي، فبهذا الاستدراك يستقيم لنا الترقّي من إنسان الأدوات، فإنسان العلامات، إلى إنسان الآيات الذي يتدبّر آيات الكون والكتاب معا ويصل من خلالهما إلى الخالق سبحانه الذي نصب الآيات الكونية والقرآنية للدلالة عليه.

وعلى ما سبق، من تفريق بين مستويات التفاعل الإنساني مع الكون، يمكن القول في افتراض أوّلي: إن الغابة بوصفها مكانا يحتوى على كثافة مادية تعد الأقرب إلى تعزيز حضور إنسان الأدوات، خلافًا للصحراء التي تبدو أقرب إلى تعزيز إنسان العلامات، وعلى هذا التصوّر نلحظ أنّ الفلاسفة الذين عالجوا فكرة الوجود فلسفيّا انطلقوا من فضاء الغابة كونها بيئة استعمالية وهو ما يعزّز استنادهم على العقل المحض في فهم حقيقة الوجود[١٧] .

أما إنسان الآيات فهو نتيجة طبيعية لتطور وترقّي هذا وذاك، غير أنّه درجة تالية لإنسان العلامات الذي يكون مهيَّأً من البدء إلى أن ينتقل إلى هذا الطور بما فيه من قابلية واستعداد فطريّ لهذا المستوى من النظر، وهذا، في تقديرنا، يتسق مع

[١٥] نفسه.

[١٦] شرح أحاديث من صحيح البخاري، دراسة في سمت الكلام الأوّل، دكتور محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م، ص ١٢٦، ١٢٧

[١٧] نشير هنا إلى قصة حي بن يقظان لابن طفيل، حيث تتأسس فكرة هذه القصة على فلسفة إمكان الوصول إلى الخالق من طريق العقل، ونرى أن الفضاء المكاني (جزيرة معزولة) يأتي معادلا للغابة في دراستنا هذه ،و لعل اختيار المكان بهذا الوصف يومىء إلى الإنسان الطبيعي ونموّه حسب ما تقتضيه طبيعته في العيش واستثمار ما حوله، فإذا كانت الصحراء طريقا إلى الله من جهة الوحي بما تتيحه من تواصل مع الأفق الكوني فإنّ الغابة طريق إلى الله من جهة العقل بما تتيحه من عالم الطبيعة الساكن والمتحرّك.

طبيعة إنسان الصحراء المهيّأ للتفاعل مع الكون عبر النظر في ملكوت السماوات والأرض، ومن هذا المنظور تبدو الصحراء فضاء مكانيا مناسبًا للرؤية التوحيدية، غير أنّ ذلك مشروط بأن ينتقل الإنسان من النظرة الجزئية إلى النظرة الكلية للكون، أي من مستوى العلامة إلى مستوى الآية، وفي هذا السياق يمكن القول إن القرآن نقل العرب من الرؤية الجزئية إلى الرؤية الكلية الشاملة، ومن البيان الشعري عن العالم إلى البيان القرآني[١٨].

٢- الفضاء والرؤية:

تتميز الصحراء بأنها إطار مكاني مفتوح أقرب إلى التجريد منها إلى التجسيد، بحكم أنّها خلاء واسع، وهذا ما يمنحها خاصية التأمّل والتلاقي مع الكون لفهم أسراره وعلاماته ودلائله المنصوبة، ولهذا ذهب عددٌ من المفكرين والدارسين إلى أنّ الصحراء مكان روحي يساعد على التواصل مع الخالق، فهي التي "علّمت البدو التوحيد"[١٩]،بسبب من طبيعتها المفتوحة والقاسية، "وقسوة الطبيعة توقظ العقيدة"[٢٠]، على حد وصف الياباني نوتوهارا، كما أنها، على حد وصف روبرت رينجر، " تولي أبناءها الحياة الساذجة الطاهرة على نقيض ما تورثه ثقافة أوروبا الشمالية من الخشونة والكثافة"[٢١]، وهي في امتدادها تستعصي على الاستيلاء، ذلك أنها بهذا الامتداد لا تستجيب إلا "لانبعاث الإيمان الحق بالفضائل العليا وتمرّدها على الجحود والتضعضع في الحياة"[٢٢]، كما يرى فليكس فارس، الأمر الذي دعا نيتشه ممثّل الحضارة الغربية في نموذجها المادي المتطرّف إلى أن ينادي في نشيد الصحراء قائلا:

"ارتفع يا مظهر الجلال ولتهبّ مرة أخرى نسمة الفضيلة.

ويا ليت أسد الفضائل يزأر أيضًا أمام غادات الصحراء فإنَّه أقوى ما ينبّه أوروبا ويحفّز بها إلى النهوض.

وها أنذا ابن أوروبا لا يسعني إلا الخشوع لدويّ هذه الآيات البيّنات"[٢٣].

من هنا تبدو الصحراء مكانا متاحا للرؤية الكونية التوحيدية، تلك التي تفضي إلى مشاهدة الخالق في آياته عبر التفكّر والتدبّر، وقد وصفها بهذا الاعتبار نوتوهارا الياباني بالمطلق[٢٤]، ووصفها غير دارس بما يعزّز هذا الاعتبار، حيث نجد ذلك عند محمد أسد ومحمد إقبال ،و مثلهم سيّد قطب الذي يرى أنَّ "أولى الناس بأن يتوجّهوا إلى السماء هم سكان

[١٨] ذكر الياباني توشيهوكو إيزوتسو أنّ "لدى العرب متعة لا حدود لها بتفحّص تفصيلات الأشياء العيانية التي كانوا يرونها حولهم بعيون نافذة" (الله والإنسان في القرآن، توشيهوكو إيزوتسو، ترجمة وتقديم د.هلال محمد الجهاد، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٧م، ص ١١٩)، وهذا في نظرنا يفسّر حضور التشبيه في البيان العربي بوفرة، كما أنّه يدلّ على أن البيان العربي كان بيانًا شعريًا يحتفي بالتفاصيل والجزئيات قبل أن ينتقل إلى أن يكون بيانا قرآنيًّا شاملا يؤسس لرؤية جديدة للوجود، وهي الرؤية التي تمّت حولها دراسة إيزوتسو صاحب هذا الكتاب تحت عنوان فرعي هو:(علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم).

[١٩] العرب، وجهة نظر يابانية، نوبوأكي نوتوهارا، منشورات الجمل، بيروت، الطبعة الخامسة، ٢٠١٦م، ص ١٢٠

[٢٠] السابق

[٢١] هكذا تكلّم زرادشت، فريدريك نيتشه، ترجمة فليكس فارس، دار التقوى، القاهرة، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م، مقدمة المترجم، ص ٢٧

[٢٢] السابق، ص ٢٨

[٢٣] السابق

[٢٤] ينظر: العرب وجهة نظر يابانية، ص١٢١

الصحراء حيث للسماء طعم ومذاق، وإيقاع وإيحاء، كأنما ليست السماء إلا هناك في الصحراء"[٢٥]، كما قرر ذلك أيضا محمد أسد بعد تجربة عاشها في الصحراء، في قوله الذي نقتبس منه هذا النصّ الدال، في هذا السياق، يقول:"لقد نما التوحيد على أسس من ذلك الميل الفطري المميز فقط لأهل الصحراء، وظهر بين العبرانيين المبكرين الأوائل، واكتمل برسالة محمد (صلى الله عليه وسلّم) المظفّرة ومن خلفهم جميعًا تقف الصحراء الأمّ"[٢٦] .

هذه الطبيعة المجردة اضطرت ساكنها إلى البحث في طريقه الواسع عن أسباب الهداية، فكان النجم في البدء هاديا ودليلا في السفر ومسالك الصحراء، وذلك ما أشار إليه القرآن في قوله تعالى: فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ الواقعة: ٨٣ - ٨٧ ، وقوله: وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ النحل: ١٦ ، فالهداية هنا هداية طريق، غير أن هذه الطريق ليست سوى طريق أولى إلى غاية أهم هي الطريق إلى الله فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ الذاريات: ٥٠ ؛ و هي نقلة من مستوى العلامات إلى مستوى الآيات، أو تحوّل من إنسان الصحراء إلى إنسان الكون، أي من إنسان العلامات إلى إنسان الآيات، الذي تحوّل إليه العربيّ بعد رسالة الإسلام.

في هذا السياق يمكن أن نفهم العلامات في سياق أوسع، هو سياق طريق الحياة، وما الصحراء هنا إلا فضاء مكاني للتأمّل وإعطاء هذه العلامات الفلكية معناها الأعمق في قراءة الكون.

و لما كان العربي في فضاء يتيح له التدبّر والتفكّر بعيدا عن عوالق الطبيعة وحجبها الكثيفة جاء البيان العربي متسقا مع طبيعة الصحراء في طلبه الوضوح وتأسيس العلاقات بين الأشياء عبر التشبيه، لأن الصحراء مكان يكشف عن جوهر الأشياء في علاقاتها؛ بوصفها مكانا غير استهلاكي ولا يحقق الوفرة التي "تبعد الإنسان عن فهم جوهر العلاقة مع الأشياء"[٢٧]، ولعل هذا ما يفسّر احتفاء العرب، على حدّ وصف توشيهيكو، "بتفحّص تفصيلات الأشياء العيانية التي كانوا يرونها حولهم بعيون نافذة"[٢٨]، وكما يقرّر محمد أسد فإنَّ "من يحيون في الصحراء يستجيبون للحياة ويستشعرونها ويتجاوبون معها بطريقة مغايرة تمامًا عن أيّ بشر يحيون في مناطق أخرى، ....، ومتحررون بالتأكيد من عوائق وقيود كثيرة، فهم يعتمدون بشكل أكبر على إدراكهم الخاص"، ولهذا السبب المكاني المفتوح "استقروا على نسق من القيم مغايرة لأية أنساق أخرى"[٢٩].

بناء على هذا نفهم علاقة البيان العربي بالبيئة التي نشأ فيها؛ ذلك أنّه بيانٌ يرتكز في رؤيته على ثلاثة محاور: الإله، والكون، والإنسان، وقد لاحظ محمد الحابري أن الثقافة العربية التي هي أساس الثقافة الإسلامية ترتكز على النظام المعرفي البياني، وهو

[٢٥] في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٣٨٩٨

[٢٦] الطريق إلى مكة، تأليف: ليوبولد فاس (محمد أسد)، ترجمة رفعت السيد علي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، ص١٦٢.

[٢٧] العرب وجهة نظر يابانية، ص ١٢١

[٢٨] الله والإنسان في القرآن، ص ١١٩

[٢٩] الطريق إلى مكة، ص١٠٥

نظام ينطلق في مرجعيته من ثلاثة أقطاب، حسب وصفه، هي: الله، الإنسان، الطبيعة، و يضيف أنّه" إذا أردنا تكثيف هذه العلاقة حول قطبين اثنين فقط،....، وجب أن نضع في أحدهما الله، وفي الآخر الإنسان.أما الطبيعة فلابد، في هذه الحالة، من تسجيل غيابها النسبي لربما بنفس الدرجة التي سجّلنا بها غياب الله في بنية العقل اليوناني- الأوروبي"[٣٠].

ونرى أن غياب الطبيعة متسق مع الخلاء الذي تشيعه الصحراء على امتداد البصر، ذلك أن الصحراء بفضائها الممتد الخالي من أسباب الحياة المادية يسجّل غيابا للطبيعة بمعناها المنتج الذي يساعد على الاستقرار وصناعة الحضارة بمفهومها المادي الصرف.

وعلى هذا يمكن اعتبار الصحراء مكانا خاليا وفضاء مفتوحا يدعم الرؤية البيانية التي ترتكز على ثنائية الخالق- المخلوق، مع تفسير غيابها النسبي، بحسب الجابري، من كونها غير ذات جدوى فيما يتصل بالمعطيات المادية التي تتيحها الغابة.

ولأن الصحراء ليست ذات طبيعة مادية فقد وجد العربي نفسه فيها مدفوعا إلى الترحال والتنقّل من مكان إلى آخر طلبا للعيش ومقاومة لقسوة المكان القفر، فأنتجت هذه الظروف البيئية قدرات تتعلّق بفهم هذا الفضاء الفسيح في إشاراته وعلاماته المنصوبة سواء على أديم الأرض أو في قبة السماء، ومن ذلك جاءت ملكة القراءة الكونية بمفهومها التأمّلي أو العلاماتي، كما في الاهتداء بالنجوم وقصّ الأثر والقيافة والفراسة، وهي، كما نعلم، من علوم العرب الأوائل التي جاء الإسلام فأقرّ بعضها كالقيافة والفراسة، وألغى الآخر كالتنجيم والتطيّر بالسوانح والبوارح.

وبالنظر إلى هذه الأدوات المعرفية نجدها تحقق ما نسميه هنا بالقراءة الكونية التي تتيحها الصحراء لإنسانها، حيث الاهتداء بالنجم في السماء والاهتداء بالأثر في الأرض.

والذي يهمنا في هذا السياق هو كيف تحوّلت الصحراء الخالية أمام نظر العربي إلى سِفْرٍ يحتوي على دلائل وعلامات منصوبة متاحة لما نسمّيه بالقراءة الكونية، القراءة التي يجيدها إنسان الصحراء(إنسان العلامات) تعويضا له عن أميّته التي صرفته عن القراءة بمفهومها الكتابي؟.

بذلك يكون إنسان الصحراء تمهيدا وتوطئة لإنسان الآيات الذي ستتحول العلامات في نظره، حسب التصور والرؤية الإسلامية، إلى آيات، وسيتحوّل فيه فضاء الصحراء إلى كون متاح للتدبّر والتفكّر في ملكوت السماوات والأرض. وتلك هي هداية النجم بحسب الرؤية الإسلامية الجديدة التي انتقلت منها العلامة إلى الهداية، والدلالة إلى الدليل.

في الطرف المقابل للصحراء (الخلاء) تأتي الغابة لتعزز كثافة المكان (الامتلاء)، فهي نقيض طبيعي للصحراء وعالمها، ومن هذا المنطلق يمكن النظر

[٣٠] تكوين العقل العربي، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١١ ، ص ٢٩

إليها سيميائيا على أنّها فضاء نصيّ في مقابل بيان الصحراء.

وأولى سمات الغابة أنّها تمثّل الطبيعة في معطياتها المادية الإنتاجية، فالشجرة ثيمة من ثيمات الحضارة وعلامة من علاماتها، والحضارة هنا بمعناها المادي الذي يستعمله إنسان الأدوات في السيطرة على الطبيعة بدءًا بالعصا إلى أن ينتهي الأمر إلى أحدث أدوات التقنية.

وقد لاحظ محمد عابد الجابري، في هذا الصدد، حضور الطبيعة في الرؤية الغربية المادية التي تأسست على ثنائية الإنسان/الطبيعة في غياب للإله ،بحسب الرؤية المادية الإلحادية، وهو ما يتّسق مع نظرية التطوّر الداروينية التي تأسست عليها رؤية الحضارة الغربية في نموذجها المادي، ما يجعلنا نعتقد بدءًا أنّ الغابة هي العلامة الكبرى للحضارة الاستهلاكية بما تعززه بنيتها الإنتاجية عبر العلامة الوسطى الشجرة والصغرى العصا، وفقًا للشكل الآتي:

غابة ⟵ شجرة ⟵ عصا

و بالنظر إلى هذه الأدوات الثلاث التي تحوّلت منذ استعمال الإنسان لها إلى علامات يلفتنا ما يلي:

١ . أن الغابة في فضائها المكاني المزدحم بالأشجار هو المعادل الرمزي أو السيميائي للحضارة الغربية في منتوجاتها واطرادها الاستهلاكي، كما أنّها تحجب الأفق والاتصال بعالم الآيات لتتيح الاتصال بالأرض وعالم الأدوات.

٢. أنّ الشجرة هي وحدة العطاء الإنتاجي ومن خلالها يتم تحويل العالم إلى فعالية منتجة، وهي المعادل السيميائي للفرد/الإنسان المنتج في هذه الحضارة.

٣. أنّ العصا هي النواة الأولى للفعل الإنساني في التفاعل مع الطبيعة وتحويلها إلى بيئة صالحة للإنسان.

بناء على ذلك يمكن القول إنّ إنسان الغابة، وهو هنا إنسان الأدوات، ما إن يتفاعل مع الطبيعة ويتعرّف عليها ثم يطوّعها لصالحه حتى يدخل في الفعل الثقافي التالي للحضارة، وبذلك ينتقل إلى مستوى إنسان العلامات، لكنه يبقى محجوبًا عن الآيات حتى يتصل بالأفق الكوني ويتجاوز الطبيعة إلى خالقها لتتم له ثلاثية (الإله . الطبيعة . الإنسان) ومن هنا يمكن أن نلمح فرقًا في التراتبية بين اتجاهين:

الاتجاه الأوّل: ينطلق من الإله إلى الطبيعة إلى الإنسان، على هذا النحو:

الإله ⟵ الطبيعة ⟵ الإنسان

الاتجاه الثاني: ينطلق من الإنسان إلى الطبيعة إلى الإله، على هذا النحو:

الإنسان ⟵ الطبيعة ⟵ الإله

وبذلك يتضح الفرق بين الرسالات السماوية التي تبدأ من الخالق باتجاه المخلوق، والفلسفات البشرية التي تبدأ من المخلوق إلى الخالق، بصرف النظر عن المآلات والتصورات الخاطئة، وكذلك بصرف النظر

عن الفلسفات المادية الإلحادية التي تنحصر في ثنائية الإنسان/الطبيعة ،كما في نموذج الحضارة الغربية المهيمن على العالم الغربي.

وفي اعتقادنا أنّ الصحراء فضاء يتيح التفاعل مع الكون من خلال الاتجاه الأوّل،في حين تعزّز الغابة الاتجاه الثاني[٣١].

[المبحث الثاني]

(الجدل التقابلي بين الصحراء والغابة)

تتألف الثنائية التقابلية، في نظرنا، بين الصحراء والغابة لتشكّل جدلا وحوارا ثقافيا على النحو التالي:

١- روح الثقافة وجسد الحضارة:

يرى علي عزت بيجوفيتش أن للثقافة مفهوما مستقلا عن مفهوم الحضارة، إذ تُعنى الثقافة بكل ما يتعلق بالروح الإنسانية، فهي "ذات أصل سماوي"[٣٢] خلافا للحضارة ذات الأصل المادي الأرضي، فعنايتها بالتقنيات والوسائل، وهما وإن كان بينهما تكامل بحيث تتفاعلان في علاقة جدلية، إلا أن التناول لهما من جهة الأصل اللغوي يعزز هذا الفارق المهم في تحديد المرجعية والرؤية الكلية في مقاربتنا التأويلية بين الصحراء والغابة، وعلى هذا التصوّر تبدو الصحراء ذات نزوع إلى معنى الثقافة، في حين تنزع الغابة إلى معنى الحضارة؛ وقد ذهب عددٌ من الدارسين إلى أنّ الثقافة تنصرف إلى "الأفكار والمبتدعات الإنسانية المتعلقة بالأساطير والدين والفن والأدب"[٣٣]، أما الحضارة فتنصرف إلى" المخترعات الإنشائية المتعلّقة بمجال العلوم المادية والتنكولوجيا"[٣٤].

ولهذا يرى بيجوفيتش أن الثقافة ستظل "تعنى بعلاقة الإنسان بتلك السماء التي هبط منها، فكل شيء في إطار الثقافة إما تأكيد أو رفض أو شك أو تأمل في ذكريات ذلك الأصل السماوي للإنسان"[٣٥].

ومن هنا نلحظ الاتساق بين فضاء الصحراء التأملي وطبيعة الثقافة من هذا المنظور، فالصحراء تتيح للإنسان أن يتجرّد من الإطار المادي الصرف ليدخل في علاقة مع الأفق متأملا في مواجهة مع الكون بعلاماته وآياته.

في المقابل تبدو الحضارة ذات بعد مادّي، إذ هي، بحسب بيجوفيتش، "استمرار للحياة الحيوانية ذات البعد الواحد، والتبادل المادي بين الإنسان والطبيعة"[٣٦]، وهذا يتسق تماما مع طبيعة الغابة التي تعدّ مرجعا أوّليّا للحضارة بما تتيحه للإنسان من أدوات التفاعل مع الطبيعة واستثمارها" ولعل أوّل أداة كانت عبارة عن قطعة من الخشب أو من الحجر مشكّلة بطريقة غير مصقولة، أو شطية من شظايا الطبيعة"[٣٧].

---

[٣١] نشير هنا إلى أنّ المفكرين علي عزت بيقوفتش وعبد الوهاب المسيري انطلقا في طرح رؤيتهما الإيمانية وفقًا لهذا الاتجاه الذي ينطلق من الإنسان إلى الله؛ لأنهما يعالجان القضية، قضية الوجود، من داخل المنظومة الغربية وذلك للوصول إلى نقد وإبطال الرؤية المادية الإلحادية التي تستند على النموذج الداروينى.

[٣٢] الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش ،تقديم عبد الوهاب المسيري، ترجمة: محمد يوسف عدس، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠١٤م، ص ١٠٧

[٣٣] شجرة الحضارة، راف لنتون، ترجمة أحمد فخري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م، ينظر تقديم أحمد زكريا الشلق ،١/ ج .

[٣٤] السابق

[٣٥] الإسلام بين الشرق والغرب. ص ١٠٧

[٣٦] السابق

[٣٧] السابق،ص ١٠٦

من هنا يأتي تعزيز الغابة لإنسان الأدوات الذي يدعم علاقة الحضارة بالمستوى الطبيعي والبيولوجي لحاجات الجسد، فقد" كانت صناعة الأدوات واستخدامها تمثّل استمرارية للتطور البيولوجي، وهو تطور خارجي وكمي ،يمكن تتبّعه من الأشكال البدائية للحياة حتى ظهور الحيوان الكامل"[٣٨].

في هذا الصدد يذكر فرنسوا بون نقلا عن مورجان صاحب كتاب (المجتمع القديم) أن "الإنسانية قد اجتازت عصر التوحش وعصر البربرية حتى وصلت أخيرا لعصر الحضارة"[٣٩]، وكان ذلك عبر ثلاث مراحل تتناسب كل منها مع اختراع من الاختراعات التقنية:

١- العصر الحجري القديم: ويسمى عصر التوحش وقد عرف اللغة والنار والفأس والرمح والقوس.

٢- العصر الحجري الحديث، مع عصر المعادن: وهو عصر البربرية، وشهد توالي صناعة الأواني، ثم تربية الحيوان والزراعة قبل استخدام المعادن.

٣- عصر الحضارة: ويتمثّل في الكتابة التي سبقت استخدام البارود والطباعة وأخيرًا البخار والكهرباء[٤٠].

فهذه العصور الثلاثة ذات مستوى مادي تقني، لذلك فهي تتعلّق بالحضارة في أصل تكوينها.

ونلحظ هنا أن طبيعة هذه العصور تتعلّق بحاجات الإنسان المادية وتطوّر حياته من جانبها التقني الأدواتي.

أما فيما يخص الثقافة فالأمر مختلف تماما، إذ إن الإنسان في الثقافة لايعني بغير العلامات، كما أسلفنا، فهو يسمّي الأشياء ويستعملها ثم تدخل في مستواها الثقافي حين تتحول إلى علامات تشير، وقد لاحظ أمبرتو إيكو هذا الجانب حين اشترط لنجاعة الأدوات نشاطا رمزيا لغويا تحضر من خلاله الثقافة، على النحو الآتي تراتبيًّا:

١- يسند كائن ما وظيفة جديدة إلى الحجر.

٢- يُسمّي ذاك الكائن الحجر حين يعيّنه.

٣- يعيّن الأداة بوصفها حجرا يستحيب لوظيفة.

و ما إن يتأسس شكل من السلوك السيميائي بين شخصين يمكن عيانه ومراقبته حتى نكون في حضرة اللغة[٤١].

ولا ريب أن الانتقال من المستوى الحضاري الأدواتي إلى المستوى الثقافي العلاماتي يكشف بوضوح العلاقة بين الحضارة والثقافة كما يكشف الفرق الدقيق بينهما.

وعلى هذا يتضح أن الصحراء فضاء ثقافي يعزز وجود إنسان العلامات، في حين يعزز فضاء الغابة وجود إنسان الأدوات، مع ملاحظة أن حديثنا هنا ينظر إلى أساس كل مفهوم ومرجعيته سواء من جهة اللغة أو من جهة تفاعل الإنسان وعلاقته بالطبيعة في جانبها التجريدي الروحي كما تمثّله الصحراء، أو جانبها التجسيدي المادّي كما تمثّله الغابة.

---

[٣٨] السابق

[٣٩] عصور ماقبل التاريخ، بوتقة الإنسان، فرانسوا بون، ترجمة سونيا محمود نجا، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٢.

[٤٠] السابق، ص ٢، بتصرّف يسير.

[٤١] ينظر، الجاحظ والبيان الآخر، بتصرّف وإيجاز ،ص ١٤-١٥ .

بهذا يمكن القول إن الثقافة روح والحضارة جسد، تسعى الأولى إلى الصقل والتهذيب وكل ماله علاقة بالأخلاق، وتسعى الثانية إلى الرفاهية والكسب وكل ماله علاقة باستثمار الطبيعة، وكما تعنى الحضارة بإنسان الأدوات تعنى الثقافة بإنسان العلامات.

في هذا السياق يمكننا التأكيد على الفارق المهم بين الحضارة الغربية والثقافة العربية الإسلامية، حيث تستند الأولى على الجانب المادّي النفعي في حين تستند الثانية على الجانب الأخلاقي، وهما قيمتان تتعززان في الفضاء المكاني الخاص بكل واحدة منهما، فالغابة تعزز قيمة الإنتاج والامتلاك، والصحراء تعزز قيمة الانتماء والاحتماء وهو ما يجعلها أعلق بالقيم الأخلاقية أكثر من القيم المادية، وقد لاحظ الجابري ،وإن كان ساقه مساقا مختلفا عن تصوّرنا، أن العقل العربي يختلف عن العقل اليوناني من جهة أنّه مؤسس على الأخلاق خلافا للعقل اليوناني الذي تسبق فيه المعرفة الأخلاقَ "وفرق كبير بين الاتجاه من المعرفة إلى الأخلاق والاتجاه من الأخلاق إلى المعرفة"[٤٢]، والسبب في ذلك كما يرى أنّ المعرفة ،في حالة الفكر العربي، "ليست اكتشافًا للعلاقات التي تربط الظواهر الطبيعية بعضها ببعض، ليست عملية يكتشف العقل نفسه من خلالها في الطبيعة"[٤٣]، كما في الفكر اليوناني وتبعًا له الفكر الغربي، "بل هي التمييز في موضوعات المعرفة بين الحسن والقبيح، بين الخير والشر"[٤٤].

وهذا النظر، وإن كان صوابا، فيما نرى، من جهة الموقف من الطبيعة حيث تحضر في الفكر الغربي ذات كثافة يستند عليها العالم الغربيّ إنتاجًا واستهلاكًا، خلافا لموقف العربي منها باعتباره كائنا صحراويًّا، إلا أنّ بناء المعرفة على الأخلاق أدعى لبناء ثقافة إنسانيّة أخلاقية تستند عليها الحضارة وليس العكس كما في الحضارة الغربية السابقة للثقافة، وهو ما يعزّز افتراضنا في هذه الدراسة من أنّ الصحراء فضاء ثقافي يجعل الثقافة أسبق من الحضارة، والأخلاق أسبق من قوانين المادّة.

ويعلل محمد أسد، في مقاربة لطيفة، الفارق بين الغربي والعربي، بما يعزز ما نحن فيه من فارق بين الحضارة والثقافة ،أو المستوى المادي والمستوى الروحي، حيث يرى أن التعددية لدى الغربي انعكست على طموحاته وأحلامه ورغباته، خلافا للعربي، وعزا التقدّم المادي لهذا الفارق، فـ "بسبب التعددية لا في الأصوات ولا في الموسيقى فحسب، بل في مشاعر البشر ورغباتهم، برودة الطقس، وغزارة المياه، وتتابع الفصول توجد تعددية شكلية لمظاهر الحياة تتباين في دلالاتها ومعانيها، ولذلك يشعر الرجل الغربي برغبات كثيرة ودافع قويّ لفعل أشياء من أجل فعلها. يجد أن عليه أن يبتدع ويبني ويتغلّب حتى يرى ذاته متحققة مرة بعد أخرى في تعقيدات الحياة

[٤٢] تكوين العقل العربي،ص ص٣٠.
[٤٣] السابق
[٤٤] السابق

المتغيّرة"[٤٥]، وهذا ما يجعل الغربي ذا نزعة حضارية مادية، "أما عرب الصحراء فلا يوجد في صحاريهم وباديهم الواسعة الممتدة ما يغري بالحلم. الصحراء قاسية واضحة كالنهار لا تعرف لون المشاعر"[٤٦] ،ولذلك فالعربي، بحسب أسد، "حين يقوم بفعل فإنّه يقوم به لضرورة خارجية، لا لرغبة داخلية، ولا احتياجًا لتأمين ذاته. نتيجة لذلك لم يتقدّم في الإنجاز المادي بنفس سرعة الرجل الغربيّ، إلا أنّه احتفظ بروحه سليمة"[٤٧]

والذي يهمنا ما خلص إليه أسد من الاحتفاظ بالروح سليمة لأنها هي مَعْقد الأمر ونواة الأخلاق.

٢- شجرة التجريد وشجرة التجسيد:

يعد النسب عند أبناء الصحراء، أو ما يسمّون بأهل الوبر، رابطة مهمة تقوم مقام الجنسية عند أهل الحضر في المدن، كما يرى الدكتور جواد علي، حيث يذكر أن النسب له" عند العرب شأن كبير، ولا يزال العربي يقيم له وزنا، ولاسيما عربي البادية، فعلى نسب المرء في البادية تقوم الحقوق، بل حياته في الغالب، فنسب الإنسان هو الذي يحميه وهو الذي يحافظ على حقوقه ويردع الظالم عنه ويأخذ حق المظلوم منه، وقد يبدو ذلك للمدني الأعجمي أمرًا غريبا شاذا غير مألوف"[٤٨]

ونرى أنّ النسب يمثّل بنية ثقافية عند العرب ذات أبعاد مختلفة، سواء على مستوى الرواية (اللسان) أو المستوى الاجتماعي(الإنسان) أو المستوى البياني(البيان) ، خلافًا للأعاجم وأهل الحواضر القريبة من السواحل ومن بلاد الأعاجم، حيث يفسّر علي جواد ذلك بالاختلاط "ولهذا ضعفت فيها وشائج الدم والنسب، وكثر فيها التزاوج والتصاهر بين العرب والعجم، فصعب على الناس فيها المحافظة على أنسابهم، وقلّت الفائدة من النسب عندهم، ولهذا لم يعتنوا به عناية الأعراب بالأنساب"[٤٩].

ويمكن أن نلحظ شكل شجرة النسب، في مستواها التجريدي، حاضرا في الصيغ الآتية:

أ- العرق: ويتمثّل في سلسلة النسب العريقة الممتدة بين الآباء والأبناء، واهتمام العرب بهذا الجانب والمفاخرة به في أصالته وأرومته، وقد عزز الإسلام جانب حفظ الأنساب ونبذ المفاخرات الجاهلية.

ب- الرواية: وتتمثّل في سلسلة الرواة من الشاعر إلى رواته حتى زمن التدوين، وكذلك في الحديث الشريف في علم الرواية وما يتصل به من الجرح والتعديل.

ج- الكناية: وتتمثّل في الاتصال السببي اللزومي بين المعاني، من جهة دلالة اللفظ على معنى يدل على معنى، فيما سمّي بمعنى المعنى، و اللافت أن معنى المعنى رغم أنه يشمل التمثيل والاستعارة إلا أنّ أساسه وجوهره في الكناية، لأن الكناية قائمة على

[٤٥] الطريق إلى مكة، ص١٢٦
[٤٦] السابق
[٤٧] السابق
[٤٨] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، نشر جامعة بغداد، الطبعة الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، ١/ ٤٦٦

[٤٩] السابق، ص٤٦٦ – ٤٦٧ .

الردف في الوجود، فهي أشبه بالدلالة على الأب بالابن، و إن كانت دلالة الكناية عرفية غير عقلية، أي أنها ليست لازمة كما في النسب العرقي، بيد أنها تمثّل النسب البياني من جهة أنّ **النسب** ظاهرة بيانية في اللسان العربي القديم، وعلى هذا تبدو ثقافة الصحراء ذات سلسلة نسبية تركيبية تجمع ثلاثة مستويات، كما في الشكل الآتي:

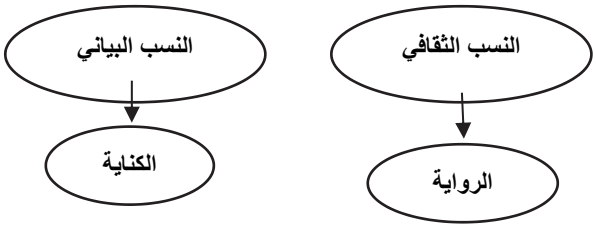

ففي حين يقوم النسب العرقي بحفظ رابطة الجماعة يقوم النسب الثقافي ممثلا في الرواية بحفظ رابطة الثقافة، أما النسب البياني فيحفظ رابطة اللسان من طريق التعبير الجمعي العرفي الذي تؤدّيه الكناية على الوجه الأكمل.

وقد لفت الشيخ محمود شاكر إلى هذا الترابط النسبي في بنية الثقافة العربية التي عززها الإسلام بما سمّاه الإحساس بالتاريخ في نص نفيس ننقله كاملا لأهميّته، يقول رحمه الله: "والإحساس بالتاريخ ظاهرةٌ فريدة، معرقة القدم في تاريخ عرب الجاهلية، وقد ترك أثره البيّن في حياتهم، ثم في لغتهم، ثم في شعرهم، فلما جاء الإسلام زاد هذا الإحساس نفاذًا ووضوحا، لحاجتهم إليه في تاريخ تنزل القرآن منجّمًا على مدى ثلاث وعشرين سنة ،وما يترتّب على ذلك من معرفة الناسخ والمنسوخ من القرآن والحديث، وما ارتبط بذلك من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة بعد سنة بعد الحجرة، فلما جاء عهد التدوين اتّسع هذا الإحساس، وصار واضحًا ظاهرًا في الكتب المخطوطة، ثم في أسانيد هذه الكتب، وكان أشدّ وضوحًا عند علماء التفسير والحديث وعلم الجرح والتعديل"[٥٠]، وفي هذا ربط جيد ومتماسك بين مكونات البنية الثقافية في عراقتها وامتدادها في صيغة نسب عبر التاريخ.

في مقابل الصحراء تحيل الغابة على شجرة الطبيعة، وهي الشجرة التجسيدية في مقابل شجرة النسب ذات البعد الزمني، ولهذا لا غرابة أن نجد حضورا مجازيا لافتا للشجرة في التعبير عن الحضارة وامتدادها، كما نجد ذلك عند الباحث الأمريكي رالف لنتون، الذي اختار شجرة البانيان(شجرة التين الهندي) للتعبير عن فكرة الحضارة، "فأغصان شجرة البانيان تتقاطع وتندمج ثم ترسل تحو الأرض بعض الأغصان الزائدة كجذع في الهواء فتتحول إلى جذوع قائمة، وبالرغم من أن شجرة البانيان تتفرّع وتنمو حتى تصبح أجمة صغيرة فإنها في الحقيقة شجرة واحدة ويمكننا أن نتتبّع الفروع المختلفة فنصل إلى الجذع الأصلي لها جميعا، وهكذا الحال في التقدّم الحضاري"[٥١].

وقد كان رالف لنتون في هذا الكتاب متسقا في رؤيته مع العنوان، إذ تبنّى إنسان داروين، (إنسان

[٥٠] المتنبي، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، دار المدني بجدة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص٣٩

[٥١] شجرة الحضارة، ١ / ٢٩

الأدوات)، الذي ينمو في خط تصاعدي تطوّري كما تنمو أشجار الغابة وكما تتطور الطبيعة بيولوجيّا، فنراه يؤكد، بحسب تعبيره،" أنّ مؤسسي فرع عائلتنا البشرية قد تلقّوا تعليمهم في أعلى فروع الأشجار"[٥٢] وأنّ "أولى الخطوات للوصول إلى مرتبة الإنسان هي الخطوة التي بدأت عندها تلك الحيوانات الصغيرة تتخذ طريقة جديدة في تنقلاتها، فبدلا من أن تثب من غصن إلى غصن بدأت تطوّح نفسها من واحد إلى آخر كما يفعل أحد الرياضيين بحلقات العقلة، ونتج عن ذلك تغييرات مهمة في الجسم كانت بكل تأكيد الأساس لأكثر التطورات التي ظهرت فيما بعد في الجسم الإنساني"[٥٣].

ومما يعضد تصوّرنا عن العلاقة بين الغابة والحضارة في بعدها المادي التطوّري خارج المفهوم الثقافي بمستواه الروحي، هو حضور الغابة مجازيا كفضاء مكاني لانطلاقة الإنسان الأولى نحو تشييد حضارته بدءا من المسكن الخشبي، إلى أن انتقل من ثم إلى الصراع من أجل العيش، أو بتعبير الداروينية الصراع من أجل البقاء وهو ما تؤكده فلسفة نيتشه في الأخلاق، بحثا عن الإنسان المتفوّق على نوعه، وهي الفلسفة التي سيقت على لسان زرادشت، و كان معتزلا في غابة، فحضور الغابة هنا يصلح رمزا للحضارة الغربية التي أنتجت الإنسان المتفوّق، بمفهوم نيتشه، في حين أنّ الصحراء ترمز إلى"الوجود القاحل الذي لا غاية له"[٥٤]، بحسب وصفه لها ،وفي الوقت نفسه أشار إلى" أجواء الصحراء المتمتعة بالحرية، وهي بابتعادها عن المعمور تولي أبناءها الحياة الساذجة الطاهرة على نقيض ما تورثه ثقافة أوروبا الشمالية من الخشونة والكثافة"[٥٥].

إن الكثافة التي تعيشها أوروبا هي في الحقيقة كثافة المادة التي امتدّت عبر الحضارة من العصا إلى الريموت، أو من عصر الأدوات البسيطة إلى عصر التقنية المعقّدة بدءا من فلسفة الأنوار وانتهاء بفلسفة التفكيك في نموذجها التقني المعاصر[٥٦]، في حين استحال إنسان الصحراء، (إنسان العلامات) ،عبر الثقافة الإسلامية إلى (إنسان الآيات) الذي هيّأته الصحراء بفضائها الفسيح المبتعد عن المعمور لاستقبال صوت السماء وتلقّي الوحي؛ ومن هنا يمكن القول إن الثقافة هي روح الصحراء كما أن الحضارة هي جسد الغابة الكثيف الذي حجب بالطبيعة خالقها، فإذا كان للثقافة نسب إنساني مجرّد في العلاقات فللحضارة نسبٌ طبيعي مجسّد في الوسائل والأدوات.

لهذا كانت الصحراء ببعدها عن الكثافة المادية مكانًا صالحًا لصوت السماء وروح الإنسان في بعدها الديني الرسالي وقد أشار محمد أسد. إلى هذه العلاقة بين الصحراء ورسالة الأديان السماوية، إذ يقول في

[٥٢] السابق، ١/ ٢٩
[٥٣] السابق، ١/ ٣٠
[٥٤] هكذا تكلم زرادشت، نيتشه، ص ٢٧
[٥٥] السابق
[٥٦] ينظر: أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، لوك فيري بالتعاون مع كلود كبلياي، ترجمة: محمود بن جماعة، التنوير، لبنان ،بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٥م، ص ٣٠٦ وما بعدها .

نص مهم عن أثر الصحراء في الوصول إلى الخالق الواحد، نسوقه كاملا لأهميّته:

"منذ بدأ وعي البشر في التكوّن، كانت الصحراء مهد كل إيمان بالخالق الواحد. حتى في المناطق المعتدلة الأطيب مناخًا والألطف طقسًا كان الإحساس الغامض بوجوده ووحدانيته يهيمنان على ذهن البشر، ظهر ذلك في المفهوم الإغريقي القديم عن "مويرا" كقوة غير محددة أعلى من آلهة جبال الأوليمب، إلا أنّ المفهوم لم يزد على كونه مشاعر مبهمة غير متبلورة إلى مفهوم كامل، إحساس بالألوهية أكثر مما هو معرفة يقينية =حتى تفجّرت المعرفة بيقين متوهّج بين سكان الصحراء. انبثق اليقين من عليقة متوهجة في صحراء ميديان ومنها انبعث صوت الله إلى كليمه موسى؛ كما انبثق من صحراء الأردن التي تلقّى فيها المسيح رسالة "مملكة الرب"؛ وانبثق اليقين من غار "حراء" في تلال الصحراء، بالقرب من مكة، حين نزل أوّل وحي على محمد، ابن الجزيرة العربية"[٥٧].

٣- البيان اللطيف والنص الكثيف:

تبدو الصحراء في علاقتها مع المعاني كاشفة لا تنزع إلى الأستار الكثيفة في تناغم مع طبيعتها، ومن هنا جاء البيان العربي معززا لقيمة الوضوح الذي لايعني أن تطفو الأشياء على السطح، وإنما يعني الدقة في الدلالة، سواء من جهة ربط الأشياء بعضها ببعض كما في التشبيه أو من جهة التعبير عن المعاني بالموضوعات والعادات كما في الكناية.

والتشبيه والكناية من أبرز الظواهر البيانية التي نقلت لنا عالم الصحراء وكشفت عنه وجعلته متاحا لفهم البيان العربي في علاقته بالصحراء، حتى إن المبرد أشار إلى ذلك، فيما يخصّ التشبيه، في قوله: "والتشبيه جار في كلام العرب حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد"[٥٨].

أما الكناية فتمثّل تعبير الجماعة بالصور التي تنقل الموروث الاجتماعي بطريقة الإرداف الذي ذكره قدامة بن جعفر وعبد القاهر الجرجاني، إذ تؤدّي المعنى بمعنى هو ردف في الوجود[٥٩]، وهذه المعاني المرادفة هي العادات والتقاليد والآداب الاجتماعية، كوفرة الرماد للكرم، ونوم المرأة الضحى للترف، وشدّ الإزار للجدّ وغير ذلك من الصور الحياتية المجتلبة من واقع العربيّ في الصحراء.

والذي لفتني في الكناية هنا وجعلني أربطها بالنسب أمران: الوسائط ،والكنية ، أما الوسائط فذكرها قدامة في حالة تعدد الأرداف، يقول: "ومن هذا النوع ما يدخل في الأبيات التي يسمّونها أبيات معان، وذلك إذا ذكر الردف وحده ،وكان وجه اتّباعه لما هو ردف له غير ظاهر، أو كانت بينه وبينه أرداف أُخَرُ،

[٥٧] الطريق إلى مكة، ص ١٧٤، ١٧٥.

[٥٨] الكامل ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي، الرسالة العالمية، الطبعة الخامسة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ٢/ ٩٩٦.

[٥٩] ينظر: نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ص ١٥٥ – ١٥٦ ، ودلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، جدة – القاهرة ، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص٦٦

كأنّها وسائط، وكثرت حتى لا يظهر الشيء المطلوب بسرعة"[٦٠].

وبالرغم من أنّ قدامة عدّ هذه الوسائط حين تؤدّي إلى خفاء المعنى وغموضه من عيوب الشعر[٦١]، إلا أننا من وجه آخر نعدّها من قبيل السلالة النسبية للمعنى الذي يستند على تتابع الأرداف في الوجود كسلالة النسب الإنساني، "وقد حاول السكاكي وهو يحصي حلقات تلك السلسلة التي تربط الأرداف بالمعنى المقصود، والتي تتكون من حلقة واحدة كما ترى في الكناية القريبة ، وقد تتكوّن من عدة حلقات كل فكرة تسلم خيط الفكرة وشعاع الإدراك إلى الأخرى، حتى تنتهي إلى المقصود كما في الكنايات البعيدة، ...، حاول السكاكي أن يضع بإزاء هذه الوسائط مصطلحات ليست لازمة، وإنما هي مستحسنة"[٦٢].

فإذا أنعمنا النظر في هذه المصطلحات وهي التلويح والرمز والإيماء والإشارة وجدناها من مستويات الكناية بحسب القرب والبعد من المعنى "فإذا كثرت الوسائط كما رأينا في (كثير الرماد) سميت الكناية تلويحا، لأنّ التلويح أن تشير إلى غيرك من بعيد، وإن قلّت الوسائط وكان فيها ضرب من الخفاء سميت رمزا، لأنّ الرمز إشارة خفية إلى من هو قريب منك"[٦٣]، ومن هنا يتبيّن لنا جوهر الفرق بين الرمز بمفهومه العربي والرمز بمفهومه الغربي، ذلك أن الأول نتيجة لسلسلة نسبية يفضي بعضها إلى بعض في رباط سببي يتعلّق بالردف في الوجود، في حين أن الثاني نتيجة بنى متداخلة من الدلالات التي يعادل بعضها بعضًا، وبصيغة أخرى يتعلّق الأوّل بلطافة البيان والثاني بكثافة النص، وقد أشار أبو موسى إلى الفارق بين الرمزين في سياق حديثه عن الكناية، رغم اختلافنا معه على وصف التقسيم بالتائه، يقول: "وذِكرُ الرمز في هذا التقسيم التائه أغرى بعض من يتعلّقون بهذا العلم وبالحداثة أيضًا بربطه بالرمز الأدبي، وحاول أن يجد للرمزية مسلكًا في أسلوب الكناية، وتلك سذاجة وجهل بطبيعة الرمزين، لأنّ الجامع بينهما هو الجامع بين قول الشاعر: (أكلت النهار بنصف النهار)، يعني أكل فرخ الحبارى ويسمّى نهارًا"[٦٤].

وترتكز العلاقات البيانية في أمرين:

أ- علاقة الربط: حيث تتم من طريق التشبيه بدقة تكشف عن نباهة إنسان الصحراء وتحسسه ورصده عالمه الفسيح.

ب- علاقة المجاورة: وهي نتاج إحساس عميق بالجوار، سواء على المستوى الاجتماعي أو المستوى البياني، وقد نتج عن علاقة الجوار: المجاز المرسل والكناية، و كلا الأسلوبين مبني على اللزوم، اللزوم العقلي في المجاز واللزوم العرفي في الكناية، ففي المجاز المرسل يتم التعبير عن الغيث بالرعي أو

[٦٠] نقد الشعر، ص ١٥٨ .
[٦١] ينظر: السابق نفسه.
[٦٢] التصوير البياني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ٤٣٨.
[٦٣] السابق، ص ٤٣٩.
[٦٤] نفسه

العكس، لعلاقة لازمة بينهما هي علاقة السبب بالمسبب، وكذلك الجوار المكاني أو الزماني كما في التعبير عن الشيء بالمكان أو الزمان في علاقات المجاز، ومثلها بقية العلاقات الأخرى التي تتمحور في علاقة لا تخرج عن جوهر الجوار[٦٥].

أما الكناية فالعلاقة فيها عرفية ارتباطية، كعلاقة الكرم بكثرة الرماد،أو علاقة طول النجاد بطول القامة، وهكذا في بقية العلاقات الكنائية التي تربط بين التعبير العرفي والمعنى المراد.

إن هذه العلاقات، بمستوييها(الربط والجوار)، جعلت البيان العربي في نمطه الفخم يرتكز على التشبيه والكناية، وهاتان الظاهرتان تكشفان عن أثر الصحراء في البيان كما تدلان على أن البيان مرتبط بهذا الفضاء المكاني المجرّد ارتباطا عضويا بحيث يبدو مبينا كاشفا كطبيعة الصحراء الممتدة في إطارها الزماني والمكاني، وتبعًا لذلك فهي تعزز الارتباط بين المكان والإنسان والبيان وتنتظمهم في بنية واحدة هي بنية العلاقات.

في المقابل تأتي الغابة بكثافتها وما تحيله الشجرة، (أصغر وحدة فيها)، من تشابك في العلاقات بين الأغصان وامتدادها على عالم كثيف متشابك أشبه بعالم الرمز والأسطورة ، وعلى هذا يأتي الرمز مقابلا للكناية العربية، وتأتي الاستعارة في مقابل التشبيه، حيث تبدو الأسطورة استعارة كبرى تتسق مع عالم الغابة الكثيف، في حين يبدو الرمز أشبه بالشجرة التي تحيل على علاقات متشابكة من الدلالات.

وهكذا تبدو لنا الغابة ذات غموض دلالي في مقابل وضوح الصحراء ،وذات زمن معقّد في مقابل الزمن الممتد البسيط في فضاء الصحراء.

وقد لاحظ محمد أسد هذه المفارقة المبنية على النغم الآحادي في الصحراء، والنغم المتعدد في الثقافة الغربية التي نراها في هذه الدراسة تستقي مرجعيتها الطبيعية من الغابة، حيث يرى أنّ "روح العرب آحادية النغمة – لا بمعنى فقر الخيال والإبداع فهم يحوزون الكثير منه، إلا أنّ غريزته (يقصد العربيّ) لا تمضي منطلقة مثل غريزة الرجل الغربي خلف فراغ ثلاثي الأبعاد ذي جوانب انفعالية متعددة"[٦٦]

ومن هنا يمكننا القول إن الصحراء أنتجت مفهوم البيان وجعلته مهيمنا في الذاكرة العربية والإسلامية بوصفها مهد الإسلام، في حين أنتجت الغابة مفهوم النصّ المعقّد في نسيجه، بمفهومه في الذاكرة الغربية.

وبالنظر إلى الفارق الدلالي بين مفهوم النص في الثقافة العربية ومفهومه في الثقافة الغربية تظهر لنا

[٦٥] وصلت علاقات المجاز عند بدر الدين الزركشي إلى ثمان وثلاثين علاقة،(البحر المحيط، ص٦٧ – ٩٠) ،وقد أدرجتها الباحثة سالمة الراجي ضمن ثلاثة محاور كبرى (البعد السببي) و (البعد الكمي) و(البعد الظرفي) (ينظر: التحليل الحجاجي للخطاب،،إشراف وتقديم د. أحمد قادم، د. سعيد العوادي، عمان ،الأردن، كنوز المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م، بحث بعنوان :حجاجية المجاز المرسل في القرآن الكريم، سالمة الراجي، ص ١٣٦)، وجمعها د. سعيد العوادي في أربعة قوانين: العلة والتحول والكم والحلول (ينظر: التحليل الحجاجي، بحث بعنوان: درس المجاز المرسل في البلاغة العربية،نحو قراءة حجاجية، د. سعيد العوادي، ص ٦٧٤)، ونرى أن هذه المحاور كلها تنتظم تحت بنية المجاورة، سواء كانت سببية أو مسببية، أو كمية، أو ظرفية زمانية أو مكانية.

[٦٦] الطريق إلى مكة، ص١٦١

فروقات معجمية جوهرية ترتبط بالبيئة الطبيعية والثقافية، فالنص في الثقافة العربية يعني معجميا البروز والظهور والارتفاع[٦٧]، كما يعني ثقافيا إسناد الحديث إلى أهله[٦٨] ،بالإضافة إلى معنى الوضوح وعدم الاحتمال في الدلالة، وفي أقرب أحواله للنص بالمفهوم الحديث يحيل على المتاع وتراكمه[٦٩]، وضمّ الشيء إلى بعضه، وكلّ هذه المعاني تدور على محاور الرفع والإظهار وضمّ الشيء وأقصى الشيء ومنتهاه[٧٠].

أما في الثقافة الغربية ،بدءًا من العصر اليوناني القديم، فيعني النسيج[٧١]، ولذلك يحيل على الروابط والعلاقات المتشابكة كما يظهر مجازيا في شكل الغابة ذات الفروع المتشابكة والأشجار الكثيفة، فكما أن الغابة نسيج مجازي من الأشجار فالنص، في الثقافة الغربية "نسيجٌ من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كلٍّ واحد"[٧٢]، ولذلك فهو "يقوم في داخله على شبكة من العلاقات المنظمة التي تؤدّي إلى تكتّل النص"[٧٣] في صورة موازية لتكتّل الغابة وامتدادها لتكون هي العلامة الكبرى أو الاستعارة الكبرى لعالم الحضارة الإنتاجي بمحاذاة النص الذي يعدّ هو الآخر، في المنظور اللساني الغربي "عملية إنتاجية"[٧٤] بسبب أنّه يشير إلى"بيانات مباشرة تربطها بانماط مختلفة من الأقوال السابقة المتزامنة معها"[٧٥]، والممتدة فيها في صيرورة إنتاجية عبر رحلة النصوص المتوالدة بعضها من بعض.

بناء على ذلك يمكن النظر إلى المسارين، البيان العربي والنص الغربي، على النحو الآتي:

١- البيان العربي: فضاؤه الصحراء، وقيمته الوضوح، وأدوات التعبير فيه التشبيه والكناية، وأداة القراءة الاستنباط.

٢- النص الغربي، فضاؤه الغابة، وقيمته الغموض، وأدوات التعبير فيه الاستعارة والرمز، وأداة القراءة التأويل.

أو كما يتضح في الشكل التالي:

١ . مسار البيان العربي: ← صحراء ← بيان ← وضوح ← تشبيه ← كناية ← استنباط

٢. مسار النص الغربي: ← غابة ← نص ← غموض ← استعارة ← رمز ← تأويل

---

[٦٧] ينظر: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، مادة: (نَصَصَ).

[٦٨] نفسه

[٦٩] نفسه

[٧٠] ينظر: النص بين البلاغة والأسلوبية الحديثة، د. عماد بسام غنوم، بحث منشور ضمن كتاب(البلاغة بين النقد والأدب واللغة، أعمال المؤتمر الدولي الأوّل بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الطفيلة التقنية، الأردن، كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م، ١/ ١١، ١٢، وينظر أيضًا: دراسة بعنوان (الترابط النصي، دراسة في المتن النظري للنص الشعري، د. موسى الزهراني، الجمعية العلمية السعودية للأدب، بالتعاون مع دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ ٢٠١٧م، ص ١٢١وما بعدها).

[٧١] ينظر: قاموس المورد، منير البعلبكي، مادة [Taxt] . نقلا عن الترابط النصي، ص ٢٥٣ .

[٧٢] نسيج النص: بحث فيما يكون الملفوظ به نصا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، الطبعة الأولى،١٩٩٣م، ص ١٢.

[٧٣] الترابط النصي، ص ٢٥٣ .

[٧٤] بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - الشركة المصرية العالمية للنشر(لونجمان)، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص -٢٩٥ .

[٧٥] السابق، ص ٢٩٤- ٢٩٥ .

على هذا التصور تبدو الغابة أشبه بنص معقّد غامض يفضي إلى عالم غامض مزدحم بالأشياء، هو عالم الحضارة، خلافا للصحراء التي تحيل على بيان يفضي إلى عالم واضح بسيط غير معقّد، هو عالم الثقافة بمفهومه اللغوي الذي يعني الصقل والتهذيب الروحي المنعتق من كثافة المادة.

كما أنّ الغابة بما تحيل إليه من رموز وأساطير تعزز قيمة الغموض على مستوى الإنتاج، والتأويل على مستوى التلقّي، في حين أنّ الصحراء بما تحيل إليه من تشبيهات وعلاقات تعزز قيمة الوضوح على مستوى الإنتاج، والاستنباط على مستوى التلقّي[٧٦].

٤. غواية الشعر ومتاهة الرواية:

أشار الجاحظ من قبلُ إلى علاقة كل أمة بخصوصية تميزها عن الأمم الأخرى، حيث ذهب إلى أنّ "كل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها، وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب، وشكل من الأشكال، وكانت العرب تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون، والكلام المقفّى، وكان ذلك ديوانها،...، وذهبت العجم على أن تقيّد مآثرها بالبنيان فبنوا مثل كردبيداد، وبنى أردشير بيضا اصطخر وبيضا المدائن"[٧٧]، ثم خلص إلى أنّ" الكتب أبقى من بنيان الحجارة وحيطان المدر، لأنّ من شأن الملوك أن يطمسوا على آثار من قبلهم، وأن يميتوا ذكر أعدائهم، فقد هدموا بذلك السبب المدن، وأكثر الحصون"[٧٨] ، ففي رأي الجاحظ هنا ما يشير إلى تعاقب الحضارات والدول ومحو بعضها بعضا، كما يشير إلى بقاء الثقافات وامتدادها على مرّ العصور، لأنّ البيان أبقى من البنيان، والثقافة أعرق من الحضارة وأبقى أثرا.

وعلى هذا التصور يمكننا النظر إلى ثنائية الشعر والرواية باعتبارهما نتاج ثنائية الصحراء والغابة على المستوى الأدبي والبياني، فإذا كان الشعر هو ديوان العرب وهو "علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه"[٧٩]، كما ورد في عبارة عمر رضي عنه، وفي نصّ الجاحظ، فإنّ الرواية هي ديوان العجم ،تحديدًا الغرب، كما ذكر ميلان كونديرا الذي يرى"أنّ الرواية هي مبدع أوروبا واكتشافاتها حتى ولو تمّت بلغات مختلفة تنتمي إلى أوروبا كلّها"[٨٠]

ونرى أن هذا التصنيف يتّسق مع طبيعة كل ثقافة، كما يتسق مع الفضاء المكاني بنوعيه الصحراء والغابة، فالشعر باعتباره يعزز الصوت الواحد أقرب إلى طبيعة الصحراء وإلى الذات الإنسانية في وحدتها، في حين أن الرواية ذات بنية تعزز الأصوات المتعددة، ولذلك تبدو من هذا الجانب أقرب إلى فضاء الغابة الكثيف المزدحم بالأشجار،

---

[٧٦] تجدر الإشارة هنا إلى أن مصطلح الاستنباط مأخوذ في جذره اللغوي من استنباط الماء، أي إخراجه من باطن الأرض، والماء هو حياة الصحراء وموضع الاهتمام به في الترحّل والكشف عن مواقعه ومنابعه.

[٧٧] كتاب الحيوان للجاحظ، تحقيق د. إيمان الشيخ محمد، غريد الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ٥٨/١

[٧٨] السابق، ١/ ٥٩

[٧٩] طبقات فحول الشعراء،لابن سلام الجمحي، تحقيق محمود شاكر ،دار المدني، ١٣٩٤هـ ،٢٤/١

[٨٠] فن الرواية، ميلان كونديرا، ترجمة د. بدر الدين عردوكي، مكتبة الإسكندرية، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص١٣، ١٤

فالشعر كان سجلا لمآثر العرب، في حين أن الرواية هي ناقلة الحضارة الغربية والمعبّرة عن رؤيتها، وفيما يلي نقف على علاقة كل فضاء بنموذجه الأدبي المهيمن:

أ . الشعر: إيقاع الصحراء وقافية الأثر:

استنبط النقاد مقاييس جمالية للشعر العربي أطلقوا عليها مصطلح (عمود الشعر)[٨١]، وهي مقاييس ذات علاقة بالطبيعة الصحراوية، **فشرف المعنى** علو وارتفاع على هضبة أو تلّ، و **جزالة اللفظ** قوة ومتانة واشتعال مستمر لسخاء دلاليّ يجعل اللفظ محملا بالأثر التاريخي أو الاجتماعي، و**الإصابة في الوصف** نباهة عربية واحتفاء بكل مفردات الصحراء وموضوعاتها والتقاط لكل أشيائها، **والمقاربة في التشبيه** ربط بين العلاقات في لوحة الصحراء الفسيحة كتلك العلاقات التي تربط بين الأفراد في القبيلة، **ومناسبة المستعار للمستعار له** ليست سوى امتداد لعلاقات التشبيه وتعميق لهذه العلاقات في لوحة كونية تتحد فيها الأشياء اتحاد تناسب لا اتحاد تنافر، كما يظهر في المخطط التالي:

كل ذلك يأتي في بناء متماسك يدعمه الإيقاع الممتد امتداد صوت الصحراء في هذا الفضاء كرحلة قافلة عربية توقع بخطى الجمال أثرًا كأثر القافية الممتدة عبر بناء القصيدة، في تناغم يجمع بين أثر القافلة وأثر القافية، وعلى هذا تقوم إيقاعيّة التكرار في القصيدة الجاهلية لإنقاذ زمن الصحراء الممتد والسيطرة عليه "فالتكرار استخدام للزمن بطريقة تنقذ الزمن"[٨٢] أو هو"استخدام الصحراء بشكل ينقذ الصحراء"[٨٣]، ومن هنا يعتبر" التكرار في الجاهلية هو بُعْد الصحراء الذي يتجلّى عند النظر إلى الأمام والالتفات إلى الوراء"[٨٤].

وبالرغم من أن وصفنا هنا نحا منحى مجازيًّا في رصد العلاقة بين الشعر العربي، أو القصيدة العربية في نموذجها المكتمل حسب الذوق الجمالي الذي رصده النقاد ممثلا في عمود الشعر، وبين الصحراء، إلا أنّه يعكس بالفعل طبيعة هذه العلاقة في مفرداتها وصورها وبنائها وإيقاعها الذي يستند على التكرار للبنيات الصوتية والصياغية، فالقصيدة الجاهلية خيمةٌ، بحسب وصف أدونيس "مليئة بأصوات النهار وأشباح الليل، بالسكون والحركة، بالحسرة وانتظار الوعد. هي شيءٌ يحيط به الفضاء من كل جانب: مليء بالتجاويف، يتخلخل ويترنّح، ويجلس في

[٨١] ينظر المعايير السبعة التي ذكرها المرزوقي في مقدمته لـ (شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، تأليف أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، علّق عليه وكتب حواشيه غريد الشيخ، راجع فهارسه العامة إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ ، ١ / ١٠).

[٨٢] مقدمة للشعر العربي، أدونيس، دار الساقي، ،بيروت، لبنان، طبعة ٢٠١٦م، ص٢٧

[٨٣] السابق

[٨٤] السابق،ص ٢٨

الحرارة الشاغرة. إنّها فضاء الشاعر إلى جانب الفضاء الآخر المحيط"[٨٥] .

و قد سلكنا هذا المسلك في الرصد لإيماننا أن الكشف عن الصلة الوثيقة بين المكان والفن تحتاج إلى مثل هذا المسلك المجازي كي يصل الاستبطان إلى عمق العلاقة، حسب معايير عمود الشعر في صورته النهائية.

تلك مقاربة تبرز من خلالها علاقة الشعر بالصحراء وتبيّن تناغم عالمي البيان والمكان في ذائقة إنسان الصحراء، و كيف أنتجت الصحراء بيانها وفنّها النموذجي الأوحد بما يعزز قيمة البيان ورؤيته التي امتدت فيما بعد في صور وأساليب شتى قبل أن يجيء الإسلام الذي نقل إنسان الصحراء من مستوى العلامات إلى مستوى الآيات، ومن بيان الشعر إلى بيان القرآن.

يتضح من ذلك أن الصحراء كانت مكان تهيئة لاستقبال رؤية جديدة ينتقل بها الإنسان العربي من قراءة الكون قراءة ترتكز على علامات وإشارات يذهب بها مذاهب مختلفة من الخوف والترقّب والتوجس من المجهول أو في أقصى حد معرفة علامات الطريق واستبطان الملامح كما في قص الأثر والقيافة والفراسة العربية، إلى قراءة جديدة تعتمد على النظر في ملكوت السماوات والأرض والعبور من آيات الكتاب المبين إلى آيات الكون المستبين، وفي هذا السياق نذكّر بمنهج عبد القاهر في الكشف عن الإعجاز حين جعل الشعر طريقًا إلى الوقوف على إعجاز القرآن ونقض كل حجج الذين ذمّوا الشعر وصولا إلى هذه الغاية.

ب ـ الرواية: متاهة الغابة وحكاية الشجر:

تحضر الرواية في العالم الغربي في البدء ممثّلة للرؤية الغربية للعالم وهي تطور طبيعي عن السرد الملحمي اليوناني القائم على الأساطير، غير أنّها تمثّل تحوّلا مفصليا في الانتقال من الزمن المتعالي إلى الزمن التاريخي، ومن الإله إلى الإنسان، كما يوضّح ذلك ميلان كونديرا في حديثه عن بدايات فن الرواية مع سرفانتس. يقول:" عندما كان الإله يغادر ببطء المكان الذي كان يحكم منه العالم وسُلَّم قيمه يفصل بين الخير والشرّ ويمنح معنى لكلّ شيء ،خرج دون كيشوت من بيته ولم يعد قادرًا على التعرّف على العالم"[٨٦].

و كان لهذا التحوّل دلالته العميقة على ما نحن بصدده من مقاربة بين الرواية والغابة في أنهما يفضيان إلى الغموض والتيه وتشعّب الدروب،" فقد بدا هذا العالم فجأة، في غياب حاكم أعلى، غامضًا غموضًا رهيبا، لقد تفتّتت الحقيقة المطلقة الوحيدة إلى مئات من الحقائق النسبيّة يتقاسمها الناس"، وفي هذا الفضاء، بحسب كونديرا" وُلِد عالم الأزمنة الحديثة والرواية، صورته ونموذجه، معه"[٨٧].

يقودنا ذلك إلى القول إنّ سيميائية الغابة تتسق مع فكر أوروبا الحديث في نزوعه إلى الطبيعة، كما

[٨٥] السابق

[٨٦] فن الرواية، ميلان كونديرا، ص١٤

[٨٧] السابق

أشرنا إلى ذلك من قبل فيما قرّره الجابري، وهي تحيل على العالم الكثيف المزدحم بالمادة، كما تحيل على إنسان الطبيعة الداروينى، وعلى إنسان الغاب الذي يغلب يحكمه منطق الصراع والقوّة.

وفي سياقٍ آخر، يعدّ امتدادًا لفكر أوروبا الحديث، استعار أمبرتو إيكو الغابة للتعبير عن عالم السرد باعتباره يتيح عددا من المسارات والاختيارات وهو في هذا يشبه الغاب في استعارة بورخيس: "حديقة ذات دروب تتفرّع، وحتى إذا لم تكن ذات دروب مخططة، فبإمكان كل واحد منا يرسم مساره الخاص، وأن يختار السير يمينا أو شمالا عند شجرة ما، ويقوم بالاختيار عند كل شجرة تعترضه".

ووجه المقارنة عند إيكو بين الغابة والنص السردي، في التلقّي، أنه في النص السردي" يستوجب على القارىء في كل لحظة أن يقوم باختيارٍ ما".

و من ثم ربط إيكو بين التأويل ودروب الغابة، باعتبار أن الرواية خصوصا بما تحتويه من شخوص وأصوات وأحداث متشابكة كغابة مستعارة، وفي هذا إشارة إلى طبيعة النص الغربي المكون الرئيس للثقافة الغربية، وإلى غموضه الذي يحتاج إلى أكثر من تأويل،" فالنص السردي غابة وله ما للغابة من المزايا والخصائص والأسرار"[٨٨] وهو أيضًا أمرٌ منسجم مع الحضارة في تعدد مساراتها وخياراتها وما تؤول إليه عبر التقدّم والتاريخ من أشكال حضارية بدأت من العصا إلى آخر أداة حديثة من أدوات التقنية[٨٩].

ج . الاستعارة الكبرى بين التفكير والتعبير:

نخلص مما سبق أنّ ثمة استعارة كبرى انتقلت من مستوى التفكير إلى مستوى التعبير، وتحديدًا إلى المستوى الأدبي المجازي، بما يعزز أنّ الثقافة هي صانعة المجاز في إطاره الكلي، فعلى مستوى الثقافة العربية تبدو لنا الصحراء إطارا مرجعيا واستعارة كبرى ترفد المجازات الأدبية التي يعبّر بها الشاعر أو المتكلّم بشكل عام عن أفكاره، كما أنّ الغابة بالنسبة للثقافة الغربية إطارًا كليًّا واستعارة كبرى ترفد النصوص الشعرية والسردية معًا، وفي هذا ما يؤكد العلاقة الوثيقة بين مستوى التفكير ومستوى التعبير، بل ويكشف بجلاء أنّ المستوى البياني والأدبي نتيجة من نتائج الفكر، وفي مستواه الأشمل نتيجة من نتائج الثقافة والحضارة باعتبارهما إطارين للفكر والبيان الأدبي.

وفي هذا السياق التقابلي بين ثقافتين قارب أحد الباحثين بين لوحتين تشكيليتين من منظور حجاجي ،"إحداهما لفنان فرنسي والأخرى لفنان مغربي اشتغلا على تيمة الصحراء"[٩٠]، فكان من أبرز ما رصده من فروق في التعبير عن الصحراء من خلال الفرشاة ما يلي:

---

[٨٨] تأملات في السرد الروائي، أمبرتو إيكو ، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية ٢٠١٥م، مقدمة المترجم، ص٨

[٨٩] ينظر، الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش، دار الشروق، الفصل الخاص بالثقافة والحضارة.

[٩٠] بحث منشور بعنوان: الحجاج بالفرشاة، قراءة في التعارض الفني بين لوحتين تشكيليتين، د. سمير جلولات، (التحليل الحجاجي للخطاب، ص٧٣٢).

١ . مستوى اللون: يعكس اختيار اللون الأبيض في لوحة الفنان الفرنسي "انبهار صاحبها بالإضاءة التي وجدها في الصحراء، وهو القادم من فرنسا حيث السماء ملبدة بالغيوم والسحب أيام السنة"[٩١]، في حين يعكس اختيار اللون الأسود في لوحة الفنان المغربي "التجريد من خلال اشتغاله على خلفية سوداء تتيح له تعميق تصوّره لعالم الصحراء وإظهار بنية مكوناته الجوهرية المتخيّلة"[٩٢].

٢ . مستوى الشكل: اعتمد الفنان الفرنسي على "التوافق بين الأشكال العضوية التي وظفها في رسم الخيمة والناقة والنخيل وبركة الماء، وأشكالها الحقيقة ،وذلك بتركيزه على نقل أدقّ جزئياتها كي يظهرها كما التقطتها عين الحس الجارحة"[٩٣] و"هي مكوّنات مادية لا يمكن أن تشيّد إلا على لون مادي أصفر. إنّ اختياره للأصفر يعكس نمطا معيّنًا من الحياة؛ فهو يمارس نوعًا من الإسقاط: إسقاط نمط حياته المادي على حياة عرب الصحراء الرُّحل"[٩٤].

أمّا الفنان المغربي، العربيً، فعبّر بالأشكال الهندسية التجريديّة ،المثلثي لدلالته على الثبات والسكون، والدائري لدلالته على الكمال والجلال[٩٥].

وقد هيمن على لوحة الصحراء للفنان المغربي الشكل الدائري، كما يرى الباحث د. سمير جلولات، "لأنّه الشكل المكتمل الذي يجسّد دورة الزمن"[٩٦]كما "استعان بالشكل الدائري للنون لأنها تشمل الوجود بشطريه الظاهر المكشوف والباطن المخفي، فبداية الدائرة تنطلق من نقطة نهايتها، كما أنها تلك الرؤية الإسلامية لذلك المصير والمآل الحتمي الذي يتربّص بحياة التيه في الصحراء"[٩٧].

وفي خاتمة هذا المبحث يجدر أن نشير، في السياق التقابلي بين غواية الشعر ومتاهة الرواية إلى أن الغواية تفتقر إلى دليل، كما أنّ المتاهة تفتقر إلى رؤية، ولذلك كانت الصحراء فضاء يتطلّب الهداية في المسير، في حين يتطلّب فضاء الغاية إلى ما يزيح الحجب الساترة للكشف عن رؤية، وهذا ما يمكن الوصول إليه من طريق الهداية التي تبدأ بالكشف عن أفق، ثم عن مسير، إلى أن تصل إلى هداية المصير.

وبهذا تكتمل ثلاثية التفاعل الإنساني مع الكون، حيث يترقّى إنسان الأدوات من المتاهة، إلى إنسان العلامات بحثًا عن الخروج من الغواية إلى هداية المسير، ثم إلى إنسان الآيات حيث الانتقال من هداية المسير إلى هداية المصير.

[المبحث الثالث]

(مقاربات تقابلية تطبيقية)

فيما يلي نختم دراستنا بمقاربات تقابلية تكشف الفروق في التعبير بين ثقافة الصحراء وحضارة الغابة من خلال نماذج شعرية تتحرك في هذين

---

[٩١] السابق، ص ٧٣٤.
[٩٢] السابق.
[٩٣] السابق،ص ٧٤١.
[٩٤] السابق، ص ٧٣٩.
[٩٥] ينظر: السابق، ص٧٤١.
[٩٦] السابق.
[٩٧] السابق.

الفضاءين، أو هاتين الاستعارتين الكبريين وما ينضوي تحتهما من الاستعارات الصغرى.

١ . الطلل واليباب:

يمثّل الوقوف على الطلل تقليدًا عربيا صرفًا كان نتاج القصيدة العربية التي أنتجتها الصحراء، وهو وقوف يشير إلى حالة التنقّل عند العرب وعدم السكون والاستقرار، غير أنّه في جوهره وقوفٌ على الزمن وإن بدا في ظاهره وقوفًا على المكان المهدّم، وعلى هذا جاء مطلع معلقة امرىء القيس التي تمثّل نموذجا شعريا ناضجا لهذا الوقوف، ذلك أنّه وقوف يستجلب "ذكرى حبيب ومنزل": الزمن + الإنسان + المكان، فالمكان يأتي في الدرجة الثالثة وهو هنا ليس أكثر من باعث لزمن قد أفل وحبيبٍ قد رحل، وعلى هذا سائر أبيات المعلّقة التي تبكي أزمنة مختلفة.

فالقصيدة العربية من خلال الوقوف على الطلل، وفقًا لهذا التصوّر، تتمحور حول الزمن في إيقاعها وموضوعاتها المتنوعة التي هي نتاج ترحال في فضاء الصحراء الفسيح، وثيمة هذا كلّه وعلامته الطلل، فالأطلال، كما يذكر يوسف خليف "هي المنظر البدوي الأصيل الخالد في الشعر العربي الذي شغل به الشعراء القدماء منذ أن وضع الجاهليون تقاليده الثابتة، وحددوا معالم طرقه ومذاهب القول فيه، لأنّه كان – بالنسبة لهم – رمز الصحراء العريقة التي نما هذا الشعر فوق رمالها، ولأنّه ظل يمثّل الرابطة الوثيقة التي تربطهم بماضي هذا الشعر"[٩٨]

في المقابل نجد في القصيدة الغربية، ممثّلة في قصيدة ت.س. إليوت، أرض الضياع، أو الأرض اليباب، ونحن نميل هنا إلى الترجمة الثانية، نجد في هذه القصيدة بكاء على المكان الذي صار يبابا، كنتيجة للحرب الكونية، وهي بذلك قصيدة "تجسّد الضياع في متاهات الحضارة المعاصرة حيث **(الشجرة الميّتة لا تمنح ظلا)** [السطر ٢٣]،...، وغير ذلك من الصور المعادلة لمشاعر الضياع التي تنطوي عليها الحضارة الحديثة"[٩٩].

فإذا استعرنا مصطلح غابات الرموز لهذه القصيدة بدت لنا أشبه بغابة من النصوص المتشابكة التي وظّفها الشاعر في نقل تجربته الإنسانية في معادلها الموضوعي، حيث "ربط إليوت بين قصيدته وبين الموروث الشعري العالمي من خلال الاقتباسات المتعددة والمتنوعة التي أوردها فيها والتي ألقى بها ضوءًا جديدًا على هذا الموروث بحيث دبّت فيه الحياة من جديد"[١٠٠] ،وقد اعترف الشاعر نفسه أنّ رموز قصيدته التي احتشدت بها قد استقاها من كتابين مهمين: أحدهما كتاب مس ويستون عن أسطورة الكأس المقدّسة "من الطقس إلى الحكاية"، وثانيهما كتاب الغصن الذهبي لجيمس فريزر، وهو

---

[٩٨] ذو الرمة شاعر الحب والصحراء، الدكتور يوسف خليف، مكتبة غريب، القاهرة، الطبعة بدون، ص١٤٦

[٩٩] أرض الضياع، إليوت، ترجمة ودراسة نبيل راغب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م، مقدمة المترجم ،ص١٦

[١٠٠] السابق، ص١٥

كتاب جمع فيه مؤلفه حشدًا من الأساطير اليونانية والبابلية وغيرها[١٠١].

وفقًا لهذا يمكن القول إنّ هذه القصيدة نموذج استعاري للغابة في تشابكها وإحالاتها، كما أنّها ذات نزعة سردية تتسق مع مقاربة إيكو بين الغابة والنصّ السردي.

ونرى أنّها، على العكس من معلقة امرىء القيس، تقف على مكان بلقع قد صار يبابًا كمعادل لأزمة الإنسان في الحضارة الحديثة الذي سحقته الحياة المادية بصراعها، ولهذا تبدو مفردة اليباب هي مفتاحها وعلامتها الدّالة.

٢. المسالك والدروب:

كانت علاقة العربي بصحرائه علاقة سفر وترحال، ينتقل فيها من مكان إلى آخر، يسجّل في رحلته ما يمرّ به وما يشاهده من ظواهر طبيعية وكائنات حية غير غافل عن العلاقات التي تؤلّف بين هذه الأشياء واصفا ذلك في بيانه الشعري بدقة تكشف عن أنّ علاقة الشاعر بالمكان علاقة وضوح يتلمّس فيها المسالك والدروب بيقظة وانتباه. يقول ذو الرمة:

ورملٍ كأوراك العذارى وقد جلّلته المظلمات
قطعته الحنادس
ركامٍ ترى أثباجه له حُبُكٌ لا تختطيه
حين تلتقي الضغابسُ[١٠٢]

فذو الرمة هنا، وهو امتداد للشاعر الجاهلي في نمطه الشعري، يمثّل النموذج الشعري في علاقته مع الصحراء من حيث كشف العلاقة بين الأشياء في هذا الفضاء، فهو شاعر الطبيعة الصحراوية في مفرداته وتشبيهاته ومجازاته التي تصوّر كائنات الصحراء وتكشف مسالكها ودروبها،" ومن هنا انتشرت لوحات الصحراء في شعره انتشارًا بعيد المدى وتعددت مناظرها وأوضاعها تعددا لا نظير له عند أيّ شاعر آخر، وهي لوحات لا تصوّر الصحراء فحسب، ولكنها تصوّر أيضًا حبّ الشاعر لها وفتنته بها، فهو لا يتحدّث عنها حديث من يريد وصفها وتسجيل مشاهدها، ولكن حديث من يريد أن يفرغ طاقة ضخمة من العواطف التي يحملها لها في نفسه، عواطف الحبّ والفتنة والشغف"[١٠٣]. وفي نظرنا فذو الرمة هو أفضل من يمثّل العلاقة بالصحراء من حيث تجلية دروبها ومسالكها والتعبير بها وعنها.

في المقابل يبدو نصّ الغابة كثيفا غامضا موازيًا لعالمه الذي أنتجه، حيث التيه في غابة ظلماء، كما يعبّر دانتي عن ذلك في الكوميديا الإلهية:

"وسط درب حياتنا
وجدتني تائهًا في غابة ظلماء
تائهًا عن الصراط المستقيم"[١٠٤]

---

[١٠١] ينظر: السابق، مقدمة المترجم ،ص١٩

[١٠٢] ديوان ذي الرمة ، نشر مكارتني، طبعة جامعة كمبردج سنة ١٩١٩م، ق ٤١، البيتان ٣١ و ٣٢، ص ٣١٨، نقلا عن (ذو الرمة شاعر الحب والصحراء، يوسف خليف، ص ٢٥٣).

[١٠٣] ذو الرمة شاعر الحب والصحراء، يوسف خليف، ص ٢٥٢.

[١٠٤] نقلا عن (التاويل بين السيميائيات والتفكيكية، أمبرتو إيكو، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، ٢٠١٦م، ص ١٤٦).

إنّ هذا المقطع معبّر بدقة من خلال استعارة الغابة عن رؤية العالم الغربي التي تحجب الإله بكثافة المادة، وهو ما جعل دانتي يتوه عن الصراط المستقيم، وهذا ما يفسّر، كما يرى إيكو " كيف أنّنا، في نص دانتي ،بمجرّد دخولنا عالم المعنى الثاني يصبح من الجائز منح "الغابة المظلمة" قيمة استعارية، ويسمح لنا البيت الثاني، تبعًا لذلك، بتأويل "السبيل" باعتباره سلوكًا معنويا، وتأويل الاستقامة باعتبارها "القانون الإلهي"[١٠٥].

والذي يبدو لي أنّ دانتي من واقع ثقافته المسيحية ينتقد الحضارة الجديدة التي جعلت الدروب متاهات تحجب الرؤية ولا تفضي إلى الاستقامة.

وفي سياق مشابه يقول الشاعر الأمريكي روبرت فروست:

طريقان يفترقان في غابةٍ، وأنا

أخذت أقصرهما سفرًا، ذاك الذي صنع الفرق كلَّه"[١٠٦]

والناظر في هذا النص يمكن أن يقرأه حرفيا باعتبار الشاعر شاعر طبيعة، لكن القراءة المعرفية العميقة هي التي تفترض أنّه نص استعاري، وأن الغابة هنا استعارةٌ تصوّرية، "يعلّق لايكوف ما دامت لغة فروست لا تؤشّر غالبا وبشكل صريح على أنّه ينبغي التعامل مع القصيدة استعاريا إلا أنّ المدرسين غير الأكفاء يدرسون فروست أحيانًا كما لو كان شاعر الطبيعة همه الوحيد وصف المشاهد ببساطة، وهكذا يمكن قراءة هذا المقطع لا استعاريا كحال شخص بصدد القيام برحلة تجوّلية سرعان ما يحلّ بمفترق طرق"[١٠٧].

ونرى أنّ الاستعارة هنا، وبحسب ما يطرح لايكوف حول الاستعارة التصورية، أو تلك الاستعارات المنسية التي نحيا بها، تمثّل استعارة كبرى لطريق الحياة، ولذلك فهي تتسق مع استعارة دانتي، فـ"كل ماهو مطلوب للحصول على مجموعة من التأويلات المطلوبة بحسب لايكوف هو بنية الاستعارات الوضعية وبنية المعرفة التي تستحضرها القصيدة وسوف يطبّق الربط الوضعي على بنية المعرفة التي تطاوع الاستنتاجات المناسبة"[١٠٨].

٣ . هداية النجم / المسير والمصير:

ورد في القرآن الكريم، في سياق الامتنان على الخلق وبيان تسخير الله الكون لعباده، في قوله تعالى: فَلَوۡلَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ خَلَقۡنَٰكُمۡ النحل: ١٦ ،وهي آية تتسق مع فضاء الصحراء والثقافة العربية التي نزل القرآن بخطاب أهلها ولسان قومها، جاء في تفسير القرطبي : "قال ابن عباس: العلامات معالم الطرق بالنهار، أي جعل للطريق علامات يقع الاهتداء بها، فَلَوۡلَا مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ خَلَقۡنَٰكُمۡ يعني بالليل، والنجم يراد به النجوم".

---

[١٠٥] السابق، ص١٤٧

[١٠٦] نقلا عن، نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي،د. عمر دحمان،القاهرة، الطبعة الأولى،٢٠١٥م، ص٢٤٩، ٢٥٠

[١٠٧] السابق، ص٢٥٠

[١٠٨] السابق،٢٥٠، ٢٥١ .

[١٠٩] الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، ٥/ ٣١٠.

وورد عند بعض المفسّرين، كالكلبي وقتادة، أن المقصود بالعلامات الجبال، وقيل: من العلامات الرياح يهتدى بها[١١٠]، وفي الجملة فالنجوم والجبال والرياح كلها علامات في طريق المسير في البر والبحر، "وفي المراد بالاهتداء قولان: أحدها: في الأسفار، وهذا قول الجمهور. الثاني: في القبلة. وقال ابن عباس: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ﴾ النحل: ١٦ قال: (هو الجدي يا ابن عباس، عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم) ذكره الماوردي"[١١١].

ويمكن هنا أن نشير إلى نوعين من الهداية يتعلّق أحدهما بالآخر تعلّق نتيجة، كما يرتبط أحدهما بالآخر ارتباط حقيقة ومجاز، وهو ما استنبطناه من هداية الطريق، وهداية القبلة على الترتيب والترقّي:

أ . هداية المسير: وهي الهداية التي عنتها الآية ابتداءً من خلال الرحلة في متاهة الصحراء والاهتداء بعلامات منصوبة كالجبال وأخرى في قبة السماء كالنجوم، ومن هنا كان العربيّ قارئا حصيفا ونابها لهذه العلامات، سواء كان ذلك على مستوى المكان في قطع المفازات أو كان على مستوى الزمان في ضبط مواسم القطر واتجاهات الرياح.

ب . هداية المصير: وهي الهداية الكبرى التي سيقت من أجلها هذه الآية في سياق الآيات، إذ تفضي هداية المسير بالوقوف على آفاق الكون ومعرفة أسراره والاهتداء في متاهة المكان إلى هداية المصير ومعرفة خالق الكون بآياته وما بثّ في هذا الفضاء الفسيح من أسرار وعلامات منصوبة يستدلّ بها المخلوق على الخالق كما هو الحال في النصبة التي ذكرها الجاحظ في أقسام دلالات البيان، وهي ما تتسق وتتشكّل بها الرؤية البيانية بشكل عام.

وعلى هذا يمكن القول إنّ هذا المستوى هو مستوى إنسان الآيات الذي ترقّى ابتداءً من إنسان الأدوات في فضاء الطبيعة(الغابة نموذجا)، ثم انتقل إلى إنسان العلامات في فضاء الصحراء، ومنه إلى إنسان الآيات في فضاء الكون الواسع، وذلك من خلال هداية المسير في الفلوات إلى هداية المصير في تدبّر وفهم الآيات.

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة التأويلية السيميائية لفضائين محوريين (الصحراء والغابة) يمثلان رؤيتين مختلفتين هما(الشرق الإسلامي ممثلا في الثقافة العربية والغرب الأوروبي ممثلا في الحضارة الغربية) إلى ما يمكن أن نوجزه في النقاط التالية، وهي من أبرز نتائج هذه الدراسة التأويلية التقابلية:

١. تعزز الصحراء القيمة الثقافية والعودة إلى صقل الروح، وهي بذلك تبدو توطئة لتأمل الكون عبر إنسان العلامات الذي يتفاعل مع الصحراء كفضاء علاماتي في الطريق إلى إنسان الآيات الذي سيحيل الكون إلى فضاء للتدبّر والوصول إلى الخالق عبر ثلاثية(الإنسان . الطبيعة. الإله) التي ستؤول إلى ثنائية (الإنسان والإله).

---

[١١٠] ينظر: السابق، ٥/ ٣١١

[١١١] السابق، ٥/ ٣١١.

٢. تعزز الغابة القيمة الحضارية والتفاعل مع الطبيعة في مستواها المادي، وهي بذلك تدعم وجود إنسان الأدوات الذي يصنع حضارته ويتفاعل مع الطبيعة مما يؤدي إلى حضور إنسان دارون البيولوجي، وهو ما يحيل إلى الحضارة المادية الصرفة التي تستند إلى القوة في صراع البقاء، ومن ذلك نفهم دلالة إنسان الغاب المجازية التي هي توطئة للسوبرمان في فلسفة نيتشه، وهي الفلسفة التي هيمنت على الفكر الأوروبي المستند على ثنائية(الإنسان والطبيعة).

٣. تبعا لما سبق من رؤية أنتج كل فضاء أسلوبه التعبيري عن الوجود، من خلال اللغة والفن، فجاءت الرؤية البيانية مستندة على الوضوح ودقة العلاقات وكان الشعر الأنموذج الأعلى في التعبير عن الحياة العربية بوصفه العلم الأصح الذي نقل حياة العرب في صحرائهم.

في حين جاءت الرؤية النصية مستندة على الغموض وتشابك العلاقات وكانت الرواية الأنموذج الأعلى في التعبير عن الحياة الغربية بوصفها ممثلة الفن الغربي في نشأته وفي نقله الغرب من الفكر الأسطوري عبر الملاحم اليونانية إلى الفكر الصناعي عبر الرواية وعوالمها المتعددة.

٤. وفي ضوء ما سبق بدا أن تطور الفكر الإنساني ذو شقين، ثقافي وحضاري، وأنهما يلتقيان معًا في المستوى الثالث للإنسان(إنسان الآيات) بدءًا من إنسان الأدوات ذي البعد الحضاري المادي، فإنسان العلامات ذي البعد الثقافي الروحي، لتلتقي الثقافة والحضارة معًا في إنسان الآيات الذي اكتمل مع الرسالة المحمدية، رسالة الإسلام، حيث ركزت على الجانبين المادي والروحي، أو الدنيوي والديني، وجعلت (الكون) فضاء مفتوحا للتأمل والتدبّر والاستثمار ليكون بيانًا منصوبًا لدلالة المخلوق على الخالق، وتلك هي أساس الرؤية البيانية التي اكتمل إنجازها وإعجازها في القرآن الكريم ،الكون البياني المقروء في مقابل الكون البياني المنظور.

المصادر والمراجع

١. أجمل قصة الفلسفة في تاريخ الفلسفة، لوك فيري بالتعاون مع كلود كبلياي، ترجمة: محمود بن جماعة، التنوير، لبنان ،بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٥م.

٢. أرض الضياع، إليوت، ترجمة ودراسة نبيل راغب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م.

٣. الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش، تقديم عبد الوهاب المسيري، ترجمة: محمد يوسف عدس، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠١٤م.

٤. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت . الشركة المصرية العالمية للنشر(لونجمان)، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٥. البلاغة بين النقد والأدب واللغة، أعمال المؤتمر الدولي الأوّل بقسم اللغة العربية، كلية الآداب،

جامعة الطفيلة التقنية، الأردن، كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م.

٦. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا، القاهرة.

٧. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، توزيع مكتبة ابن سينا، القاهرة، الطبعة الأولى ،٢٠١٠م، ١/ ٧٠

٨. تأملات في السرد الروائي، أمبرتو إيكو ، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية ٢٠١٥م.

٩. التاويل بين السيميائيات والتفكيكية، أمبرتو إيكو، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، ٢٠١٦م.

١٠. التحليل الحجاجي للخطاب،،إشراف وتقديم د. أحمد قادم، د. سعيد العوادي، عمان، الأردن، كنوز المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م،

١١. الترابط النصي، دراسة في المتن النظري للنص الشعري، د. موسى الزهراني، الجمعية العلمية السعودية للأدب، بالاشتراك مع دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ ٢٠١٧م.

١٢. التصوير البياني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

١٣. تكوين العقل العربي، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١١.

١٤. الجاحظ والبيان الآخر، بحوث سيميائية تأويلية، أزد. العادل خضر، مسكيلياني، تونس، الطبعة الأولى ٢٠١٧م.

١٥. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا . بيروت، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م.

١٦. دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، جدة – القاهرة ، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٤م.

١٧. دين الحياء، من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني، أ.د. طه عبد الرحمن، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

١٨. ذو الرمة شاعر الحب والصحراء، الدكتور يوسف خليف، مكتبة غريب، القاهرة، الطبعة بدون.

١٩. شجرة الحضارة، راف لنتون، ترجمة أحمد فخري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م.

٢٠. شرح أحاديث من صحيح البخاري، دراسة في سمت الكلام الأوّل، دكتور محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

٢١.شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، تأليف أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، علّق عليه وكتب حواشيه غريد الشيخ، راجع فهارسه العامة إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م . ١٤٢٤هـ.
٢٢.طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي، تحقيق محمود شاكر ،دار المدني، ١٣٩٤هـ .
٢٣.الطريق إلى مكة، تأليف: ليوبولد فاس (محمد أسد)، ترجمة رفعت السيد علي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
٢٤.العرب، وجهة نظر يابانية، نوبوأكي نوتوهارا، منشورات الجمل، بيروت، الطبعة الخامسة، ٢٠١٦م.
٢٥.عصور ماقبل التاريخ، بوتقة الإنسان، فرانسوا بون، ترجمة سونيا محمود نجا، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣م.
٢٦.فن الرواية، ميلان كونديرا، ترجمة د. بدر الدين عردوكي، مكتبة الإسكندرية، الطبعة الأولى ١٩٩٩م
٢٧.في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
٢٨.الكامل ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي، الرسالة العالمية، الطبعة الخامسة، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
٢٩.كتاب الحيوان للجاحظ، تحقيق د. إيمان الشيخ محمد، غريد الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م
٣٠.كتاب الحيوان للجاحظ، تحقيق د. إيمان الشيخ محمد، غريد الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
٣١.لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط، د، ت. د.
٣٢.الله والإنسان في القرآن، توشيهوكو إيزوتسو، ترجمة وتقديم د.هلال محمد الجهاد، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٧م.
٣٣.المتنبي، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، دار المدني بجدة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٣٤.المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، نشر جامعة بغداد، الطبعة الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م
٣٥.مقدمة للشعر العربي، أدونيس، دار الساقي، ،بيروت، لبنان، طبعة ٢٠١٦م.
٣٦.نسيج النص: بحث فيما يكون الملفوظ به نصا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت . الدار البيضاء، الطبعة الأولى،١٩٩٣م.
٣٧.نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، د. عمر دحمان، القاهرة، الطبعة الأولى،٢٠١٥م.
٣٨.نظرية التأويل التقابلي، مقدمات لمعرفة بديلة بالنصّ والخطاب، محمد بازّي، منشورات ضفاف،

دار الأمان، الرباط ،الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

٣٩.نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة.

٤٠.هكذا تكلّم زرادشت،فريدريك نيتشه، ترجمة فليكس فارس، دار التقوى، القاهرة، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م

The Desert/Forest Conflict in Light of Contrastive Analysis (a contrastive semiotic study)

Suoud Hamed ALsaaedy

Research. this study is based on the contrastive interpretation of two different settings; namely the desert and the forest. It assumes that the difference between them has lead to a shift in how the world is perceived both on an intellectual and cultural level. It has also lead to a shift in the tools of expression.

Contrastive interpretation has been applied here to a demonstrative element, namely the "nasba visible", since the desert is a setting laden with motifs. The aforementioned interpretation eventually lead to different pathways that explained the difference between the two settings in question through which their effect on perspective, thought, and expression was examined. The following notions were examined: setting and perspective, the essence of culture, the embodiment of civilization, the complexity of the text, loving poetry, and the maze of the novel.

From each one of these elements came a contrastive dualism that involved similes and metaphors, writing, symbolism and, finally, fate and destiny.

The methodology adopted in this study, contrastive interpretation, was first proposed by Dr. Mohamed Bazi in a scientific project within the theoretical framework of the contrastive analysis theory in different books which have been referred to here. I first started with an introduction and then went on to examine how human beings interact with the universe on three different levels. This was a result of a contrastive analysis between the East and the West, culture and civilization which we believe are the most significant contrastive elements in this research.

This study made use of both contrastive analysis and semiotics, which were Al-Jahiz's most important tools of rhetoric. It is believed that it is an important secular and interpretive portal that allows us to examine and study interpretation, taking into consideration the fact that the entire universe is open for interpretation as well as different perspectives.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع١ ص ص: ١٥٩- ١٨٢ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-2.6

دراسة حضارية وتاريخية للقيمة الاقتصادية لموانئ البحر الأحمر: ميناءي ضباء وأملج نموذجا

د. سميرة بنت مبارك بن علي بلسود

أستاذ التاريخ المساعد – قسم المقررات العامة – كلية التربية والآداب

جامعة الحدود الشمالية

مستخلص. تشهد مدن الساحل الغربي للمملكة العربية السعودية على البحر الأحمر، والممتدة من حدود المملكة الأردنية الهاشمية شمالا حتى حدود الجمهورية العربية اليمنية جنوبيا وسواحل جمهورية مصر العربية وجمهورية السودان غربا نمواً اقتصاديا واجتماعيا لافتا، واستطاعت تلك المدن بسواحلها وموانئها تغيير دور المملكة في علاقاتها الاقتصادية والحضارية والواقع السياسي والتاريخي للمنطقة، وما أثر ذلك على معدل الازدهار والنمو السريع للتوطين السكاني والحضري، وتوظيف القوى البشرية الوطنية، إضافة إلى توطين التكنولوجيا، وازدهار النمو الصناعي وتطور الحالة الاقتصادية للمملكة، حيث هدفت الدراسة الحالية على تحليل الدور الحضاري والاقتصادي لكل من مينائي ضباء، وأملج كنموذجين حضاريين للنمو التجاري، والاقتصادي، وزيادة حركة الواردات والصادرات، وتغيير الخريطة السكانية والحضارية والصناعية والاقتصادية للمنطقة، وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج أهمها، ارتفاع قيمة الموقع الجغرافي للميناءين، وقربهما من خطوط الملاحة البحرية العالمية، وأيضا أن التجهيزات التقنية للميناءين وإدارتهما التشغيلية تتم بصورة متميزة، مع تمتع كليهما بظهير بشري، ومشاريع سياحية في غاية الأهمية، علاوة على تميز كل ميناء بطبيعة خاصة عن غيره، حيث يكتسب ميناء ضباء طبيعة نقل الركاب واستلام البضائع وحركة الترانزيت، في حين يتميز ميناء أملج بطبيعته في صناعة الصيد البحري وخدمة السكان المحليين، وكلا الميناءين يتمتعان بالقرب من أسواق الإنتاج والاستهلاك العالمية.

الكلمات المفتاحية: الموانئ الاقتصادية؛ التنمية الحضارية؛ المنطقة الغربية السعودية؛ ميناء ضباء؛ ميناء أملج.

المقدمة

تساهم موانئ المملكة العربية السعودية في دعم الحضارة البشرية، والتوطين الحضري والتنمية الاقتصادية في المملكة بشكل كبير، إذ تعد تلك الموانئ منفذا للتبادل التجاري والصناعي وانتقال البشر بين المملكة العربية السعودية والعديد من

الدول العربية والعالم الخارجي، لذا أولت المملكة الموانئ الاهتمام الأكبر للتطوير والتجهيز بأحدث المعدات التقنية اللازمة لاستقبال السفن والحاويات العملاقة ومواكبة التطور العالمي في هذا المجال، ولاستغلال المواقع المتميزة لموانئ السعودية العديدة والمنتشرة على طول سواحل البحر الأحمر والخليج العربي (السرحاني، ٢٠١٢).

يعد ميناء ضباء أحد أقدم الموانئ على ساحل البحر الأحمر، حيث أنشئ الميناء حديثا عام ١٤١٥هـ لخدمة المنطقة الشمالية الغربية من المملكة من أجل استقبال السفن على مدار الساعة، ويعتبر الميناء الأقرب لقناة السويس، وبالتالي لدول حوض البحر المتوسط شمالا، ويوجد بالميناء عدد ٨ أرصفة بحرية كاملة التجهيز، كما يستقبل سفن الركاب والبضائع العامة والسائبة على حد سواء، ويرتبط الميناء بميناءي الغردقة وسفاجا بجمهورية مصر العربية من خلال خطوط نقل مباشرة للركاب والسيارات والبضائع، إضافة إلى حركة المعتمرين والحجاج، ويدير جميع أعمال تشغيل الميناء شركتين متخصصتين من القطاع الخاص، كما يمتلك الميناء تجهيزات ومعدات تكنولوجية لتسهيل حركة الشحن والتفريغ وحركة المعدات العائمة (الراشد، ١٩٩٥).

كما يعتبر ميناء محافظة أملج، من أقدم الموانئ على ساحل البحر الأحمر في جزئه الشمالي الغربي (برج، ١٩٨٥)، حيث تقع المحافظة التي كانت تمتلك أسطولاً من السفن الكبيرة الشراعية (القطاير) التي كان يصدر عليها من أملج الصدف والفحم النباتي إلى السويس بمصر وإلى جمهورية السودان، وتجلب عليها المؤن الغذائية والأرزاق من هذه الدول، ويعد ميناء أملج اليوم واجهة سياحية للمحافظة، وإن كان يتصف الميناء بكونه واجهة رئيسة للصيد البحري لسكان المحافظة، ولكن حاليا ينقصه التحديث اللازم لأماكن التحميل والتنزيل وتسجيل الصيادين (الصقالة)، وفي هذا الإطار فإنه يجري حاليا تحديثا شاملا لميناء الصيد البحري، وذلك لما تتصف به محافظة أملج بامتلاكها لأكبر عدد من الصيادين على مستوى المملكة، وكذلك عدد قوارب الصيد البحري، حيث تعد مهنة صيد الأسماك من الحرف الرئيسة في المحافظة، كما يعد الميناء بوابة رئيسة للسياحة كبوابة للتمتع بجمال بحر أملج ومشاهدة جزره التي تجاوز عددها ١٠٣ جزيرة والتي يطلق عليها جزر مالديف البحر الأحمر.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة المقدمة إلى إدراك الدور التاريخي والحضاري لحركة مينائي ضباء، وأملج في المنطقة الغربية بالمملكة العربية السعودية، وكذلك نمو تلك الموانئ ونشأة الصناعات الحديثة ونمو حركة الصادرات والواردات وحركة الركاب والحجاج والمعتمرين، وما يؤديه ذلك من زيادة النمو الحضري والتغيير التاريخي للمنطقة.

حيث يمكن تحديد الأهداف الفرعية للدراسة إلى الآتي:

- التعرف على الواقع التاريخي لتاريخ المنطقة الغربية ودور الموانئ الساحلية في هذا التطور.
- إدراك أهمية مينائي ضباء، وأملج في المنطقة الغربية ودورها في التطور الحضري والاجتماعي للسكان.
- التعرف على التطوير التكنولوجي لمينائي ضباء، وأملج بالمنطقة الغربية وجذبهما للتخصصات الوطنية وإعادة التوطين الحضري للمنطقة.
- توزيع الخريطة الاقتصادية للمنطقة الغربية بناء على توزيع واختصاصات الميناءين.
- دعم الدراسة للتخطيط المستقبلي لإنشاء وتطوير الموانئ في المنطقة الغربية بالمملكة العربية السعودية.
- الاستفادة من مخرجات البحث لأقسام التاريخ الحديث بالمملكة العربية السعودية.

كما تسعى الدراسة إلى الإجابة على التساؤل الرئيسي الآتي:

- ما هو الدور التاريخي والحضاري والاقتصادي الذي تؤديه حركة نمو مينائي ضباء، وأملج في المنطقة الغربية للملكة العربية السعودية، وأثرها على التركيبة السكانية والنمو الاقتصادي والاجتماعي والحضاري والواقع التكنولوجي لتجهيزات الميناءين في المملكة العربية السعودية؟

منهجية الدراسة

تسعى الباحثة من خلال دراستها المقدمة إلى تطبيق المنهج التاريخي لدراسة الوضع الحضاري والتقييم الاقتصادي لمحاور الدراسة كما تستخدم الدراسة من وجه آخر المنهج الوصفي التحليلي في رصد البيانات والمعلومات المستقاة من مصادر المعلومات المتعددة داخل الدراسة الذي يتيح للباحثة الحصول على البيانات الدقيقة لموضوع الدراسة.

الدراسات السابقة

- دراسة العليان (٢٠١٤)، حيث هدفت الدراسة الحالية إلى الكشف عن فاعلية تطوير النظام اللوجيستي بالموانئ السعودية كوسيلة لزيادة قدرتها التنافسية، حيث تناولت أهمية قطاع النقل البحري للاقتصاد السعودي من خلال رسم استراتيجية مقترحة لتطوير الموانئ السعودية في ضوء تجربة جبل علي بالإمارات العربية المتحدة باعتباره ميناء حقق طفرة كبيرة في تقديم الخدمة اللوجستية بجودة عالية، كما أوضحت الدراسة أن آليات هذه الاستراتيجية تتمثل في التعرف علي عوامل نجاح تطبيق اللوجستيات علي الموانئ السعودية لأخذها في الاعتبار عند تطوير الميناء والسعي نحو حلها قبل البدء في تنفيذ الاستراتيجية المقترحة، وجاءت النتائج مؤكدة على أن تطبيق الاستراتيجيات والعمليات اللوجستية في الموانئ السعودية سيؤدي بالضرورة إلي تطوير وتحديث المواصفات الخاصة بالميناء باستخدام أوناش حديثة، وكذلك تطوير محطات تداول الحاويات الحالية وتطوير أساليب التخزين والترانزيت، كما ستؤدي إلي دعم القدرة التنافسية للميناء وزيادة عائد القيمة المضافة،

وتطوير نظم التكاليف بهذه الموانئ من خلال التخطيط طويل الأجل في ظل وجود مخططات في الموانئ المحيطة، وأوصت الدراسة بضرورة عدم إغفال الحالة التنافسية التي ستتولد ما بين الموانئ السعودية باستراتيجياتها الجديدة وباقي الموانئ العربية والتي ستصل إلى تطبيق معايير الجودة في أداء الخدمات بالموانئ البحرية السعودية وهذا سيؤدي إلى الارتقاء بتلك الموانئ لتصبح في مستوي المنافسة الإقليمية من خلال ارتفاع الطلبات على الخدمات التي تقوم الموانئ السعودية بتقديمها.

- دراسة المشهداني (٢٠١٤). حيث سعت الدراسة إلى إبراز دور السفن في عمليات الشحن البحري وارتباطه بالاقتصاد الوطني ومردوده على الواقع الحضري للسكان كقيمة اقتصادية مضافة، حيث أثبت الباحث أن نمو الأسطول العالمي للشحن ينمة بمعدل يتراوح بمقدار ٨,٦% من نمو الأسطول العالمي ويعود السبب في ذلك إلى الارتفاع في إمدادات السفن نتيجة لطلبات شراء السفن قبل الأزمة الاقتصادية العالمية، وتتبوأ المملكة العربية السعودية المركز الأول بين الدول المصدرة للنفط في العالم، وهي تمتلك أكبر اقتصاد متعدد القنوات في الشرق الأوسط وصادرات صناعية تعتمد على الأسواق العالمية وحيث تمتلك في مجال الموانئ الصناعية (٥٥) رصيفا في أربعة موانئ صناعية رئيسة هي ميناء الملك فهد الصناعي في ينبع والجبيل وميناء ضباء وميناء رأس الخير.

- دراسة البلادي (٢٠٠٨). حيث سعت الباحثة من خلال الدراسة المقدمة نحو كشف طبيعة النشاط البشري والاجتماعي والاقتصادي، بما يشمل الحياة العامة ونظام التجارة وطبيعة النظام الإداري، وكذلك مكونهم السكاني والحالة التعليمية لهم خلال الفترة الزمنية ما بين عامين ١٣٤٣ – ١٣٧٣هـ / ١٩٢٤ – ١٩٥٣م، والتي تعد من بواكير الدولة السعودية بعد التأسيس، وتركز الدراسة على الدور الاقتصادي الذي يقوم به ميناء ضباء وأثره في الحياة الاجتماعية للسكان والتجارة مع كل من شمال المملكة وأيضا مع مصر على الساحل الغربي للبحر الأحمر.

- دراسة الحربي، أمل محمد (٢٠١٥). هدفت الدراسة المقدمة من الباحثة إلى تقديم دراسة تاريخية واقتصادية عن العديد من الموانئ التابعة لشمال الحجاز والقريبة من الحدود مع المملكة الأردنية الهاشمية وكذلك القريبة من الساحل المصري، حيث غطت الدراسة الفترة الزمنية ما بين ١٨٤٠–١٨٩٢م، أي قبل تأسيس المملكة العربية السعودية، حيث كانت المنطقة بكاملها تخضع للخلافة العثمانية، وركزت الباحثة في كشف الدور الاقتصادي والاجتماعي الذي قامت به موانئ (الوجه، ضباء، المويلح، العقبة) (حقل حاليا)، حيث قدمت الباحثة دراسة شاملة على التركيبة السكانية والنشاط التجاري والاقتصادي وحركة النقل ونوعية البضائع المستوردة من العالم الإسلامي والعالم الخارجي، وخدمات العمار والحجيج المصري،

وكذلك حركة التجارة مع دول الشمال الأفريقي عبر الأراضي المصرية.

١. الأهمية التاريخية للموانئ السعودية

تزخر المملكة العربية السعودية بعدد كبير من الموانئ التاريخية والأثرية على سواحل كل من البحر الأحمر والخليج العربي، كما يعود بعضها إلى أكثر من ٥ آلاف سنة مضت (برج، ١٩٨٥)، حيث كانت تلك الموانئ تشكل واقعا رئيسا للحضارات التي استوطنت الجزيرة العربية، وشكلت أهم الحضارات الإنسانية وأكثرها تطورًا على مدى التاريخ، إضافة إلى تلاقيها الحضاري والبشري والثقافي والاقتصادي مع حضارات شمال أفريقيا ومنطقة البحر المتوسط (الكواري، ٢٠٠٦).

حيث كشفت التنقيبات الأثرية التي نفذتها فرقا سعودية ودولية مشتركة بإشراف الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني عن وجود آثار ذات قيمة تاريخية في عدد من هذه الموانئ، كما أظهرت أنواعًا عديدة من الأنشطة الاقتصادية والحضرية مع حضارات ما قبل الميلاد من خلال هذه الموانئ، وما كانت تستقبله من سفن بضائع خلال فترات متعاقبة، حيث كان لهذه الموانئ دورا رئيسا في استقبال البضائع الهندية والصينية، حيث تم العثور على أنواع من الخزف الصيني تعود إلى ما قبل الميلاد.

١,١ الموانئ النبطية التجارية على البحر الأحمر

١,١,١ ميناء عينونة التاريخي

حيث يعد ميناء (عينونة) والذي يقع في منطقة تبوك على السواحل الشمالية للبحر الأحمر أحد أكبر الموانئ النبطية التجارية (ميناء لوكي كومي) والذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع قبل الميلاد، ويمتد إلى القرن الثاني الميلادي، حيث كشف فريق علمي سعودي بولندي مشترك عن آثار مستوطنة أثرية تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد في موقع (عينونة)، كما كشفت البعثة عددًا من الآثار الفخارية المتنوعة، والمطاحن والمدقات التي استخدمت في طحن الحبوب، فضلاً عن العثور على بقايا مجموعة من الأفران داخل الغرف وبقايا صهر الخامات المعدنية المختلفة، ونقبّت البعثة المشتركة السعودية البولندية المختصة عن الوحدات المعمارية المتبقية في المنطقة التجارية بعينونة، التي تعد من أضخم المباني المعمارية الموجودة في المنطقة الأثرية (الراشد، ١٩٨٦).

كما يضم موقع (عينونة) الأثري وميناءه عدة مواقع أثرية يعود بعضها إلى الفترة النبطية الرومانية، وبعضها لفترات إسلامية متعاقبة، ويحتوي على مجموعة من الوحدات المعمارية ترتكز على أرض واسعة مرتفعة عن بطن الوادي، تطل على بقايا لتلال أثرية ومزارع، ومجرى لعين تعرف في المصادر الإسلامية ب(عيون القصب)، ومن أكثر المجموعات وضوحًا بموقع عينونة، وحدة معمارية ضخمة أطلق عليها اسم (السوق)، إضافة إلى وجود برج مراقبة في وسط الموقع يبلغ ارتفاعه ١٤ مترًا،

فضلاً عن مجموعة من المقابر عند سفح الجبل، كما يحتوي موقع (عينونة) على مستوطنة سكنية واقعة على قمة جبل الصفراء على ارتفاع ٦٠ مترًا بها عدد من المباني السكنية المتراصة.

١,١,٢ ميناء الجار

يقع ميناء الجار على البحر الأحمر وذلك على بعد ١٠ كيلومتر شمال بلدة الرايس قرب ينبع والتي تقع غرب المملكة العربية السعودية، ويعود تاريخ ميناء الجار لفترة تسبق العصر الإسلامي، حيث كان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أول من اتخذ الجار ميناء رسميًا للمدينة المنورة، وكان الميناء يستقبل المواد الغذائية المرسلة من مصر، ولذلك كان الجار يعد أهم موانئ البحر الأحمر خلال القرون الخمسة الأولى بعد الهجرة، ويتكون الموقع الأثري في الجار من عدد من التلال داخل محيط سور المدينة، إضافة إلى بقايا ما يعتقد أنه أرصفة الميناء القديم على ساحل البحر (الرويثي، ١٩٩٧).

كما يحيط بالمدينة سورا من ثلاث جهات فقط، وبني من الحجر الجيري، بينما الجهة الرابعة مفتوحة على البحر، ومن خلال الأعمال التي تمت في الموقع، تم تحديد طبقات أثرية تعود لفترات عصر ما قبل الإسلام والعصر الإسلامي المبكر، إضافة إلى العثور على مواد أثرية أبرزها الفخار والخزف الإسلامي المبكر والخزف الصيني المستورد.

ولقد اكتشف فريق علمي مشترك بين قطاع الآثار والمتاحف بالهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني بالمملكة العربية السعودية، والمتحف البريطاني، من خلال أعماله الميدانية في موقع ميناء الجار، اكتشفت العديد من الأواني الفخارية الزخرفية، وأجزاء لكسر من فوهات ومقابض وأبدان وقواعد جرار وأباريق وقدور وأكواب، وأنواع من الفخار غير المزجج، والفخار المزجج المطلي باللون الأزرق الغامق، وكذلك أنواع من الخزف المطلي بألوان متعددة، إضافة إلى الخزف الصيني وقطع زجاجية بأنواع وأشكال مختلفة متوسطة الحجم عبارة عن أجزاء من أبدان وحواف وقواعد، إضافة إلى العثور على عملا ت معدنية من الفترة الزمنية وما قبلها.

١,١,٣ ميناء ينبع التاريخي

عرفت ينبع كميناء مهم منذ العصر الإغريقي، إذ كانت تمون السفن الشراعية المارة بالبحر الأحمر من خلاله، واشتهر الميناء بموقعه على طريق القوافل المتجهة من وإلى الشام، كما ارتبط اسمه بحوادث وقعت في صدر الإسلام بين الرسول صلى الله عليه وسلم، وقريش، حيث دارت فيها غزوات عدة منها سرية العيص وبواط والعشيرة، وهذه كلها أسماء أماكن قديمة في ينبع، فالبواط والعشيرة أماكن معروفة اليوم بينبع النخل.

ولقد ازدادت أهمية الميناء في العصر الأيوبي سنة ٦٢١هـ، حينما أصبح الميناء واجهة للمدينة المنورة بعد خراب ميناء الجار، وأصبح الميناء محطة لزوار المدينة المنورة وبه أسواق البحر الأحمر التجارية، واستمر ذلك حتى بدايات الدولة العثمانية حين تم

أخذ توسيع الميناء بشكل كبير، وبناء مخازن الحبوب التي تعرف بالشونات من أجل استقبال مخصصات المدينة من الحبوب (سليمان، ١٩٩٥)، وكانت ينبع في بداية القرن الثالث عشر الهجري ميناءً تجاريًا نشطًا يعج بعشرات الوكالات التجارية، لاستقبال وتصدير البضائع، إضافة إلى السفن ومئات القوافل التي تنقل البضائع بين ينبع ومدن المملكة العربية السعودية، وتعمل الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني حاليا بالتعاون مع الشركاء الاستراتيجيين على إعادة ترميم وتأهيل الميناء التاريخي ضمن المدينة التاريخية بمحافظة ينبع لتكون معلمًا سياحيًا لمدن وموانئ البحر الأحمر.

٢.الأهمية الاقتصادية للموانئ البحرية على البحر الأحمر

٢,١ أهمية النقل البحري من موانئ البحر الأحمر

يعد النقل البحري من موانئ البحر الأحمر أحد أقدم وسائل النقل التي استخدمها الإنسان بخاصة من قبل الدول المجاورة للمسطحات المائية (محيطات، بحار، بحيرات)، وقد استخدمت السفن الشراعية، ثم السفن التجارية مع بدايات الثورة الصناعية حاويات النقل البحري، ويعود النقل البحري من موانئ البحر الأحمر لبداية تاريخ الحضارة، حيث إن المصريين القدماء هم أول من ارتادوه، وتلاهم الفينيقيون والإغريق والرومان والصينيون والعرب.

وتعد الموانئ البحرية على البحر الأحمر أحد المراكز الرئيسة في سلسلة النقل المتكامل لدول المنطقة المطلة عليه، حيث تربط المدن والأقاليم الداخلية للدولة بالعالم الخارجي، وبوجه عام تعد الموانئ البحرية على البحر الأحمر من مشروعات المنافع العامة للمجتمع الحضري، أي أنها تعتبر من أحد أسس التنمية البشرية والحضرية، كما تعد موردا اقتصاديا هاما نظراً لما تحققه من موارد مالية كبيرة بالعملات الأجنبية للدولة (الرويثي، ١٩٨٢).

كما يعد النقل البحري على البحر الأحمر أحد ركائز التنمية الاقتصادية لمختلف الدول المطلة عليه حيث يسهم في تحسين ميزان المدفوعات لتلك الدول وإتاحة فرص التوظيف للأيدي العاملة الوطنية وبناء وازدهار المدن التي تقع على البحار من خلال بناء المشاريع البحرية كالموانئ وأحواض بناء السفن والشركات الملاحية والمصانع، هذه المميزات تزداد بازدياد الاعتماد على النقل البحري، كما يعد أرخص أنواع النقل جميعاً سواء من حيث التكاليف المادية أو الإمكانيات والقدرة على الشحن، ولا يحتاج للإنشاءات إلا في بداية ونهاية الطرق الملاحية كالموانئ والأرصفة البحرية كما أن هذه الطرق الملاحية لا تحتاج إلى صيانة مكلفة أو إصلاحات كالنقل البري أو النهري (عبد الفتاح، ٢٠١١).

كما تتصف الموانئ البحرية على البحر الأحمر بأهمية كبيرة في حركة النقل والتجارة العالمية، بما يشمل ذلك نقل المواد الصناعية الأولية أو السلع الغذائية أو المنتجات الصناعية، وتلعب الموانئ المطلة على البحر الأحمر دورا رئيسا في تسهيل

حركة البضائع وتخفيض أسعار النقل وفي دفع حركة التطور الاقتصادي والنظام العالمي اللوجستي، وذلك من خلال سفن الحاويات وناقلات النفط وناقلات المواد الأولية (العليان، ٢٠١٤).

٢,٢ مميزات النقل البحري من موانئ البحر الأحمر

يمتلك النقل البحري من خلال موانئ البحر الأحمر العديد من المزايا دون غيره من وسائل النقل حيث يتسم بالآتي:

– القدرة على التخصص: حيث أصبحت العديد من المواد الخام الصناعية المصدرة والمستوردة من المملكة العربية السعودية تعتمد في حركتها العالمية على النقل بالسفن البحرية من موانئ البحر الأحمر على وجه الخصوص، مثل التجارة العالمية للنفط، المعادن، الفوسفات، الحبوب، المنتجات الصناعية.

– القدرة الهائلة على الاستيعاب: حيث يستطيع النقل البحري من موانئ البحر الأحمر تحمل استيعاب الزيادة الهائلة في حمولات السفينة التجارية، وبالتالي التأثير على حركة التجارة العالمية ونموها.

– السرعة: بفضل مكان موانئ البحر الأحمر وتوسطها خريطة العالم، علاوة على قربها من قناة السويس المطلة على البحر المتوسط وأوروبا، فقد زادت سرعة حركة التجارة العالمية بما في ذلك وصول المواد الأولية وحركة التجارة بين العديد من الدول، إضافة إلى سرعة حركة السفن البحرية نتيجة للتقنية الحديثة.

– تأسيس شركات دولية متخصصة: حيث يتجلى ذلك في ظهور شركات تدير موانئ البحر الأحمر، علاوة على بناء وصناعة السفن وإدارة الموانئ المتخصصة، وكذلك في الشحن البحري، وإنشاء الموانئ وخدماتها اللوجيستية، إضافة إلى جميع خدمات صناعة السفن وإصلاحها، وبناء الأرصفة البحرية وأحواض صيانة السفن، وتأسيس المخازن داخل الموانئ، وظهور شركات التأمين البحري والخدمات البحرية.

٢,٣ المنافع الرئيسة للنقل البحري

حيث يعمل النقل البحري من خلال الموانئ البحرية على العديد من المنافع للاقتصاد الوطني من خلال: (مجلس التعاون، ١٩٨٥).

٢,٣,١ تحقيق إيرادات متنوعة من العملات الأجنبية والتي تعمل على تحسين ميزان المدفوعات للدولة، وكل ذلك يساعد على دعم وتأكيد الاستقلال الاقتصادي والسياسي للدولة.

٢,٣,٢ خفض تكاليف البضائع المستوردة والسلع الاستهلاكية والمواد الخام.

٢,٣,٣ زيادة القدرة التنافسية لصادرات الدولة.

٢,٣,٤ تطوير وتنمية المناطق المجاورة للموانئ البحرية سواء كانت في المجالات الزراعية، والصناعية، والتجارية.

٢,٣,٥ أحد الموارد الرئيسة لرأس المال الاجتماعي من خلال تشغيل العمالة الوطنية وتدريبها.

٣. موانئ المنطقة الغربية على البحر الأحمر

٣,١ نظرة تاريخية على الموانئ البحرية السعودية على البحر الأحمر

يتضح تاريخيا أن المنطقة الغربية المطلة على البحر الأحمر تملك موانئ رئيسة يأتي على رأسها ميناء جدة الإسلامي، ويليه في الأهمية مينائي ينبع، وجيزان، ومجموعة من الموانئ الأحدث: (حقل، ضباء، الوجه، أملج، رابغ، الليث، والقنفذة) (بلسود، ٢٠٠٩)، وجميع هذه الموانئ قد لعبت دورا هاما ومؤثرا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والحضرية للمنطقة منذ العصور القديمة وحتى وقتنا الحاضر (البلادي، ٢٠٠٨).

وتظهر أهمية هذه الموانئ كمنافذ بحرية حتى أوائل القرن العشرين، في وقت انعدمت فيه طرق المواصلات ووسائل النقل الحديثة، خاصة لهذا الإقليم الجغرافي الذي يمتد في نطاق ضيق لا يتعدى سلسلة جبال الحجاز وعسير شرقا، ومجالها البحري لم يتجاوز موانئ البحر الأحمر المصرية والسودانية والحبشية واليمنية، وفي بعض الأوقات يمتد مجالها ليصل إلى بعض موانئ شرق أفريقيا وشرق البحر المتوسط وشبه القارة الهندية (ريمي، ١٩٩٩).

ومنذ الثلث الثاني من القرن العشرين دخلت المملكة العربية السعودية مرحلة من الاستقرار السياسي رافقتها مرحلة من التطور والتنمية الاقتصادية والعمرانية حيث اعتمدت على الإيرادات البترولية، والتي نتج عنها إعادة توزيع السكان ممثلة في هجرتهم من القرى والبادية والمدن الصغيرة، حيث جذبتهم مشروعات التنمية في أجزاء متعددة من المنطقة، علاوة على تأسيس الجامعات بكل من جدة، تبوك، المدينة المنورة وما تمخض عن ذلك من خريجين متخصصين في شتى التخصصات العلمية، مما أدى إلى توظيفهم في المجالات التعليمية والصناعية والتجارية والسياحية، ويعد العمل في الموانئ البحرية أحد موارد العمل التي جذبت الشباب السعودي، مما جعل تلك المنطقة ذات ثقل وكثافة سكانية انعكست آثاره على تنمية وتطوير الموانئ الرئيسية بداية بميناء جدة الإسلامي، حتى موانئ ينبع وجيزان حيث يعود العامل السكاني والسياسي والاقتصادي وراء تنميتها وتطويرها (النحراوي، ٢٠٠٢).

وتبلورت فكرة تطوير وتنمية الموانئ الغربية على ساحل البحر الأحمر إلى حقبة أواخر الأربعينات، وتحديدا في ١٩٤٧ (بلسود، ٢٠٠٩)، حيث بدأ الاهتمام بإنشاء وتطوير ميناء جدة الإسلامي، ثم تلى ذلك كل من مينائي ينبع وجيزان، حيث يحتلان المركزين الثالث والرابع على التوالي بالنسبة للمملكة العربية السعودية، ويعتبران من الموانئ المساعدة لميناء جدة الإسلامي، حيث شهدا تحسنا ملموسا في مرافقهما من خلال مشاريع التطوير والتنمية لتخفيف الضغط اللوجستي على ميناء جدة الإسلامي.

ونظرا للأهمية الاستراتيجية لميناء جدة الإسلامي، فقد أثرت أهميته على الموانئ الأخرى على البحر

الأحمر، حيث انخفضت أهمية الموانئ الصغيرة، والتي حافظت على دورها بتواضع في استقبال مراكب الصيد والنقل المحلية الصغيرة، وساعد على تسهيل ذلك ضعف الظهير الاقتصادي والسكاني لتلك المناطق.

إلا أن مشروعات التنمية العمرانية التي أخذت تظهر في المنطقة بعد تأسيس صندوق التنمية العقاري عام ١٩٧٥، قد صاحبها ارتفاع ملحوظ وأهمية نسبية لمرفأ حقل والوجه عند مقارنتهما بالمرافئ الأخرى، حيث أنشئ في حقل ما يعرف بميناء القريض الذي خصص لاستقبال السفن المحملة باحتياجات المنطقة من المواد الخام لاستخدامها في الأعمال الإنشائية، أما ميناء الوجه فنظرا لموقعه وأهميته للمناطق المجاورة، فيستقبل كل شهر عددا من السفن الصغيرة التي تفرغ حمولتها من الإسمنت للتجار المحليين في المنطقة.

٣,٢ المؤسسة العامة للموانئ

تأسست المؤسسة العامة للموانئ بالمملكة العربية السعودية في عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م، من أجل إنشاء منظومة موانئ فعالة، تنافسية، مستجيبة للتغيرات، مما يعزز النمو الاقتصادي للمملكة العربية السعودية، وبما يواكب التطورات العالمية من خلال توليها مسؤولية تخطيط موانئ المملكة وتشغيلها وتطويرها، والعمل على رفع كفاءة العمل فيها، حيث بلغ عدد الموانئ الرئيسة بالمملكة ٩ موانئ بحرية، تشمل ٩٥ رصيفا بحريا من جميع الأنواع من أجل خدمة حركة الواردات المتزايدة في تلك الموانئ التجارية، كما تسعى المؤسسة إلى استخدام وتوطين جميع النظم التكنولوجية بما يشمل الأنظمة الجديدة من أجل تسهيل عمليات المناولة واستخدام الحاويات وعمليات المرور، معتمدة على الكفاءات الوطنية الحكومية والخاصة القادرة والمتخصصة في إدارة وتشغيل الموانئ بكفاءة عالية (المؤسسة، ٢٠١٨).

حيث هدف تأسيس المؤسسة نحو تكوين منظومة عمل متخصصة تشيّد وتدير الموانئ السعودية بكفاءة عالية، وذلك لما تتمتع به الموانئ السعودية من تنوع ودور استثنائي في تطوير أعمال التجارة البحرية الإقليمية والدولية ونقل الركاب وخصوصاً زائري البقاع المقدسة من الحجاج والمعتمرين، وذلك من خلال ربط الاقتصاد الوطني السعودي بالسوق العالمي عن طريق توفير منشآت منتجة وآمنة وسليمة بيئياً، والعمل على تطوير قوى عاملة وطنية ماهرة ومحفزة قادرة على تحمل مسئولية الأداء وتحقيق الاستدامة المالية.

كما تضمن الهيئة تهيئة جميع الموانئ لدعم الاقتصاد الوطني بتنوعه ومواجهة جميع المتغيرات والتحديات مصحوبة بأفضل الأساليب والنظم وأحدث التقنيات اللازمة لاستقبال جميع وسائل النقل البحرية، إضافة إلى ذلك تسعى الهيئة إلى دعم الاقتصاد الوطني والتأثير على الأسواق العالمية من خلال تبني نظرة شمولية للاستقرار والاستدامة الاقتصادية في الأسواق المحلية إدراكاً منها لأهمية

القطاع الذي تمثله ودوره الحاسم في دعم عجلة النمو الاقتصادي في مجالات مختلفة (المؤسسة، ٢٠١٨).

ومما لا شك فيه أن إنشاء الموانئ وتجهيزها في المملكة العربية السعودية يحتاج إلى استثمارات مالية وبشرية ضخمة، وذلك بالنظر للتطورات في معايير النقل البحري العالمي وزيادة مساحات الحاويات والسفن واستلزامها لتقنيات ومعدات متطورة وتجهيزات متخصصة لاستقبالها، حيث سعت الهيئة بتخصيص ميزانيات ضخمة لإنشاء وتطوير الموانئ السعودية سواءً على ساحل البحر الأحمر أو الخليج العربي (بوريش، ٢٠١٢).

وشهد العام 1417هـ نقطة تحول استراتيجي تمثلت في تخصيص قطاع الموانئ كأول قطاع يتم تخصيص خدماته في المملكة، وصاحب هذا الاتجاه دور استثنائي للقطاع الخاص، حيث تم استثمار مبالغ هائلة لتطوير وتحديث الموانئ السعودية وإدارتها وتشغيلها وفق الأساليب الحديثة، مما جعل موانئ المملكة كيانات اقتصادية مستقلة.

وبالتالي تسعى المؤسسة العامة للموانئ إلى الأهداف الاستراتيجية الآتية: (المؤسسة، ٢٠١٨).

- إنشاء وإدارة منظمة آمنة وفاعلة، تقوم على ثقافة منفتحة وشاملة تهدف لتعزيز روح الفريق، وإتاحة الفرصة للموانئ السعودية للمساهمة في القدرة التنافسية.
- تعزيز قدرة قطاع الموانئ على المنافسة، وجعل عملاء الميناء جزءاً من تطوير المنظومة الاستراتيجية للموانئ السعودية.
- تعزيز الحلول المجددة لتيسير الكفاءة التشغيلية.
- تمييز المؤسسة العامة للموانئ كرائد في الخدمات البيئية والاستجابة بتفعيل الممارسات التي تقلص أو تمحو أثار عمليات الموانئ وتأثيرها على البيئة وما تخلفه من مخاطر صحية على المجتمع.
- ضمان توفير بيئة آمنة للأفراد والممتلكات والبضائع ومواجهة التأثيرات على المجتمعات المحيطة بالموانئ السعودية.

وخلال عام ٢٠١٧، سجلت الموانئ السعودية نجاحاً ملحوظاً، كشفه التقرير الإحصائي الصادر عن المؤسسة العامة للموانئ، المعروفة اختصارا بـ(موانئ)، حيث تم تسجيل مناولة أكثر من ٦ ملايين حاوية قياسية، وهو رقم مرتفع يعكس مدى حيوية الاقتصاد السعودي، كما بلغ عدد السفن البحرية خلال عام ٢٠١٧ نحو ١٣,١ ألف سفينة، في حين بلغ عدد الركاب ١,٣ مليون راكب، وبلغ عدد إجمالي العربات ٧٦,٢ ألف عربة، وإجمالي المواشي ٦,٨ مليون ماشية.

ويكشف الجدول الآتي حركة البضائع والسفن والركاب التي شهدتها الموانئ السعودية خلال عام ٢٠١٧:

جدول (١) إحصاءات المؤسسة العامة للموانئ السعودية عام ٢٠١٧

البيان / الميناء	البضائع المناولة		الركاب		السفن		الحاويات القياسية		العربات		المواشي الحية	
	مفرغة	محملة	قادمون	مغادرون	محملة	مفرغة	محملة	مفرغة	محملة	مفرغة	مفرغة	محملة
جدة الإسلامي	35.781.727	19.755.026	143.677	141.291	171	4.097	2.079.245	2.074.796	51.540	348.082	6.819.136	- -
رأس الخير	452.187	4.723.760	-	-	161	32	-	-	-	-	-	-
ضباء	1.665.861	642.134	237.040	227.747	911	956	-	-	45.640	52.208	-	-
جازان	1.492.265	73.740	261.373	252.366	15	90	4	112	37.839	38.871	29.898	-
الملك عبد العزيز	24.462.528	5.107.995	-	-	169	1.509	531.108	1.051.280	11.473	176.638	-	-
الملك فهد	8.544.509	56.994.505	-	-	1.730	241	-	-	-	-	-	-
الجبيل التجاري	2.428.292	9.580.067	-	-	510	461	585.980	88.081	-	-	-	-
ينبع التجاري	2.655.162	172.667	23.179	23.342	18	142	-	12	39	7	-	-
الملك فهد الصناعي	29.939.565	53.420.054	-	-	1.636	367	-	-	-	-	-	-

ومن اللافت للانتباه أن هذا الأداء المتميز للموانئ السعودية خلال عام ٢٠١٧، شهد تطوراً ملحوظاً أوائل عام (٢٠١٨)، (المؤسسة، ٢٠١٨) إذ إنه وفقاً للمؤشر الإحصائي الصادر من المؤسسة العامة للموانئ عن حجم ما تم خلال الربع الأول من هذا العام، فقد بلغ إجمالي البضائع المناولة (٧٠,٢٨٩,١٥٢) طناً، بينما بلغ إجمالي وزن الحاويات المناولة (١٧,٣٢٦,٧٥٨) طناً، وبلغ عدد الحاويات المناولة (١,٥٥٢,٩٥٥) حاوية، في حين بلغ عدد السفن (٣,٠٤٩) سفينة، بينما بلغ عدد العربات (١٩٧,٨١٤) عربة، وبلغ عدد الركاب (٢٥٨,١٠٧) ركاب، وبلغ عدد المواشي (١,٣١١,٨٤١) ماشية.

وفي ضوء رؤية المملكة ٢٠٣٠ التي تمثل محور النهوض السعودي نحو المستقبل، يمتلك قطاع الموانئ تخطيطا استراتيجيا تتوفر فيه كل مقومات الإطار الملائم لإيجاد حلول للاحتياجات المتزايدة، إذ تنطلق الاستراتيجية من الاعتماد على الموانئ السعودية كأداة اقتصادية رئيسة تواكب التوجه العالمي، كما تتميز بكونها تتبنى مخططا استثماريا يراعي الإمكانيات التمويلية المتاحة، ويحدد الأولويات، ويجعل من الأطراف المعنية شريكا في

رسم معالم الخيارات، ومن الموارد البشرية رافعة أساسية ومحورية للحصول على الكفاءة اللازمة لتنفيذ المشاريع بالجودة والسرعة المطلوبتين، وترتكز هذه الاستراتيجية على محاور عدة، أبرزها ما يأتي: (المؤسسة، ٢٠١٨).

- تحسين الأداء اللوجستيكي عن طريق تشجيع الابتكار، وفي هذا الخصوص اتخذت المؤسسة العامة للموانئ كثيراً من المبادرات المهمة، أبرزها ما يأتي:

- اتجاه الهيئة منذ عام ٢٠١٧م نحو تخصيص خدماتها وإسناد أعمالها إلى القطاع الخاص لإدارتها بأسلوب تجاري؛ ما أدى إلى تحقيق عدة نتائج إيجابية شملت تحديث المعدات والتجهيزات وإدخال معدات جديدة تتواكب مع التطور الهائل في صناعة النقل البحري، وتنمية الصادرات الصناعية الوطنية (المشهداني، ٢٠١٤)، واستقطاب المزيد من السفن عبر تقديم الخدمات الجديدة وخفض أجور الشحن، والعمل على بناء علاقات جيدة مع الخطوط الملاحية الكبيرة للحصول على حصة مناسبة من التجارة العابرة (المسافنة) لموانئ المملكة، إلى جانب فتح آفاق جديدة لتنويع مصادر الدخل، وتنمية الموارد الاقتصادية الأخرى في المملكة.

- مبادرة إلغاء التأمين النقدي للحاويات في الموانئ السعودية في مايو ٢٠١٨، وذلك بهدف دعم مبادرات تطوير وتيسير أداء الأعمال، حيث تتيح المبادرة للتجار تسلم حاوياتهم خلال فترة الإعفاء الممنوحة دون دفع أي مبالغ تأمينية؛ مما يساهم في خفض الأعباء المالية المحلية لتمويل الواردات، وتحسين مركز تصنيف المملكة في مؤشر أداء الأعمال وتيسير التجارة العالمي.

- تشغيل خط سفن الكروز السياحية في الموانئ السعودية، وذلك من خلال تشكيل لجنة مشتركة من المؤسسة العامة للموانئ مع الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني للعمل على تفعيل السياحة البحرية لسفن الكروز في الموانئ السعودية، وذلك في إطار تعزيز قدراتها التنافسية واللوجستية (الحميدي، ٢٠٠١).

- النهوض بالبنية التحتية للموانئ، مع مراعاة الأبعاد البيئية والحضرية في كافة مراحل وعمليات المشروعات الاستثمارية المطروحة، ويذكر أنه في هذا الخصوص استحدثت الهيئة طرقاً لتطوير الفنارات والمساعدة الملاحية، لتتوافق مع أعلى المعايير العالمية، لضمان سلامة الملاحة البحرية، إذ تم – إنشاء أبراج مراقبة في جميع الموانئ السعودية، مجهزة بأفضل التقنيات الحديثة في هذا المجال، حيث تم تزويد جميع مداخل الموانئ وقنوات الاقتراب منها بمساعدات ملاحية لإرشاد السفن، بلغ عددها ١٢٠١ علامة، تعمل جميعها بالطاقة الشمسية، لصعوبة توفير مصادر الطاقة الكهربائية الأخرى داخل المياه.

- العمل على مراعاة الأبعاد الإقليمية والدولية في ضوء المستجدات والمتغيرات الطارئة وبعيدة المدى.

٤. ميناء ضبا

4.1 مدينة ضباء

تقع مدينة ضبا أو ضباء في شمال غرب المملكة العربية السعودية على الجهة الشمالية لساحل البحر الأحمر على الطريق المصري المخصص للحج، والممتد نحو ٣٠٠كم من تقاطع مصر والأردن وفلسطين، وتقع تحديداً على بعد ١٨٠كم من منطقة تبوك، حيث تقع إدارياً تحت حكم إمارة تبوك، ومن أبرز المحافظات التي تحيط بهذه المدينة الساحلية هي محافظة الوجه، ومحافظة البدع بمسافة ١٥٠كم، وتبعد كذلك مسافة ٢٥٠كم من محافظة حقل، وعن محافظة أملج مسافة ٣٠٠كم.

وتعود تسمية المدينة بهذا الاسم (ضباء) لأنه في لغة أهل الشمال يصبح الجو ضَاب أو ضّب بمعنى كاتم أي حار ورطب ويقال ضّب الجو أي أصبح حار ورطب بمعنى مكتوم، واشتهرت قديما بكونها ميناء آمن لسفن التجارة والصيد في شمال البحر الأحمر، كما اشتهرت بوفرة مائها العذب ويحد ضباء من الشمال مدينة (نيوم) الجديدة، ومن الجنوب وادي كفافة، ووادي سلمى، وقرية العمود.

وتتمتع مدينة ضباء بأهمية كبيرة نتيجة موقعها الجغرافي؛ حيث تضم الآثار التاريخية التي تدل على الأمم التي سكنتها، وفيها كذلك ثلاثة وديان رئيسة؛ وهي: وادي ضحكان من الشمال، ووادي سلمى، ووادي كفاءة في الجنوب على امتداد الطريق السريع لميناء مدينة ينبع الصناعية (البلادي، ٢٠٠٨)، وتلقب هذه المدينة بدرة البحر الأحمر، حيث تضم الكثير من الشواطئ السياحية التي تتميز بلون مياهها الصافي، وتحتضن هذه الشواطئ العديد من الفنادق والشاليهات التي تخدم السياح والزوار القادمين للاستمتاع بشواطئها.

كما تضم ضباء قلعة الأزنم، والتي تعد أحد أشهر المعالم السياحية في ضباء وتبوك، وتقع هذه القلعة على مسافة ٤٥ كم جنوب المدينة، وشُيدت هذه القلعة خلال عصر السلطان محمد بن قلاوون في العصر المملوكي لتكون محطة مهمة على طريق الحج المصري، ثم أُعيد بناؤها عام ٩١٦هـ في عهد السلطان المملوكي قنصوه الغوري، وما تتميز به هذه القلعة أنها قلعة صامدة محافظة على شكلها منذ العصر المملوكي، ومن الداخل فهي تتكون من فناء تحيط به حجرات مستطيلة، وحجرات نصف دائرية، وديوان كبير، وعدد من الوحدات الداخلية، كما تضم المدينة قلعة الملك عبدالعزيز، والتي بناها الملك عبدالعزيز عام ١٣٥٢هـ، (١٩٣١م)، لتكون مقراً للحكم، ومقراً للإمارة، وتقع هذه القلعة على هضبة مرتفعة، وتبلغ مساحتها ١٠٠٠ م^2، ورُمّمت هذه القلعة لتصبح صرحاً سياحياً للزوار (عجيمي، ٢٠٠٠).

4.2 ميناء ضباء عبر التاريخ

يرجع الاسم التاريخي لميناء ضباء إلى اسم ميناء السقالة، والذي بني في العهد العثماني؛ حيث كان

يتكون من رصيف واحد، وتطور بناءه في عهد الملك عبد العزيز آل سعود ليمتد داخل البحر بمسافة ٥٠م، وبعرض مسافة ٢٠م، واليوم يُعتبر ميناء السقالة ميناءً مهماً، وتحيط به دوائر الجمارك، والبلدية، ومبنى المالية.

وخلال القرن الثالث عشر الهجري كان ميناء ضباء يستقبل الحجاج عن طريق رصيف صغير مصنوع من الخشب للقطائر الشراعية المسماة الدهو لإنزال حمولتها في المرسى الكائن في السقالة بالكراع، وكان يعمل على الخط البحري عددا كبيرا من هذه القطائر بين كل من ميناء ضباء بالمملكة العربية السعودية، وميناء السويس بجمهورية مصر العربية، ويعد موقع الكراع حالياً واحداً من أجمل المواقع السياحية بمنطقة تبوك، يصفه الجغرافي أحمد بن عمر العذري الأندلسي بأنه مرسى مأمون للسفن وبه سبعة آبار عذبة، كما وصفه البكري في كتابه (الممالك والمسالك) بأنه مرفأ مأمون للسفن، وذكره الحميري في كتابه (الروض المعطر) بأنه مرفأ مأمون للسفن وبه آبار عذبة وشجر (الزعاير، ٢٠١٦).

٤,٣ ميناء ضبا في العصر الحديث

تم افتتاح ميناء ضباء في العهد السعودي عام ١٤١٥هـ، ليكون حلقة ارتباط بين المنطقة الشمالية الغربية للمملكة والاقتصاد العالمي (اللهيبي، ٢٠١٨)، ويتمتع الميناء بمقومات جغرافية تدعمه في استقطاب البضائع المتجهة إلى المنطقة الشمالية السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي وجمهورية العراق حيث يقع بنهاية الساحل الشمالي للبحر الأحمر ويبعد عن مدينة تبوك 210 كم غربا ويبعد عن مدينة العقبة الأردنية 296 كم.

ويعد ميناء ضبا أقرب ميناء سعودي للموانئ المصرية المطلة على البحر الأحمر حيث تبلغ المسافة بينه وبين ميناء شرم الشيخ ١١٥ كيلو متر، وميناء الغردقة على الساحل الشرقي في الجانب المصري ١٧٧ كيلو متر، وأيضاً تبلغ المسافة عن ميناء سفاجا ١٩٥ كيلو متر، كما أنه أقرب الموانئ السعودية لقناة السويس حيث تبلغ المسافة بينهما ٤٦٠ كيلو متر، حيث تقطعها السفن في حوالي ١٧ ساعة بمعدل سرعة تبلغ ١٢ عقدة بحرية، وبالتالي فهو أقربها لدول حوض البحر الأبيض المتوسط ومنفذها بالمنطقة على خطوط التجارة الدولية. (المؤسسة، ٢٠١٨)

إضافة إلى أنه أقرب خط لبضائع الترانزيت بين دول الخليج وجمهورية مصر العربية عبر الأراضي السعودية حيث يبعد عن دولة الكويت 1560 كم، ويبعد عن العاصمة العراقية بغداد 1235 كم، ويرتبط الميناء برحلات ملاحية منتظمة على مدار العام مع الموانئ المصرية تصل في حالة الذروة إلى ٦ رحلات خلال اليوم الواحد.

ويمتلك الميناء صالة للركاب تصل مساحتها إلى ١٤٤٠ مترا مربعا، حيث تتسع لأكثر من ٣٠٠٠ راكب في آن واحد وتم زيادة الطاقة الاستيعابية لمحطة سيارات الركاب حيث تم إنشاء عدد ٢ مظلة

إضافية للسيارات القادمة والمغادرة بمساحة ٢٠١٦ متر مربع لكل مظلة واشتملت التوسعة على إنشاء عدد ٩ مكاتب وعدد ١٢ طاولة خرسانية لتفتيش عفش الركاب، وبذلك أصبحت سعة منطقة المغادرة ١٥٠ سيارة، بحيث تكون قادرة على إنهاء إجراءات عدد ١٦ سيارة في آن واحد وسعة منطقة القدوم ٢٠٠ سيارة، قادرة على إنهاء إجراءات عدد ٤٠ سيارة في آن واحد. (المؤسسة، ٢٠١٨)

تطوير ميناء ضباء في العصر الحديث

٤,٤ الأرصفة البحرية لميناء ضباء

٤,٤,١ الأرصفة التجارية

يبلغ عدد الأرصفة التجارية بالميناء عدد ٣ أرصفة بطول ٦٠٠ متر مخصصة على النحو التالي:

- الرصيف رقم١: حيث يستخدم للمواشي الحية والبضائع السائبة ويبلغ طوله ٢٠٠ متر بعمق ١٠,٥ متر.
- الرصيف رقم٢: والمخصص لخدمة البضائع العامة والسائبة ويبلغ طوله ٢٠٠ متر بعمق ١٠ متر، كما يضم رصيفا للصيادين بطول ٩٠ متر طوله ٢٠٠ متر بعمق ١٠ متر.
- الرصيف رقم٣: والمخصص لخدمة بضائع الدحرجة وسفن الركاب ويبلغ عمقه ٧ متر.
- رصيف رقم٤ لخدمات الوحدات البحرية بطول ٩٠ متر وعمق ٧متر.

٤,٥ المشاريع الاستثمارية داخل ميناء ضباء (المؤسسة، ٢٠١٨).

١- يوجد بالميناء منطقة خدمات للشركة السعودية لخدمات السيارات والمعدات (ساسكو)، ومتوفر بها فندق ومطعم وسوبر ماركت ومسجد داخل حدود الميناء .

٢- محطة محروقات مع كامل خدماتها خارج سور الميناء.

٣- فرع للبنك الأهلي التجاري مزود بصراف آلي لخدمة العملاء على مدار الساعة.

٤- يوجد موقع داخل ساحات الميناء للشركة المتحدة للأعلاف لمعدات مناولة الشعير.

٥ ميناء أملج

5.1 مدينة أملج

تعد أملج إحدى محافظات منطقة تبوك في المملكة العربية السعودية، ومدينة أملج محافظة ساحلية تبعد عن ينبع ١٣٨ كيلومتراً من جهة الشمال، يبلغ عدد سكانها تقريبا ٩٠ ألف نسمة أغلبهم من قبيلة جهينة، وتبعد عن مدينة تبوك بحوالي (٥٧٠ كم) إلى الجنوب، وتقع على خط طول (٣٧/١٤) وخط عرض (٢٥/٥)، وقد انتعشت المدينة واتسعت في العصر الحاضر وزادت حركة النشاط التجاري والعمراني والتعليمي بالمدينة (المجنوني، ٢٠١٧).

وتعددت المسميات لمدينة أملج عبر التاريخ حيث أطلق عليها الحوراء، الدار البيضاء، ليكي كومي، أم لج، فكانت تسمى قديما الحوراء لما تملكه من كل أنواع الجمال حيث الرمال البيضاء، والجبال، والبحر، والمياه العذبة، والزراعة، والتاريخ، ولقد ذكر اسم

الحوراء في كتب السيرة النبوية في الأحداث المتعلقة بغزوة بدر، حيث يقول حمد الجاسر (إن أعظم ما في مباني الحوراء بيوت مبنية من عظام الإبل) وجرت في الحوراء معركة تاريخية بين الصليبيين الذين كانوا متجهين للمدينة المنورة والقائد الأيوبي حسام الدين لؤلؤ حيث انتصر المسلمون.

وبعد اندثار الحوراء نتيجة للسيول فقد هجرها أهلها إلى مسافة قريبة بين الجبل والبحر أكثر أمانا إلى أم لج التي تقع على طريق الحاج فسماها الحجاج (أم لج) وذلك للجة أمواج البحر في الصخور المرجانية المنتشرة على طول ساحلها وبعد ذلك أدمج الاسم مع بعضه وأصبحت تسمى أملج (العمايرة، ٢٠٠٧).

تتميز مدينة أملج بالشواطئ والجزر الممتدة على طول سواحلها، كما تُعتبر من المدن الساحلية الغنية بالأحياء البحرية والشعاب المرجانية، وهي مقصد لكثير من السيّاح من كافة أنحاء المملكة العربية السعودية لممارسة الهوايات البحرية بأنواعها في مياه بحرها الصافي، بالإضافة إلى تميزها بكونها واحة خضراء ينتشر النخيل على سواحلها، ومن جانب آخر فإنَّ محافظة أملج تضم الكثير من المواقع التراثية التي تعبر عن حضارة المكان وروعته (الرويثي، ١٩٨٤).

يعمل معظم السكان في صناعة الصيد، وتربية المواشي، والزراعة، وبناء السفن، وتضم المدينة ثلاث جزر؛ جزيرة جبل حسان، وجزيرة أم سحر، وجزيرة الفوايدة، كما تضم هذه المدينة بين جنباتها مجموعة من القرى وهي؛ قرية القرص، وقرية الشبعان، وقرية الشبحة (المجنوني، ٢٠١٧).

كما أنها كانت تعد من أكبر المناطق التجارية في المنطقة الغربية، وتحتوي هذه المدينة على مجموعة كبيرة من الآثار، ويعتقد بأنّ هذه المدينة كانت موجودة منذ العهد الروماني، وكانت تُعرف باسم (لوكي لوما) أي المدينة البيضاء، ووصف العديد من العلماء العرب المسلمين أملج، وأبرزهم العالم الجغرافي الإدريسي، والذي قال عنها: (إنها قرية عامرة، وأهلها أشراف) (الناصري، ١٩٨١).

وتشتمل مدينة أملج على العديد من الأماكن السياحية المهمة حيث تضم: (المجنوني، ٢٠١٧).

- قصر الإمارة: والذي يقع في وسط المدينة، وقد كان قصراً للإمارة لفترة طويلة، وتم بناؤه من الحجارة المرجانية.
- السوق القديم: وهو السوق الذي اشتهر في العصور السابقة، حيث كانت تباع فيه السلع التقليدية، كما يوجد فيه سوق كبير للسمك.
- شاطئ الدقم: وهو الشاطئ الذي يقع في شمال المدينة، ويعتبر من أجمل الشواطئ فيها، وذلك لنمو أشجار النخيل بطريقة تجذب الزوار إليه، كما يوجد في شمال الشاطئ مكان مخصص للسباحة.
- شاطئ رأس الشبعان: حيث يتميز الشاطئ بالشعاب المرجانية الملونة، بالإضافة إلى الخلجان المتعددة، كما يحتوي على تجويفات صخرية ملاصقة للبحر، ويتميز شاطئ رأس الشبعان بوجود

منطقة سباحة خاصة للأطفال، بسبب تدرج عمق المياه فيه (الرويثي، ١٩٨٤).

- جزيرة جبل حسان: وتقع غرب محافظة أملج على بعد ١٨,٥كم من شواطئ مدينة أملج، وتحتوي الجزيرة على جبل حسان، كما تنتشر بجانبها جزرٌ أُخرى كجزيرة لبنة وأم السحر.

- جزيرة أم سحر: وما يميز هذه الجزيرة رمالها البيضاء الناعمة، ومياه بحرها الأزرق الصافي، وتعد من أجمل الأماكن في أملج.

- جزر الفوايدة: وتتكون من خمس جزر هي: جزيرة أطاويل، وجزر أم الملك، وجزيرة جزاية، وجزيرة أم جلوف، وجزيرة المنقلب، وتشتهر هذه الجزر بكثرة طيور النورس فيها.

– الأودية: ومن المناطق التي تشتهر بها أملج الأودية المحيطة بالمدينة، كوادي مرخ، وحائل، والبديع، والمخمص، وسمنة الذي يحتوي على المياه الجوفية والآبار التي تروى بها المزارع، كما تشتهر بوجود مزارع المانجو وأشجار النخيل.

٥,٢ الأهمية الحضارية لميناء أملج

يعتبر ميناء محافظة أملج، من أقدم الموانئ على ساحل البحر الأحمر في جزئه الشمالي الغربي، حيث تقع المحافظة التي كانت تمتلك أسطولاً من السفن الكبيرة الشراعية (القطاير)، والتي كان يصدر عليها من أملج الصدف والفحم النباتي إلى السويس بمصر وأيضا إلى السودان، وتجلب عليها المؤن الغذائية والأرزاق من هذه الدول (المجنوني، ٢٠١٧).

وميناء أملج اليوم، أصبح واجهةً سياحيةً للمحافظة، لكن وضعه الحالي غير مكتمل وتجرى مشاريع تطويرية شاملة لإعادة بناء الميناء، حيث يعد ميناء رئيسا للصيد البحري والقوارب السياحية بوجه خاص، كما يعد ميناء أملج البحري الأكثر ازدحاما في منطقة تبوك من حيث عدد الصيادين وأعداد القوارب فيه، إذ يستخدم هذا الميناء أكثر من ١٢٠٠ صياد سعودي يساعدهم حوالي ١٩٠٠ عامل أجنبي، ويصل عدد قوارب الصيد بمحافظة أملج إلى حوالي ٢٥٠٠ قارب صيد خلاف قوارب النزهة.

وفي عام ١٤٢٧هـ تم وضع حجر الأساس لمرفأ قوارب الصيادين بمحافظة أملج، حيث تبلغ المساحة البرية للمرفأ الجديد ٦٧ ألف متر مربع والمساحة البحرية ٧٠ ألف متر مربع وجاء المرفأ الجديد ليحقق أهداف منها إنشاء أرصفة لرسو عدد لا يقل عن ١٠٠٠ قارب صيد صغير و١٥ سفينة صيد صناعي مع زيادة عمق المياه أمام أرصفة قوارب الصيد الصغيرة إلى ١,٥ متر مقاساً من أدنى جذر، والعمل على زيادة عمق المياه أمام أرصفة سفن الصيد الصناعي إلى ثلاثة أمتار مقاساً من أدنى جذر وزيادة عمق المياه بالممر الملاحي للمرفأ إلى أربعة أمتار مقاساً من أدنى جذر، وإنشاء رصيف مناسب لحرس الحدود وزيادة عمق المياه أمامه إلى ٣ أمتار مقاسا من أدنى جذر، وإنشاء حواجز

الأمواج اللازمة لحماية المرفأ وإنشاء مزلق لخدمة السفن والقوارب داخل المرفأ، وإنشاء مرسى لرسو قوارب النزهة، وإنشاء رصيف للتزود بالمحروقات (المجنوني، ٢٠١٧).

٦ نتائج الدراسة

تمثل الموانئ السعودية أحد أهم الروافد الاقتصادية والتجارية الحيوية في المملكة، وتحظى بدور هام وحيوي في تطوير وتنمية عمليات التجارة الإقليمية والدولية، كما أن تلك الموانئ ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالاقتصاد الوطني السعودي من خلال دورها الرئيسي في خطط التنمية الاقتصادية تحقيقا لرؤية المملكة ٢٠٣٠، وعلى ذلك تسعى الدولة إلى تذليل كافة الإمكانات والخدمات والوسائل اللازمة لتطويرها ورفع طاقتها التشغيلية ؛ بما يسهم في تعزيز مكانة المملكة العربية السعودية سواء الإقليمية أو العالمية.

حيث تسعى الدولة من خلال عمليات التنمية المشتركة بين الموانئ والقطاع الخاص استثمار البيئة البشرية والحضرية وتمكين الكفاءات الوطنية المناسبة بشقيها الطبيعي والبشري، والتي كان البعض منها سببا وراء الصور الحالية التي وصلت إليها هذه الموانئ، ويمكن إجمال نتائج الدراسة في النقاط الأساسية التالية:

- من جانب اقتصاديات الموقع فقد ترتب على طبيعة الموقع الجغرافي لكل من ميناء ضباء، وميناء أملج عدة نتائج أخذت بعين الاعتبار عند التخطيط التنموي والحضري والتكنولوجي لتنمية الميناءين وأهمها:

وقوع كل من الميناءين على أهم شريان حيوي للتجارة البحرية العالمية يربط بين الشرق والغرب، منفذه الشمالي قناة السويس، ومنفذه الجنوبي مضيق باب المندب.

- يتمتع كل من الميناءين بظهير بشري واقتصادي وسياحي، فمشروع (نيوم) في شمال ضباء، ومدينة أملج السياحية في الجنوب بشعابها وجزرها البحرية، كما يضم كل من الظهيرين العديد من الأنشطة الاقتصادية والزراعية والتجارية والمعدنية في إمارة تبوك.

- يتمتع ميناء ضباء بحركة التجارة والترانزيت بين شرق أفريقيا ودول مجلس التعاون الخليجي، إضافة إلى حركة الركاب والعربات عبر رحلات ثابتة ومنتظمة من جمهورية مصر العربية، علاوة على قدرته في استقبال شحنات المواشي والمواد الخام، وقدرته في آن آخر على تصدير الثروة البترولية والتعدينية، فانتشار الموانئ بهذه الصورة أعطى الفرصة في اختيار بعضها للتركيز عليها لأداء وظائف معينة، كاتخاذها مراكز لبعض الصناعات أو موانئ تصدير واستيراد.

- يتميز ميناء أملج بقدرته الكبيرة على استقبال عدد هائل من سفن الصيد الكبيرة والصغيرة، والقوارب السياحية المتنوعة، وبالتالي دعم السياحة

واقتصاد المنطقة، علاوة على توفير المصادر الغذائية من الأسماك والقدرة المستقبلية.

- يتميز كلا الميناءين بقربهما من أسواق الانتاج والاستهلاك العالمي، إلى جانب قربهما من مناطق المواد الخام المعدنية، والبترولية، والزراعية والرعوية، مما يشجع على زيادة حركة الاستثمار وإنشاء الصناعات الأساسية والتكميلية، وصناعات الأسماك

- توضح الدراسة أن هناك ضعفاً في الظهير السكاني لكل من محافظتي ضباء، وأملج، يمكن تداركه بتوطين الصناعات الأساسية والتكميلية وزيادة الحركة الداخلية والخارجية من خلالهما.

- تظهر الدراسة ضعف الأنشطة الاقتصادية للسكان، حيث يعتمد ميناء ضبا على الاستيراد والتصدير دون قيام صناعات في الظهير الحضري يلتحق به السكان، في حين يختص ميناء أملج بطبيعة اقتصادية محلية من خلال وجود أكبر قدر من صيادي الأسماك في المملكة من خلاله، وبالتالي يعد الظهير السكاني عامل مساند لتنمية الميناء، كما يعمل الميناء على توطين التكنولوجيا وتشغيل الكفاءات في صناعة صيد الأسماك ومستقبلا في صناعات الأسماك.

٧ توصيات الدراسة

من خلال الدراسة المقدمة توصي الباحثة بالآتي:

- العمل على إنشاء صناعات أساسية وتكميلية كظهير اقتصادي داعم للكتلة السكانية في كل من محافظتي ضباء، وأملج تكون عاملا بشريا ككفاءات بشرية داعمة لتنمية قدرات كل من الميناءين.

- الاستعانة بالكفاءات الوطنية من خريجي الجامعات والمعاهد المتخصصة لتشغيل الميناءين في كافة الجوانب، من أجل تقليل نسبة البطالة، والعمل على زيادة الدخل لدى المواطنين.

- تجهيز ميناء ضباء لتصدير الفوسفات سواء كمادة خام أولية أو من خلال الصناعات الأساسية والتكميلية الخاصة به.

- العمل على تطوير جانب من ميناء ضباء لخدمة القوارب السياحية كجزء مساند لمشروع (نيوم) السياحي في شمال المحافظة.

- العمل على الانتهاء من تطوير ميناء أملج لخدمة عمليات الصيد البحري ورفع كفاءة التشغيل.

- تخصيص جزء من ميناء أملج لعمليات الاستيراد والتصدير وربطه بخطوط تسيير ركاب مع جمهورية مصر العربية (الغردقة، شرم الشيخ)، نظرا لتقارب الطبيعة السياحية لكل من تلك الأماكن.

- إنشاء الشركات الصناعية المتخصصة في الظهير الحضري للمحافظتين، واستغلال إمكانيات الميناءين في التصدير للعالم الخارجي سواء في الشمال نحو أوروبا، أو جنوبا نحو القارة الأفريقية، أو شرقاً نحو دول شرق آسيا.

- الاستمرار في توطين التكنولوجيا والكفاءات العالمية في تشغيل كل من الميناءين بشكل دوري.

- إنشاء خط سكك حديدية ساحلية يربط جميع الموانئ العاملة على البحر الأحمر تكون مرتبطة بالمراكز الصناعية التابعة لكل ميناء.

قائمة المصادر

١- برج، محمد عبدالرحمن (١٩٨٥). البحر الأحمر عبر التاريخ. إدارة البحوث، معهد الدراسات الدبلوماسية، وزارة الخارجية. ١٩-٣٢.

٢- البلادي، أمل علي عابد (٢٠٠٨). النشاط الاقتصادي لميناء ضباء وأثره في الحياة الاجتماعية ١٣٤٣ - ١٣٧٣هـ / ١٩٢٤ - ١٩٥٣م (من خلال الوثائق المحلية). (أطروحة جامعية)

٣- بلسود، سميرة بنت مبارك بن علي (٢٠٠٩). موانئ تهامة ومراسيها: الليث-القنفذة-حلي-البرك-القحمة-الشقيق-جازان: دراسة تاريخية حضارية ١١٧٩-١٣٥١ هـ. / ١٧٦٥-١٩٣٢م. مكة المكرمة: نادي مكة الثقافي الأدبي

٤- بلسود، سميرة بنت مبارك بن علي (٢٠٠٩). ميناءا ينبع ورابغ فيما بين عامي ١٢٥٦ - ١٣٧٣هـ / ١٨٤٠- ١٩٥٤م. (أطروحة دكتوراه)، جامعة أم القرى.

٥- بوريش، هشام (٢٠١٢). دور الابتكار والإبداع في تطوير أداء الموانئ وشركات النقل البحري. عمان (الأردن). مركز البحث وتطوير الموارد البشرية.

٦- الحربي، أمل محمد (١٩٧٠). موانئ شمال الحجاز: الوجه، ضباء المويلح، العقبة (١٢٥٦-١٣١٠هـ / ١٨٤٠-١٨٩٢): دراسة تاريخية. (أطروحة ماجستير). جامعة أم القرى، الشريعة والدراسات الإسلامية

٧- الحميدي، وليد محمد كساب (٢٠٠١). التنمية السياحية على ساحل خليج العقبة السعودي. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. ٢٧(١٠٠). ١٧-٥١.

٨- الراشد، أحمد علي أحمد (١٩٩٥). استخدام أسلوب المحاكاة في تطوير إدارة نظم التفريغ في الموانئ. القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية

٩- الراشد، سعد بن عبدالعزيز بن سعد (١٩٨٦). دينار مملوكي من ضبا. العصور. ١(٢)، ١٧١-١٧٨.

١٠-الرويثى، محمد أحمد حميد (١٩٨٢). السكان وتنمية الموانئ السعودية على البحر الأحمر. الرياض: دارة الملك عبد العزيز

١١-الرويثي، محمد أحمد (١٩٨٤). البحر الأحمر وشعبه المرجانية. الدارة. ٩(٤)، ٢٠١-٢١٧.

١٢-الرويثي، محمد أحمد (١٩٩٧). الموانئ السعودية على البحر الأحمر: دراسة في الجغرافيا الاقتصادية. المدينة المنورة: دار الواحة العربية

١٣-ريمي، أسماء أحمد عبده (١٩٩٩). البحر الأحمر: أهميته في الاستراتيجية الدولية ومكانته في الأمن القومي العربي. مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية. ٢(٤)، ٦١-٧٤.

١٤-الزعارير، محمد عبد الله. (٢٠١٦). الحياة الاقتصادية في منطقة تبوك (خلال القرنين ١٢ و١٣ هـ /١٨ و١٩م). Academic Journal | Dirasat: Human & Social Sciences. 2016 Suppl 2, Vol. 43 Issue 2, p1279-1297. 19p.

١٥-السرحاني، فاطمة بنت ثابت بن علي (٢٠١٢). الموانئ السعودية على الخليج العربي في عهد الملك عبد العزيز وأثرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الفترة من ١٣٣١-١٣٧٣هـ/ ١٩١٣-١٩٥٣م . أبها

١٦-سليمان، عبد الحميد حامد (١٩٩٥). الموانئ المصرية في العصر العثماني: دورها السياسي ونظمها الإدارية والمالية والاقتصادية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٧-عبدالفتاح، محمد. (٢٠١١). الاستراتيجيات التسويقية للموانئ وشركات النقل البحري. القاهرة: المكتب العربي للمعارف.

١٨-عجيمي، هشام محمد علي حسن (٢٠٠٠). قلاع الأزنم والوجه وضبا بالمنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية: دراسة معمارية حضارية. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية.

١٩-العليان، عبدالحميد بن علي (٢٠١٤). تطوير النظام اللوجستي بالموانئ السعودية كوسيلة لزيادة قدرتها التنافسية. المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية. ١٤(١)، ٤٢٥-٤٤٩.

٢٠-العمايرة، خالد محمد سالم (٢٠٠٧). موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ. / ١٢٥٠-١٥١٧ م. الرياض: دارة الملك عبد العزيز

٢١-الكواري، نورة يوسف مبارك (٢٠٠٦). موانئ الساحل الغربي للخليج العربي فيما بين خليج سلوى ورأس مسندم: دراسة في الجغرافيا الاقتصادية. الكويت مركز دراسات الخليج والجزيرة العربي

٢٢-اللهيبي، مريم بنت فويز بن حميد (٢٠١٨). ميناء ضبا دراسة في جغرافية النقل. مكة المكرمة: المؤلف.

٢٣-مجلس التعاون لدول الخليج العربية (١٩٨٥). قواعد وتعليمات الموانئ البحرية. الرياض: مجلس التعاون لدول الخليج العربية.

٢٤-المجنوني، سلوى بنت محمد بن عويض؛ إشراف أحلام بنت علي أبو قايد (٢٠١٧). أملج في العصر الحديث خلال الفترة (٩٢٣-١٤٣٦هـ/ ١٥١٧- ٢٠٠٦ م). (أطروحة ماجستير). جامعة أم القرى، الشريعة والدراسات الإسلامية

٢٥- المجنوني، سلوى بنت محمد بن عويض (٢٠١٧). أملج في العصر الحديث خلال الفترة (٩٢٣-١٤٣٦هـ/ ١٥١٧- ٢٠١٤ م): دراسة تاريخية حضارية. مكة المكرمة

٢٦-المشهداني، بان علي حسين (٢٠١٤). الموانئ الصناعية في المملكة العربية السعودية والتحديات

التي تواجه صناعة النقل البحري في المنطقة العربية. الخليج العربي. ٤٢(٣،٤)، ٨٤-١١٠.

٢٧-المؤسسة العامة للموانئ السعودية. (١٩٧٦). نظام المؤسسة العامة لموانئ السعودية. (تاريخ الاطلاع سبتمبر ٢٠١٨). متوافر على: https://www.boe.gov.sa/printsystem.aspx?lang=ar&systemid=208&versionid=224

٢٨-الناصري، سيد أحمد علي (١٩٨١). الرومان والبحر الأحمر. الدارة. ٦(٢)، ٨-٥٠.

٢٩-النحراوي، أيمن محمد (٢٠٠٢). الموانئ البحرية السعودية: التحديات المستقبلية. الإسكندرية، مصر: الدار الجامعية، ٢٠١٢ [١٤٣٣]. تدمك 9789774222449

Title: Urban and historical study of the economic value of the Red Sea ports: Dubaa and Amlaj ports as models

Dr. Samira Mubarak Belaswad
Assistant Professor, General Curriculum Dept., Faculty of Education and Arts
Northern Border University

Abstract. the cities of the west coast of the Kingdom of Saudi Arabia on the Red Sea witnessed economic and social growth. These cities were able to change the role of the Kingdom in its economic and cultural relations, the political and historical reality of the region. This impact on the rate of prosperity and rapid growth of population and urbanization, In addition to the localization of technology, the boom of industrial growth and the development of the economic situation of the Kingdom, where the current study aimed to analyzing the cultural and economic role of both the ports Dubaa and Amlaj, that included as urban models for commercial growth, The study has reached several results, as the high value of the geographical location of the two ports, their proximity to the international shipping lines, the technical equipment's and management of the two miners are carried out in a distinct manner, The port of Dubaa acquires the nature of passenger transport and the receipt of goods and transit traffic. While the port of Amalj is characterized by its nature of fishing industry of the Red sea, the service of the local population, both two ports have near global production and consumption markets.
Keywords: Economic Ports; Urban Development; Western Saudi Arabia; Dubaa Port; Amlaj Port.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٢ ص ص: ١٨٣- ٢٠٣ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-2.7

المساندة الإجتماعية وفعالية الذات وعلاقتهما بجودة الحياة لدى عينة من طالبات الجامعة بمحافظة جدة

د. شروق غرم الله الزهراني

أستاذ مساعد- قسم علم النفس - كلية العلوم الإجتماعية - جامعة جدة

مستخلص. هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على العلاقة بين المساندة الإجتماعية وجودة الحياة ، وكذلك العلاقة بين فعالية الذات وجودة الحياة لدى عينة من طالبات الجامعة بمحافظة جدة، وأيضا الكشف عن الفروق في متغيرات الدراسة والتي تعزى إلى التخصص الأكاديمي، وتكونت عينة الدراسة من (٢١٠) من طالبات الجامعة تراوحت أعمارهن بين (٢١،٢٧) سنة، وطبقت مقاييس المساندة الإجتماعية، وفعالية الذات ، وجودة الحياة، وأسفر النتائج عن وجود علاقة بين المساندة الاجتماعية وجودة الحياة، وأيضا علاقة دالة بين فعالية الذات وجودة الحياة، كما ظهر عدم وجود فروق في كل من المساندة الاجتماعية، وفعالية الذات، وجودة الحياة تعزى إلى التخصص الاكاديمي.

كلمات دالة: المساندة الاجتماعية- فعالية الذات- جودة الحياة- طالبات الجامعة.

المقدمة

إن علم النفس الإيجابي له دور في فحص الجوانب المشرقة في حياة الإنسان ودراستها لإيجاد طرق ومسالك عملية لتحقيق الأهداف ودراسة القوة الإنسانية، والنمو السوي للأفراد والجماعات والمؤسسات وتوفير الظروف التي تؤدي إلى مستويات عالية من السعادة والأمل والتفاؤل وحب الحياة والرضا عنها وهو أمر مطلوب في ظل الظروف الضاغطة التي تحيط بالحياة .(فضل عبد الصمد،٢٠٠٦). وفي الآونة الأخيرة نلاحظ الاهتمام بمفهوم الجودة بشكل عام وجودة الحياة بشكل خاص، وهذا الاهتمام يعكس أهمية هذا المفهوم وتأثيره على مختلف الجوانب النفسية، وتعد جودة الحياة تعبير عن الإدراك الذاتي لتلك الجودة، فالحياة

بالنسبة للفرد ما يدركه منها، فشعور الفرد بالرضا عن حياته ينعكس على عمله ويتجلى ذلك في معدل انتاجيته وكفاءتها. (سحر علام، ٢٠١٢).

والشعور بجودة الحياة يزداد أو يقل وفق المنظومة المحيطة بالفرد التي تمتد لتشمل المساندة الاجتماعية التي تقدم للأفراد لمواجهة ضغوط الحياة، كما أنها تزيد من التأثير الايجابي لجودة الحياة، حيث تساهم المساندة الاجتماعية المادية والمعنوية برؤية تنبؤيه للحياة تساعد لمواجهة أضرارها، وتقلل من الضغوط المحتملة التي تصيب الأفراد على كافة الأعمار.(نسرين طنطاوي،٢٠١٦). وتعتبر المساندة الاجتماعية من أهم المصادر التي تشعر الفرد بالتقدير والاعتراف والقبول. كما تعتبر مصدر هام من مصادر التخفيف من ضغط العمل لدى الأفراد، إذ تساعدهم على التكيف مع المشكلات التي تواجههم، كما أن المساندة الاجتماعية هي إحدى صور العلاقات الاجتماعية التي توفر للفرد المساعدة التي يطلبها، كما أنها أهم مصدر للأمن الذي يحتاجه الانسان عندما يشعر بأن هناك ما يهدده، وأنه غير قادر على مواجهة الضغوط والمتاعب التي قد تعترض حياته وتؤثر على توافقه.(عمار الفريحات،٢٠١٧).

إن المساندة الاجتماعية بجميع اشكالها تؤدي الى اشباع الحاجات الأساسية للفرد من حب واحترام وتفهم وتواصل وتقديم المعلومات من الأشخاص ذوي الأهمية في حياة الفرد وبهذا فالمساندة الاجتماعية تستلزم وجود اشخاص يتسمون بالمساندة والدعم الاجتماعي. (ريا إسماعيل، ٢٠١٨). فعائلة الفرد، وأصدقائه، و جيرانه يشكلون مصادر دعم اجتماعي له، و مكن تصنيف الدعم الاجتماعي إلى ثلاث مجموعات: المالية والعاطفية والمعرفية. الدعم المالي ينطوي على توفير المال والغذاء. والدعم العاطفي يشمل قبول وتلبية احتياجات الأفراد الاساسية، و الاجتماعية مثل الحب والانتباه والثقة، والشعور بالانتماء إلى مجموعة الدعم المعرفي يشير إلى توفير المعلومات ومساعدة الأفراد في حل مشاكلهم. (Backstrom&others,2017)

وتعد فاعلية الذات من المتغيرات النفسية الهامة التي توجه سلوك الفرد وتسهم في تحقيق أهدافه الشخصية، والمعتقدات التي يمتلكها الفرد حول قدراته وإمكاناته لها دور هام في التحكم في البيئة؛ مما يسهم في زيادة قدرة الفرد على الإنجاز ونجاح الأداء.(إبتسام حدان،٢٠١٥). إن فاعلية الذات إحدى موجهات السلوك، فالفرد الذي يؤمن بقدرته يكون أكثر نشاطاً وتقديراً لذاته، ويمثل ذلك مرآة معرفية للفرد، وتشعره بقدرته على التحكم في البيئة؛ حيث تعكس معتقدات الفرد عن ذاته قدرته على التحكم في معطيات البيئة من خلال الأفعال والوسائل التكيفية التي يقوم بها، والثقة بالنفس في مواجهة ضغوط الحياة.(ليلى المزروع،٢٠٠٧).

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

يشكل طلبة الجامعة شريحة هامة من شرائح المجتمع، وعلاوة على ذلك فهم عماد الأمة وقادة الغد، ولقد أصبح الاهتمام بفئة الطلاب الجامعيين ودراسة خصائصهم ومعرفة حاجياتهم من أبرز الاهتمامات لدى المجتمعات كافة ويأتي ذلك الاهتمام بهذه الفئة من منطلق أهميتها فهم يشكلون ثروة قومية ورأس مال ثمين يساعد على النمو والتقدم حاضرا ومستقبلا .(محمد الطلاع ونبيل دخان،٢٠١٦).

وتعد جودة الحياة من المتغيرات المؤثرة في حياة الطلاب، والتي تشكل قيمة للحياة في الحاضر والمستقبل، ويسعون إلى تحقيق مزيد من السعادة والرضا، ويسعون لتطوير حياتهم نحو الأفضل، كما أن تحسين جودة الحياة من المؤشرات الهامة الدالة على تقدم المجتمع، وتنعكس على رضا الفرد واحساسه بالسعادة.

وتعد المساندة الاجتماعية من المطالب الأساسية لجميع افراد المجتمع للحصول على الدعم والرعاية والاهتمام من قبل المحيطين بهم لزيادة الشعور بالرضا وتقدير الذات والثقة ومقاومة احداث الحياة السلبية وتجاوز الأزمات، فبدون المساندة الاجتماعية يصبح الفرد معرضا لكثير من المخاطر والاضرار البيئية التي تؤدي الى عزلته عن الآخرين.(ريا إسماعيل،٢٠١٨).

كما تعتبر فعالية الذات من الجوانب المكونة لشخصية الإنسان، ففكرة الفرد عن نفسه، وإيمانه بقدراته وإمكاناته يضمن له النجاح في الحياة. فمعتقدات الفرد عن فاعليته الذاتية تعكس قدرته على أن يتحكم في معطيات البيئة من خلال أفعاله، ووسائل التكيف التي يستخدمها، والثقة بالنفس في مواجهة الضغوط والاضطرابات النفسية والجسدية الناجمة عن الصعوبات الحياتية.(إبتسام حدان،٢٠١٥).

وتمثل فعالية الذات أحد الأبعاد المهمة في تحسين جودة الحياة، وانطلاقا من نتائج البحوث والدراسات السابقة التي تناولت فعالية الذات، يتضح أن لها أهمية بالغة في حياتنا، وترجع أهميتها إلى الدور الحيوي الذي تؤديه في دفع السلوك وتوجيهه نحو تحقيق الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها ، كما تعمل على تحسين أداء العمل فيضع الطالب لنفسه أهدافا بعيدة المدى، ويبذل الجهد في مواجهة الفشل، وينظر للمهام الصعبة على أنها مصادر للتحدي. وفي ضوء ما سبق تظهر الحاجة لإجراء مثل هذه الدراسة للتعرف على مدى تأثير كل من المساندة الاجتماعية وفعالية الذات في تحقيق جودة الحياة لدى طالبات الجامعة . ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

١- هل توجد علاقة بين المساندة الاجتماعية وجودة الحياة لدى عينة من طالبات الجامعة بمحافظة جدة ؟

٢- هل توجد علاقة بين فعالية الذات وجودة الحياة لدى عينة من طالبات الجامعة بمحافظة جدة؟

٣- هل توجد فروق في متوسطات درجات الطالبات في كلا من المساندة الإجتماعية وفعالية الذات وجودة الحياة والتي تعزى إلى التخصص الأكاديمي؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى:

١- الكشف عن العلاقة بين المساندة الاجتماعية وجودة الحياة لدى عينة من طالبات الجامعة بمحافظة جدة.

٢- الكشف عن العلاقة بين فعالية الذات وجودة الحياة لدى عينة من طالبات الجامعة بمحافظة جدة.

٣- التحقق من الفروق في كلا من المساندة الإجتماعية وفعالية الذات وجودة الحياة لدى عينة من طالبات الجامعة بمحافظة جدة وفقا للتخصص الأكاديمي.

أهمية الدراسة

الأهمية النظرية:-

١- تكتسب الدراسة أهميتها من أهمية العينة التي تتناولها وهي طالبات الجامعة حيث تعتبر مرحلة النهوض بأنفسهم ومجتمعاتهم إلى أعلى درجات الرقي والتقدم، فهم بحاجة إلى المساندة ليتمكنوا من تحقيق ذواتهم وتنمية شخصياتهم وتحقيق التقدم لمجتمعاتهم.

٢- توفير إطار نظري للمساهمة في الكشف عن العوامل المرتبطة بجودة الحياة باعتبارها من أهم المتغيرات المؤثرة في حياة طلاب الجامعة.

٣- ستسهم نتائج الدراسة في المساعدة في تفعيل دور المساندة الاجتماعية داخل الأسرة من خلال تعرفهم على مدى انعكاس اثر المساندة على جودة الحياة لدى الطلاب.

٤- تفتح الدراسة الحالية المجال للباحثين والمهتمين لإجراء دراسات أخرى على نفس العينة من خلال النتائج والتوصيات والمقترحات المطروحة.

الأهمية التطبيقية:

١- ستسهم الدراسة الحالية في مساعدة المهتمين على بناء استراتيجيات، وبرامج لتحسين مستوى الفاعلية الذاتية، وتنميتها لدى فئة الدراسة.

٢- ستسهم نتائج الدراسة في مساعدة المهتمين في إقامة دورات تدريبيه وتوجيهيه تساعد على تحسين جودة الحياة لدى الشباب.

٣- ستسهم نتائج الدراسة الحالية في تصميم برامج إرشادية تفيد في رفع مستوى التماسك الأسري.

متغيرات الدراسة:

- **المساندة الاجتماعية**

- تعرف أسماء السريسي وأماني عبد المقصود (٢٠١٢) المساندة الاجتماعية بأنها الدعم الانفعالي والمادي والأدائي الذي يتلقاه الفرد من قبل الآخرين المحيطين به والأسرة والأصدقاء والجيران وزملاء العمل أو الفصل، ومدى قدرة الفرد على تقبل وإدراك

هذا الدعم. وهي جميع الأشكال من العلاقات الشخصية الطوعية الموجهة نحو توفير المساعدات المالية والعاطفية ، والمعرفية. (Mermer, Bilge, Yucel, Ceber,2010)

وتعتبر المساندة الاجتماعية مصدرا هاما من مصادر الدعم النفسي والاجتماعي الذي يحتاجه الفرد في حياته اليومية، كما أنها تلعب دورا هاما في اشباع حاجاته للأمن النفسي والاجتماعي في عالمه الذي يعيش فيه عندما يشعر أن هناك ما يهدده، وأن طاقته استنفذت، وأنه يحتاج إلى مدد وعون خارجي.(أسماء البليطي،٢٠١٧).

وتعرف الباحثة المساندة الاجتماعية إجرائيا بأنها: مختلف أشكال الدعم المادي والمعنوي الذي يتلقاه الفرد ممن يحيطون به سواء أفراد أسرته أو أصدقائه أو جيرانه، وتقاس من خلال الدرجة التي تحصل عليها الطالبة على مقياس المساندة الاجتماعية المستخدم في الدراسة الحالية.

فعالية الذات

يعرف باندورا Bandura فعالية الذات بأنها حالة دافعية يتم من خلالها قياس التقدير الذاتي للفرد على تنفيذ أعمال معينة لتحقيق بعض أهدافه، واعتقاداته حول ما يمكنه القيام به.(Bandura,2007) وهي معتقدات يمتلكها الفرد تحدد قدرته على أداء السلوك وتوجيهه، مما ينعكس على الأنشطة التي يقوم بها، والكيفية التي يتعامل معها في المواقف التي تواجهه في الحياة.(عطاف أبو غالي،٢٠١٢: ٦٢٥) أو هي اعتقاد الفرد عن قدراته في أداء أفعال أو مهام محددة.(Erozkan , 2014).

-وتعرفها الباحثة بأنها معتقدات الفرد حول قدراته التي تؤثر على أدائه للمهام المختلفة، وتقاس بالدرجة التي يحصل عليها المفحوص على مقياس فعالية الذات المستخدم في الدراسة الحالية.

وتتضمن فعالية الذات الأبعاد التالية

إنجاز الأداء:- قناعة الفرد بقدرته الذاتية على أداء المهام الصعبة، وانجازها بنجاح ، مما يقتضي تنظيم تفكيره، وتقييمه لأدائه، ومواجهة الصعاب وتحمله المسؤولية، والمثابرة في تحقيق أهدافه مع شعوره بالثقة بنفسة.

الخبرات البديلة:- كل ما يمكن اكتسابه من خلال ملاحظات الآخرين ، وأنشطتهم الناجحة ، وكذلك ما يمر به من خبرات سابقة، مما يساعد الفرد على تكوين توقعات عن أدائه في المواقف المشابهة.

الاقتناع:- قدرة الفرد ومهارته للاستمتاع إلى الآخرين أثناء تقديم عمليات التشجيع والتدعيم، والتي تهدف إلى إقناعه بقدرته على إنجاز المهام بنجاح. (هويدا محمود و فوزية الجمالي،٢٠١٠).

جودة الحياة

يعد مفهوم جودة الحياة من المفاهيم الواسعة متعددة الأبعاد، والذي يهدف الى تقييم حياة الشخص وفقاً للمعايير العالمية، كما يختلف تعريف جودة الحياة نتيجة لاختلاف توجهات الباحثين ورؤيتهم حول جودة الحياة، وما يرتبط بها من متغيرات اجتماعية

او نفسية، أو صحية، أو اقتصادية وتعرف بأنها حالة الرضا العامة التي يعيشها الفرد نتيجة تقييمه لمستوى إشباع مختلف حاجاته المادية والمعنوية من خلال تقييمه لجانبين أساسيين: الأول هو تقييمه لما حققه له مستواه الاجتماعي والاقتصادي من إشباع لحاجاته الأساسية. أما الجانب الثاني فهو تقييم مناخ التفاعل الاجتماعي داخل سياقات الحياة الاجتماعية (سلوى إبراهيم، ٢٠٠٦).

وتعرفها زينب شقير(٢٠١٠) بأن يعيش الفرد في حالة جيدة متمتعا بصحة بدنية وعقلية وانفعالية على درجة من القبول والرضا، وأن يكون قوي الإرادة صامدا أما الضغوط التي تواجهه ، ذو كفاءة ذاتية واجتماعية عالية، وراضيا عن حياته الأسرية والمهنية والمجتمعية، محققا لحاجاته وطموحاته، واثقا من نفسه، غير مغرور ومقدرا لذاته بما يجعله متفائلا لحاضره ومستقبله، ومتمسكا بقيمه الدينية والخلقية والاجتماعية، ومنتميا لوطنه ومحبا للخير، ومدافعا عن حقوقه ومتطلعا للمستقبل.

كما عرفت منظمة الصحة العالمية (WHO) جودة الحياة بأنها: قدرة الفرد على الاستمتاع بالإمكانيات المتاحة لديه في الحياة وشعوره بالأمن والرضا والسعادة والرفاهية، حتى ولو كان لديه ما يعوق ذلك (هشام عبد الله،٢٠١٠).

قسم عويد المشعان وأمثال الحويلة (٢٠١٢) مجالات جودة الحياة إلى:

- مجال الصحة الجسمية: وهو إدراك الفرد لجودة حياته من ناحية النشاط أو الطاقة، والتعب، والألم، وعدم الراحة، والنوم، والراحة.
- مجال الصحة النفسية: ويضمن هذا المجال تقدير الفرد لجودة حياته من عدة جوانب أهمها: المظهر، وصورة الجسم، والمشاعر السلبية والايجابية، وتقدير الذات، والتفكير والتعلم والذاكرة والتركيز والانتباه.
- المجال الاجتماعي: ويشمل العلاقات الشخصية، والدعم الاجتماعي الذي يتلقاه الفرد.
- المجال البيئي: الحرية، والأمان الشخصي والجسمي، والرعاية الصحية، وبيئة المنزل، والأنشطة الترفيهية، والتلوث، والضوضاء.

كما أوضح Ventegrative, et al(2003) أن جودة الحياة تتضمن بعدين جودة الحياة الذاتية وتشمل أبعاد فرعية تتمثل في (طيب الحياة، والرضا عن الحياة، والسعادة، ومعنى الحياة)، وجودة الحياة الموضوعية وتشمل أبعاد فرعية تتمثل في (المعايير الثقافية، واشباع الحاجات، وإدراك الامكانيات والنواحي البيولوجية.(حسام الدين على ، ٢٠١٣).

وتعرفها الباحثة بأنها مجموع استجابات الفرد الإيجابية نحو الحياة، وإحساسه بأهميتها وقيمتها ورضاه عن حياته بشكل عام. وتقاس من خلال الدرجة التي يحصل عليها المفحوص على مقياس جودة الحياة المستخدم في الدراسة الحالية.

دراسات السابقة

أولا:- دراسات تناولت المساندة الاجتماعية

هدفت دراسة نسرين طنطاوي(٢٠١٦) إلى التعرف على القدرة التنبؤية للمساندة الاجتماعية بجودة الحياة لدى عينة من أمهات الأطفال المرضا بأنيميا البحر المتوسط (الثلاسيميا) وفقا لبعض المتغيرات الديموجرافية (سن الأم، المستوى التعليمي، عدد الأطفال التي ترعاهم الأم أسوياء- عدد الأطفال التي ترعاهم الأم مرضى، مكان السكن) وتكونت عينة الدراسة من (٩٠)سيدة، واستخدم مقياس المساندة الاجتماعية ومقياس جودة الحياة، وتوصلت النتائج إلى وجود ارتباط دال بين المساندة الاجتماعية وجودة الحياة.

كما هدفت دراسة عبد القادر(٢٠١٧) إلى التعرف على العلاقة بين المساندة الاجتماعية وفعالية الذات، وكذلك التعرف على الفروق بين الذكور والإناث في المساندة الاجتماعية والفعالية الذاتية، وشملت الدراسة (٢٠٠) من طلاب الجامعة منهم (١٠٠ طالب و١٠٠ طالبة)، واستخدم مقياس للمساندة الاجتماعية، ومقياس لفعالية الذات. وأشارت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية دالة بين المساندة الاجتماعية وفعالية الذات، وكان الطلاب أعلى من الطالبات في المساندة الاجتماعية وفعالية الذات.

وتناولت دراسة علي (Ali(2017 العلاقة بين المساندة الاجتماعية والصحة العقلية لطلاب جامعة زابل للعلوم الطبية، وتكونت عينة الدراسة من (٥٠٠) طالب، وطبق استبيان الصحة العقلية، ومقياس المساندة الاجتماعية المدرك، وأظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة بين المساندة الاجتماعية والصحة العقلية؛ فقد تبين أن الحماية الاجتماعية للأسرة والدعم الاجتماعي للأصدقاء يرتبط بالصحة العقلية.

وتناولت دراسة أسماء البليطي(٢٠١٧) الصمود النفسي في علاقته بكل من المساندة الاجتماعية وجودة الحياة لدة عينة من الأطفال المعاقين حركيا، ومدى إمكانية التنبؤ بالصمود النفسي من خلال المساندة الاجتماعية وجودة الحياة، وشملت الدراسة (٦٠) طفلا معاقا حركيا، واستخدمت مقاييس الصمود النفسي، والمسندة الاجتماعية، وجودة الحياة، وتوصلت النتائج إلى وجود علاقة دالة بين الصمود النفسي وكل من المساندة الاجتماعية وجودة الحياة، وكان مرتفعي المساندة الاجتماعية وجودة الحياة أعلى من المنخفضين في الصلابة النفسية، كما ظهر امكانية التنبؤ بالصمود النفسي من خلال المساندة الاجتماعية وجودة الحياة.

واهتمت دراسة إسماعيل (٢٠١٨) بالتعرف على المساندة الاجتماعية لدى طلبة كلية الاعلام في جامعة بغداد والفروق باختلاف الجنس(ذكور-اناث) والمرحلة الدراسية (الأولى -المنتهية) وتكونت عينة الدراسة من (١٤٥) طالبا وطالبة، و أشارت النتائج إلى أن أفراد عينة الدراسة لديهم مستوى متوسط من المساندة الاجتماعية، وكانت الإناث أعلى من الذكور في المساندة الإجتماعية، ولم توجد فروق تعزى إلى المرحلة الدراسية.

في دراسة مينغ وآخرون (Ming,Hui, Wang, Hai, Liang, Zhu (2018 على عينة ٤٧٩ من آباء الأطفال الصينيين المصابين بالتوحد (الذين تتراوح أعمارهم بين ٣–١٨ سنة) أشارت النتائج إلى أن إجهاد الأبوة والأمومة والدعم الاجتماعي ورضا الحياة كانت مرتبطة بشكل كبير. وتوسط الدعم الاجتماعي العلاقة بين الاجهاد الأبوي والرضا عن الحياة. كما أن الدعم الاجتماعي هي مؤشر حاسم للرضا الحياة ويمكن أن تكون بمثابة استراتيجيات التدخل الأساسية التي تعزز الرضا عن الحياة بين آباء وأمهات الأطفال الصينيين المصابين بالتوحد.

ثانيا:– دراسات تناولت فعالية الذات

تناولت دراسة آهانجي وشرف (Ahangi & Sharaf 2013 العلاقة بين فعالية الذات وموضع الضبط والتحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلة الثانوية، وتكونت عينة الدراسة من (٢٦٦) مفحوص في مدينة شينارن، واستخدام مقياس فعالية الذات، ومقياس وجهة الضبط. ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة أن لفعالية الذات دورا مهما في التنبؤ بالتحصيل الأكاديمي.

كما اهتمت دراسة حجازي(٢٠١٣) بالتعرف على مستوى فاعلية الذات، ومستوى التوافق المهني، وجودة الأداء لدى معلمات غرف المصادر في المدارس الحكومية في الضفة الغربية، وتكونت عينة الدراسة من (٤٥) معلمة، واستخدم مقياس فاعلية الذات، ومقياس التوافق المهني ومقياس جودة الأداء، وتوصلت النتائج وجود مستويات مرتفعة من فاعلية الذات والتوافق المهني، وجودة الأداء، كما ظهر وجود علاقة ارتباطية بين فاعلية الذات والتوافق المهني و جودة الأداء كما ظهر أن مرتفعات الفاعلية الذاتية أعلى من منخفضات الفاعلية الذاتية على مقياس التوافق المهني، ومقياس جودة الأداء.

كما هدفت دراسة إريوزكان Erozkan, 2013 الى اختبار العلاقة بين مهارات التواصل ومهارات حل المشكلات الشخصية وفعالية الذات، وتعرف مدى تنبؤ مهارات الاتصال ومهارات حل المشكلات بفعالية الذات الاجتماعية، تكونت عينة الدراسة من ٤٩٤ من طلاب المدارس الثانوية بتركيا، منهم (٢٢٦اناث، ٢٦٨ ذكور) ، أشارت نتائج الدراسة إلى أن مهارات التواصل ومهارات حل المشكلات الاجتماعية ترتبط ايجابياً بعلاقة دالة بفعالية الذات الاجتماعية، وتتنبأ أيضا بفعالية الذات الاجتماعية.

كما اهتمت دراسة شيو Chiu (2014) بالتعرف على العلاقة بين ضغوط الحياة وإدمان الهواتف الذكية لدى طلاب الجامعة بتايوان، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن ضغوط الحياة تتنبأ بإدمان الهواتف، وتساهم فعالية الذات الاجتماعية كميكنزمات معرفية في توسط العلاقة بين الاحساس بالضغوط وإدمان الانترنت.

وهدفت دراسة عبدالله (٢٠١٥) إلى معرفة العلاقة بين الضغوط الأكاديمية وكل من القلق وفعالية الذات الأكاديمية، والفروق بين الجنسين في كل من الضغوط الأكاديمية وفعالية الذات الأكاديمية، تكونت

العينة من ١٥٠ طالبا جامعيا (٧٢ ذكر و ٧٨ أنثى) بكلية الآداب جامعة القاهرة، وطبق مقياس الضغوط الأكاديمية ومقياس فعالية الذات الأكاديمية ومقياس القلق. وقد أسفرت النتائج عن وجود علاقة ارتباطية سالبة بين الضغوط الأكاديمية وفعالية الذات الأكاديمية، وكانت الإناث أعلى من الذكور في فعالية الذات الأكاديمية.

واهتمت دراسة المحمدي (٢٠١٧) بالتعرف على مدى تأثير وجهة الضبط (الداخلي والخارجي) وفعالية الذات على التحصيل الدراسي لطالبات المرحلة الثانوية، تكونت عينة الدراسة من (٣٧٤) طالبة من طالبات المرحلة الثانوية.، واستخدم مقياس روتر (Rotter) لوجهة الضبط، ومقياس فاعلية الذات لشيرر وآدمز (Sherer & Adams) ، وأظهرت النتائج أن مرتفعي فعالية الذات أعلى من منخفضي فعالية الذات في التحصيل الدراسي، وظهر وجود فروق في فعالية الذات تعزى للتخصص (علمي وأدبي). كما اتضح أنه يمكن التنبؤ بالتحصيل الدراسي لطالبات المرحلة الثانوية من معرفة وجهة الضبط وفعالية الذات لديهن.

وهدفت دراسة أوزيلماز وآخرون (Adnan& Berrin, Aysegul, 2018) إلى التعرف على دور فعالية الذات في التنبؤ بمواقف وسلوكيات العمل (الرضا الوظيفي)، وشملت الدراسة (٣٠٠) موظف ومشرفيهم في مؤسسة صناعية في تركيا، وظهر أن الفعالية الذاتية لها تأثيرات أكثر إيجابية على الرضا الوظيفي، وأداء المهام، وسلوكيات المواطنة.

ثالثا:- دراسات تناولت جودة الحياة

هدفت دراسة حنان الجمال ونوال بخيت(٢٠٠٨) إلى التعرف على العلاقة بين قلق البطالة وكل من فعالية الذات وجودة الحياة لدى عينة من طلاب كلية التربية جامعة المنوفية (ن=١٦٤) من طلاب الفرقة الرابعة، واطبق مقياس قلق البطالة ومقياس فعالية الذات ومقياس جودة الحياة، وتوصلت النتائج إلى وجود ارتباط سالب بين قلق البطالة وكل من فعالية الذات وجودة الحياة لدى عينة الدراسة.

وتناولت دراسة موني وآخرون Moeini, Shafii, Hidarnia, Baboii, Birashk, Allahverdipour, (2008) جودة الحياة وعلاقتها بفاعلية الذات لدى عينة من المراهقين (ن=١٤٨) من طلاب المرحلة الثانوية بطهران، واستخدم مقياس لفاعلية الذات ومقياس لجودة الحياة، واسفرت النتائج عن دور فعالية الذات في التنبؤ بجودة الحياة، حيث تنعكس معتقدات فعالية الذات على إدراك النواتج والتوقعات لديهم.

وقدمت دوستين Dustine(2009) دراسة هدفت إلى فحص المتغيرات التي تساهم في الشعور بجودة الحياة لدى طلبة الجامعة(٢٠١) من طلاب الجامعة، وكشفت نتائجها عن وجود ارتباط موجب بين فعالية الذات العامة، وجودة الحياة ، كما ظهر أن جودة الحياة منبئ جيد لفعالية الذات العامة.

وتناولت دراسة زينب شقير (٢٠١٠) العلاقة بين جودة الحياة واضطرابات النوم، ومدى انتشار جودة

الحياة واضطرابات النوم لدى عينة من طلاب الدراسات العليا، والفروق في كل من جودة الحياة واضطرابات النوم باختلاف الجنس، وتكونت عينة الدراسة من (٥٩٥) من طلاب الدراسات العليا، وطبق مقياس جودة الحياة ومقياس اضطرابات النوم، وبينت النتائج وجود ارتباط سالب بين جودة الحياة واضطرابات النوم، وكان الذكور أعلى من الاناث في جودة الحياة، ولم توجد فروق بينهما في اضطرابات النوم.

وتناولت دراسة هويدا محمود وفوزية الجمالي(٢٠١٠) فعالية الذات كما يدركها طلبة الجامعة من المتفوقين والمتعثرين وتأثيرها على جودة الحياة لديهم، واشتملت الدراسة (٢٠٢) من طلاب الجامعة، واستخدم مقياس فعالية الذات ومقياس جودة الحياة، وتوصلت النتائج إلى وجود علاقة بين فعالية الذات وجودة الحياة، وكان الذكور أعلى من الإناث في جودة الحياة ولم توجد فروق بينهما في فعالية الذات ، وكان طلاب الاقسام العلمية أعلى من طلاب الاقسام الأدبية في فعالية الذات ، ولم توجد فروق بينهما في جودة الحياة، وكان الطلاب المتفوقين دراسيا أعلى من الطلاب المتأخرين دراسيا في كل من فعالية الذات وجودة الحياة.

واهتمت دراسة عيد أبو عمرة وسوسن عبد الهادي و شادية عبد الخالق(٢٠١٤) إلى معرفة العلاقة بين التدين وجودة الحياة لدى طلاب الجامعة، والفروق في كل من التدين وجودة الحياة وفقا للتخصص، والمستوى الدراسي، وتكونت عينة الدراسة من (٢٠٠) من طلال الجامعة، وطبق مقياس التدين ومقياس جودة الحياة، وتوصلت النتائج إلى إن مرتفعي التدين أعلى من منخفضي التدين في جودة الحياة، وأن طلاب التخصصات العلمية أعلى من طلاب التخصصات الأدبية في كل من التدين وجودة الحياة، وكان طلاب المستوى الدراسي الأول أعلى من طلاب المستوى الدراسي الثاني والثالث في كل من التدين وجودة الحياة.

واهتمت جولتان حجازي(٢٠١٤) بالتعرف على فاعلية برنامج ارشادي في تحسين جودة الحياة في ضوء تنمية الفعالية الذاتية لدى النساء الفلسطينيات في مرحلة انقطاع الطمث، وتكونت عينة الدراسة من (١٤) سيدة تراوحت أعمارهن بين (٤٥-٥٥)، سجلن مستويات منخفضة من فعالية الذات وجودة الحياة، وأظهرت النتائج أن التطبيق لبعدي أعلى من التطبيق القبلي في فعالية الذات وجودة الحياة، ولم توجد فروق بين القياس البعدي والقياس التتبعي واهتمت دراسة رجاء محمود (٢٠١٦) بالتعرف على العلاقة بين الصلابة النفسية وجودة الحياة من طالبات جامعة الملك سعود(ن=٣٠٧)، وطبق مقياس الصلابة النفسية ومقياس جودة الحياة، وتوصلت النتائج إلى وجود علاقة بين الصلابة النفسية وجود الحياة، وكانت طالبات تخصص علم النفس وإدارة الأعمال أعلى في الصلابة النفسية وجودة الحياة،

كما أنه يمكن التنبؤ بجودة الحياة من خلال الصلابة النفسية.

وهدفت دراسة محمد عطا الله (٢٠١٦).إلى التعرف على العلاقة بين أساليب مواجهة الضغوط وعلاقتها بكل من فعالية الذات وجودة الحياة لدى عينة من معاوني أعضاء هيئة التدريس بجامعة المنصورة(ن=١٥٠)، واستخدم مقياس لأساليب مواجهة الضغوط، وفعالية الذات، وجودة الحياة، ومن أهم النتائج المرتبطة بالدراسة الحالية أن المرتفعين في جودة الحياة أعلى من المنخفضين في فعالية الذات.

هدفت دراسة نعمة حسن(٢٠١٦) إلى تحديد القيمة التنبؤية لكل من فعالية الذات والدافعية للإنجاز بجودة الحياة لدى عينة من طالبات الدراسات العليا بكلية التربية جامعة الدمام، وتحديد الفروق بين التخصصات العلمية والتخصصات الأدبية في متغيرات الدراسة، وتكونت العينة من (١٢٠) طالبة ، واستخدم مقياس فعالية الذات ومقياس الدافعية للإنجاز ومقياس جودة الحياة، وتوصلت النتائج إلى أنه يمكن التنبؤ بجودة الحياة من خلال فاعلية الذات والدافعية للنجاز، وعدم وجود فروق في متغيرات الدراسة تعزى إلى التخصص.

التعليق على الدراسات السابقة

من خلال العرض السابق للدراسات السابقة يتضح:-

- أن المساندة الإجتماعية تعزز الرضا عن الحياة، واتفقت بعض الدراسات انها مؤشر لجودة الحياة لدى الأفراد.
- اتفقت بعض الدراسات على دور فعالية الذات في تحقيق جودة الحياة لدى الأفراد.
- ندرة في الدراسات التي تناولت جودة الحياة في علاقتها بالمسندة الاجتماعية وفعالية الذات بشكل مجمع.

فروض الدراسة:-

١- توجد علاقة دالة إحصائيا بين المساندة الاجتماعية وجودة الحياة لدى عينة من طالبات الجامعة بمحافظة جدة.

٢- توجد علاقة دالة إحصائيا بين فعالية الذات وجودة الحياة لدى عينة من طالبات الجامعة بمحافظة جدة.

٣- توجد فروق دالة إحصائيا في متوسطات درجات الطالبات في كلا من المساندة الإجتماعية وفعالية الذات وجودة الحياة تعزى إلى التخصص الأكاديمي.

منهج الدراسة وإجراءاتها:

أولا: منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي الارتباطي المقارن لدراسة علاقة متغيري فعالية الذات والمساندة الاجتماعية بجودة الحياة، حيث يوضح هذا المنهج قوة الارتباط أو حجم الارتباط ، كما يوضح أيضا وجهة الارتباط سواء كان موجبا أو سالبا، كما أنه يمكن أن يعطينا تفسيرا للعلاقة بين المتغيرات يقترب

إلى حد كبير من العلاقة السببية. (عبد الفتاح القرشي،٢٠٠١).

ثانيا: عينة الدراسة:

شملت الدراسة (٢١٠) من طالبات الجامعة، ويتراوح المدى العمري للعينة ما بين (٢١-٢٧) سنة، بمتوسط عمر(٢٣,٦٥ سنة +-٢,٨٩)، والجدول التالي يوضح خصائص العينة.

جدول رقم (١) يوضح خصائص العينة من حيث التخصص الأكاديمي

الحالة	التكرار	النسبة المئوية
علمية	٩٠	٪٤٠,٩
نظرية	١٣٠	٪٥٩,١
المجموع	٢٢٠	٪١٠٠

من خلال الجدول نلاحظ أن ٤٠,٩٪ من العينة تمثل تخصصات علمية ، مقارنة ب ٥٩,١٪ من العينة تمثل تخصصات نظرية

جدول رقم (٢) يوضح خصائص العينة تبعا للفئة العمرية

الفئة العمرية	التكرار	النسبة المئوية
٢١-٢٣سنة	١٢٥	٪٥٦,٨
٢٤- ٢٧سنة	٩٥	٪٤٣,٢
المجموع	٢٢٠	٪١٠٠

من خلال الجدول يتضح٨ ,٥٦٪ من العينة يمثلن الفئة العمرية من ٢١-٢٣،و ٤٣,٢% من العينة يمثلن الفئة العمرية من ٢٤-٢٧،

ثالثا : أدوات الدراسة:

- مقياس المساندة الاجتماعية من إعداد فاطمة خليفة السيد(٢٠١١)

يتكون المقياس من (٣٢) عبارة تتضمن (٦) أبعاد (مساندة الأسرة، مساندة الأصدقاء، مساندة الأقارب، مساندة الجيران، مساندة الزملاء، الرضا عن المساندة) ويم الاجابة على عبارات المقياس بالاختيار من (لا تنطبق، تنطبق بدرجة قليلة، تنطبق بدرجة متوسطة ، تنطبق بدرجة كبيرة) وتأخذ درجات (٤،٣،٢،١) على الترتيب، وتم التحقق من الثبات والصدق على عينة مكونة من (١٩٣) مبحوثا حيث تم حساب الصدق من خلال الاتساق الداخلي

بحساب معامل الارتباط بين درجة البند والأبعاد الفرعية، وتراوحت معاملات الارتباط بين (,٢٩ ، ,٧٩)، كما تم حساب الصدق التلازمي بحساب معامل الارتباط بين المقياس الحالي ومقياس المساندة الاجتماعية إعداد شعبان جاب الله رضوان، وبلغ معامل الارتباط (,٦٩)، كما تم حساب ثبات المقياس بطريقة ألفا كرونباخ ووصل إلى (,٧٦) ، وبطريقة التجزئة النصفية (,٥٩)، وإعادة التطبيق بفاصل زمني (١٠) أيام (ن=٣٠)، وبلغ (,٧٢)، وبمعامل جتمان (,٦٨).

- مقياس فعالية الذات إعداد نهاد محمود (٢٠١٦)

يتكون المقياس في صورته النهائية من (٢٠) بند لقياس فعالية الذات العامة والتي تشتمل على ثلاثة أبعاد رئيسية هي: المبادأة، والمجهود، والمثابرة. ويجاب على بنود المقياس من خلال عدة درجات تتكون من خمس مستويات

هي:(لامطلقا=١)،(نادرا=٢)،(أحيانا=٣)،(كثيرا=٤)، (كثيرا جدا=٥). وذلك باستثناء البنود أرقام (١-٣-٨-٩-١٣-١٥-١٨-٢٠) فيتم تصحيحها بشكل عكسي. وتم حساب ثبات ألفا كرونباخ للمقياس ككل وبلغ هذا المعامل(٠,٨٢) ويشير ذلك إلى قياس جميع مفردات المقياس لنفس المضمون. وتراوح معاملات ارتباط درجة البند بالدرجة الكلية للمقياس ما بين(٠,٣١ و ٠,٦٢) وهي معاملات متوسطة إلى مرتفعة دالة عند مستوى٠,٠٠١ .

- مقياس جودة الحياة إعداد هشام عبد الله (٢٠١٠)

العبارات من نوع التقرير الذاتي، حيث تتم الاستجابة على مفرداته في ضوء مقياس ثلاثي يتدرج من (تنطبق تماماً، تنطبق أحياناً، لا تنطبق إطلاقاً)، ويتكون من سبعة أبعاد فرعية وهي الصحة الجسمية، الرضا عن الحياة، والتفاعل الاجتماعي، أنشطة الحياة اليومية، الحالة المادية، الصحة النفسية، السعادة وتصحح جميع مفرداته في الاتجاه الإيجابي (٣-٢-١) عدا المفردات أرقام (٢، ٤، ٦، ٨، ١٠، ١٢، ١٣، ٢٠، ٢٣، ٢٥، ٣٤، ٣٦، ٥٨، ٦٠، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧٤، ٧٩، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠) تصحح في الاتجاه العكسي (١-٢-٣)، وتم التحقق من صدق وثبات المقياس على عينة من طلاب الجامعة (ن=٦٦) طالباً وطالبة ، حيث تم التحقق من صدق المقياس من خلال صدق المحكمين، وصدق المقارنة الطرفية، والصدق التلازمي حيث تم استخدام مقياس جودة الحياة من إعداد: سامي هاشم (٢٠٠١) كمحك خارجي، وقد بلغ معامل الارتباط بين المقياسين على الدرجة الكلية (٠,٦٣)، كما تم حساب الثبات من خلال الاتساق الداخلي، ومعامل ألفا كرونباخ، وطريقة التجزئة النصفية، قيم معاملات الثبات انحصرت بين (٠,٥٠، ٠,٨٨).

وتم اعادة حساب صدق وثبات المقاييس المستخدمة في الدراسة الحالية ، وذلك على عينة من طالبات الجامعة (ن= ٣٠)، تراوحت أعمارهم بين (٢٢-

٢٩) سنة، والجدول التالي يوضح معاملات الثبات لمقاييس الدراسة

جدول رقم (٣) يوضح معاملات ثبات مقاييس الدراسة

معامل الثبات / المقاييس	معامل الفا كرونباخ
المساندة الإجتماعية	,٦٨
فعالية الذات	,٥٧
جودة الحياة	,٦٣

يتضح من الجدول السابق تمتع مقاييس الدراسة بدرجة عالية من الثبات، ويعد ذلك مؤشرا جيدا لاستخدام هذه المقاييس في الدراسة الحالية. كما تم حساب الاتساق الداخلي بحساب معامل الارتباط بين درجة كل عبارة والدرجة الكلية للمقاييس الثلاثة وتراوحت معاملات الارتباط لمقياس المساندة الإجتماعية بين (٣٣,، ٥٤,)، ولمقياس فعالية الذات بين(٣١,، ٤٩,)، ولمقياس جودة الحياة (٣٤,، ٥٦,).

نتائج الدراسة ومناقشتها الفرض الأول:- وينص على توجد علاقة دالة إحصائيا بين المساندة الاجتماعية وجودة الحياة لدى عينة من طالبات الجامعة بمحافظة جدة.

وللتحقق من صحة الفرض تم حساب معامل الارتباط بيرسون بين درجات الطالبات على مقياس المساندة الاجتماعية ومقياس جودة الحياة.

جدول رقم (٤) يوضح معاملات الارتباط بين كلا من المساندة الإجتماعية وجودة الحياة لدى عينة الدراسة

		أبعاد جودة الحياة							الدرجة الكلية لمقياس جودة الحياة
		الصحة الجسمية	الرضا عن الحياة	التفاعل الاجتماعي	أنشطة الحياة اليومية	الحالة المادية	الصحة النفسية	السعادة	
أبعاد المساندة الإجتماعية	مساندة الأسرة	٠,٣٢*	٠,٣٤*	٠,٤٤*	٠,٣٧*	٠,٢٩*	٠,٣٩*	٠,٥٢*	٠,٥٤**
	مساندة الأصدقاء	٠,٤٥**	٠,٣٩ **	٠,٣٧ *	٠,٤٨ *	٠,٤٤ **	٠,٤٥ **	٠,٤٦ **	٠,٤٦**
	مساندة الأقارب	٠,٤٧**	٠,٤٩ **	٠,٥٠ **	٠,٥٦ **	٠,٢٨ *	٠,٢٧ *	٠,٢٦ *	٠,٣٣ *
	مساندة الجيران	٠,٣٢*	٠,٣٣*	٠,٣١*	٠,٣٣*	٠,٣٤*	٠,٢٨*	٠,٣٤*	٠,٣٢*
	مساندة الزملاء	٠,٣٦*	٠,٣٣*	٠,٣٣*	٠,٣٠*	٠,٣٥*	٠,٢٩*	٠,٣٧*	٠,٣٤ *
	الرضا عن المساندة	٠,٣٩**	٠,٤٦**	٠,٥٣**	٠,٥٥**	٠,٤٣**	٠,٤٩**	٠,٤٢**	٠,٣٨*
الدرجة الكلية لمقياس المساندة الإجتماعية		٠,٣٧*	٠,٤٤**	٠,٥٠**	٠,٥٥**	٠,٤٨**	٠,٢٩*	٠,٣٩*	٠,٤٨**

** دالة عند ٠,٠١ * دالة عند ٠,٠٥

يتضح من الجدول السابق وجود ارتباط دال بين المساندة الإجتماعية وأبعادها الفرعية (مساندة الأسرة، مساندة الأصدقاء، مساندة الأقارب، مساندة الجيران، مساندة الزملاء، والرضا عن المساندة)، وجودة الحياة وأبعادها الفرعية (الصحة الجسمية، الرضا عن الحياة، والتفاعل الاجتماعي، أنشطة الحياة اليومية، الحالة المادية، الصحة النفسية، السعادة) وجميع معاملات الإرتباط دالة عند ٠,٠١، ٠,٠٥, وتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع نتائج دراسة نسرين طنطاوي(٢٠١٦) ودراسة مينغ وآخرون Ming,et all (2018) كما تتفق نتيجة الدراسة الحالية مع الأطر النظرية التي توضح أن الشعور بجودة الحياة يزداد أو يقل وفق المنظومة المحيطة بالفرد التي تمتد لتشمل المساندة الاجتماعية التي تقدم للأفراد لمواجهة ضغوط الحياة ، كما أنها تزيد من التأثير الايجابي لجودة الحياة، حيث تساهم المساندة الاجتماعية المادية والمعنوية برؤية تنبؤية للحياة تساعد لمواجهة أضرارها، وتقلل من الضغوط المحتملة التي تصيب الأفراد على كافة الأعمار. وتؤكد الباحثة أن على نتيجة الفرض الأول حيث كلما توافر لدى الفرد شبكة علاقات إجتماعية متمثلة في الأسرة والأصدقاء والأقارب والجيران والزملاء، وحصل منها على الدعم الاجتماعي يعد ذلك مؤشر حاسم للرضا الحياة والشعور بالجودة على جميع النواحي (الصحية، والنفسية، والإجتماعية) كما يمكن أن تكون بمثابة استراتيجيات التدخل الأساسية التي تعزز الرضا عن الحياة لديهم

الفرض الثاني: وينص على

توجد علاقة دالة إحصائيا بين فعالية الذات وجودة الحياة لدى عينة من طالبات الجامعة بمحافظة جدة. وللتحقق من صحة الفرض تم حساب معامل الارتباط بيرسون بين درجات الطالبات على مقياس فعالية الذات ومقياس جودة الحياة.

جدول رقم (٥) يوضح معاملات الارتباط بين فعالية الذات وجودة الحياة لدى عينة الدراسة

		أبعاد جودة الحياة							الدرجة الكلية لمقياس جودة الحياة
		الصحة الجسمية	الرضا عن الحياة	التفاعل الاجتماعي	أنشطة الحياة اليومية	الحالة المادية	الصحة النفسية	السعادة	
أبعاد فعالية الذات	المبادأة	٠,٤٥**	٠,٣٩**	٠,٤٨**	٠,٤٣**	٠,٢٥*	٠,٣١*	٠,٤٢**	٠,٤٤**
	المجهود	٠,٣٩**	٠,٥١ **	٠,٤٧ **	٠,٢٩ *	٠,٤٦ **	٠,٤٢ **	٠,٣٦ **	٠,٥٦**
	المثابرة	٠,٥٣**	٠,٥٥ **	٠,٥٨ **	٠,٥٢ **	٠,٣٨ *	٠,٢٩ *	٠,٢٨ *	٠,٤٣ **
الدرجة الكلية لمقياس فعالية الذات		٠,٤٦**	٠,٤٤**	٠,٥٨ **	٠,٥٩**	٠,٤٠**	٠,٣٩**	٠,٤٩**	٠,٤٥**

** دالة عند ٠,٠١ * دالة عند ٠,٠٥

يتضح من الجدول السابق وجود ارتباط دال بين فعالية الذات وأبعادها الفرعية (المبادأة، المجهود، المثابرة) وجودة الحياة وأبعادها الفرعية (الصحة الجسمية، الرضا عن الحياة، والتفاعل الاجتماعي، أنشطة الحياة اليومية، الحالة المادية، الصحة النفسية، السعادة) وجميع معاملات الإرتباط دالة عند ٠١,، ٠٥, وتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع نتيجة دراسة حنان الجمال ونوال بخيت(٢٠٠٨)، دراسة موني وآخرون Moeini, et all (2008)، ودراسة دوستين Dustine(2009) ، ودراسة زينب شقير (٢٠١٠)، ودراسة هويدا محمود و فوزية الجمالي(٢٠١٠)، ودراسة جولتان حجازي(٢٠١٤)، ودراسة نعمة حسن(٢٠١٦)، حيث توصلت جميعها إلى وجود إرتباط بين فعالية الذات وجودة الحياة، كما أنه يمكن التنبؤ بجودة الحياة من خلال فعالية الذات . كما تتفق نتيجة الدراسة الحالية مع الأطر النظرية حيث توضح أن فاعلية الذات من المتغيرات النفسية الهامة التي توجه سلوك الفرد وتسهم في تحقيق أهدافه الشخصية، والمعتقدات التي يمتلكها الفرد حول قدراته وإمكاناته لها دور هام في التحكم في البيئة؛ مما يسهم في زيادة قدرة الفرد على الإنجاز ونجاح الأداء وجودة الحياة .(إبتسام حدان،٢٠١٥). وترى الباحثة أن فعالية الذات تمثل أحد الأبعاد المهمة في تحسين جودة الحياة، حيث أن لها أهمية بالغة في حياتنا، وترجع أهميتها إلى الدور الحيوي الذي تؤديه في دفع السلوك وتوجيهه نحو تحقيق الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، كما تعمل على تحسين أداء العمل فيضع الطالب لنفسه أهدافا بعيدة المدى، ويبذل الجهد في مواجهة الفشل ليشعر بجودة الحياة.

الفرض الثالث: وينص على

توجد فروق دالة إحصائيا في متوسطات درجات الطالبات في كلا من المساندة الإجتماعية وفعالية الذات وجودة الحياة تعزى إلى التخصص الأكاديمي.

جدول رقم (٦) يوضح اختبار (ت) للكشف عن الفروق في كلا من المساندة الإجتماعية وفعالية الذات وجودة الحياة وفقا لمتغير التخصص الأكاديمي

المتغير	التخصص الأكاديمي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
المساندة الاجتماعية	علمية	١٢٨,٤	٣١,٣٥	١,٢٤	غير دالة
	نظرية	١٢٧,٨	٣٠,٢٨		
	التخصص الأكاديمي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري		
فعالية الذات	علمية	١١٩,٥	٢٦,٤٥	١,١٤	غير دالة
	نظرية	١١٧,٨	٢٥,٢٣		
	التخصص الأكاديمي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري		
جودة الحياة	علمية	١٣٧,٤	٢٢,٦١	١,٨٩	غير دالة
	نظرية	١٣٥,٨	٢١,٢٠		

يتضح من الجدول السابق عدم وجود فروق دالة بين طالبات التخصصات العملية، وطالبات التخصصات النظرية في جميع متغيرات الدراسة(المساندة الإجتماعية، وفعالية الذات، وجودة الحياة) ، ومن خلال مراجعة الدراسات السابقة يتضح وجود ندرة في الدراسات التي اهتمت بالفروق بين ذوي التخصصات العلمية والتخصصات النظرية في المساندة الإجتماعية ، بينما ما يخص فعالية الذات فتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع نتيجة دراسة نعمة حسن (٢٠١٦)، حيث أظهرت عدم وجود فروق في فعالية الذات نعزى إلى التخصص الأكاديمي، في حين أوضحت دراسة هويدا محمود و فوزية الجمالي(٢٠١٠) أن طلاب الاقسام العلمية أعلى من طلاب الاقسام الأدبية في فعالية الذات .

أما بالنسبة لمتغير جودة الحياة فتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع نتيجة دراسة هويدا محمود و فوزية الجمالي(٢٠١٠)، ودراسة نعمة حسن(٢٠١٦) حيث لم توجد فروق في جودة الحياة تعزى للتخصص الأكاديمي، في حين اختلفت نتيجة الدراسة الحالية مع نتيجة دراسة عيد أبو عمرة وسوسن عبد الهادي و شادية عبد الخالق(٢٠١٤) حيث ظهر أن طلاب التخصصات العلمية أعلى من طلاب التخصصات النظرية في جودة الحياة، وترجع الباحثة نتيجة الفرض الحالي فيما يخص عدم وجود فروق في متغيرات الدراسة تعزى للتخصص الأكاديمي إلى تشابهه الظروف البيئية والاقتصادية والإجتماعية التي يعيشها طلاب الجامعة في جميع التخصصات.

توصيات الدراسة:-

- الاستفادة من الخدمات الطلابية في رفع الكفاءة الذاتية للطلاب وادراك جودة الحياة لديهم .
- التوسع في اجراء الدراسات التي تبحث في الشخصية الانسانية والتعرف على جوانب القوة فيها وتدعيمها.
- ضرورة توعية الوالدين بضرورة المساندة الاجتماعية لأبنائهم وخاصة في المرحلة الجامعية حتى تنضج شخصيتهم.
- تقديم خدمات الارشاد والتوجيه النفسي للطلاب لمرحلة الجامعية، وحثهم على تحسين علاقتهم بأسرهم، وشغل أوقات الفراغ، وتدريبهم على مواجهة المشكلات للاستمتاع بحياتهم.
- تذليل كافة الصعوبات التي تواجهه الطلاب سواء أكاديمية، او اجتماعية أو مادية، وذلك لتحسين جودة الحياة المدركة لديهم .

تهيئة مناخ تربوي بالجامعات يشجع على تنمية فعالية الذات ورفع روح التوافق في المرحلة الجامعية.

مقترحات الدراسة :-

- اجراء المزيد من الدراسات التي تربط بين جودة الحياة والمتغيرات الايجابية كالتفاؤل والصلابة النفسية، والصمود النفسي.

– تصميم برامج إرشادية لتنمية فعالية الذات وجودة الحياة لدى الطلاب.

قائمة المراجع

أولا: المراجع العربية

– إبتسام حدان (٢٠١٥). فاعلية الذات وعلاقتها بالألم المزمن :دراسة مقارنة لدى عينة من المرضى وغير المرضى بمدينة ورقلة. رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.

– أحمد عمرو عبد الله (٢٠١٥).الضغوط الأكاديمية وعلاقتها بكل من القلق وفعالية الذات الأكاديمية بين طلبة الجامعة. مجلة دراسات نفسية،٢٥(٢)، ١٨٧-٢١١.

– أسماء السرسي وأماني عبد المقصود (٢٠٠٨). مقياس المساندة الاجتماعية. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

– أسماء مسعود البليطي(٢٠١٧). التنبؤ بالصمود النفسي من خلال المساندة الاجتماعية وجودة الحياة لدى المعاقين حركيا. مجلة كلية التربية جامعة الأزهر،٢(١٧٥)،٢٢٠-٢٦٠.

– جاء محمود مريم(٢٠١٦). الصلابة النفسية وعلاقتها بجودة الحياة لدى طالبات جامعة الملك سعود. مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس، (٧٤)، ٣٥٥-٣٨٤.

– جولتان حسن حجازي (٢٠١٣). فاعلية الذات وعلاقتها بالتوافق المهني وجودة الأداء لدى معلمات غرف المصادر في المدارس الحكومية في الضفة الغربية. المجلة الأردنية في العلوم التربوية، ٩(٤)، ٤١٩-٤٣٣.

– جولتان حسن حجازي(٢٠١٤). فاعلية برنامج ارشادي في تحسين جودة الحياة في ضوء تنمية الفعالية الذاتية لدى النساء الفلسطينيات في مرحلة انقطاع الطمث. مجلة البحث العلمي في التربية، ٢(١٥)، ٤٦٣-٤٠٧.

– حسام الدين أبو الحسن على(٢٠١٣). فاعلية برنامج قائم على مهارات التفكير في تنمية أساليب التفكير وتحين جودة الحياة الأكاديمية لدى طلاب الجامعة. مجلة كلية التربية جامعة الأزهر،٢(١٥٤)، ٦٢٥-٦٧٢.

– حنان محمد الجمال ونوال شرقاوي بخيت(٢٠٠٨). قلق البطالة وعلاقته بجودة الحياة وفاعلية الذات لدى طلاب السنة النهائية بكلية التربية جامعة المنوفية. مجلة البحوث النفسية والتربوية، جامعة المنوفية، ٢٣(١)، ٢٨٤-٣٢٧.

– ريا إبراهيم إسماعيل (٢٠١٨). المساندة الاجتماعية لدى طلبة كلية الاعلام في جامعة بغداد. مجلة الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا- (أماراباك)، (٢٨)، ١٢٩-١٤٢.

– زينب محمود شقير(٢٠١٠). جودة الحياة واضطرابات النوم لدى الشباب. مجلة دراسات نفسية،(٢)، ٧٧٣-٧٩٠.

– سحر فاروق علام(٢٠١٢). جودة الحياة وعلاقتها بالرضا الوظيفي لدى عينة من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة. مجلة دراسات عربية في علم النفس، ١١(٢)، ٢٤٣-٣٠٦.

– سلوى سلامة ابراهيم (٢٠٠٦). نوعية الحياة المميزة للمبدعين في الأدب. مجلة دراسات عربية في علم النفس، ٥(٢)، ٣١٩-٣٥٢.

– عبد الفتاح ابراهيم القرشي (٢٠٠١). تصميم البحوث في العلوم السلوكيية، الكويت: دار القلم.

– عطاف محمود أبو غالي (٢٠١٢). فاعلية الذات وعلاقتها بضغوط الحياة لدى الطالبات المتزوجات في جامعة الأقصى. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية- فلسطين،٢٠(١)،٦١٩- ٦٥٤.

– عفاف سالم المحمدي(٢٠١٧). تأثير وجهة الضبط (الداخلي والخارجي) وفعالية الذات على التحصيل الدراسي لطالبات المرحلة الثانوية. مجلة العلوم التربوية ، السعودية، (٩).١-٣٣.

– عمار الفريحات (٢٠١٧).مستوى ضغط العمل والمساندة الاجتماعية لدى معلمي المرحلة الثانوية في محافظة عجلون

من وجهة نظرهم. مجلة كلية التربية بأسيوط – مصر،٣٣(٧)، ٢٣-٦٦.

– عويد سلطان المشعان وأمثال هادي الحويلة(٢٠١٢). الفرق بين نوعية الحياة لدى طلبة جامعة الكويت وفق الجنس والحالة الصحية. المجلة التربوية، (١٠٤)، ١٥-٥٧.

– عيد محمد أبو عمرة وسوسن اسماعيل عبد الهادي و شادية أحمد عبد الخالق(٢٠١٤). التدين وعلاقته بجودة الحياة لدى طلاب الجامعة. مجلة البحث العلمي في التربية ، ٣(١٥)، ١٨٩-٢١٠.

– فاطمة خليفة السيد(٢٠١١). دور بعض المتغيرات النفسية في التنبؤ بالرضا عن الحياة لدى عينة من مرضى الفشل الكلوي. رسالة دكتوراة، قسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة المنوفية.

– فضل إبراهيم عبد الصمد (٢٠٠٦).الشعور بالأمل والرغبة في التحكم لدى عينة من طلاب الدراسات العليا بجامعة المينا .مجلة البحث في التربية وعلم النفس ،١٨(٤)،٣٢-٧٨.

– ليلى عبد الله المزروع(٢٠٠٧).فاعلية الذات وعلاقتها بكل من الدافعية للإنجاز والذكاء الوجداني لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى. مجلة العلوم النفسية والتربوية– البحرين ، ٨(٤)، ٦٧-٨٩.

– محمد ابراهيم عطا الله(٢٠١٦). أساليب مواجهة الضغوط النفسية وعلاقتها بفاعلية الذات وجودة الحياة لدى معاوني أعضاء هيئة التدريس بجامعة المنصورة. مجلة الارشاد النفسي، (٤٨)،٣٧-٧٧.

– محمد عصام الطلاع ونبيل كامل دخان (٢٠١٦).الذكاء الروحي وعلاقتة بالصمود النفسي لدى طلبة الجامعة الإسلامية بغزة. رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية(غزة).

– نسرين عادل طنطاوي(٢٠١٦). علاقة جودة الحياة بكل من المساندة الاجتماعية والمتغيرات الديموجرافية لأمهات الأطفال المصابين بأنيميا البحر المتوسط (الثلاسيميا). مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس،(٧٦)، ١١٣-١٤٠.

– نعمة عبد السلام حسن(٢٠١٦). القيمة التنبؤية لفعالية الذات والدافعية للإنجاز بجودة الحياة لدى طالبات مرحلة الدراسات العليا بكلية التربية. مجلة كلية التربية في العلوم التربوية، ٤٠(١)، ٢٧٩-٣٤٨.

– نهاد عبد الوهاب محمود (٢٠١٦). مقياس فعالية الذات العامة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

– هدى ميلاد عبدالقادر و بدرية كمال أحمد(٢٠١٧). المساندة الاجتماعية وعلاقتها بفعالية الذات لدى عينة من طلاب الجامعة بليبيا. مجلة القراءة والمعرفة– مصر،(١٨٤)،١٢١– ١٤٨.

– هشام ابراهيم عبد الله(٢٠١٠). مقياس جودة الحياة للراشدين. جده: مكتبة الشقري.

– هويدا حنفي محمود و فوزية عبد الباقي الجمالي(٢٠١٠). فعالية الذات المدركة ومدى تأثيرها على جودة الحياة لدى طلبة الجامعة من المتفوقين والمتعثرين دراسيا. مجلة الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، ١٠١)، ٦١-١١٥.

المراجع الأجنبية

- Adnan, O., Berrin, E., Aysegul, K .(2018) .Trust in organization as a moderator of the relationship between self-efficacy and workplace outcomes: A social cognitive theory-based examination. Journal of Occupational and Organizational Psychology,88(1), 181-204.

- Ahangi, A & Sharaf, Z .(2013). Investigating the relationship between self -efficacy the locus of control and male and female student's academic achievements in Chenaran high

school. Journal of Engineering Research and Applications, 3(5), 875- 879.
- Backstrom, C., Larsson, T., Wahlgren, E., Golsater, M. ,Martensson, L., Thorstensson, S.(2010) .It makes you feel like you are not alone Expectant first time mothers-experiences of social support within the social network when preparing for childbirth and parenting.Sex Reprod Healthc,12, 51-57.
- Bandura, A. (2007). Much ado over a faulty conception of perceived self- efficacy grounded in faulty experimentation. Journal of Social and Clinical Psychology, 26 (6), 641-658.
- Chiu, S (2014) The relationship between life stress and smartphone addiction on taiwanese university student: A mediation model of learning self-Efficacy and social self-Efficacy, Computers in Human Behavior,9(34), 49-57.
- Del-Pino-Casado, R., Froas-Osuna, A,. Palomino-Moral, P., Ruzafa-MartõÂnez, M., Ramos-Morcillo, A .(2018). Social support and subjective burden in caregivers of adults and older adults; metaanalysis.13(1), 1-18.
- Dustine, R. (2009). The relationship of Gratitude and subjective well-being to selfefficacy and control of learning beliefs among college students. Faculty of the Rossier school of Education University of Southern California. Unpublished Doctoral Dissertation.
- Erozkan, A (2014) Analysis of Social Problem Solving and Social Self-efficacy in Prospective Teachers. Educational Sciences: Theory & Practice, 14 (2),447-45.
- Lu, M., Guang-Hai ,W., Lei, H., Shi, M., Rui ,Z., al, E .(2018). Social Support as Mediator and Moderator of the Relationship Between Parenting Stress and Life Satisfaction Among the Chinese Parents of Children with ASD . Journal of Autism and Developmental Disorders; New York ,48(4), 1181-1188.
- Mermer, G., Bilge, A., Yucel, U., Ceber, E. (2010). Evaluation of perceived social support levels in pregnancy and postpartum periods. J Psychiatr Nurs, 1(2), 71-76.
- Moeini, B.; Shafii, F.; Hidarnia, A.; Baboii, G.; Birashk, B. & Allahverdipour, H. (2008). Perceived stress, self-efficacy and its relations to psychological wellbeing status in Iranian male high school students. Social Behavior and Personality, 36 (2), 257-266.
- Nasiri, A. (2017). An Assessment of the Relationship between Social Support and Mental Health of Students of Zabol University of Medical Science. Middle East Journal of Family Medicine, 15(10), 242-253.

Social Support, Self-efficacy and it's relation with Quality of life among a Sample of female university students in Jeddah

Shrooq Gharmallah Alzahrani
Assistant professor of Psychology
Faculty of Social Sciences - Jeddah university

Abstract. the aim of this current study is to identify the relation between Social Support and Quality of life, also the relation between Self-efficacy and Quality of life, as well as the differences in study variables led to Academic Specialization, This study includes a sample of university student (N=210),the researcher used Social Support scale , Self-efficacy scale, and Quality of life scale. The result showed that a relation between Social Support and Quality of life, also a relation between Self-efficacy and Quality of life, there was differences in study variables led to academic Specialization,

Key words:- Social Support- Self-efficacy - Quality of life- female university students

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٢ ص ص: ٢٠٥- ٢٥٣ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-2.8

توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي "نموذج مقترح وكيفية تطبيقه في مناهج الرياضيات"

د. يعن الله علي يعن الله القرني[١]

جامعة الملك عبد العزيز- كلية الدراسات العليا التربوية

قسم المناهج وطرق التدريس

مستخلص. هدفت هذه الدراسة إلى بناء نموذج مقترح لتوظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي، وتوضيح كيفية تطبيقة في مناهج الرياضيات .ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج التحليلي، المنهج الوصفي المسحي. واستخدم استبيان لمسح آراء خبراء المناهج وطرق التدريس حول مبررات بناء النموذج، مصادر اشتقاق الأهداف القيمية، الشروط والمعايير اللازم توافرها في عناصر المنهج والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي، وتم تطبيق أداة الدراسة على عينة عشوائية من المختصين في المناهج وطرق التدريس وعددهم (١١٠) . وأظهرت النتائج أن بناء نموذج لتوظيف المنهج الخفي في تعزيز القيم يساعد على إحتواء آثاره السلبية على سلوك الطلاب وتعزيز آثاره الإيجابية، وأن الممارسات التدريسية وطريقة تناول المعرفة والكتاب الجامعي بما يحويه من رسائل أو رسوم أو أشكال تعتبر من أهم المصادر التي يمكن من خلالها اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي، كما توصلت الدراسة إلى مجموعة من المعايير والشروط التي يجب توافرها في عناصر المنهج حتى تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي، واقترحت الدراسة نموذجاً لتوظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية، وبينت كيفية تطبيقه في مناهج الرياضيات.

الكلمات المفتاحية: المنهج الخفي، القيم، بناء النماذج، مناهج الرياضيات

[١] يتقدم الباحث بالشكر والتقدير لعمادة البحث العلمي، جامعة الملك عبدالعزيز- جدة،على دعمها العلمي والمادي لهذا البحث ورقمه 51892 بالمنحة البحثية رقم G: 237-325-1440

المقـدمـة

تشير الأدبيات والدراسات العلمية التربوية في مجال المناهج على وجه الخصوص إلى ظاهرة تسمى المنهج الخفي أو المنهج المستتر Hidden Curriculum ، و سواء هو منهج مستتر أو خفي فالمعنى المقصود واحد، و هو "**تلك** الخبرات غير المخططة و غير المقصودة التي يتعرض لها الأبناء و يمرون بها دون استعداد فيتعلمون أشياء و يصلون إلى نواتج تعليمية لا تتضمنها الأهداف العامة للمنهج" . (اللقاني و فارعة: ٢٠٠١م ، ص ١٥١).

وبتتبع الأدبيات المتعلقة بالمناهج نجد أن ما يسمى بالمنهج الخفي Hidden Curriculum ليس جديداً و لم يكن نتاج نظريات تربوية حديثة ، ولكنه تناول جديد لفكرة قديمة ظهرت على يد علماء التربية عامة والمناهج على وجه الخصوص وهذه الفكرة مفادها أن المتعلم قد يتعلم بطريقة مقصودة وقد يتعلم بطريقة غير مقصودة . وبطبيعة الحال فمخططي المناهج والقائمين على تصميمها وبناءها يركزون جهدهم على التعلم المقصود ويوجهون منظومة المنهج نحو تحقيق النمو الشامل والمتكامل والمتوازن للمتعلم عن طريق تهيئة مجموعة من الخبرات التربوية المقصودة.

وبالرغم من أهمية الخبرات التربوية المقصودة إلا أنها لا تمثل إلا جزءاً بسيطاً مما يتعرض له الطلاب والطالبات داخل أسوار الجامعة وخارجها من مناهج خفية قد تكون بناءة وقد تكون هدامة وقد أشار (حمدان : ١٩٨٢م) إلى هذا المعنى فقال إن "المنهج الخفي يضم كافة الخبرات والمعارف و الأنشطة التي يقوم بها الطلاب أو يتعلمونها خارج المنهج المقرر تطوعيا دون إشراف عضو هيئة التدريس أو علمه في معظم الأحيان . كميول أعضاء هيئة التدريس و أساليب تفاعلهم و معاملاتهم اليومية مع بعضهم البعض و مع الكادر الإداري في الجامعة، والمعارف والخبرات الإيجابية و غير الإيجابية التي يتناقلها الطلاب عن بعضهم البعض بالملاحظة و الشللية Gangs، أو بواسطة ما يسمى بالأنشطة المنهجية والأنشطة اللامنهجية الإضافية كالألعاب الرياضية المختلفة و المسابقات التربوية و التمثيل و الحفلات و الرحلات الترفيهية / التربوية، أو التدخين و تناول الممنوعات و الاعتداء على الغير والكذب و الغش والتواكل والانتماء إلى مجموعات اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية غير مستحبة. إن كل واحدة من أعلاه تنضوي تحت ما يسمى بالمنهج الخفي غير المدروس و الذي يشكل بذاته في الظروف السلبية . خطراً جسيماً على التربية الجامعية المنظمة و الطلاب و مجتمعهم بحد سواء" ص ٣٨.

و قد أشار علماء التربية منذ أواخر الخمسينات و عبر الستينات و ما بعدها إلى المناهج المصاحبة أو الموازية و أرادوا أن يؤكدوا للمعلم أو عضو هيئة التدريس أو المربي الذي ينفذ المنهج أنه عندما ينفذ خبرات المنهج الرسمي بكل ما يشمله من مضامين علمية إنما يستطيع أن يحقق بعض الأهداف المعلنة

و إلى جانبها تتحقق أهداف أخرى لم تتم الإشارة إليها و لم يرد لها أي ذكر في فلسفة المنهج أو أهدافه، و اقتصر الأمر في هذا الشأن على مجرد التوضيح و التنبيه و لكن لم تذكر أساليب التعامل مع المناهج المصاحبة أو ما سمي حديثاً بالمنهج المستتر أو الخفي.

وذلك المنهج يشمل على جميع الإفرازات الإيجابية والسلبية التي تظهر على سلوكيات الطلاب واتجاهاتهم وميولهم ومجموعة القيم التي يحتكمون إليها، وتكون ناتجة عن عدة مصادر من أهمها: الممارسات التدريسية لأعضاء هيئة التدريس وأساليبهم في التعامل مع الطلاب ومشكلاتهم، النظام الجامعي في القبول والتسجيل والاختبارات، البيئة التعليمية بشقيها المادي والنفسي، محتوى الكتب الجامعية، وسائل التواصل الاجتماعي، جماعة الرفاق، وغيرها من المصادر غير المحدودة.

وقد أشار (Phillip Jackson,2004) إلى أن التحكم بالمنهج الخفي وتوظيفه بشكل إيجابي من شأنه أن يعدل سلوك المتعلمين، وقيمهم، واتجاهاتهم بما يحفظ هوية الأمة ويحصن المتعلمين ضد هجمات العولمة الفكرية المتمثلة بوسائل الإعلام، والاتصال، والتي باتت تهدد قيمنا وأخلاقنا ، وهنا تظهر أهمية توظيف المنهج الخفي الذي يزعم كثير من المختصين أنه أكثر أهمية من المنهج الصريح، لأنه من جهة غير مكترث بما لدى التربويين، ولأنه قد يعمل على تشكيل حياة الطلاب ورسم شخصياتهم بالقدر الذي يعمله المنهاج الصريح.

وهذا التحكم والتوظيف هو ما تسعى إليه هذه الدراسة حيث ترمي إلى توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

إن إجماع التربويين على أن المنهج يتعدى مفهوم التعليم المنظم والخبرات التربوية المقصودة إلى مجمل المعارف والقيم ولاتجاهات و الخبرات المباشرة و غير المباشرة داخل الجامعة و خارجها . و أنه وعاء يحتوي التربية الرسمية المقصودة وغير المقصودة .هو اعتراف صريح بضرورة أن تستوعب الخطط التربوية كل من المنهج الرسمي والمنهج الخفي وهذا يستلزم أن يقوم المتخصصين في بناء المنهج بتصميم نماذج للاستفادة من المنهج الخفي في جانبه الإيجابي.

كما أن إقرار منظري المنهج بأهمية القيم في التنظير للمنهج واعتبارها بمثابة الموجهات التي تتخلل القرارات المتعلقة بتصميم المنهج وهندسته ؛ ما هو إلا اعتراف ضمني بضرورة التنظير للمنهج الخفي فما هو إلا "نظام قيمي و معايير ضمنية يتم اكتسابها في المدارس بالرغم من أن أعضاء هيئة التدريس لا يتحدثون عنها أثناء الشرح . مع أنها ضمن أهداف المنهج كما أن هذا المنهج يعزز

القــوانين و اللــوائح الأساســية للبيئــة المحيطــة بالجامعة". (أبو زيد ، ١٩٨٤م، ص ٧٤).

وبمعنـى آخـر فإن مجال القيم هو من أوسع وأكبر تطبيقات المنهج الخفي ولدعم منظومة القيم المرغوبة كان لا بد من بناء نموذج تخطيطي يرسم الملامح العامة للمنهج الخفي في جانبه القيمي.

ويؤكد (Macfarlane, Bruce, 2004) أن الممارسة الأكثر شيوعاً في التعليم العالي هي إتاحة المجال للطلبة لاكتساب المعارف والمهارات وذلك ؛ لإعداد الأفراد لمتطلبات سوق العمل، في الوقت الذي أهملت القيم إهمالاً كاملاً حتى أصبحت البعد الغائب أو المفقود من مناهج التعليم الجامعي .

وفي ذات الاتجاه يرى (Shavelson, Richard and Huang, Leta, 2003) أن أهداف التعليم العالي تتوزع على عدد من فئات الأهداف: المعرفية والشخصية والاجتماعية والمدنية...، ومع ذلك فإن أهداف التعليم العالي التي يتم التركيز عليها في الممارسة العملية للقياس والتقويم تقتصر غالباً على الجانب المعرفي، وتترك الأهداف الأخرى ليكون مصيرها الإهمال .

وانطلاقاً مما سبق رأى الباحث رسم الملامح العامة لنموذج مقترح يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي و يسير جنباً إلى جنب مع نماذج بناء المنهج الصريح .

أسئلة الدراسة :

في ضوء العرض السابق لمشكلة الدراسة يمكن صياغة أسئلة الدراسة كالتالي:

١. ما هو المنهج الخفي ؟ وما الفرق بينه وبين المنهج الصريح ؟
٢. ما هي النظرية التربوية التي يستند إليها نموذج بناء المنهج الخفي ؟
٣. ما المبررات التي تدعو إلى ضرورة بناء نموذج يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي ؟
٤. ما المصادر التي يمكن من خلالها اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي ؟
٥. ما الشروط والمعايير اللازم توافرها في عناصر المنهج (الأهداف التربوية، المحتوى، الأنشطة المنهجية واللامنهجية، طرق وأساليب وممارسات التدريس، التقويم) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي ؟
٦. ما مدى اختلاف استجابات المختصين في تحديدهم للشروط والمعايير الخاصة بعناصر المنهج والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي باختلاف متغير (الدرجة العلمية، التخصص، الخلفية

المعرفية في مجال المنهج الخفي، الخلفية المعرفية في مجال القيم) .

٧. ما صورة النموذج التخطيطي المقترح لتوظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي؟

٨. كيف يمكن تطبيق النموذج المقترح في تعزيز المنظومة القيمية من خلال مناهج الرياضيات ؟

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

١. تسلط الدراسة الحالية الضوء على موضوع ملح وجوهري – في ظل التحديات التي تواجه العالم ومن أبرزها محاربة التطرف – وهو موضوع القيم والمنظومة القيمية وكيفية تعزيزها من خلال المنهج الخفي الذي يعتبر تأثيره أكبر بكثير من تأثير المنهج الصريح والمعلن.

٢. تنبع أهمية النموذج المقترح في كونه وسيلة هامة ومفيدة لتخطيط الخبرات المصاحبة التي تسير جنباً إلى جنب مع خبرات المنهج الصريح و هذه الخبرات هامة و أساسية و لا ينبغي أن نقلل من قيمتها، و لا ينبغي أن يتجاهلها خبراء المنهج و هم في مرحلة التعامل الأولي مع المنهج المخطط و كذلك أعضاء هيئة التدريس في مرحلة تنفيذ المنهج.

٣. تنبع أهمية النموذج المقترح في كونه يشير إلى النواتج غير المخططة و غير المقصودة التي يفرزها المنهج كمنظومة، وبالتالي يسهل التعامل معها من قبل واضعي المنهج.

٤. تنبع أهمية النموذج المقترح في كونه وسيلة إجرائية لدعم القيم الاجتماعية كالنظام والرغبة في العمل والتسامح والتعاون ونبذ التطرف والغلو.

٥. يكشف هذا النموذج المقترح عن العلاقات القائمة بين عناصر المنهج الخفي كنظام.

٦. تسير هذه الدراسة بالتوازي مع جهود الجامعة في ترسيخ قيم الاعتدال والوسطية والتي كان أخرها اعتماد وتشغيل معهد الأمير خالد الفيصل للاعتدال بالتعاون مع إمارة منطقة مكة المكرمة.

٧. تقدم هذه الدراسة تطبيقات عملية لتعزيز المنظومة القيمية في مناهج الرياضيات من خلال الاسترشاد بالنموذج المقترح.

أهدف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى بناء نموذج مقترح لتوظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي، وتوضيح كيفية تطبيقة في مناهج الرياضيات. من خلال التعرف على ماهية المنهج الخفي، وبيان الفرق بينه وبين المنهج الصريح ، تحديد النظرية التربوية التي يستند

إليها النموذج ، تحديد المبررات التي تدعو إلى ضرورة بناء نموذج يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية ، تحديد المصادر التي يمكن من خلالها اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي ، تحديد الشروط والمعايير اللازم توافرها في عناصر المنهج (الأهداف التربوية، المحتوى، الأنشطة المنهجية واللامنهجية، طرق وأساليب وممارسات التدريس، التقويم) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي، توضيح كيفية تطبيق النموذج المقترح من خلال مناهج الرياضيات.

فروض الدراسة:

تحاول الدراسة الحالية التحقق من صحة الفروض الصفرية التالية:

١. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين استجابات المختصين في تحديدهم للشروط والمعايير الخاصة بعناصر المنهج والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي باختلاف متغير (الدرجة العلمية).

٢. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين استجابات المختصين في تحديدهم للشروط والمعايير الخاصة بعناصر المنهج والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي باختلاف متغير (التخصص).

٣. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين استجابات المختصين في تحديدهم للشروط والمعايير الخاصة بعناصر المنهج والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي باختلاف متغير (الخلفية المعرفية في مجال المنهج الخفي).

٤. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين استجابات المختصين في تحديدهم للشروط والمعايير الخاصة بعناصر المنهج والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي باختلاف متغير (الخلفية المعرفية في مجال القيم) .

حدود الدراسة:

تتمثل حدود الدراسة الحالية فيما يلي:

- طبقت هذه الدراسة بتوفيق الله خلال الفصل الدراسي الأول للعام الدراسي ٢٠١٩م/٢٠٢٠م.
- طبقت هذه الدراسة على عينة عشوائية بسيطة مقدارها (١١٠) من المتخصصين في المناهج وطرق التدريس في الجامعات السعودية.
- تقتصر هذه الدراسة في مجالها الموضوعي على بناء نموذج مقترح لتوظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي من خلال التطرق للنقاط التالية: المنهج الخفي والفرق بينه وبين المنهج الصريح، الأساس النظري للمنهج الخفي، مبررات بناء النموذج، مصادر اشتقاق الأهداف

القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي، الشروط والمعايير اللازم توافرها في عناصر المنهج والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي.

- تقتصر هذه الدراسة على استخدام الاستبيان كأداة لجمع المعلومات وتتكون من ثلاثة محاور رئيسة: مبررات بناء النموذج، مصادر اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي. الشروط والمعايير اللازم توافرها في عناصر المنهج والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي.
- تقتصر هذه الدراسة على(الدرجة العلمية، التخصص، الخلفية المعرفية في مجال المنهج الخفي، الخلفية المعرفية في مجال القيم) كمتغيرات مستقلة.

مصطلحات الدراسة

١. **النموذج:** النموذج يعتبر "وسيلة للتعبير عن نظرية المنهج، ويكون على هيئة خطوات منطقية متدرجة تعتمد كل خطوة على التي تسبقها. ويكون بمثابة ترجمة إجرائية عملية لنظرية المنهج، ويعكس توجهات المنظر حول ماهية المنهج ". (عبد الحكيم ، ١٤١٨هـ: ٦١)

وفي هذه الدراسة نعتمد التعريف الإجرائي التالي للنموذج :

عبارة عن سلسلة من الخطوات المنطقية التي تبدأ بالأساس النظري للمنهج الخفي وتحديد مصادر اشتقاق الأهداف وتنتهي بالتقويم وتقديم التغذية الراجعة اللازمة لتعديل المسار، وهذا النموذج بما يحتويه من خطوات وعناصر يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي و يسير جنباً إلى جنب مع نماذج بناء المنهج الصريح.

٢. **المنهج الخفي:** يرى (فلاته ، ١٩٩٨م) المنهج الخفي هو: " تلك الخبرات المصاحبة للعملية التربوية التي غالباً ما تكون غير مقصودة ولكنها هامة جداً من الناحية التربوية، ومن أمثلة ذلك، اكتساب القيم الدينية والأخلاقية والاتجاهات الفكرية والسلوكية المرغوب فيها، وكافة المعارف والممارسات التي تنجم عن العلاقة بين عضو هيئة التدريس وطلابه، وبين الطلاب فيما بينهم . وعلاوة على ذلك فإن عناصر العملية التربوية كعضو هيئة التدريس والمنهج الدراسي وطرق التدريس ووسائل التقويم كلها تفرز مناهج خفية لما تتركه من آثار إيجابية أو سلبية لدى المتعلم فتشجعه أو تحده من التعلم أو من النمو الشامل خلقياً وفكرياً واجتماعياً ". ص ١٠

وفي هذه الدراسة نعتمد التعريف الإجرائي التالي للمنهج الخفي:

هو منظومة متكاملة من الخبرات التربوية التي تكون غالباً غير مخططة والتي تسير بالتوازي مع

الخبرات التربوية المقصودة ، وتكون هذه الخبرات سلاح ذو حدين فقد تكون إيجابية وتساهم في دفع عجلة النمو الشامل للمتعلمين سواءً من الناحية المعرفية أو المهارية والوجدانية، وقد تكون هذه الخبرات التربوية سلبية تهدم منظومة القيم وتنقل للمتعلمين مجموعة من الممارسات السلبية كالأنانية والإهمال والتسيب والتطرف وتعاطي الممنوعات. وتنتج هذه الخبرات بشقيها الإيجابي والسلبي من عدة مصادر ومن أهمها: أعضاء هيئة التدريس على اختلاف اتجاهاتهم وميولهم وممارساتهم وخلفياتهم الثقافية والدينية والمعرفية ، جماعة الرفاق، المباني والقاعات الدراسية، طرق التدريس، طريقة عرض المحتوى، الأنشطة المنهجية وللامنهجية ، تعاملات الطلاب اليومية مع الكادر الإداري في الأقسام العلمية والعمادات العلمية والمساندة، الإعلام بشقيه القديم والحديث.

٣. **المنظومة القيمية:** "مجموعة من المعتقدات والتصورات المعرفية والوجدانية والسلوكية الراسخة يختارها الانسان بحرية بعد التفكر والتأمل، و يعتقدها اعتقاداً جازماً وتمثل لديه مرجعية معيارية يحكم بها على الأشياء والمواقف والأحداث بالحسن أو القبح ، وبالقبول أو الرفض، ويصدر عنه سلوك منتظم ويتميز بالثبات والتكرار والاعتزاز وهي مترابطة فيما بينها وتنظم على شكل بناء هرمي متدرج من الأهم إلى الأقل أهمية" . (الجلاد ، ٢٠٠٦م : ١٢)

وفي هذه الدراسة نعتمد التعريف الإجرائي التالي للمنظومة القيمية: مجموعة من الموجهات القيمية العامة لسلوك الطالب الجامعي يؤمن بقيمتها وأهميتها ويعود إليها قبل اتخاذ قراراته بالقبول أو الرفض ويحتكم إليها قبل إصدار الأحكام على المواقف والأحداث والأشخاص والسلوكيات وتتناغم هذه الموجهات مع الثقافة الدينية والاجتماعية السائدة للمجتمع ، وتتناغم مع توجهات الجامعة ورسالتها العامة. ومن أبرز عناصر هذه المنظومة (التفكير الإبداعي، التفكير الناقد، الوسطية والاعتدال، إدارة الوقت، تحمل المسؤولية، الالتزام بالدور، المثابرة، التعلم الذاتي، المواطنة، نبذ العنصرية، الصدق، احترام الآخر، تقبل الاختلاف، .....)

٤. **مناهج الرياضيات: تعرف مناهج الرياضيات في هذه الدراسة بأنها:**

منظومة متكاملة من (الأهداف، المحتوى، طرق وأساليب وممارسات التدريس، الأنشطة المنهجية واللامنهجية، التقويم) والتي تساهم بفاعلية في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي من خلال المنهج الخفي.

أدبيات الدراسة

المنهج التربوي له جوانب واضحة وجلية وتتمثل في الخبرات التربوية المقصودة، وله جوانب خفية ومستترة تتمثل في الخبرات التربوية غير المقصودة وفي كلا الحالتين يظل المتعلم متأثراً بهذه الجوانب . ونظراً لوجود هذه الخبرات فالمنهج سيظل له جانبان: أحدهما ظاهر وهو المنهج الرسمي، و الآخر مستتر وهو المنهج الخفي. وقد طرحت هذه الدراسة عدداً من التسأؤلات والتي سيتم الإجابة عن بعضها من خلال استعراض الأدبيات التربوية التي تناولتها، ونستكمل الإجابة على البقية من خلال رصد وتحليل الاستجابات التي وردت من خلال أداة الدراسة والتي أدلى بها المتخصصون في المناهج وطرق التدريس.

والسؤال الأول لهذه الدراسة: ما هو المنهج الخفي؟ وما الفرق بينه وبين المنهج الرسمي ؟

المنهج يتعدى مفهوم التعليم المنظم والخبرات التربوية المقصودة إلى مجمل المعارف والقيم ولاتجاهات و الخبرات المباشرة و غير المباشرة داخل الجامعة و خارجها. أي أنه وعاء يحتوي التربية الرسمية المقصودة وغير المقصودة . وعندما نحاول أن نقف على مسئوليات التربية الجامعية نجدها تضم نوعين من المناهج و تتم بواسطتهما و هما: المنهج الرسمي، المنهج الخفي.

المنهج الرسمي:Formal Organize Curriculum

حينما نتحدث عن المنهج فالمقصود به المنهج المعلن أو المنظم أو الظاهر أو الرسمي و هذا المنهج كما يراه ((Beauchamp , 1981) بأنه نظام متكامل ويعمل كوحدة واحدة ويتكون من البيانات المدخلة والتي تشمل: الأسس التربوية، خصائص الأشخاص المشتركين في النظام، خصائص المجتمع، المواد الدراسية وحاجات الطلاب واهتماماتهم . العمليات أو الخطوات اللازمة لصيانة النظام وتشمل: اختيار ميدان تطبيق المنهج، تحديد أهداف المنهج وتخطيطه وكتابته و وضع إجراءات التنفيذ والتقويم. المخرجات وتشمل: المنهج نفسه كأهم مخرج ويضاف له تعديل اتجاهات المشاركين وزيادة معارفهم.

ويعرفه (هندي، ١٩٨٩م) و (شاهين ،٢٠٠٦م) بأنه: وثيقة مكتوبة ومقررة من قبل هيئة أو جهة مخولة بإعدادها يطبقها عضو هيئة التدريس أثناء تدريسه في أيام محددة وفق نظام معين.

وبشكل أكثر وضوحاً يرى (اللقاني، ٢٠٠١م) أن المنهج الرسمي: هو المنهج المخطط الذي يتم بناءً على تكليف من جانب أصحاب القرار التربوي في الدولة و يجتهد الخبراء في صياغته وفق الإجراءات العلمية المعروفة ثم يتم إعلانه لكل من له علاقة بالمنهج سواء كان طالباً أو عضو هيئة تدريس أومن قيادات الأقسام والعمادات وغيرها. إضافة إلى أولياء الأمور، و في هذه الحالة يسمى هذا المنهج بالمنهج الرسمي المعلن، و هو منهج أعد بتكليف من الدولة و لذلك فهي تقره و تعترف به أداة للتربية و التعليم.

ويعرف الباحث المنهج الرسمي بأنه : مجموعة الخبرات التربوية المخططة التي تستهدف إحداث النمو الشامل والمتكامل والمتوازن في كآفة الجوانب المعرفية والمهارية والوجدانية للمتعلم. وهي في مجملها خبرات تربوية مقصودة من قبل المخططين والمنفذين للمنهج كما أن المتعلم يتلقاها أيضاً بطريقة مقصودة ومن خلالها تحدث التغيرات المرغوبة في معارفه وسلوكه واتجاهاته وقيمه ومعتقداته.

وقبل أن نتناول تعريف المنهج الخفي علينا أن نجيب على سؤال هام وهو: ماذا يحدث بين تخطيط المنهج الرسمي و تنفيذه ؟

يشير اللقاني (٢٠٠١م) إلى أنه عندما يقوم الخبراء بتخطيط منهج ما تبدأ عملية البناء لهذا المنهج، ذلك أن التخطيط يعني وضع الملامح الأساسية و الخطوط العريضة للمنهج، ثم تأتي عملية البناء و التي تتضمن تحديداً للأهداف و المضامين على مستوى معين وتحديد طرق التدريس و الأنشطة و أشكال التكنولوجيا و أساليب التقويم اللازمة في مراحل تنفيذ المنهج.

وعندما يقوم عضو هيئة التدريس بتنفيذ المنهج يتصور أغلب الناس أن ما خطط و ما بنى هو الذي نفذ، بل و الأكثر من هذا يتصورون أن ما قام عضو هيئة التدريس بتنفيذه بعد مرحلة التخطيط لا البناء قد جاء بنفس النتائج لكل الطلاب أو معظمهم. و واقع الأمر يشير إلى أن هناك:

- منهج مخطط يقوم به الخبراء.
- منهج رسمي معلن تتبناه الدولة و تقره.
- منهج منفذ و هو ما يقوم به كل عضو هيئة تدريس.
- منهج منجز و هو ما يتم تحقيقه من فوائد متباينة لدى كل طالب.
- منهج مستتر أو خفي.

فإذا كان المنهج المخطط يتم بناء على تكليف من أصحاب القرار التربوي في الدولة و يجتهد الخبراء في صياغته و من ثم يتم إعلانه لكل من له علاقة بالمنهج فيسمى بالمنهج الرسمي المعلن و هو منهج اعد بتكليف من الدولة و لذلك فهي تقره و تعترف به أداة للتربية و التعليم. وعندما يصل المنهج إلى أيدي أعضاء هيئة التدريس يقوم كل منهم بتنفيذه و هو متأثر بخبراته السابقة ومستوى إعداده العلمي والمهني واستعداده لممارسة هذه المهنة و مستوى تقبله للمنهج ذاته، و هذا ما يسمى بالمنهج المنفذ. وإذا ما قام عضو هيئة التدريس بتنفيذ المنهج بأشكال و أنماط و مسارات متباينة نجد أن نواتج التعلم التي توصل إليها الطلاب تختلف من طالب إلى آخر، و هذا ما أطلق عليه المنهج المنجز و هو ما يتم تحقيقه من فوائد متباينة لدى كل طالب. و إضافة إلى ذلك يمر المتعلم بخبرات مصاحبة جنباً إلى جنب مع خبرات المنهج المتاحة له (منهج مستتر أو خفي) و هذه الخبرات هامة و أساسية و لا ينبغي أن نقلل من قيمتها، و لا ينبغي أن

يتجاهلها خبراء المنهج و هم في مرحلة التعامل الأولى مع المنهج المخطط و كذلك المعلمون في مرحلة تنفيذ المنهج.

وهذا المنهج الخفي: Hidden Curriculum ورد بعدة مسميات ومنها المنهج الضمني: Para Curriculum، أو المنهج غير المكتوب: Un Written Curriculum، أو المنهج غير المدروس: Unstudied Curriculum ويسمى بالمنهج الموازي أو المصاحب وقد عرفه أبرز منظريه (Phillip Jackson, 2004) بأنه التحصيل الجامعي الثاني بعد التحصيل الأكاديمي الذي يعد التحصيل الأول، و بهذا أكد جاكسون العلاقة بين المنهجين الرسمي والخفي. و يرى Phillip Jackson أن المنهج الخفي يرتبط بعملية التعليم غير المقصود أو التعليم المصاحب، و أن تأثير هذا التعلم أكبر من تأثير المنهج الرسمي. و من هنا على الجامعة أن تأخذ هذه النتيجة بعين الاعتبار، فتبنى لنفسها منظومة خاصة من القيم ، تعمل على إكسابها لطلابها، حتى تكون بالنسبة إليهم موطن اعتزاز وافتخار.

وعرفه أ . جلا تهورن بأنه: تلك الأوجه من التمدرس Schooling ، غير المنهج المقصود التي يبدو أن بوسعها إحداث تغيرات في فهم الطلاب و مرئياتهم و سلوكياتهم. أو أنه تلك الأوجه من المنهج المتعلم التي تقع خارج نطاق جهود المنهج المقصود، ومع أن مصطلح المنهج الخفي عادة يستعمل ليحمل دلالة سلبية لكن من وجهة نظر من يسعى نحو النمو الإنساني الأمثل يمكن أن يكون ذلك النوع من التعلم مرغوباً أو غير مرغوب . (ألن أ جلاتهورن ، ١٩٩٥م) .

ويرى (اللقاني و فارعة، ٢٠٠١م) أن المنهج الخفي يشير إلى الخبرات غير المخططة و غير المقصودة التي يتعرض لها الأبناء و يمرون بها دون استعداد فيتعلمون منها أشياء و يصلون إلى نواتج تعليمية لا تتضمنها الأهداف العامة للمنهج .

ويؤكد (الخليفة، ٢٠٠٣ م) على جملة المعاني السابقة ويرى أنه: " كل ما يكتسبه و يمارسه المتعلم من المعارف و الخبرات والاتجاهات والقيم والمهارات وأنماط السلوك داخل الجامعة. نتيجة للاحتكاك المباشر مع أقرانه و معلميه والنظام الجامعي ونتيجة للفهم الذاتي للمعرفة ". ص٣٤

ويلخص الباحث ما سبق ويعرف المنهج الخفي على أنه: مجموعة من القيم التي يكتسبها الطالب بطريقة غير مقصودة أو عفوية وقد تكون هذه القيم إيجابية تعزز العملية التعليمية والتربوية وتتناغم مع أهداف المنهج الرسمي التي ترمي إلى تنمية الطلاب بشمول وتوازن وتكامل في كآفة جوانب حياته. وقد تكون هذه القيم سلبية وتتعارض مع أهداف المنهج الرسمي وتعيق نمو المتعلم في جانب أو أكثر من جوانب حياته . والجدير بالذكر أن هذه القيم يمكن أن تصل للمتعلم بطريقة غير مخططة وقد تصل إليه بطريقة مخططة وقصدية ولكن المتعلم يتشربها في كلا الحالتين بطريقة غير

مقصودة أو عفوية كما أسلفنا ولذلك فهي ضمنية أو مستترة بالنسبة للمتعلم وتؤثر في سلوكه بشكل أكبر من القيم التي يتشربها بطريقة واعية وقصدية.

ونلخص الاستعراض السابق لنقارن بين المنهجين الرسمي والخفي كالتالي (مصطفى،٢٠٠٠م):

١. أن المنهج الرسمي له مصادر معلومة ومحددة، في حين أن المنهج الخفي لا حدود لمصادره.
٢. أن المنهج الرسمي محدد بأهداف واضحة، بينما قد تكون أهداف المنهج الخفي غير واضحة في معظم الأحيان خصوصاً إذا تم إهماله من قبل مخططي المنهج ومنفذيه ومن يقوم على تقويم آثاره .
٣. أن المنهج الرسمي يعبر عن المجتمع وثقافته وتطلعاته بشكل ظاهر ومكتوب، أما المنهج الخفي فيعبر عن المجتمع بشكل مستتر وغير مكتوب.
٤. أن المنهج الرسمي يمكن تقويم جوانبه المختلفة بوسائل و أساليب متنوعة، أما المنهج الخفي فقد يقوم وقد يتعذر ذلك أو يصعب في بعض الجوانب.
٥. يعي الطالب بتأثير المنهج الرسمي، بينما يفقد هذا الوعي في إطار المنهج الخفي.
٦. أن مجال تأثير المنهج الرسمي في المتعلم أضيق دائرة، بينما تأثير المنهج الخفي في المتعلم أوسع وأكبر.

ويضيف (فلاته، ١٩٩٨م) :

٧. أن نتائج المنهج الرسمي إيجابية دائماً، أما المنهج الخفي فنواتجه قد تكون إيجابية وقد تكون سلبية.
٨. أن المنهج الرسمي ثابت لا يتغير بتغير المواقف التعليمية، أما المنهج الخفي فإنه قد يتغير بتغير الزمان والمكان والفرد المتعلم.

وجدير بالذكر أن تعديل السلوك . عن طريق عملية التعلم . هو محصلة لتأثيرات المنهجين الرسمي و الخفي، و لذلك فإن التكامل بين المنهجين والتأكيد على التربية الصحيحة من خلال التربية الموازية أو غير الجامعية، يعد شرطاً أساسياً لحدوث التعلم الفعال، لأنه كلما زاد تكيف الطلاب مع المنهج والجامعة والحياة، كلما زادت فعالية تعلم الطلاب.

وبعد أن وضحنا مفهومي المنهج الرسمي والمنهج الخفي في إجابتنا على السؤال الأول نبين فيما يلي الإجابة على السؤال الثاني للدراسة : **ما هي النظرية التربوية التي يستند إليها نموذج بناء المنهج الخفي ؟**

ذكر الموسى (٢٠٠٠م) أنه بالرجوع إلى الدراسات التي ناقشت المنهج الخفي نجد أنها تربط هذا النوع من المناهج بنظرية (المفاهميون الجدد) ، وهذه النظرية بدأت في نهاية الستينات كرد فعل على نظرية (الميدانيون المفاهميون) أو ما يسميهم البعض بأصحاب التجربة العملية أو التطبيقية، والذين يشتقون مناهج بحثهم من العلوم الفيزيائية في محاولة

منهم للتوصل إلى تعميمات تساعدهم على حل المشكلات الموجودة في المدارس والجامعات أما المفاهميون المجددون وعلى رأسهم اليوت إيزنر، وهنري جيروكس، بينار، ماكدونالد فهم يؤكدون على الخبرة الذاتية، وفن التفسير. ولقد انتقد ماكدونالد المناهج الحالية بأنها لا تركز على القيم والأخلاق بل ركزت على العقل والمنطق ويرى أن المناهج بحاجة إلى إعادة نظر من حيث المحتوى. وعلى العموم فإن أهم اتجاهات المفاهميون الجدد في المناهج تركز على ما يلي:

١. ينبغي أن تركز المناهج على الاهتمام بالمشكلات الاجتماعية بدل التركيز على المادة العلمية أو طبيعة العلم.
٢. المناهج (الجامعية) ينبغي أن توجه المجتمع .
٣. لا بد أن تركز المناهج على تنمية المنظومة القيمية والخلقية للطلاب كما تركز على تنمية معارفهم ومهاراتهم.
٤. يجب أن تركز المناهج على تنمية الطالب وتطوير مهاراته بدلاً من التركيز على تطوير محتوى الكتب الجامعية.
٥. الهدف من التربية هو تنمية الوعي (الاجتماعي، الثقافي، الصحي، الأمني ....) لدى الطالب وجميع أفراد المجتمع .
٦. يجب أن تركز المناهج على المهارات الحياتية مثل: التفكير الناقد، التفكير الإبداعي، حل المشكلات واتخاذ القرارات.
٧. لا بد من مشاركة المدرس أو عضو هيئة التدريس عند بناء وتخطيط المناهج؛ لأنه المعني الأول بتنفيذها.
٨. لا بد من الاهتمام بالمنظومة القيمية التي يتبناها المجتمع، وغرسها لدى الطلاب.

وبالنظر إلى الأساس النفسي لهذا النوع من المناهج نجد أنه كما ذكر الموسى (٢٠٠٠م) مشتق من النظرية الإنسانية حيث يظهر أن هذا التوجه تأثر بنظرية الذات عام ١٩٤٩ على يد عالم النفس الأمريكي "كارل روجرز" والذي اقترن عمله ببعض الباحثون الكبار مثل "ماسلو"، ويشير المفهوم الأساسي للنظرية إلى الاهتمام بالنفس واحترام الذات فضلاً عن التركيز على القدرات الشخصية وتحقيق الذات لكل فرد وإمكانية تطويرها لحل جميع المشكلات التي تواجهه.

ثم إن هذا المنهج يرى ضرورة التركيز على القيم والأهداف وتنمية التفكير الإبداعي لدى المتعلم وتحقيق الذاتية، ولا يرى أصحاب هذا التوجه أن التركيز على تقنيات التدريس كافياً بل لا بد من اكتشاف القيم الشخصية والاجتماعية وتنميتها. كما أن المناهج من وجهة نظر المدرسة الإنسانية ينبغي

أن تكون مبنية على اهتمامات الطالب وأن تعطيه حرية الاختيار مع التحفظ وإشعاره بالمسئولية.

ويقترح وينستاين خمسة معايير لبناء البرامج الإنسانية وهي:

١. يجب أن تكون الحاجات الإنسانية للفرد هي المنطلق الرئيس للمعلومات والمعارف اللازمة لاتخاذ القرار.
٢. التربية الإنسانية تضع أمام الفرد العديد من البدائل وتزيد من اختيارات المتعلمين.
٣. تحتل المعرفة الخاصة بالشخص الأولوية على المعرفة الخاصة بالناس.
٤. إن نمو الفرد يجب ألا يحدث على حساب نمو احد سواه .
٥. جميع عناصر البرنامج تساهم بفاعلية في رفع قيمة الفرد وأهميته وتقديره لذاته .

ويقترح الباحث مجموعة من الأسس والمبادئ النظرية للنموذج المقترح تتمثل فيما يلي:

١.إن تعلم القيم قد يتم بطريقة غير مقصودة وقد يتم بطريقة مقصودة من قبل الطالب.
٢.إن تأثر الطالب بالقيم التي يكتسبها بطريقة ضمنية أو غير مقصودة أكبر من تأثره بالقيم التي يكتسبها بطرق مقصودة ومخططة.
٣.إن المتعلم يكتسب القيم من خلال مجموعة من المثيرات الطرفية (الانضباط والالتزام لدى عضو هيئة التدريس، مدى تفهم عضو هيئة التدريس لمشكلات طلابة كالتأخر والغياب عن الاختبارات، البيئة المادية في القاعات الدراسية، الجدول الدراسي .....) التي ليست في بؤرة التركيز أثناء العملية التعليمية والتربوية.
٤.إن جميع عناصر المنهج تساهم بدرجات متفاوتة في تنمية وتعزيز القيم لدى الطلاب.
٥.تصل القيم للمتعلم من خلال المنهج الخفي بطريقة غير مخططة وقد تصل إليه بطريقة مخططة وقصدية ولكن المتعلم يتشربها في كلا الحالتين بطريقة غير مقصودة أو عفوية كما أسلفنا ولذلك فهي ضمنية أو مستترة بالنسبة للمتعلم ولكن ليس شرطاً أن تكون كذلك بالنسبة لمخططي المنهج ومنفذيه.
٦.تختلف القيم التي يكتسبها الطالب باختلاف المكان والزمان وباختلاف المقررات التي يدرسها.

الدراسات السابقة حول المنهج الخفي وتنمية المنظومة القيمية:

المنظومة القيمية: "مجموعة من المعتقدات والتصورات المعرفية والوجدانية والسلوكية الراسخة يختارها الانسان بحرية بعد التفكر والتأمل، و يعتقدها اعتقاداً جازماً وتمثل لديه مرجعية معيارية يحكم بها على الأشياء والمواقف والأحداث بالحسن أو القبح ، وبالقبول أو الرفض، ويصدر عنه سلوك منتظم ويتميز بالثبات والتكرار والاعتزاز وهي مترابطة فيما

بينها وتنظم على شكل بناء هرمي متدرج من الأهم إلى الأقل أهمية" . (الجلاد ، ٢٠٠٦م ، ١٢)

والمنهج الخفي ما هو إلا: مجموعة من القيم المكتسبة الناتجة عن التفاعل الاجتماعي في المدرسة، وتتم دونما تخطيط وتؤثر بدرجة كبيرة في سلوك الطلاب، وتؤثر أيضا في المنهج الرسمي . فالمجتمع المدرسي يتكون من مجموعة من الأفراد تربطهم شبكة من العلاقات الاجتماعية، ويعملون في إطار من المشاركة وتبادل الرأي والخبرة، وتعرف هذه القيم المكتسبة دون تخطيط؛ بالمنهج الخفي (حرب ، ٢٠٠٧ : ٦) .

وهذا يؤكد على عمق العلاقة بين منظومة القيم والمنهج الخفي وأن مجال القيم هو من أوسع وأكبر تطبيقات المنهج الخفي ولذلك نجد مجموعة من الدراسات التي تناولت المنهج الخفي والقيم بأنواعها ومنها:

دراسة القصير (٢٠١٢) والتي هدفت التعرف على مكونات المنهج الخفي ورصد الفروق بين متوسط درجات أطفال المدارس ذات المنهج الخفي الإيجابي ومتوسط درجات أطفال المدارس ذات المنهج الخفي السلبي في القيم الأخلاقية والقيم الجمالية، وكانت أدوات البحث استبانة للمنهج الخفي (إيجابي، سلبي) للتعرف على مدى توافر مكوناته في مدارس الحلقة الأولى من التعليم الأساسي، واستبانة لقياس القيم الأخلاقية وأخرى للقيم الجمالية، وقد تم التطبيق على عينة مؤلفة من (١٢٠) تلميذا، وقد أسفر البحث عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ٥٪ بين متوسط درجات أطفال المدارس ذات المنهج الخفي الإيجابي ومتوسط درجات أطفال المدارس ذات المنهج الخفي السلبي في القيم الأخلاقية والقيم الجمالية لصالح المدارس ذات المنهج الخفي الإيجابي.

وأجرى ساري ودقاناي (Sari & Doganay ,2009) دراسة هدفت إلى التعرف على الوظائف التي يقوم بها المنهج الخفي في العملية التعليمية ، وآثاره في إكساب الطلاب قيمة احترام كرامة الإنسان وقد شملت عينة الدراسة ٢٢٤٥ طالباً و ٤٢٨ معلماً من ١٧ مدرسة ابتدائية في مدينة أدنا بتركيا ، وتم جمع البيانات من خلال الملاحظات والمقابلات على مستوى المعلمين والطلاب، كما تم استخدام طريقة تحليل المحتوى للبيانات التي تم جمعها لمدة ٤ أشهر. وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج ومن أهمها: أن الجوانب المختلفة الخاصة بالمنهج الخفي لها العديد من العلاقات المتبادلة والمترابطة مع بعضها البعض، وأن التصرفات غير المناسبة التي تصدر من الطلاب هي في الأساس انعكاس للممارسات غير الديمقراطية التي يقوم بها المعلمون.

وفيما يتعلق بالبعد الاجتماعي والأيدلوجي للمنهج الخفي أجرت كل من **(البسام والبكر، ٢٠١٥م)** دراسة هدفت إلى تحديد أنماط المناهج الخفية السائدة داخل فصول المدارس الابتدائية للبنات في مدينة الرياض، كما هدفت إلى تحديد الدور الذي يلعبه

المنهج الخفي المرتبط ببيئة الفصل الدراسي في تعزيز قيم ذات علاقة بالتطبيع الاجتماعي. واستخدمت الباحثتان المنهج الاثنوجرافي وذلك من خلال ملاحظة التفاعلات الاجتماعية واللفظية والرمزية داخل البيئة الصفية، ومن خلال المقابلة المعمقة مع المعلمات وذلك في مدرستين إبتدائيتين حكوميتين أحدهما شمال الرياض والأخرى جنوبها، ثم تم اختيار فصل واحد من كل مدرسة لتطبق فيه الملاحظة الصفية، وقد استغرق تطبيق الدراسة ثمانية أشهر ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الباحثتان أن المنهج الخفي يلعب دوراً مهماً في بناء المعاني المختلفة لدى الطالبات، كما يسهم في تشكيل فهم الطالبات لأنفسهن، كما يعمل على تعزيز قيم وأنماط من السلوك بعضها سلبي كالتسلط والطبقية وقتل الإبداع وبعضها إيجابي كاكتساب الطالبات للمهارات الاجتماعية والثقافية والعلمية.

واجري وطفة (٢٠١٠) دراسة تناولت الأبعاد الأيديولوجية والطبقية للرسائل التربوية الصامتة في المؤسسات التربوية والمدرسية، وكشفت عن الممارسات الطبقية والأيديولوجية للمنهج الخفي، وبينت خطورة الدور الإقصائي لهذا المنهج في ترجمة التفاوت الاجتماعي إلى تفاوت علمي ومعرفي ومدرسي بين الأطفال الدارسين وفقا لأصولهم الاجتماعية.

وقد بينت دراسة بهاموند (Bahamonde,2001) أن المنهج الخفي يميز بين الدارسين وفقًا لانتمائهم الاجتماعي واوضاعهم الاقتصادية، وانه في معظم الأحيان تحدد المدرسة عبر المنهج الخفي مسار المتعلمين وفقًا لأصولهم الاجتماعية، اذ يرسل أبناء الفئات المهمشة للدراسة في المجالات المهنية والتطبيقية، فيما يرسل أبناء الفئات الميسورة إلى الفروع العلمية الأكاديمية المميزة. وبينت الدراسة أن التوقعات من الدارسين في الفروع الاكاديمية تتمثل في تنمية الفكر الناقد والتفكير التحليلي، وفي المقابل يتوقع من الفئات المهنية امتلاك المهارات والخبرات العملية، التي تمكنهم من أداء دورهم المهني في دائرة الحياة الاجتماعية.

وفيما يتعلق بدور المنهج الخفي في تنمية المهارات لدى المتعلمين هدفت **دراسة " يوسف زادا" (٢٠١٤، Yousef Zadeh)** إلى التعرف على عناصر المنهج الخفي ودورها في تعليم المهارات الحياتية لدى طلاب الجامعة، وتوصلت الدراسة إلى أن شبكة العلاقات بين الطلاب والإدارة أثرت كثيرا على المهارات الحياتية لديهم .

كما هدفت **دراسة " هاشمي " (٢٠١٢، Hashemi)** إلى تعرف دور المنهج الخفي في تنمية المهارات الاجتماعية لطلاب المرحلة الثانوية، وتوصلت الدراسة إلى أن الطلاب عندما تم تدريسهم في الأجواء المفتوحة أعطوا نتائجاً افضل اجتماعياً وزاد مستواهم في الأخلاق والمهارات الاجتماعية

ويؤثر المنهج الخفي على القيم والمهارات ويتجاوز ذلك إلى التحصيل الدراسي وهذا ما توصلت إليه **دراسة "بيانفار " (٢٠١٣، Bayanfar)** والتي هدفت إلى تعرف أثر المنهج الخفي على تنمية التحصيل الأكاديمي لطلاب المرحلة الثانوية، واستخدمت

الدراسة نموذج لتقليل الأثار السلبية للمنهج الخفي، وتوصلت إلى أن للمنهج الخفي أثر في زيادة التحصيل الأكاديمي للطلاب، ولكن ليس بالنسبة العالية.

وتأكيداً على العلاقة بين المنهج الرسمي والمنهج الخفي ودور كل منهما في تعزيز القيم **هدفت دراسة الأشقر (٢٠٠٥)** إلى مقارنة القيم التي يكتسبها الطلاب من المنهجين الرسمي والخفي في مدارس الأردن الحكومية والأهلية. وبيان مدى التكامل والتعارض بينهما في هذا المجال. وطبقت الدراسة على (١٠٠٠) طالب وطالبة في المدارس الأردنية، وأظهرت النتائج : أن القيم الإيجابية التي يكتسبها الطلاب من الأسرة كمصدر من مصادر المنهج الخفي تتكامل وتتفق مع قيم المنهاج الرسمي. وظهر أن القيم السلبية التي يكتسبها الطلاب من المدرسة كمصدر من مصادر المنهج الخفي تتناقض أو تتعارض مع قيم المنهج الرسمي.

وهذه النتيجة تعني أننا أمام مشكلة حقيقية فالمكان المعد لتنفيذ المنهج الرسمي يحوي بين جنباته العديد من المؤثرات التي تعيق أهداف المنهج الرسمي بل وتتجاوز ذلك إلى إكساب الطلاب مجموعة من القيم النقيضة لما يطرحه المنهج الرسمي من قيم إيجابية .

كما أن **دراسة نوال العثمان (٢٠٠٤)** هدفت إلى تعرف دور المنهج الخفي في التعليم المدرسي، وذلك عن طريق الكشف عن منافعه ومضاره في التربية ودوره في التعليم غير الرسمي وعلاقته بالمنهج الرسمي، وتوصلت الدراسة إلى أن اختيار وتنظيم وتقويم محتوى المنهج المعلن يتأثر بشدة بالمنهج الخفي الذي يوجه مسارات المنهج المعلن بشكل ضمني في مؤسسات التعليم المدرسي الرسمي.

وأجرى وهبة (٢٠٠١) دراسة حول أهمية المنهج الخفي في عملية تقييم المناهج بشكل عام، وأثره في الحياة المدرسية، والممارسات المختلفة فيها. وظهر ان المنهج ليس مجرد كتب مدرسية وخطط وانشطة، بل هو حياة مدرسية تجري فيها عملية تفاعلية بين تلك الرسائل المعلنة في المنهج، وبين مجموعة الرسائل الخفية المتعلقة بالمعرفة والقيم والسلوك. وهذه الرسائل قد تكون متوافقة مع المنهج الرسمي، وقد تكون متعارضه معه، وأن فهم المعلم حيثيات المنهج الخفي ضمن سياق اجتماعي ثقافي يساعده على فهم ممارسات طلبته داخل المدرسة، وتفسيرها بصورة شاملة.

وعلى اعتبار أن المعلم والممارسات التدريسية الصادرة عنه هي أحد أهم مصادر المنهج الخفي والتي تفرز العديد من الرسائل القيمية بنوعيها الإيجابي والسلبي فقد **هدفت دراسة الحايك والعيسى (٢٠١٦)** إلى التعرف على درجة تطبيق معلمي التربية الرياضية للمنهج الخفي في مدارس مديرية اربد الأولى من وجهة نظرهم، واستخدم الباحث الاستبيان لمسح آراء (٤٩) معلماً ومعلمة ممن يعملون في مديرية تربية وتعليم اربد الأولى، وأسفرت النتائج عن ممارسة مرتفعة للمنهج الخفي.

كما هدفت دراسة الأحمدي (٢٠١٥) إلى قياس فاعلية برنامج مقترح في تنمية مفهوم المنهج الخفي وتحليله وتوظيفه لدى معلمات المرحلة المتوسطة، وتم تطبيق البرنامج على (٣٥) معلمة في المرحلة

المتوسطة في مدينة تبوك. كما تم تطبيق اختبار تحصيلي قبل وبعد البرنامج لقياس مدى تمكن المعلمات من مفهوم المنهج الخفي، وقدرتهن على تحليله وتوظيفه وأظهرت نتائج القياس القبلي ضعف الخلفية المعرفية لدى المعلمات حول مفهوم المنهج الخفي وبالتالي عدم قدرتهن على تحليله وتوظيفه، فيما أظهرت نتائج القياس البعدي حدوث تحسن ملحوظ لدى المعلمات في مفهوم المنهج الخفي والقدرة على تحليله وتوظيفه، مما يدل على فاعلية البرنامج المقترح.

وبما أن الكتاب المدرسي يعد من أهم المصادر التي تفرز المناهج الخفية فقد اتجهت **دراسة هبة (٢٠١٥)** إلى وضع تصور مقترح لتضمين بعض القيم الأخلاقية بكتب رياضيات المرحلة الإعدادية في ضوء كشف ملامح المنهج الخفي بها ،وأظهرت النتائج توافر قيم (تقدير قيمة العلماء، تقدير قيمة الرياضيات، تقدير قيمة العمل، تعرف الآثار المصرية، قيمة التفوق، قيمة الالتزام بقواعد المرور، الاهتمام بالصحة والمحافظة على المياه، الاهتمام بممارسة الرياضة، احترام آراء الآخرين) في كتب الرياضيات ، كما أن النتائج أظهرت ضعف الطلاب في القيم الأخلاقية حيث كانت نسبة امتلاكهم لها (٤٠٦ %) ، وبناءً على ذلك تم بناء تصور مقترح لتضمين بعض القيم بكتب رياضيات المرحلة الاعدادية.

ثالثاً: إجراءات الدراسة:

تتمثل إجراءات الدراسة في تحديد منهج الدراسة الذي تم إتباعه، و مجتمع الدراسة الذي اشتقت منه العينة، وكيفية اختيار هذه العينة وخصائصها وفق متغيرات الدراسة. ثم أدوات الدراسة، وبيان الخطوات التي اتبعت في بنائها . كما تتم مناقشة الإجراءات المتبعة للتحقق من صدق أداة الدراسة وثباتها، و كيفية تطبيق الدراسة ميدانياً، والأساليب الإحصائية المستخدمة في معالجة البيانات وتحليلها.

منهج الدراسة

بناءً على ما تقتضيه طبيعة هذه الدراسة، يكون المنهج الوصفي المسحي هو الأنسب لذلك، والمنهج الوصفي هو " ذلك المنهج الذي يعطي أوصافاً ومعلومات دقيقة عن الظاهرة المدروسة ويعبر عنها تعبيراً كمياً وكيفياً ". (عدس وآخرون ، ٢٠٠٣م : ٢٤٧) . ولكي يعالج الباحث مشكلة الدراسة الحالية؛ فعليه أن يحدد طبيعة المنهج الخفي وأساسه النظري، ويحدد المبررات التي تدعو إلى ضرورة بناء نموذج يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية، ويحدد المصادر التي يمكن من خلالها اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي، ويحدد الشروط والمعايير اللازم توافرها في عناصر المنهج (الأهداف التربوية، المحتوى، الأنشطة التعليمية، طرق وأساليب وممارسات التدريس، التقويم) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي وذلك باستطلاع آراء الخبراء في المناهج وطرق التدريس، وهذا التحديد أو الوصف يكون كمياً وكيفياً، تمهيداً لبناء نموذج يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي.

مجتمع الدراسة

يشمل مجتمع الدراسة جميع المختصين والمختصات في المناهج وطرق التدريس في الجامعات السعودية . وقد اقتصر مجتمع الدراسة على هذه الفئة نظراً للعلاقة الوثيقة لها ببناء نماذج المنهج وتقويمها.

عينة الدراسة:

بعد أن تم تحديد مجتمع الدراسة الأصلي، تم اختيار عينة عشوائية تمثل المجتمع الأصلي وقوامها (١١٠) عضو هيئة تدريس من المختصين في المناهج وطرق التدريس في الجامعات السعودية. وكانت خصائصهم وفق متغيرات الدراسة كما يوضح جدول رقم (١)

جدول رقم (١) : خصائص عينة الدراسة

المتغير	الفئة	التكرار	النسبة المئوية
الدرجة العلمية	أستاذ	36	%32.73
	أستاذ مشارك	21	%19.09
	أستاذ مساعد	31	%28.18
	محاضر	22	%20.00
المجموع		**110**	**%100**
التخصص الدقيق	المناهج وطرق التدريس العامة	13	%11.82
	المناهج وتقنيات التعليم	9	%8.18
	المناهج والإشراف التربوي	9	%8.18
	المناهج وطرق تدريس الرياضيات	14	%12.73
	المناهج وطرق تدريس العلوم	18	%16.36
	المناهج وطرق تدريس الحاسب الآلي	10	%9.09
	المناهج وطرق تدريس اللغة العربية	12	%10.91
	المناهج وطرق تدريس الدراسات الإسلامية	6	%5.45
	المناهج وطرق تدريس الاجتماعيات	4	%3.64
	المناهج وطرق تدريس اللغة الإنجليزية	8	%7.27
	المناهج وطرق تدريس التربية الرياضية	2	%1.82
	المناهج وطرق تدريس التربية الفنية	5	%4.55
المجموع		**110**	**%100**
الخلفية المعرفية في مجال (المنهج الخفي)	ليس لدي خلفية معرفية عن المنهج الخفي.	5	%4.55
	لدي خلفية معرفية عن المنهج الخفي من خلال (القراءة والإطلاع أو مناقشة الرسائل ذات العلاقة)	59	%53.64
	لدي إنتاج علمي في مجال المنهج الخفي (كتب ، أبحاث ، مقالات).	14	%12.73
	قدمت أطروحة (الماجستير أو الدكتوراه أو كلاهما) في مجال المنهج الخفي.	9	%8.18
	أشرفت على رسالة أو أكثر في مجال المنهج الخفي.	23	%20.91
المجموع		**110**	**%100**
الخلفية المعرفية في مجال (القيم)	ليس لدي خلفية معرفية عن مجال القيم.	11	%10.00
	لدي خلفية معرفية عن مجال القيم من خلال (القراءة والإطلاع أو مناقشة الرسائل ذات العلاقة).	64	%58.18
	لدي إنتاج علمي في مجال القيم (كتب، أبحاث، مقالات).	11	%10.00
	قدمت أطروحة (الماجستير أو الدكتوراه أو كلاهما) في مجال القيم.	6	%5.45
	أشرفت على رسالة أو أكثر في مجال القيم.	18	%16.36
المجموع		**110**	**%100**

أداة الدراسة وخطوات بناءها وتقنينها:

هدفت هذه الدراسة إلى بناء نموذج يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي؛ وبناءً على ما تقتضيه طبيعة هذه الدراسة فإن الاستبانة هي الأداة الملائمة لجمع المعلومات، وهي الأنسب لتحقيق أهداف الدراسة الحالية.

وتم بناء الاستبيان وتقنينه، وفق الخطوات التالية:

١. مراجعة الأدبيات التربوية، والدراسات السابقة التي تناولت المنهج الخفي ومنظومة القيم.

٢. بناء أداة الدراسة في صورتها الأولية، وتشمل الأداة ثلاثة محاور رئيسة وهي (مبررات بناء النموذج، مصادر اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي، الشروط والمعايير اللازم توافرها في عناصر المنهج والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي).

٣. اختبار الصدق الظاهري لأدوات الدراسة (صدق المحكمين) بعرضها على مجموعة من المحكمين من التخصصات ذات العلاقة، وعلى صلة وثيقة بموضوع البحث؛ وذلك للتأكد من وضوح الصياغة الإجرائية لكل عبارة، ومدى ارتباط العبارة بالمحور، وفي ضوء ملاحظات المحكمين تم التعديل.

٤. اختبار صدق الاتساق الداخلي لأداة الدراسة عن طريق حساب درجة الارتباط بين كل فقرة من فقرات الأداة والدرجة الكلية لها باستخدام معامل ارتباط بيرسون والجدول التالي يوضح النتائج:

جدول (2) : معاملات ارتباط كل عبارة مع الدرجة الكلية لأداة الدراسة (ن =٤٠)

رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط	رقم العبارة	درجة الارتباط
1	.372(**)	14	.332(**)	27	.425(**)	40	.561(**)	53	.202(*)	66	.373(**)
2	.321(**)	15	.245(**)	28	.526(**)	41	.599(**)	54	.230(*)	67	.412(**)
3	.405(**)	16	.367(**)	29	.391(**)	42	.525(**)	55	.227(*)	68	.264(**)
4	.239(*)	17	.345(**)	30	.424(**)	43	.387(**)	56	.363(**)	69	.280(**)
5	.392(**)	18	.471(**)	31	.490(**)	44	.382(**)	57	.213(*)	70	.260(*)
6	.548(**)	19	.225(*)	32	.508(**)	45	.516(**)	58	.218(*)	71	.318(**)
7	.331(**)	20	.441(**)	33	.584(**)	46	.542(**)	59	.340(**)	72	.396(**)
8	.396(**)	21	.340(**)	34	.512(**)	47	.486(**)	60	.370(**)	73	.441(**)
9	.200(*)	22	.286(**)	35	.605(**)	48	.211(*)	61	.245(**)	74	.346(**)
10	.402(**)	23	.487(**)	36	.460(**)	49	.254(*)	62	.264(*)	75	.328(**)
11	.442(**)	24	.549(**)	37	.532(**)	50	.258(*)	63	.285(*)	76	.448(**)
12	.441(**)	25	.474(**)	38	.624(**)	51	.221(*)	64	.385(**)	77	.395(**)
13	.389(**)	26	.452(**)	39	.519(**)	52	.249(*)	65	.445(**)	78	.232(*)

**معامل الارتباط دال عند (٠,٠١) *معامل الارتباط دال عند (٠,٠٥) (للاختبار من طرفين)

من الجدول (٢) نجد أن جميع قيم معاملات الإرتباط بين كل عبارة مع الدرجة الكلية لأداة الدراسة كانت دالة احصائياً عند مستوى دلالة (٠,٠١) ، أو مستوى دلالة (٠,٠٥). كما قام الباحث بحساب

درجة ارتباط محاور الاستبانة مع بعضها والدرجة الكلية باستخدام معامل ارتباط بيرسون والجدول التالي يوضح النتائج:

جدول رقم (٣) : معاملات ارتباط بيرسون لحساب الاتساق الداخلي لمحاور أداة الدراسة (ن =٤٠)

المحاور	١	٢	٣	الدرجة الكلية
مبررات ضرورة بناء نموذج يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي	1	.308(**)	.358(**)	.493(**)
المصادر التي يمكن من خلالها اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي		1	.359(**)	.707(**)
الشروط والمعايير اللازم توافرها في عناصر المنهج والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي			1	.893(**)

**معامل الارتباط دال عند (٠,٠١)

يتضح من الجدول (٣) أن معاملات الارتباط بين محاور الاستبانة مع بعضها والدرجة الكلية جاءت جيدة ودالة احصائياً عند مستوى معنوية (٠,٠١) حيث تراوحت بين (0.308– 0.893) وهي قيم ارتباط جيدة ويدل ذلك على قوة التماسك الداخلي للاستبانة في كل محاورها.

٥. التأكد من ثبات أداة الدراسة باستخدام طريقة الفا كرونباخ Alpha - Cronbach ، وطريقة التجزئة النصفية. لكل محور من محاور أداة الدراسة وللدرجة الكلية والجدول التالي يبين النتائج:

جدول رقم (٤) : معاملات الفا كرونباخ والتجزئة النصفية لمحاور أداة الدراسة وللدرجة الكلية (ن =٤٠)

عدد	محاور الدراسة	عدد العبارات	معامل ألفا كرونباخ	التجزئة النصفية	
				سبيرمان -براون	جتمان
1	مبررات ضرورة بناء نموذج يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي	10	0.845	0.824	0.824
2	المصادر التي يمكن من خلالها اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي	18	0.857	0.694	0.704
3	الشروط والمعايير اللازم توافرها في عناصر المنهج والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي	50	0.879	0.788	0.764
معامل الثبات للأداة ككل		**78**	**0.905**	**0.823**	**0.823**

من الجدول (٤) نجد أن قيمة معامل ألفا كرونباخ للأداة ككل (٠,٩٠٥) وقد بلغت معامل الثبات لاداة الدراسة حسب التجزئة النصفية معامل سبيرمان – براون (٠,٨٢٣) وبلغ معامل جتمان (٠,٨٢٣) وهي درجات عالية تدل على تمتع الاستبيان بدرجة مقبولة من الثبات.

نتائج الدراسة وتفسيرها ومناقشتها: سبق وأن تمت الإجابة على السؤال الأول والثاني ضمن الإطار النظري لهذا البحث ونستعرض هنا النتائج المتعلقة بالأسئلة الأخرى

النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث : للإجابة على السوال الثالث "ما المبررات التي تدعو إلى ضرورة

بناء نموذج يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي؟" قام الباحث بحساب المتوسطات الحسابية والإنحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول (٥) : استجابات أفراد العينة حول مبررات بناء نموذج يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
1	إن نماذج المنهج ركزت على النواتج المقصودة وتجاهلت النواتج غير المقصودة التي تظهر نتيجة لمصادر أخرى غير المناهج الرسمية والمخططة.	4.26	0.62	عالية جداً
2	إن المنهج يتعدى مفهوم التعليم المنظم والخبرات التربوية المقصودة إلى مجمل المعارف والقيم ولاتجاهات و الخبرات المباشرة وغير المباشرة داخل الجامعة و خارجها.	4.18	0.84	عالية
3	إن بناء نموذج لتوظيف المنهج الخفي في تعزيز القيم يساعد على احتواء آثاره السلبية على سلوك الطلاب وتعزيز آثاره الإيجابية.	4.39	0.71	عالية جداً
4	إن المتعلم أثناء تنفيذ المنهج يمر بخبرات مصاحبة جنباً إلى جنب مع خبرات المنهج المخطط، ولا ينبغي أن يتجاهلها المتخصصين في تخطيط المنهج وكذلك أعضاء هيئة التدريس في مرحلة تنفيذ المنهج.	4.46	0.75	عالية جداً
5	إن تأثير المنهج الخفي على سلوكيات طالب الجامعة أكبر من تأثير المنهج الرسمي.	4.22	0.78	عالية جداً
6	إن بناء نموذج لتوظيف المنهج الخفي في تعزيز القيم يساعد في مواجهة التحديات التي تواجه العملية التعليمية في الجامعة كالتطرف والغلو وسيطرة وسائل التواصل الاجتماعي.	4.37	0.69	عالية جداً
7	إن عناصر العملية التربوية في الجامعة كعضو هيئة التدريس ومحتوى الكتاب الجامعي وطرق التدريس ووسائل التقويم كلها تفرز مناهج خفية وتترك آثاراً إيجابية أو سلبية لدى المتعلم فتشجعه أو تحده من التعلم، ومن هذا المنطلق يجب عند التنظير للمنهج أخذ إفرازاتها الخفية بعين الاعتبار.	4.60	0.58	عالية جداً
8	إن المنهج الخفي يعبر عن المجتمع وثقافته ومشكلاته كما يعبر عنه المنهج الرسمي المخطط.	4.43	0.67	عالية جداً
9	أن تعديل السلوك عن طريق عملية التعلم هو محصلة لتأثيرات المنهجين الرسمي والخفي.	4.45	0.69	عالية جداً
10	إن المنهج الخفي يسهل عمل الجامعة و الجهاز التربوي ككل ، ويساعد في إرساء النظام، وتنمى من خلاله معظم القيم السليمة التي ينادي بها المجتمع ، و يسهم في تحقيق التربية الخلقية للمتعلمين .	4.26	0.81	عالية جداً
	المتوسط العام	**4.36**	**0.71**	عالية جداً

يتضح من الجدول (٥) أن متوسط استجابات أفراد العينة حول المبررات التي تدعو إلى ضرورة بناء نموذج يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي بلغ (٤,٣٦) وبلغ الانحراف المعياري الكلى (٠,٧١) والمتوسط يقع ضمن الفترة (من ٤,٢٠ إلى ٥) والمتوسط في هذه الفترة حسب التدرج الخماسي يشير إلى أن درجة موافقة أفرد العينة على ماذكر بالمحور من مبررات لضرورة بناء نموذج يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي كانت عالية جداً. عدا فقرة واحدة فقط هي (إن المنهج يتعدى مفهوم التعليم المنظم والخبرات التربوية المقصودة إلى مجمل المعارف والقيم ولاتجاهات و الخبرات المباشرة وغير المباشرة داخل الجامعة وخارجها) والتي يقع متوسطها ضمن الفترة (٣,٤٠ لأقل من ٤,٢٠) ويشير إلى أن درجة الموافقة على هذه الفقرة عالية. وقد تسأل (بوشامب، ١٩٨٧م ، ص ١٣٠) "ما الذي نضع له النظرية ؟ هل هو ما يحدث في الفصول ؟ هل هي آثار كل من المعرفة الجيدة

والرديئة ؟ أم هل هي ما يحدث للطلاب نتيجة حضورهم واشتراكهم في العمل المدرسي ؟ "
والمتأمل لهذه التساؤلات يجد أن بوشامب يشير إلى الخبرات المصاحبة جيدة أو رديئة والتي يفرزها المنهج الخفي ويكتسبها الطلاب كما أننا إذا سلمنا بضرورة التنظير وبناء نماذج تخطيطية للمنهج الخفي فإن المبررات الواردة في الجدول أعلاه هي مبررات كافية للبدء في هذا الاتجاه خصوصاً وأن المنهج ما هو إلا وعاء يحتوي التربية الرسمية المقصودة وغير المقصودة ؛ لذلك يجب أن تستوعب النظرية المنهجية نوعي التربية المقصودة وغير المقصودة كما يجب بناء نماذج لكل منهما .كما يؤكد المتخصصين على أن تأثير المنهج الخفي أكبر من تأثير المنهج الرسمي. و من هنا كان على النظرية المنهجية ونماذجها المختلفة أن تأخذ هذه النتيجة بعين الاعتبار، فتبنى وتؤسس لمنظومة خاصة من القيم، تؤطر الممارسات التربوية في الجامعة، وتساهم في تربية الطلاب وحمايتهم من المواقف التي يشوبها الكذب والتحايل والنفاق الاجتماعي والتسلط والتمييز بين الطلاب.

النتائج المتعلقة بالسؤال الرابع: للإجابة على السؤال الرابع "ما المصادر التي يمكن من خلالها اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي؟" قام الباحث بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة كما هو موضح في الجدول رقم (٦):

جدول (٦) : استجابات أفراد العينة حول أبرز المصادر التي يمكن من خلالها اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
1	ثقافة المتعلم.	4.30	0.66	**عالية جداً**
2	خلفيات أعضاء هيئة التدريس ومستوى إعدادهم العلمي والمهني.	4.48	0.67	**عالية جداً**
3	طريقة عضو هيئة التدريس في تقديم المعارف والمهارات.	4.55	0.61	**عالية جداً**
4	أسلوب عضو هيئة التدريس في التعامل مع الطلاب ومشكلاتهم المختلفة.	4.23	0.77	**عالية جداً**
5	الكتاب الجامعي بما يحويه من رسائل أو رسوم أو أشكال.	4.25	0.76	**عالية جداً**
6	جماعة الرفاق.	3.11	0.94	**متوسطة**
7	النظام الجامعي (معايير القبول وتسجيل المقررات ومتطلبات السنة التحضيرية و.....).	4.08	0.84	**عالية**
8	النشاط المنهجي.	4.43	0.95	**عالية جداً**
9	النشاط اللامنهجي (أنشطة عمادة شؤون الطلاب وأنشطة الكليات والأندية الطلابية).	3.66	1.12	**عالية**
10	الخلفية العلمية والثقافية للوالدين.	4.07	0.93	**عالية**
11	النظام القيمي في المجتمع.	3.94	0.97	**عالية**
12	طبيعة التنافس بين الأقران.	3.98	0.97	**عالية**
13	أساليب تقويم الطلاب وكيفية توزيع الدرجات.	4.15	0.88	**عالية**
14	وسائل التواصل الاجتماعي.	3.18	1.19	**متوسطة**
15	طرق التدريس التي يستخدمها عضو هيئة التدريس.	3.42	1.39	**عالية**
16	القاعات الدراسية وظروفها الفيزيقية وطريقة تنظيمها وما تحويه من تقنيات وتجهيزات.	3.52	1.30	**عالية**
17	الجدول الدراسي وطريقة توزيع الوقت على المواد المختلفة.	3.18	1.35	**متوسطة**
18	الإدارة الجامعية ومدى تجاوبها مع مطالب الطلاب ومشكلاتهم.	3.59	1.10	**عالية**
	المتوسط العام	**3.66**	**0.97**	**عالية**

يتضح من الجدول (٦) أن متوسط استجابات أفراد العينة حول المصادر التي يمكن من خلالها اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي بلغ (٣,٦٦) وبلغ الانحراف المعياري الكلى (٠,٩٧) والمتوسط يقع ضمن الفترة (من ٣,٤٠ إلى أقل من ٤,٢٠) والمتوسط في هذه الفترة حسب التدرج الخماسي يشير إلى أن درجة موافقة أفرد العينة على ماذكر بالمحور من المصادر التي يمكن من خلالها اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي كانت عالية. وبالنظر إلى متوسطات استجابات أفراد العينة حول فقرات محور (المصادر التي يمكن من خلالها اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي) فإننا نجد أنها تتراوح بين عالية وعالية جداً ماعدا (جماعة الرفاق – وسائل التواصل الاجتماعي – الجدول الدراسي وطريقة توزيع الوقت على المواد المختلفة) حيث كانت متوسطاتها تقع ضمن الفترة (٢,٦٠ لأقل من ٣,٤٠) مما يشير إلى أن درجة الموافقة كانت متوسطة وهذه سيتم استبعادها عند بناء النموذج المقترح.

وهذه المصادر تتفق مع ما ذكره (محمود، ٢٠٠٢م، ص ٣٧-٣٩) ، (الموســـــــى، ٢٠٠٠م، ص ص ١٠٦-١٠٧) ، حيث ذكرا أن (ثقافة المتعلم وعلاقتها بالثقافة السائدة ، خلفيات المعلمين وطريقة تناولهم للمعرفة، الكتاب المدرسي، أيدلوجية المجتمع الكبير التي تتخلل جميع أوجه التمدرس، حجرة الدراسة و ما يظهر فيها من جوانب خفية فاعلة) من أبرز المصادر التي تفرز المناهج الخفية سواءً كانت إيجابية أو سلبية.

ولتوضيح ما تفرزه هذه المصادر من رسائل ضمنية تؤثر على سلوكات الطلاب واتجاهاتهم وقيمهم نجد أن المنهج يصل إلى أعضاء هيئة التدريس و يقوم كل منهم بتنفيذه و هو متأثر بخبراته السابقة ومستوى إعداده العلمي والمهني واستعداده لممارسة هذه المهنه و مستوى تقبله للمنهج ذاته، وإذا ما قام المعلم بتنفيذ المنهج بأشكال و أنماط و مسارات متباينة نجد أن نواتج التعلم التي توصل إليها الطلاب تختلف من طالب إلى آخر، وهذا يجب أخذه بعين الاعتبار عند التنظير للمنهج .كما يعتبر الكتاب المدرسي أحد مكونات المنهج الرسمي فهو يشكل المحتوى الدراسي إلا أنه يعد من أهم مصادر أو مكونات المنهج الخفي فما يحويه من رسائل أو رسوم أو أشكال تنعكس سلباً أو إيجاباً على خبرات أبنائنا الطلاب. ومثال ذلك ما يرد في طياته من عبارات تسيء للأخر ولدينه ومعتقداته ، والتركيز في على الجوانب المعرفية على حساب الجوانب المهارية والوجدانية فينعكس ذلك سلباً على خلفيات الطلاب وتوجهاتهم المستقبلية.

النتائج المتعلقة بالسؤال الخامس: للإجابة على السؤال الخامس "ما الشروط والمعايير اللازم توافرها

في عناصر المنهج (الأهداف التربوية، المحتوى، الأنشطة المنهجية واللامنهجية، طرق وأساليب وممارسات التدريس، التقويم) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي؟" قام الباحث بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة كما هو موضح في الجداول ذات الأرقام (٧) ، (٨) ، (٩) ، (١٠) ، (١١) :

أولاً: الأهداف التربوية:

جدول (٧) : استجابات أفراد العينة حول الشروط والمعايير اللازم توافرها في عنصر (الأهداف التربوية) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
1	أن تصاغ أهداف وجدانية متدرجة في المستويات الخمسة (الاستقبال والاستجابة والتقييم والتنظيم وتمثل القيمة).	3.39	1.26	**متوسطة**
2	أن يصف الهدف الوجداني السلوك الذي يحتمل أن يقوم به الطالب الذي تحقق لديه ذلك الهدف مثل : (يقدم المساعدة لأستاذه وزملائه بدافع من ذاته) .	2.96	1.37	**متوسطة**
3	أن تكون الأهداف التربوية مرتبطة بحياة الطالب اليومية .	4.26	0.63	**عالية جداً**
4	أن تكون الأهداف التربوية مرتبطة باحتياجات المجتمع الذي يعيش فيه الطالب .	4.37	0.61	**عالية جداً**
5	أن تتضمن الأهداف التربوية قيماً إنسانية كالحب والتسامح والتعايش واحترام الآخر،	4.23	0.62	**عالية جداً**
6	أن تنسجم الأهداف مع المنظومة القيمية للمجتمع .	4.38	0.75	**عالية جداً**
7	أن تشير الأهداف إلى التكيف الشخصي للطالب مع ذاته مثل: (أن يقدم الطالب العرض التقديمي بتلقائية دون أن تسيطر عليه مشاعر القلق والتوتر)	4.24	0.63	**عالية جداً**
8	أن تشير الأهداف إلى التكيف الاجتماعي للطالب مع زملائه ومع من يتعاملون معه بشكل عام مثل: (أن يشيد الطالب بزملائه اللذين اشتركوا معه في مشروع التخرج).	4.15	0.96	**عالية**
	المتوسط العام	**4.00**	**0.85**	**عالية**

من الجدول (٧) نجد أن متوسط استجابات أفراد العينة حول أبرز الشروط والمعايير اللازم توافرها في عناصر المنهج (الأهداف التربوية) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي بلغ (٤,٠٠) وبلغ الانحراف المعياري الكلى (٠,٨٥) والمتوسط يقع ضمن الفترة (٣,٤٠ إلى أقل من ٤,٢٠) والمتوسط في هذه الفترة حسب التدرج الخماسي يشير إلى أن درجة موافقة عالية . وبالنظر إلى متوسطات استجابات أفراد العينة حول الشروط والمعايير اللازم توافرها في (الأهداف التربوية) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي نجد أنها تراوحت ما بين موافقة عالية وعالية جداً ماعدا المعيار الأول والثاني حيث كانت متوسطات الاستجابة عليها تقع ضمن الفترة (٢,٦٠

إلى أقل من ٣,٤٠) مما يشير إلى درجة الموافقة المتوسطة على هذه الشروط والمعايير وهذا يعني أنه سيتم استبعادها عند بناء النموذج المقترح .

ثانياً: المحتوى:

جدول (٨) : استجابات أفراد العينة حول الشروط والمعايير اللازم توافرها في عنصر (المحتوى) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
1	أن يتضمن محتوى الكتاب الجامعي مجموعة من الرسائل الضمنية الإيجابية مثل (التعاون يقود إلى النجاح)، (يمكن الوصول للهدف بأكثر من طريقة).	4.14	0.95	**عالية**
2	أن يتم اختيار الصور والأشكال في الكتب الجامعية بما يعزز الهوية الدينية والهوية الوطنية .	4.43	0.61	**عالية جداً**
3	أن يساعد محتوى الكتاب الجامعي على تنمية قيم التعلم الذاتي.	4.35	0.72	**عالية جداً**
4	أن يساعد محتوى الكتاب الجامعي في تنمية قيم التفكير.	4.27	0.79	**عالية جداً**
5	أن يتضمن المحتوى شواهد وأمثلة من البيئات المختلفة للطلاب .	4.35	0.72	**عالية جداً**
6	أن يساعد محتوى الكتاب الجامعي في الشعور بالمشكلات الحياتية .	4.49	0.59	**عالية جداً**
7	أن يخلو محتوى الكتاب الجامعي من التحيز لأفكار وتصورات ومنتجات معينة ويتيح للطالب فرصة النقد وبناء الاتجاه.	4.14	0.83	**عالية**
8	أن يخلو محتوى الكتاب الجامعي من كل ما يتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي المعتدل .	4.42	0.64	**عالية جداً**
9	أن يشير محتوى الكتاب الجامعي إلى الصورة المأمولة والصورة الواقعية عند استعراض المواقف والأحداث والظواهر والسلوكيات والقيم.	4.18	0.77	**عالية**
10	أن يلبي المحتوى حاجات الطلاب وميولهم.	4.19	0.71	**عالية**
11	أن يلبي المحتوى حاجات المجتمع ومشكلاته.	4.44	0.64	**عالية جداً**
12	أن ينمي المحتوى القيم والاتجاهات الايجابية و المهارات الحياتية لدى الطلاب.	4.11	0.79	**عالية**
	المتوسط العام	**4.29**	**0.73**	**عالية جداً**

من الجدول (٨) نجد أن متوسط استجابات أفراد العينة حول أبرز الشروط والمعايير اللازم توافرها في (المحتوى) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي بلغ (٤,٢٩) وبلغ الانحراف المعياري الكلى (٠,٧٣) والمتوسط يقع ضمن الفترة (٤,٢٠ إلى ٥) والمتوسط في هذه الفترة حسب التدرج الخماسي يشير إلى أن درجة موافقة عالية جداً. وبالنظر إلى متوسطات استجابات أفراد العينة حول الشروط والمعايير اللازم توافرها في عناصر المنهج (المحتوى) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي نجد أنها تراوحت ما بين موافقة عالية وعالية جداً.

ثالثاً: الأنشطة المنهجية واللامنهجية:

جدول (٩) : استجابات أفراد العينة حول الشروط والمعايير اللازم توافرها في عنصر (الأنشطة المنهجية واللامنهجية) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
1	أن تساهم الأنشطة في تحقيق الأهداف القيمية للمنهج الخفي.	4.02	0.75	**عالية**
2	أن تسهم الأنشطة في تكوين شخصية الطلاب والكشف عن مواهبهم وميولهم و تنمية مهاراتهم.	4.35	0.76	**عالية جداً**
3	أن تتنوع الأنشطة بحيث تشمل الأنشطة (التعاونية ، الفردية) .	4.35	0.73	**عالية جداً**
4	أن تستوعب الأنشطة جميع طلاب الجامعة على اختلاف تخصصاتهم واهتماماتهم وأنماط تعلمهم	4.10	0.80	**عالية**
5	أن تتضمن الأنشطة توثيق الروابط الأخوية بين الطلاب و تقوية روح التآلف والتعاون و المحبة بينهم	4.10	0.80	**عالية**
6	أن تحقق الأنشطة فرصاً للتواصل بين الطلاب و المجتمع (الزيارات والرحلات والتدريب العملي)	3.32	0.63	**متوسطة**
7	أن توفر الأنشطة فرصاً حقيقية للطلاب للقيام بدور عضو هيئة التدريس مع زملائهم أو مع الطلاب المستجدين في الكليات المختلفة	3.32	0.68	**متوسطة**
8	أن تساهم الأنشطة في إكساب الطلاب الثقة بالنفس والقدرة على تحمل المسؤولية.	4.28	0.76	**عالية جداً**
المتوسط العام		**3.98**	**0.74**	**عالية**

من الجدول (٩) نجد أن متوسط استجابات أفراد العينة حول أبرز الشروط والمعايير اللازم توافرها في (الأنشطة المنهجية واللامنهجية) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي بلغ (٣,٩٨) وبلغ الانحراف المعياري الكلى (٠,٧٤) والمتوسط يقع ضمن الفترة (٣,٤٠ إلى أقل من ٤,٢٠) والمتوسط في هذه الفترة حسب التدرج الخماسي يشير إلى أن درجة موافقة أفراد العينة على ما ذكر بالمحور من الشروط والمعايير كانت عالية. وبالنظر إلى متوسطات استجابات أفراد العينة حول الشروط والمعايير اللازم توافرها في (الأنشطة المنهجية واللامنهجية) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي نجد أنها تراوحت ما بين موافقة عالية وعالية جداً ماعدا المعيار السادس والسابع حيث كانت متوسطات الاستجابة عليها تقع ضمن الفترة (٢,٦٠ إلى أقل من ٣,٤٠) مما يشير إلى درجة الموافقة المتوسطة على هذه الشروط والمعايير وهذا يعني أنه سيتم استبعادها عند بناء النموذج المقترح .

رابعاً: طرق وأساليب وممارسات التدريس:

جدول (١٠) : استجابات أفراد العينة حول الشروط والمعايير اللازم توافرها في (طرق وأساليب وممارسات التدريس) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
1	أن يقدم عضو هيئة التدريس المفاهيم والنظريات والقوانين ويؤكد على عنصري (المعنى والأهمية).	4.20	0.89	**عالية جداً**
2	أن تتيح طرق التدريس المستخدمة فرصاً للحوار والمناقشة مع الطلاب.	4.32	0.65	**عالية جداً**
3	أن يتم استخدام طرق تدريس تعاونية ترسخ قيم المشاركة وتحمل المسؤولية والالتزام بالدور.	4.41	0.69	**عالية جداً**
4	أن يتم استخدام طرق تدريس تستثير التفكير وتساعد على حل المشكلات الحياتية.	4.46	0.76	**عالية جداً**
5	أن يلتزم عضو هيئة التدريس بمقومات القدوة الحسنة ومنها: الجدية والإنضباط والإخلاص والصدق.	4.19	0.76	**عالية**
6	أن يلتزم عضو هيئة التدريس بمقومات القوة الأكاديمية ومنها: التمكن وقيادة الصف ومهارات الشرح والتواصل.	3.38	0.78	**متوسطة**
7	أن يلتزم عضو هيئة التدريس بالمقومات الشخصية ومنها: حسن المظهر والبشاشة والهدوء والثقة بالنفس وحسن التصرف.	3.98	0.85	**عالية**
8	أن يلتزم عضو هيئة التدريس بمقومات التفاعل الاجتماعي الفعال ومنها: التواضع والصبر والديمقراطية والتشجيع واحترام مشاعر الطلاب وعقائدهم ومنطلقاتهم الثقافية.	4.10	0.78	**عالية**
9	أن يؤكد عضو هيئة التدريس لطلابه أن الأخطاء هي جزء من التعلم.	4.22	0.99	**عالية جداً**
10	أن يمنح عضو هيئة التدريس الفرصة لطلابه للعب دور العلماء.	3.30	1.13	**متوسطة**
	المتوسط العام	**4.06**	**0.83**	**عالية**

من الجدول (١٠) نجد أن متوسط استجابات أفراد العينة حول أبرز الشروط والمعايير اللازم توافرها في (طرق وأساليب وممارسات التدريس) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي بلغ (4.06) وبلغ الانحراف المعياري الكلى (٠,٨٣) والمتوسط يقع ضمن الفترة (3.40 إلى أقل من ٤,٢٠) والمتوسط في هذه الفترة حسب التدرج الخماسي يشير إلى أن درجة موافقة أفراد العينة على ما ذكر بالمحور كانت عالية. وبالنظر إلى متوسطات استجابات أفراد العينة حول الشروط والمعايير اللازم توافرها في عناصر المنهج (طرق وأساليب وممارسات التدريس) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي نجد أنها تراوحت ما بين موافقة عالية وعالية جداً ماعدا المعيار السادس والعاشر حيث كانت متوسطات الاستجابة عليها تقع ضمن الفترة (٢,٦٠ إلى أقل من ٣,٤٠) مما يشير إلى درجة الموافقة المتوسطة على هذه الشروط والمعايير وهذا يعني أنه سيتم استبعادها عند بناء النموذج المقترح .

خامساً: التقويم:

جدول (١١) : استجابات أفراد العينة حول الشروط والمعايير اللازم توافرها في عنصر (التقويم) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
1	أن يتم تحليل الرسائل الضمنية التي يتضمنها المحتوى المعرفي الكتاب الجامعي.	4.11	0.94	**عالية**
2	التدقيق في الرسائل الضمنية التي تتضمنها الصور والأشكال في الكتاب الجامعي.	4.04	0.81	**عالية**
3	أن يتم تقويم الممارسات التدريسية (الإيجابية والسلبية) وأثرها على الطلاب.	3.85	1.01	**عالية**
4	أن يستخدم عضو هيئة التدريس طرقاً متنوعة لتوزيع الدرجات.	4.06	0.90	**عالية**
5	أن يتم تقويم الآثار الايجابية والسلبية للنظام الجامعي .	3.80	1.23	**عالية**
6	أن يستخدم عضو هيئة التدريس التقويم (محكي المرجع ، فردي المرجع).	3.47	1.37	**عالية**
7	أن يتضمن التقويم أدوات مقننة لقياس نواتج التعلم الوجدانية (الميول والاتجاهات).	3.44	1.35	**عالية**
8	تتضمن عمليات التقويم استخدام أدوات مقننة لقياس مستوى القيم لدى الطلاب.	3.19	1.35	**متوسطة**
9	تفعيل أساليب وأدوات التقويم البديل.	3.57	1.10	**عالية جداً**
10	أن يدعم التقويم فكرة المنافسة مع الذات ومنافسة الجماعة للجماعة بدلاً من المنافسة الفردية بين الأقران.	3.33	1.26	**متوسطة**
11	اسنخدام أدوات تقويم توفر معلومات نوعية حول سلوك الطلاب وميولهم ومعتقداتهم ومنها (المقابلة ، الملاحظة بالمعايشة).	3.04	1.46	**متوسطة**
12	أن يكون التقويم من أجل تعديل المسار وليس من أجل إصدار الأحكام.	4.40	0.76	**عالية جداً**
	المتوسط العام	**3.69**	**1.13**	**عالية**

من الجدول (١١) نجد أن متوسط استجابات أفراد العينة حول أبرز الشروط والمعايير اللازم توافرها في عنصر (التقويم) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي بلغ (٣,٦٩) وبلغ الانحراف المعياري الكلى (١,١٣) والمتوسط يقع ضمن الفترة (٣,٤٠ إلى أقل من ٤,٢٠) والمتوسط في هذه الفترة حسب التدرج الخماسي يشير إلى أن درجة موافقة أفراد العينة على ما ذكر بالمحور كانت عالية. وبالنظر إلى متوسطات استجابات أفراد العينة حول الشروط والمعايير اللازم توافرها في عناصر المنهج (التقويم) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي نجد نجد أنها تراوحت ما بين موافقة عالية وعالية جداً ماعدا المعايير ذات الأرقام (٨ ، ١٠ ، ١١) حيث كانت متوسطات الاستجابة عليها تقع ضمن الفترة (٢,٦٠ إلى أقل من ٣,٤٠) مما يشير إلى درجة الموافقة المتوسطة على هذه الشروط والمعايير، وهذا يعني أنه سيتم استبعادها عند بناء النموذج المقترح. والشكل (١) : يوضح المتوسطات الحسابية للمحاور الخمسة:

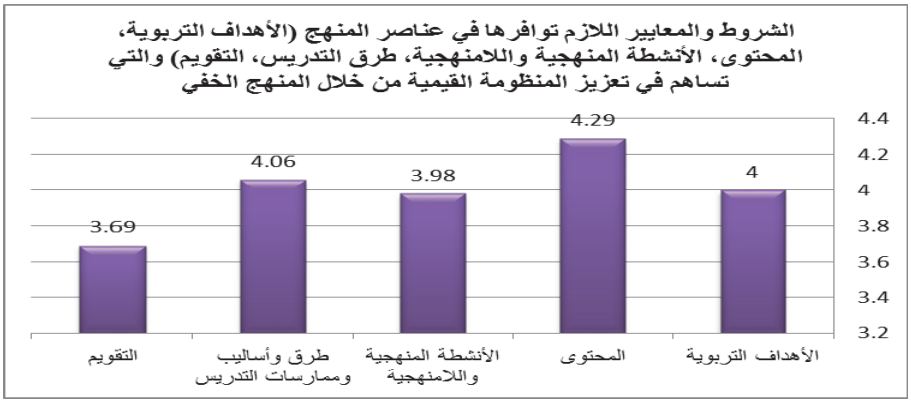

شكل (١) : المتوسطات الحسابية للمحاور الخمسة

النتائج المتعلقة بالسؤال السادس: للإجابة على السؤال السادس "ما مدى اختلاف استجابات المختصين في تحديدهم للشروط والمعايير الخاصة بعناصر المنهج والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي باختلاف متغير (الدرجة العلمية، التخصص، الخلفية المعرفية في مجال المنهج الخفي، الخلفية المعرفية في مجال القيم) " تم إجراء اختبار تحليل التباين (ANOVA) كما بالجداول (١٢، ١٣، ١٤، ١٥).

أولاً: الدرجة العلمية:

جدول (١٢) : تحليل التباين (ANOVA) للفروق بين استجابات أفراد العينة حول محاور أداة الدراسة تبعاً لمتغير الدرجة العلمية

المحاور الرئيسة	مصدر الاختلاف	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (F)	مستوى الدلالة
مبررات ضرورة بناء نموذج يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي	**بين المجموعات**	57.872	3	19.291	.897	.445
	داخل المجموعات	2279.846	106	21.508		
المصادر التي يمكن من خلالها اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي	**بين المجموعات**	519.249	3	173.083	1.998	.113
	داخل المجموعات	9182.242	106	86.62492		
الشروط والمعايير اللازم توافرها في عناصر المنهج والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي	**بين المجموعات**	1779.388	3	593.129	2.091	.106
	داخل المجموعات	30063.530	106	283.618		
الدرجة الكلية	**بين المجموعات**	2161.308	3	720.436	1.299	.116
	داخل المجموعات	58767.383	106	554.4093		

من الجدول (١٢): نجد أن جميع قيم (F) كانت غير دالة احصائياً لجميع المحاور وللدرجة الكلية مما يعني أنه لا توجد فروق في استجابات أفراد العينة حول (المبررات، المصادر، شروط ومعايير عناصر المنهج) تبعاً لمتغير الدرجة العلمية ؛ ولذلك يتم قبول الفرض الأول.

ثانياً: التخصص الدقيق:

جدول (١٣) : تحليل التباين (ANOVA) للفروق في استجابات أفراد العينة حول محاور أداة الدراسة تبعاً لمتغير التخصص الدقيق

المحاور الرئيسة	مصدر الاختلاف	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (F)	مستوى الدلالة
مبررات ضرورة بناء نموذج يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي	بين المجموعات	301.483	11	27.408	1.319	.225
	داخل المجموعات	2036.235	98	20.778		
المصادر التي يمكن من خلالها اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي	بين المجموعات	905.568	11	82.324	.872	.570
	داخل المجموعات	9255.923	98	94.448		
الشروط والمعايير اللازم توافرها في عناصر المنهج والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي	بين المجموعات	2961.304	11	269.209	.913	.531
	داخل المجموعات	28881.614	98	294.710		
الدرجة الكلية	بين المجموعات	6159.963	11	559.997	.937	.509
	داخل المجموعات	58568.728	98	597.640		

من الجدول (١٣) نجد أن جميع قيم (F) كانت غير دالة احصائياً لجميع المحاور وللدرجة الكلية مما يعني أنه لا توجد فروق في استجابات أفراد العينة حول (المبررات، المصادر، شروط ومعايير عناصر المنهج) تبعاً لمتغير التخصص العلمي الدقيق؛ ولذلك يتم قبول الفرض الثاني.

ثالثاً: الخلفية المعرفية في مجال المنهج الخفي:

جدول (١٤) : تحليل التباين (ANOVA) للفروق في استجابات أفراد العينة حول محاور أداة الدراسة تبعاً لمتغير الخلفية المعرفية في مجال المنهج الخفي

المحاور الرئيسة	مصدر الاختلاف	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (F)	مستوى الدلالة
مبررات ضرورة بناء نموذج يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي	بين المجموعات	23.536	4	5.884	.267	.899
	داخل المجموعات	2314.182	105	22.040		
المصادر التي يمكن من خلالها اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي	بين المجموعات	351.352	4	87.838	.940	.444
	داخل المجموعات	9810.139	105	93.430		
الشروط والمعايير اللازم توافرها في عناصر المنهج والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي	بين المجموعات	545.773	4	136.443	.458	.767
	داخل المجموعات	31297.146	105	298.068		
الدرجة الكلية	بين المجموعات	166.526	4	41.631	.068	.991
	داخل المجموعات	64562.165	105	614.878		

من الجدول (١٤) نجد أن جميع قيم (F) كانت غير دالة احصائياً لجميع المحاور وللدرجة الكلية مما يعني أنه لا توجد فروق في استجابات أفراد العينة حول (المبررات، المصادر، شروط ومعايير عناصر المنهج) تبعاً لمتغير الخلفية المعرفية في مجال المنهج الخفي؛ ولذلك يتم قبول الفرض الثالث.

رابعاً: الخلفية المعرفية في مجال القيم :

جدول (١٥) : تحليل التباين (ANOVA) للفروق في استجابات أفراد العينة حول محاور أداة الدراسة تبعاً لمتغير الخلفية المعرفية في مجال القيم

المحاور الرئيسة	مصدر الاختلاف	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (F)	مستوى الدلالة
مبررات ضرورة بناء نموذج يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي	**بين المجموعات**	42.596	4	10.649	.487	.745
	داخل المجموعات	2295.122	105	21.858		
المصادر التي يمكن من خلالها اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي	**بين المجموعات**	332.771	4	83.193	.889	.473
	داخل المجموعات	9828.720	105	93.607		
الشروط والمعايير اللازم توافرها في عناصر المنهج والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي	**بين المجموعات**	455.232	4	113.808	.381	.822
	داخل المجموعات	31387.686	105	298.930		
الدرجة الكلية	**بين المجموعات**	1120.282	4	280.070	.462	.763
	داخل المجموعات	63608.409	105	605.794		

من الجدول (١٥) نجد أن جميع قيم (F) كانت غير دالة احصائياً لجميع المحاور وللدرجة الكلية مما يعني أنه لا توجد فروق في استجابات أفراد العينة حول (المبررات، المصادر، شروط ومعايير عناصر المنهج) تبعاً لمتغير الخلفية المعرفية في مجال القيم؛ ولذلك يتم قبول الفرض الرابع.

النتائج المتعلقة بالسؤال السابع: للإجابة على السؤال السابع " ما صورة النموذج التخطيطي المقترح لتوظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي؟ " يتم الاستفادة من نتائج الأسئلة السابقة المتعلقة بـ (الأسس النظرية، المبررات، المصادر، شروط ومعايير عناصر المنهج)

هذا النموذج كما أسلفنا عبارة عن سلسلة من الخطوات المنطقية التي تبدأ بالأساس النظري للمنهج الخفي وتحديد مصادر اشتقاق الأهداف وتنتهي بالتقويم وتقديم التغذية الراجعة اللازمة لتعديل المسار، وهذا النموذج بما يحتويه من خطوات وعناصر يستهدف توظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية لدى طلاب وطالبات التعليم العالي و يسير جنباً إلى جنب مع نماذج بناء المنهج الصريح . وفيما يلي عرض لهذه الخطوات:

الأسس النظرية للنموذج:

يقترح الباحث مجموعة من الأسس والمبادئ النظرية للنموذج المقترح تتمثل فيما يلي:

١. إن تعلم القيم قد يتم بطريقة غير مقصودة وقد يتم بطريقة مقصودة من قبل الطالب.

٢. إن تأثر الطالب بالقيم التي يكتسبها بطريقة ضمنية أو غير مقصودة أكبر من تأثره بالقيم التي يكتسبها بطرق مقصودة ومخططة

٣. إن المتعلم يكتسب القيم من خلال مجموعة من المثيرات الطرفية (الانضباط والالتزام لدى عضو هيئة التدريس، مدى تفهم عضو هيئة التدريس لمشكلات طلابة كالتأخر والغياب عن الاختبارات،

البيئة المادية في القاعات الدراسية، الجدول الدراسي.....) التي ليست في بؤرة التركيز أثناء العملية التعليمية والتربوية.

٤. إن جميع عناصر المنهج تساهم بدرجات متفاوتة في تنمية وتعزيز القيم لدى الطلاب.

٥. تصل القيم للمتعلم من خلال المنهج الخفي بطريقة غير مخططة وقد تصل إليه بطريقة مخططة وقصدية ولكن المتعلم يتشربها في كلا الحالتين بطريقة غير مقصودة أو عفوية كما أسلفنا ولذلك فهي ضمنية أو مستترة بالنسبة للمتعلم ولكن ليس شرطاً أن تكون كذلك بالنسبة لمخططي المنهج ومنفذيه.

٦. تختلف القيم التي يكتسبها الطالب باختلاف المكان والزمان وباختلاف المقررات التي يدرسها.

مبررات بناء النموذج:

١. إن نماذج المنهج ركزت على النواتج المقصودة وتجاهلت النواتج غير المقصودة التي تظهر نتيجة لمصادر أخرى غير المناهج الرسمية والمخططة.

٢. إن المنهج يتعدى مفهوم التعليم المنظم والخبرات التربوية المقصودة إلى مجمل المعارف والقيم ولاتجاهات و الخبرات المباشرة وغير المباشرة داخل الجامعة و خارجها.

٣. إن بناء نموذج لتوظيف المنهج الخفي في تعزيز القيم يساعد على احتواء آثاره السلبية على سلوك الطلاب وتعزيز آثاره الإيجابية.

٤. إن المتعلم أثناء تنفيذ المنهج يمر بخبرات مصاحبة جنباً إلى جنب مع خبرات المنهج المخطط، ولا ينبغي أن يتجاهلها المتخصصين في تخطيط المنهج وكذلك أعضاء هيئة التدريس في مرحلة تنفيذ المنهج.

٥. إن تأثير المنهج الخفي على سلوكيات طالب الجامعة أكبر من تأثير المنهج الرسمي.

٦. إن بناء نموذج لتوظيف المنهج الخفي في تعزيز القيم يساعد في مواجهة التحديات التي تواجه العملية التعليمية في الجامعة كالتطرف والغلو وسيطرة وسائل التواصل الاجتماعي.

٧. إن عناصر العملية التربوية في الجامعة كعضو هيئة التدريس ومحتوى الكتاب الجامعي وطرق التدريس ووسائل التقويم كلها تفرز مناهج خفية وتترك آثاراً إيجابية أو سلبية لدى المتعلم فتشجعه أو تحده من التعلم، ومن هذا المنطلق يجب عند التنظير للمنهج أخذ إفرازاتها الخفية بعين الاعتبار.

٨. إن المنهج الخفي يعبر عن المجتمع وثقافته ومشكلاته كما يعبر عنه المنهج الرسمي المخطط.

٩. أن تعديل السلوك عن طريق عملية التعلم هو محصلة لتأثيرات المنهجين الرسمي والخفي.

١٠. إن المنهج الخفي يسهل عمل الجامعة و الجهاز التربوي كك، ويساعد في إرساء النظام، وتنمى من خلاله معظم القيم السليمة التي ينادي بها المجتمع، و يسهم في تحقيق التربية الخلقية للمتعلمين.

المصادر التي يمكن من خلالها اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي:

١. ثقافة المتعلم.

٢. خلفيات أعضاء هيئة التدريس ومستوى إعدادهم العلمي والمهني .

٣. الممارسات التدريسية وتشمل (طرق التدريس التي يستخدمها عضو هيئة التدريس، طريقة عضو هيئة التدريس في تقديم المعارف والمهارات، أسلوب عضو هيئة التدريس في التعامل مع الطلاب ومشكلاتهم المختلفة).

٤. الكتاب الجامعي بما يحويه من رسائل أو رسوم أو أشكال.

٥. النظام الجامعي (معايير القبول وتسجيل المقررات ومتطلبات السنة التحضيرية و.....) ، الإدارة الجامعية ومدى تجاوبها مع مطالب الطلاب ومشكلاتهم.

٦. النشاط المنهجي و النشاط اللامنهجي (أنشطة عمادة شؤون الطلاب وأنشطة الكليات والأندية الطلابية).

٧. الخلفية العلمية والثقافية للوالدين.

٨. النظام القيمي في المجتمع.

٩. طبيعة التنافس بين الأقران.

١٠. أساليب تقويم الطلاب وكيفية توزيع الدرجات.

١١. القاعات الدراسية وظروفها الفيزيقية وطريقة تنظيمها وما تحويه من تقنيات وتجهيزات.

تحليل مصادر المنهج الخفي في البيئة الجامعية:

ويتم تحليل هذه المصادر والتعرف على إفرازاتها الخفية من خلال أدوات علمية مقننة ومنها (الملاحظة المنظمة ، الملاحظة المفتوحة بالمعايشة، الاستبيان المغلق والمفتوح، الاختبارات، المقابلة، تحليل المحتوى) وعلى سبيل المثال يمكن رصد الممارسات التدريسية من خلال استطلاع آراء الطلاب أو من خلال الملاحظة. ويمكن الكشف عن الرسائل الضمنية في الكتاب الجامعي من خلال استخدام تحليل المحتوى وهكذا.

تحديد منظومة القيم (الإيجابية والسلبية):

من خلال تحليل مصادر المنهج الخفي يظهر لنا مجموعة القيم (الإيجابية والسلبية) التي يفرزها كل مصدر وعلى سبيل المثال عندما نرصد من استطلاعات الرأي أن عضو هيئة التدريس يتواجد قبل بداية المحاضرة ويحرص على استكمال وقت المحاضرة فإننا نحدد القيمة التي يكتسبها الطلاب بطريقة خفية من خلال هذا السلوك وهي قيمة (احترام الوقت).

وإذا رصدنا من خلال الملاحظة أن عضو هيئة التدريس يقوم بحل المسائل والتمارين الرياضية بنفسه دون أن يشرك الطلاب في ذلك فإننا نحدد القيمة التي يكتسبها الطلاب بطريقة خفية من خلال هذا السلوك وهي قيمة (التواكل وعدم القدرة على تحمل المسؤولية).

صياغة الأهداف القيمية:

بالاعتماد على مجموعة القيم التي تم تحديدها في الخطوة السابقة يتم صياغة الأهداف القيمية التي تعزز القيم الإيجابية وصياغة الأهداف القيمية التي تخفف من آثار القيم السلبية ومن خلال استطلاع آراء المختصين تم تحديد المعايير والشروط التي يجب توافرها في عنصر (الأهداف التربوية) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي:

١. أن تكون الأهداف التربوية مرتبطة بحياة الطالب اليومية.

٢. أن تكون الأهداف التربوية مرتبطة باحتياجات المجتمع الذي يعيش فيه الطالب.

٣. أن تتضمن الأهداف التربوية قيماً إنسانية كالحب والتسامح والتعايش واحترام الآخر، .....

٤. أن تنسجم الأهداف مع المنظومة القيمية للمجتمع .

٥. أن تشير الأهداف إلى التكيف الشخصي للطالب مع ذاته مثل: (أن يقدم الطالب العرض التقديمي بتلقائية دون أن تسيطر عليه مشاعر القلق والتوتر)

٦. أن تشير الأهداف إلى التكيف الاجتماعي للطالب مع زملائه ومع من يتعاملون معه بشكل عام مثل : (أن يشيد الطالب بزملائه اللذين اشتركوا معه في مشروع التخرج) .

تحديد الخبرات التربوية المصاحبة أو الموازية:

في ضوء الأهداف التي تم التوصل لها، وفي ضوء محتوى الكتاب الجامعي يتم تحديد مجموعة من الخبرات التربوية المصاحبة وعند اختيار هذه الخبرات يجب مراعاة المعايير التالية:

١. أن تكون متنوعة ومستمرة .

٢. الارتباط بالأهداف والمحتوى .

٣. التوازن بين حاجات الفرد وحاجات المجتمع .

٤. أن تكون موجهة نحو تعزيز الجانب القيمي لدى المتعلم.

تفعيل الخبرات التربوية المصاحبة أو الموازية:

يقترح النموذج طرقاً متنوعة لتفعيل الخبرات التربوية المصاحبة ومنها:

أ. الأنشطة المنهجية والأنشطة اللامنهجية:

وهناك مجموعة من الشروط والمعايير اللازم توافرها في (الأنشطة المنهجية واللامنهجية) لكي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي وهذه الشروط والمعايير هي:

١. أن تساهم الأنشطة في تحقيق الأهداف القيمية للمنهج الخفي.

٢. أن تسهم الأنشطة في تكوين شخصية الطلاب والكشف عن مواهبهم وميولهم و تنمية مهاراتهم.

٣. أن تتنوع الأنشطة بحيث تشمل الأنشطة (التعاونية، الفردية) .

٤. أن تستوعب الأنشطة جميع طلاب الجامعة على اختلاف تخصصاتهم واهتماماتهم وأنماط تعلمهم.

٥. أن تتضمن الأنشطة توثيق الروابط الأخوية بين الطلاب و تقوية روح التآلف والتعاون و المحبة بينهم.

٦. أن تساهم الأنشطة في إكساب الطلاب الثقة بالنفس والقدرة على تحمل المسؤولية.

ب. الممارسات التدريسية (الطرق والأساليب): وهناك مجموعة من الشروط والمعايير اللازم توافرها في (الطرق والأساليب والممارسات التدريسية) لكي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي وهذه الشروط والمعايير هي:

١. أن يقدم عضو هيئة التدريس المفاهيم والنظريات والقوانين ويؤكد على عنصري (المعنى والأهمية).

٢. أن تتيح طرق التدريس المستخدمة فرصاً للحوار والمناقشة مع الطلاب.

٣. أن يتم استخدام طرق تدريس تعاونية ترسخ قيم المشاركة وتحمل المسؤولية والالتزام بالدور.

٤. أن يتم استخدام طرق تدريس تستثير التفكير وتساعد على حل المشكلات الحياتية.

٥. أن يلتزم عضو هيئة التدريس بمقومات القدوة الحسنة ومنها: الجدية والإنضباط والإخلاص والصدق.

٦. أن يلتزم عضو هيئة التدريس بالمقومات الشخصية ومنها: حسن المظهر والبشاشة والهدوء والثقة بالنفس وحسن التصرف.

٧. أن يلتزم عضو هيئة التدريس بمقومات التفاعل الاجتماعي الفعال ومنها: التواضع والصبر والديمقراطية والتشجيع واحترام مشاعر الطلاب وعقائدهم ومنطلقاتهم الثقافية.

٨. أن يؤكد عضو هيئة التدريس لطلابه أن الأخطاء هي جزء من التعلم.

ج. التضمين من خلال محتوى الكتاب الجامعي : وهناك مجموعة من الشروط والمعايير اللازم توافرها في عنصر (المحتوى) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي وهذه الشروط والمعايير هي:

١. أن يتضمن محتوى الكتاب الجامعي مجموعة من الرسائل الضمنية الإيجابية مثل (التعاون يقود إلى النجاح)، (يمكن الوصول للهدف بأكثر من طريقة).

٢. أن يتم اختيار الصور والأشكال في الكتب الجامعية بما يعزز الهوية الدينية والهوية الوطنية.

٣. أن يساعد محتوى الكتاب الجامعي على تنمية قيم التعلم الذاتي.

٤. أن يساعد محتوى الكتاب الجامعي في تنمية قيم التفكير.

٥. أن يتضمن المحتوى شواهد وأمثلة من البيئات المختلفة للطلاب.

٦. أن يساعد محتوى الكتاب الجامعي في الشعور بالمشكلات الحياتية.

٧. أن يخلو محتوى الكتاب الجامعي من التحيز لأفكار وتصورات ومنتجات معينة ويتيح للطالب فرصة النقد وبناء الاتجاه.

٨. أن يخلو محتوى الكتاب الجامعي من كل ما يتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي المعتدل.

٩. أن يشير محتوى الكتاب الجامعي إلى الصورة المأمولة والصورة الواقعية عند استعراض المواقف والأحداث والظواهر والسلوكيات والقيم.

١٠. أن يلبي المحتوى حاجات الطلاب وميولهم.

١١. أن يلبي المحتوى حاجات المجتمع ومشكلاته.

١٢. أن ينمي المحتوى القيم والاتجاهات الايجابية و المهارات الحياتية لدى الطلاب.

د. القدوة : يمكن تفعيل الخبرات المصاحبة للعملية التربوية مثل اكتساب القيم الدينية والأخلاقية والاتجاهات الفكرية والسلوكية المرغوب فيها، عن طريق الاقتداء بالمعلم أو جماعة الرفاق ومن هنا يجب على المعلم الانتباه لهذا وأن يكون قدوة في الأمور المرغوبة.

هـ. القصة: يمكن لعضو هيئة التدريس سرد مجموعة من القصص المرتبطة بالمحتوى وفي نفس الوقت تؤسس لمنظومة القيم المرغوبة كالتسامح والتعايش والمثابرة والصبر وغيرها.

و. توظيف الأحداث :يمكن لعضو هيئة التدريس استغلال الأحداث وتوظيفها لترسيخ المحتوى من جهة ولتعزيز منظومة القيم المرغوبة من جهة أخرى ومن الأحداث التي يمكن استغلالها في ذلك (الأعمال الإغاثية لمركز الملك سلمان بن عبدالعزيز، مشروع نيوم والقدية، فوز نادي الهلال السعودي بالبطولة الأسيوية، اليوم العالمي للتطوع، .....)

ز. البيئة التعليمية :تساهم البيئة التعليمية المادية بما تحويه من تجهيزات ومواد وبما تتضمنه من ظروف فيزيقية مناسبة للتعلم (الإضاءة، التهوية، درجة الحرارة ، .....) في إرسال رسائل ضمنية تؤثر في تعلم الطلاب وإتجاهاتهم وقيمهم سلباً أو إيجاباً. فالبيئة المادية السيئة ترسل للطالب رسالة مفادها (أنت لست مهم بالنسبة لنا) وهذا قد يغرس فيه قيماً سلبية كالاحباط والشعور بالظلم .كما أن البيئة التعليمية بمكونها النفسي والاجتماعي تلعب دوراً كبيراً في غرس القيم وترسيخها لدى الطلاب. ولضمان مساهمتها في دعم منظومة القيم الإيجابية يجب إزالة عوامل التهديد بجميع أنواعها كالسخرية والإذلال والتسلط وغيرها. وتوفير مواقف التفاعل الاجتماعي بين الطلاب من جهة وبين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس من جهة أخرى.

تقويم فاعلية الخبرات التربوية المصاحبة أو الموازية:

وهناك مجموعة من الشروط والمعايير اللازم توافرها في عنصر (التقويم) والتي تساهم في تعزيز

المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي وهذه الشروط والمعايير هي:

١. أن يتم تحليل الرسائل الضمنية التي يتضمنها المحتوى المعرفي الكتاب الجامعي.

٢. التدقيق في الرسائل الضمنية التي تتضمنها الصور والأشكال في الكتاب الجامعي.

٣. أن يتم تقويم الممارسات التدريسية (الإيجابية والسلبية) وأثرها على الطلاب.

٤. أن يستخدم عضو هيئة التدريس طرقاً متنوعة لتوزيع الدرجات.

٥. أن يتم تقويم الآثار الايجابية والسلبية للنظام الجامعي.

٦. أن يستخدم عضو هيئة التدريس التقويم (محكي المرجع، فردي المرجع).

٧. أن يتضمن التقويم أدوات مقننة لقياس نواتج التعلم الوجدانية (الميول والاتجاهات).

٨. تفعيل أساليب وأدوات التقويم البديل.

٩. أن يكون التقويم من أجل تعديل المسار وليس من أجل إصدار الأحكام.

وبالنسبة لتقويم خبرات المنهج المستتر (اللقاني و فارعة: ٢٠٠١م ، ص ١٦٨ -١٦٩) فإن هذا يتطلب:

١. حصر ما قد يظهر من خبرات غير متوقعة.

٢. الاستعداد بأدوات تقويم خاصة لهذه الخبرات وتشمل مقاييس مقننة للكشف عن الميول والاتجاهات والاستبيان والملاحظة والاختبارات المقننة.

٣. الاستعداد لتنفيذ المنهج مع مجموعات أخرى من الطلاب.

٤. تكوين خبرات تراكمية بشأن كل خبرة من خبرات المنهج المستتر.

٥. الرجوع إلى مصادر المعرفة توسيعاً لمعارفه حول الخبرات غير المرئية.

٦. إصدار أحكام علمية دقيقة قدر الإمكان عن مدى استفادة الطلاب من هذه الخبرات.

٧. تعرف آراء الطلاب حول ما مروا به من خبرات غير متوقعة بأسلوب فردي و جماعي، و عن طريق التقارير المكتفى بها أو جلسات المناقشة و الاستماع.

٨. التغذية الراجعة بالنسبة لهذه الخبرات إذا ما مر بها الطلاب في مجموعات أخرى.

٩. تسجيل الملاحظات بشأن هذه الخبرات و إمداد خبراء التطوير بها لتوضع في الاعتبار عند تطوير المنهج الرسمي.

١٠. وضع كل ما يتعلمه الطلاب من الخبرات غير المتوقعة موضع الاعتبار في الامتحانات و في تقويم أداء الطلاب بأي شكل من الأشكال، و بالتالي فإن هذا الأمر يساعد على دعم اتجاهات الطلاب نحو هذه الخبرات جنباً إلى جنب مع الخبرات المتضمنة في المنهج الرسمي.

وبعد الاستعراض السابق لخطوات النموذج المقترح لتعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي نجمل ما ذكرناه سابقاً في الشكل التخطيطي التالي:

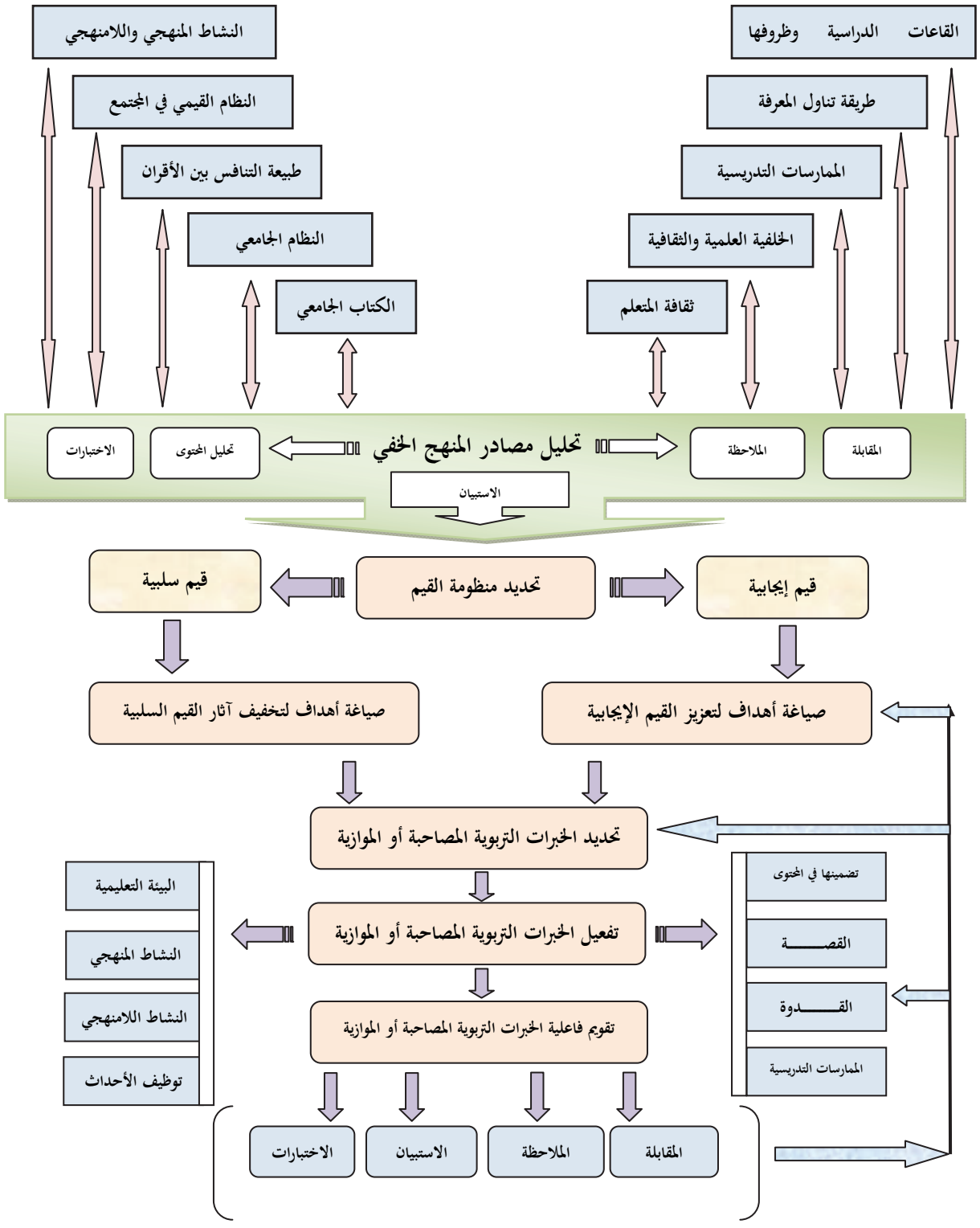

شكل (٢) : نموذج القرني (٢٠١٩) : نموذج تعزيز المنظومة القيمية من خلال توظيف المنهج الخفي

النتـائج المتعلقـة بالسـؤل الثـامن : للإجابـة علـى السؤال الثامن "كيف يمكن تطبيق النموذج المقترح فـي تعزيـز المنظومـة القيميـة مـن خـلال منـاهج الرياضيات ؟"

تطبيق النموذج في مناهج الرياضيات يكون بدراسة مصادر المنهج الخفي وتحليلها وتقويمها ومن هذه المصـادر (كتـب الرياضـيات، الممارسـات التدريسـية لمعلمـــي الرياضـــيات، اختبـــارات الرياضـــيات، .....) ، الخـروج بمنظومـة قيميـة تتناسـب مـع طبيعة الرياضيات وتراعي التكامل بينها وبين العلوم الأخرى، صـياغة الأهداف الوجدانيـة التـي تسـتهدف تنمية وتعزيز هذه المنظومة القيمية ، تحديد الخبرات التربوية (المباشرة ، غير المباشرة ، المصاحبة) حتى يمكـن اقتـراح الطـرق المناسـبة لتفعيـل الخبـرات المصـاحبة مـع ضـرورة التكامـل والتـوازن بـين أنـواع الخبـرات الـثلاث ، تقـويم فعاليـة الخبـرات التربويـة المصـاحبة من خـلال ادوات التقويم التـي تتلائم مـع الخبرة والسياق الذي تمت فيه .

وفيمـا يلـي أمثلـة تطبيقيـة لتعزيـز القيم فـي منـاهج الرياضـيات مـن خـلال الخبـرات التربويـة المصـاحبة للمنهج الخفي:

المثال الأول :

- النظام القيمي في المجتمع بعد دراسته وتحليله قد يظهـر لنـا مجموعـة مـن القيم ومـن ضـمنها: احتـرام العمل اليدوي، الإنجاز، الثقة بالنفس.
- صياغة الأهدف القيمية:

– أن يقدر الطلاب الأعمال اليدوية في المجتمع .
– أن يثق الطالب بقدرته على إنجاز عمل ما.
– أن يتولد لدى الطالب الشعور بالإنجاز.

- الخبـرة التربويـة غيـر المباشـرة : مشـاهدة المعلـم وهو يبني المجسمات ثلاثية الأبعاد.
- الخبـرة التربويـة المباشـرة: انخـراط الطـلاب فـي ورشة بناء المجسمات ثلاثية الأبعاد.
- الخبرة التربوية المصاحبة: ممارسة العمل اليدوي ترفـع درجـة الثقـة بـالنفس والشـعور بالإنجـاز لـدى الطلاب.
- طريقـة تفعيـل الخبـرة التربويـة المصـاحبة: يمكـن تفعيلها عن طريق النشاط المنهجي (بناء المجسمات ثلاثية الأبعاد) حيث ينخرط الطلاب في ورشة عمل لبنـاء مجسـم المكعـب وهنـا يحـدث التكامـل بـين الخبرات التربوية الثلاث.

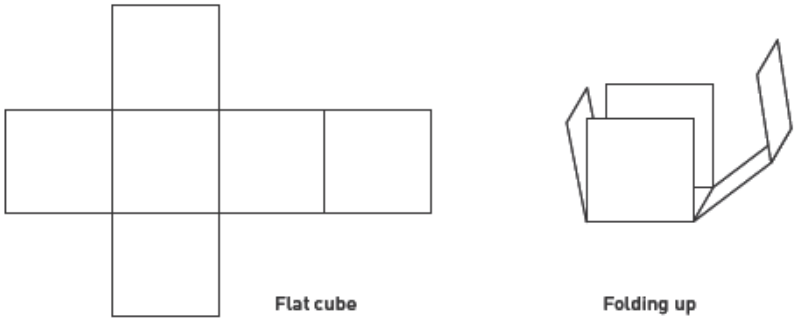

شكل (٣) : بناء المكعب

• تقويم الخبرة التربوية المصاحبة : الملاحظة ومراقبة ردود أفعال الطلاب وحالتهم الشعورية أثناء ممارسة العمل.

المثال الثاني:

• كتاب الرياضيات بعد دراسته وتحليله قد يظهر لنا مجموعة من القيم ومن ضمنها : تقدير الرياضيات، المرونة، الحساسية للمشكلات.

• صياغة الأهدف القيمية:

- أن يثمن الطالب دور الرياضيات في حياتنا اليومية.
- أن يشعر الطالب بوجود المشكلات من حوله.
- أن يقتنع الطالب بوجود عدة حلول للمشكلة الواحدة.

• الخبرة التربوية غير المباشرة: الاستماع لشرح المعلم حول حل نظام معادلتين من الدرجة الأولى في متغيرين.

• الخبرة التربوية المباشرة: استخدام ما تعلمه الطالب في حل المشكلة الرياضية التالية : يقوم مصنع بإنتاج كراسي ثلاثية الأرجل ومناضد رباعية الأرجل متوافقة مع الكراسي. والمصنع يستخدم نفس نوع الأرجل مع الكراسي والمناضد. وقد طلب من هذا المصنع إنتاج طلبية من ١٠٠ قطعة يلزمها ٣٤٠ رجل . فكم كرسي وكم منضدة سيقوم المصنع بإنتاجها ؟

• الخبرة التربوية المصاحبة : الشعور بوجود المشكلات هو بداية الطريق لحلها، المرونة والنظر للأمور من زوايا مختلفة، استخدامات الرياضيات كثيرة في حياتنا اليومية، التعاون يساعدنا على تجاوز المشكلات التي تواجهنا.

• طريقة تفعيل الخبرة التربوية المصاحبة: يمكن تفعيلها عن طريق الممارسات التدريسية وذلك عن طريق عرض سؤال مفتوح النهاية بعد استعراض المشكلة الرياضية السابقة (أذكر أكبر قدر ممكن من الطرق للوصول إلى عدد الكراسي والمناضد التي سيقوم المصنع بإنتاجها) حيث يبدأ الطلاب في طرح الطرق الممكنة للحل بعد تكوين مجموعات تعاونية غير متجانسة.

الحل الأول للطلاب: هذا الحل يكون بتطبيق المعلومات الجبرية حيث نفرض أن س = عدد الكراسي ثلاثية الأرجل، ص = عدد المناضد رباعية الأرجل ويكون نظام المعادلتين كالتالي:

س + ص= ١٠٠، ٣س+ ٤ص = ٣٤٠ وبحل هاتين المعادلتين يكون عدد الكراسي ٦٠ وعدد المناضد ٤٠

الحل الثاني للطلاب : هذا الحل يكون باستخدام إستراتيجية التخمين والتجريب:

جدول رقم (١٦) : إستراتيجية التخمين والتجريب في حل المسائل الرياضية

التخمين	المناضد		الكراسي		إجمالي عدد الأرجل
	العدد	الأرجل	العدد	الأرجل	
الأول	٨٠	٣٢٠	٢٠	٦٠	٣٨٠
الثاني	٧٠	٢٨٠	٣٠	٩٠	٣٧٠
الثالث	٦٠	٢٤٠	٤٠	١٢٠	٣٦٠
الرابع	٥٠	٢٠٠	٥٠	١٥٠	٣٥٠
الخامس	٤٠	١٦٠	٦٠	١٨٠	٣٤٠

ومن خلال الجدول السابق يظهر أن التخمين الخامس هو الصحيح.

الحل الثالث للطلاب : يكون هذا الحل من خلال تبسيط المسألة فالعددان (١٠٠، ٣٤٠) يبسطا إلى (١٠، ٣٤) ثم نرسم قطع الأثاث العشرة ولكل منها ثلاثة أرجل، وبهذا يكون عدد الأرجل ٣٠

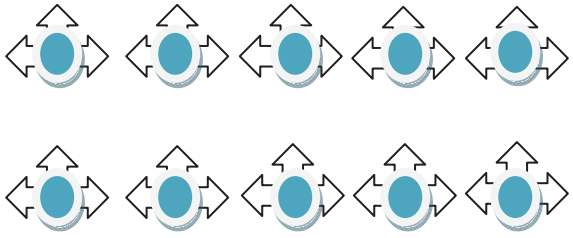

شكل (٤) : إستراتيجية التبسيط لحل المسائل الرياضية (١)

ويكون قد بقي ٤ أرجل تضاف إلى الأربعة قطع الأولى ليكون عندنا ٤ مناضد و ٦ كراسي وبالضرب في ١٠ يكون الحل ٤٠ منضدة ، و ٦٠ كرسياً.

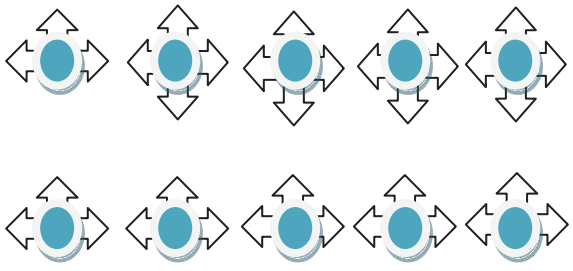

شكل (٥) : إستراتيجية التبسيط لحل المسائل الرياضية(٢)

ونجد أن الطرق المتعددة للحل تنمي قيمة (المرونة) ، والمجموعات الطلابية غير المتجانسة تنمي قيم (التعاون والالتزام بالدور وتحمل المسؤولية) والوصول للحل الصحيح ينمي قيمة (الشعور بالإنجاز) وطبيعة المشكلة الرياضية تنمي قيمة (تقدير الرياضيات ودوره الفعال في حياتنا اليومية).

• تقـويم الخبـرة التربويــة المصــاحبة : الملاحظــة ومراقبة ردود أفعال الطلاب وحالتهم الشعورية أثناء حل المشكلة الرياضية.

ملخص لأهم نتائج البحث:

١. إن بناء نموذج لتوظيف المنهج الخفي في تعزيز المنظومة القيمية أمر ملح للأسباب التالية:

• إن نماذج المنهج ركزت على النواتج المقصودة وتجاهلت النواتج غير المقصودة التي تظهر نتيجة لمصادر أخرى غير المناهج الرسمية والمخططة.

• إن المنهج يتعدى مفهوم التعليم المنظم والخبرات التربوية المقصودة إلى مجمل المعارف والقيم ولاتجاهات و الخبرات المباشرة وغير المباشرة داخل الجامعة و خارجها.

• إن بناء نموذج لتوظيف المنهج الخفي في تعزيز القيم يساعد على احتواء آثاره السلبية على سلوك الطلاب وتعزيز آثاره الإيجابية.

• إن المتعلم أثناء تنفيذ المنهج يمر بخبرات مصاحبة جنباً إلى جنب مع خبرات المنهج المخطط، ولا ينبغي أن يتجاهلها المتخصصين في تخطيط المنهج وكذلك أعضاء هيئة التدريس في مرحلة تنفيذ المنهج.

• إن عناصر العملية التربوية في الجامعة كعضو هيئة التدريس ومحتوى الكتاب الجامعي وطرق التدريس ووسائل التقويم كلها تفرز مناهج خفية وتترك آثاراً إيجابية أو سلبية لدى المتعلم فتشجعه أو تحده من التعلم، ومن هذا المنطلق يجب عند التنظير للمنهج أخذ إفرازاتها الخفية بعين الاعتبار.

٢. المصادر التي يمكن من خلالها اشتقاق الأهداف القيمية المراد تحقيقها بواسطة المنهج الخفي كثيرة ومنها:

• ثقافة المتعلم.

• الممارسات التدريسية وتشمل (خلفيات أعضاء هيئة التدريس ومستوى إعدادهم العلمي والمهني، طريقة عضو هيئة التدريس في تقديم المعارف والمهارات، أسلوب عضو هيئة التدريس في التعامل مع الطلاب ومشكلاتهم المختلفة).

• الكتاب الجامعي بما يحويه من رسائل أو رسوم أو أشكال.

• النشاط المنهجي والنشاط اللامنهجي (أنشطة عمادة شؤون الطلاب وأنشطة الكليات والأندية الطلابية).

• الخلفية العلمية والثقافية للوالدين.

• النظام القيمي في المجتمع.

• القاعات الدراسية وظروفها الفيزيقية وطريقة تنظيمها وما تحويه من تقنيات وتجهيزات.

٣. الشروط والمعايير التي يجب توافرها في عنصر (الأهداف التربوية) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي:

• أن تكون الأهداف التربوية مرتبطة باحتياجات المجتمع الذي يعيش فيه الطالب.

• أن تتضمن الأهداف التربوية قيماً إنسانية كالحب والتسامح والتعايش واحترام الآخر، .....

• أن تنسجم الأهداف مع المنظومة القيمية للمجتمع.

• أن تشير الأهداف إلى التكيف الشخصي للطالب مع ذاته مثل: (أن يقدم الطالب العرض التقديمي بتلقائية دون أن تسيطر عليه مشاعر القلق والتوتر)

• أن تشير الأهداف إلى التكيف الاجتماعي للطالب مع زملائه ومع من يتعاملون معه بشكل عام مثل : (أن يشيد الطالب بزملائه اللذين اشتركوا معه في مشروع التخرج) .

٤.الشروط والمعايير اللازم توافرها في (الأنشطة المنهجية واللامنهجية) لكي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي:

• أن تساهم الأنشطة في تحقيق الأهداف القيمية للمنهج الخفي.

• أن تسهم الأنشطة في تكوين شخصية الطلاب والكشف عن مواهبهم وميولهم و تنمية مهاراتهم.

• أن تتنوع الأنشطة بحيث تشمل الأنشطة (التعاونية، الفردية) .

• أن تستوعب الأنشطة جميع طلاب الجامعة على اختلاف تخصصاتهم واهتماماتهم وأنماط تعلمهم.

• أن تتضمن الأنشطة توثيق الروابط الأخوية بين الطلاب و تقوية روح التآلف والتعاون و المحبة بينهم.

• أن تساهم الأنشطة في إكساب الطلاب الثقة بالنفس والقدرة على تحمل المسؤولية.

٥.الشروط والمعايير اللازم توافرها في (الطرق والأساليب والممارسات التدريسية) لكي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي :

• أن يقدم عضو هيئة التدريس المفاهيم والنظريات والقوانين ويؤكد على عنصري (المعنى والأهمية).

• أن تتيح طرق التدريس المستخدمة فرصاً للحوار والمناقشة مع الطلاب.

• أن يتم استخدام طرق تدريس تعاونية ترسخ قيم المشاركة وتحمل المسؤولية والالتزام بالدور.

• أن يتم استخدام طرق تدريس تستثير التفكير وتساعد على حل المشكلات الحياتية.

• أن يلتزم عضو هيئة التدريس بمقومات القدوة الحسنة ومنها: الجدية والإنضباط والإخلاص والصدق.

• أن يلتزم عضو هيئة التدريس بالمقومات الشخصية ومنها: حسن المظهر والبشاشة والهدوء والثقة بالنفس وحسن التصرف.

• أن يلتزم عضو هيئة التدريس بمقومات التفاعل الاجتماعي ومنها: التواضع والصبر والتشجيع واحترام مشاعر الطلاب منطلقاتهم الثقافية.

٦. الشروط والمعايير اللازم توافرها في عنصر (المحتوى) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي:

- أن يتضمن محتوى الكتاب الجامعي مجموعة من الرسائل الضمنية الإيجابية مثل (التعاون يقود إلى النجاح، يمكن الوصول للهدف بأكثر من طريقة).
- أن يتم اختيار الصور والأشكال في الكتب الجامعية بما يعزز الهوية الدينية والهوية الوطنية
- أن يساعد محتوى الكتاب الجامعي على تنمية قيم التعلم الذاتي.
- أن يساعد محتوى الكتاب الجامعي في تنمية قيم التفكير.
- أن يتضمن المحتوى شواهد وأمثلة من البيئات المختلفة للطلاب.
- أن يساعد محتوى الكتاب الجامعي في الشعور بالمشكلات الحياتية.
- أن يخلو محتوى الكتاب الجامعي من التحيز لأفكار وتصورات ومنتجات معينة ويتيح للطالب فرصة النقد وبناء الاتجاه.
- أن يخلو محتوى الكتاب الجامعي من كل ما يتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي المعتدل.
- أن يشير محتوى الكتاب الجامعي إلى الصورة المأمولة والصورة الواقعية عند استعراض المواقف والأحداث والظواهر والسلوكيات والقيم.
- أن يلبي المحتوى حاجات الطلاب وميولهم، حاجات المجتمع ومشكلاته.
- أن ينمي المحتوى القيم والاتجاهات الايجابية و المهارات الحياتية لدى الطلاب.

٧. الشروط والمعايير اللازم توافرها في عنصر (التقويم) والتي تساهم في تعزيز المنظومة القيمية من خلال المنهج الخفي:

- أن يتم تحليل الرسائل الضمنية التي يتضمنها المحتوى المعرفي الكتاب الجامعي.
- التدقيق في الرسائل الضمنية التي تتضمنها الصور والأشكال في الكتاب الجامعي.
- أن يتم تقويم الممارسات التدريسية (الإيجابية والسلبية) وأثرها على الطلاب.
- أن يستخدم عضو هيئة التدريس طرقاً متنوعة لتوزيع الدرجات.
- أن يتم تقويم الآثار الايجابية والسلبية للنظام الجامعي.
- أن يتضمن التقويم أدوات مقننة لقياس نواتج التعلم الوجدانية (الميول والاتجاهات).
- تفعيل أساليب وأدوات التقويم البديل.

التوصيات

١. أن تأثير المنهج الخفي أكبر من تأثير المنهج الرسمي؛ و من هنا كان على النظرية المنهجية ونماذجها المختلفة أن تأخذ هذه النتيجة بعين الاعتبار، فتبنى وتؤسس لمنظومة خاصة من القيم، تؤطر الممارسات التربوية في الجامعة، وتساهم في تربية الطلاب وحمايتهم من المواقف التي يشوبها

الكذب والتحايل والنفاق الاجتماعي والتسلط والتمييز بين الطلاب.

٢.بناء نماذج تبين كيفية التعامل مع الخبرات التربوية المصاحبة التي يفرزها المنهج الخفي وتوظيفها توظيفاً سليماً في البيئة التعليمية، أو وضع آليات لدرء ما قد ينتج عنها من آثار سلبية على المتعلم والمجتمع.

٣.الاستعداد بأدوات تقويم مقننة لرصد الرسائل الضمنية التي تنتج عن عناصر العملية التربوية كالمعلم والمنهج الدراسي وطرق التدريس ووسائل التقويم ووضع الخطط المستقبلية لمواجهة مخاطرها واستثمار فوائدها.

٤.تطبيق النموذج المقترح في مناهج الرياضيات وغيرها من المواد وتقويم فعاليته في تعزيز المنظومة القيمية الإيجابية لدى الطلاب.

قائمة المراجع العربية:

١.إبراهيم، محمود أبو زيد (١٩٨٤م) .**المضمون الاجتماعي للمناهج (دراسة تحليلية)** . عين شمس: مؤسسة الخليج العربي .

٢.الاحمدي ، مريم (٢٠١٥) . فاعلية برنامج مقترح في تنمية مفهوم المنهج الخفي وتحليله وتوظيفه لدى معلمات المرحلة المتوسطة ، **مجلة جامعة طيبة،** المجلد ١٠ ، العدد ٣ ، ص ٣٠١-٣١١.

٣.الأشقر، فارس راتب (٢٠٠٥) . ازدواجية القيم لدى الطلبة : القيم التي يكتسبها الطلبة من المنهاجين الرسمي والخفي في المدارس الأردنية ، **رسالة دكتوراه غير منشورة** ، جامعة عمان العربية، عمان .

٤.البسام ، أمل ؛ البكر ، فوزية (٢٠١٥م) . المنهج الخفي وعلاقته بعملية التطبيع الاجتماعي لدى طالبات المرحلة الابتدائية في مدينة الرياض : دراسة أثنوجرافية . **مجلة رسالة الخليج العربي** ، مكتب التربية العربي ، العدد ١٣٧ ، ص٣٣-٤٩ .

٥.بوشامب ، جورج (١٩٨٧م) **نظرية المنهج** ، القاهرة : الدار العربية للنشر والتوزيع .

٦.جلاتهورن ، ألن (١٩٩٥) . **قيادة المنهج** . ترجمة سلام و إبراهيم الشافعي و ربيع أحمد و موافق الرويلي ، مطابع جامعة الملك سعود . الرياض، بدون .

٧.الجلاد، ماجد زكي (٢٠٠٦) . **تعلم القيم وتعليمها** . ط٢، عمان : دار المسيرة .

٨.الحايك ، صادق ؛ العيسى ، طارق (٢٠١٦) . درجة تطبيق معلمي التربية الرياضية للمنهج الخفي في مدارس مديرية اربد الأولى من وجهة نظرهم، **مؤتمر كلية التربية الرياضية الحادي عشر: التكاملية في العلوم الرياضية،** الجامعة الأردنية، ٢٠ تموز، ٢٠١٦ ، ص ٢٦٥ – ٢٨٦ .

٩.حرب، ماجد (٢٠٠٧). ملامح المنهاج الخفي في صور كتب اللغة العربية للمرحلة الأساسية الدنيا في الأردن: منظور أيديولوجي، **قسم العلوم التربوية،** جامعة الزيتونة الأردنية.

١٠.حمدان، محمد زياد (١٩٨٥م). **تطوير المنهج مع استراتيجيات تدريسه ومواده التربوية المساعدة مكوناته.** الرياض: دار الرياض.

١١.الخليفة ، حسن جعفر (٢٠٠٣م) . **المنهج المدرسي المعاصر . المفهوم. الأسس. المكونات. التنظيمات** . الرياض : مكتبة الرشد .

١٢.شاهين ، نجوى عبدالرحمن (٢٠٠٦م) **أساسيات وتطبيقات في علم المناهج** . القاهرة : دار القاهرة .

١٣.عبدالنظير ، هبة محمد (٢٠١٥) .تصور مقترح لتضمين بعض القيم الأخلاقية بكتب رياضيات المرحلة الإعدادية في ضوء كشف ملامح المنهج الخفي، **مجلة كلية التربية** ، جامعة بورسعيد ، العدد ١٨ ، ص ٢٢٠ -٢٦٤ .

١٤.العثمان ، نوال محمد (٢٠٠٤).دور المنهج المستتر في التعليم المدرسي بالمرحلة الثانوية بمدارس الكويت. **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية**، المجلد (٣٠) ، العدد (١١٤) ، ص١٧٧- ٢٠٨ .

١٥.عدس ، عبد الرحمن وآخرون (٢٠٠٣م) **البحث العلمي مفهومه / أدواته / أساليبه** ، الرياض : دار أسامه للطبع .

١٦.فلاته، إبراهيم محمود (١٩٩٨م) **المنهج المستتر ودوره في العملية التربوية في المدرسة الابتدائية** . مكة المكرمة : مطابع بهادر.

١٧.اللقاني، أحمد حسين و محمد، فارعة حسن (٢٠٠١م) . **مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل ..** القاهرة : عالم الكتب.

١٨.القصير، وسيم (٢٠١٢). المنهج الخفي وعلاقته بالقيم الأخلاقية والجمالية لدى تلاميذ الصف الرابع الأساسي في الجمهورية العربية السورية، **مجلة الفتح**، العدد ٥٠، ص ٣٤٠-٣٥٥.

١٩.محمود، صلاح الدين عرفة (٢٠٠٢م). **المنهج الدراسي والألفية الجديدة. مدخل إلى تنمية الإنسان وارتقائه** . القاهرة : دار القاهرة .

٢٠.مرعي، توفيق أحمد والحيلة، محمد محمود(٢٠٠٤م). **المناهج التربوية الحديثة. مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها**. عمان: دار المسيرة.

٢١.مصطفى، صلاح عبد الحميد (٢٠٠٠) . **المناهج الدراسية عناصرها و أسسها و تطبيقاتها** . دار المريخ . الرياض، بدون.

٢٢.موسى، عبدالحكيم (١٤١٨ هـ) **نظرية المنهج** . مكة المكرمة: مطابع مكة .

٢٣.الموسى، عبدالله عبدالعزيز (٢٠٠٠م) **المنهج الخفي... نشأته، مفهومه، فلسفته، مكوناته، تطبيقاته، مخاطره.** مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية ولاجتماعية والإنسانية، المجلد ١٢، ع ١، ص ٩٧ – ١١٤.

٢٤.هندي، صالح وآخرون (١٩٨٩م) . **تخطيط المنهج و تطويره** . عمان : دار الفكر.

٢٥.وطفة، أسعد .(2010) .الرسائل الصامتة في المدرسة :قراءة أيدلوجية، **المجلة التربوية** ، جامعة الكويت ، المجلد ٢٤ ،العدد ٩٤ ، ص ١٥-٧٤.

6. Sari, Mediha; Doganay, Ahmet (2009) .Hidden Curriculum on Gaining the Value of Respect for Human Dignity. Educational Sciences: Theory and Practice. 9(2). P 925-940.
7. Shavelson, Richard and Huang, Leta. Responding Responsibly: to the Frenzy to Assess Learning in Higher Education. Change: Journal of the American Association of Higher Education. Fan/Feb. 2003, p. 10-19.
8. Watfa, A. (2010) Silent message at schools, ideological perspective (in Arabic), Journal of Educational Research, Kuwait University, 24 (94), 15-74.
9. Yousef Zadeh M. (2014). The Role of Elements of Hidden. Curriculum in Learning Life skills Among University Students: A Case Study of the Students at Islamic Azad University Qaemshanr. Indian Journal of Fundamental and Applied Life Sciences, Vol. (16), 3403 - 3409.

٢٦.وهبة، نادر (٢٠٠١) . المنهاج الخفي وعملية تقييم المناهج، **نشرة (رؤى تربوية)** ، مركز القطان للبحث والتطوير، رام الله ، العدد ٧، ٨ ، ص ٧ .

قائمة المراجع الأجنبية

1. Baynnfar, F. (2013).The Effect of Hidden Curriculum on Academic achievement of High School Students. Research Journal of Applied and Basic Science, Vol. (5), No. (6), pp 671-681.
2. Beauchamp, George A. (1981) Curriculum theory. Fourth Edition. Itasca, Illionis: F.E.Peacock Publishers.
3. Hshemi, A. (2012). The Role of the Hidden Curriculum on Social Education of High School Students. Journal Life Sci. Biomed, Vol (2), No. (5), pp 255-259.
4. Jackson, P. (2004). The daily grind. In flinder, D. & Thorntons, S. (editors) The Curriculum Studies Reader. 2nd Ed, New York: Routledge Falmer.
5. Macfarlane, Bruce. Teaching with Integrity: *The Ethics of Higher Education Practice*, London and New York: Routledge Falmer, 2004, p. 27-٤٠. See in particular: chapter two: the lost dimension.

Employment of the Hidden Curriculum in Enhancing the Value System among Students of Higher Education "A suggested model and how to apply it in mathematics curricula"

Dr: Yanallah Ali Yanallah Alqarni

King Abdulaziz University
Faculty of Educational Graduate Studies
Curriculum and Instruction Department

Abstract. this study aimed at establishing a suggested model to employ the hidden curriculum in strengthening the value system among students of higher education, and to explain how it is applied in the mathematics curriculum. To achieve the objectives of the study, the researcher used the analytical methodology and the descriptive survey methodology. A questionnaire was used to survey the opinions of curriculum experts and teaching methods on the rationale for establishing the model, the sources of derivation of value objectives, the conditions and criteria to be met in the elements of the curriculum that contribute to strengthening the value system through the hidden curriculum.
The study tool was applied to a random sample of 110 specialists in the curricula and teaching methods. The findings showed that establishing a model to employ the hidden curriculum in promoting values helps to contain its negative effects on students' behavior and enhance its positive effects, and the teaching practices and the way of dealing with knowledge and university textbooks, including messages, drawings or forms are one of the most important sources through which to derive the value objectives to be achieved by the hidden curriculum. The study also reached a set of criteria and conditions that should be met in the elements of the curriculum in order to contribute in strengthening the value system through the hidden curriculum. The study proposed a model for employing the hidden method in strengthening the value system, and showed how to apply it in mathematics curricula.
Keywords: Hidden Curriculum, Values, Model Building, Mathematics Curriculum

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٢ ص ص: ٢٥٥- ٢٧٩ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-2.9

القَبُول عند الأصوليين

د. عبدالله بن أحمد الشريف
أستاذ أصول الفقه المساعد بقسم الدّراسات الإسلامية
كلية العلوم والآداب ببلقرن، جامعة بيشة

مستخلص. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أمَّا بعد: فموضوع هذا البحث هو: "القَبُول عند الأصوليين"، وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى: مقدمة – وتشمل المقدمة: أسباب اختيار الموضوع، والدِّراسات السابقة، وحدود البحث، وخطة البحث، ومنهج البحث–، وثلاثة مطالب، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس بالموضوعات.
والدِّراسة في مجملها تهدف إلى عرض المسألة عند الأصوليين، وتسليط الضوء على مصطلح القَبُول، وما يشتبه به من مصطلحات، كالصِّحة والإجزاء، والفرق بين القَبُول والصِّحة، وبين القَبُول والإجزاء.

المقدمة

الحمد لله الذي عَلَّمَ بالقلم، عَلَّمَ الإنسان ما لم يَعْلَم، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلم.

أمَّا بعد:

فإن هذا البحث يهدف إلى دراسة مسألة مُهِمَّة في علم أصول الفقه، وهي مسألة (القَبُول عند الأصوليين)، وذلك من خلال تسليط الضوء على هذا المصطلح، وما يشتبه به من مصطلحات؛ وقد دفعني إلى هذا البحث عدة أسباب من أهمها:

١) لم أَرَ – على حد علمي– من أفرده ببحثٍ مستقل.

٢) أنَّ القَبُول لم يتعرض له إلَّا القليل من علماء الأصول.

٣) دفع التداخل بين مصطلح القَبُول وبين غيره من المصطلحات.

٤) التَّعَرُّف على الفرق بين القَبُول والصِّحة.

٥) التَّعَرُّف على الفرق بين القَبُول والإجزاء.

الدِّراسات السابقة:

لم يتعرَّض للقَبُول إلَّا القليل من علماء الأصول؛ لأنه كما قال الإمام حُلُولُو (٨٩٨هـ) نقلاً عن الإمام القرافي (٦٨٤هـ): «أمرٌ مُغَيَّبٌ عنَّا لا تدخله أحكامنا،...»[(١)]؛ لذلك الكتابة فيه قليلة قديماً وحديثاً، ولم أقف على شيءٍ كُتب في (القَبُول عند الأصوليين) بشكلٍ مستقلٍ على النحو الذي طرحته في بحثي، وهو ما يتضح بجلاء من خلال عرض الدِّراسات السابقة ذات الصلة به على النحو الآتي:

<u>الدِّراسة الأولى</u>، بعنوان: "دلالة نفي القَبُول"، لمروان سالم علي الرياحنة، الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، دراسات – علوم الشريعة والقانون مج٤٢، ع٢ (٢٠١٥م).

أوجه التشابه والاختلاف:

وهذا البحث هو أقرب البحوث بموضوع بحثي؛ إلَّا أن هذا لا يعني التطابق بين البحثين؛ فقد عُنِيَ هذا البحث بالحديث عن دلالة نفي القَبُول الوارد في بعض النصوص الشرعية في هذا الصدد؛ وهو المعنى المشار إليه في بحثي.

وأمَّا عن أوجه الاختلاف بين هذا البحث وبين بحثي، فهو أنَّ بحثي قد عُنِيَ بالحديث عن القَبُول باعتباره أحد المصطلحات الأصولية من خلال بيان مَاهِيَّتِهِ، ومعناه، وعلاقته بالمصطلحات ذات الصلة به كالصِّحة وغيرها.

<u>الدِّراسة الثانية</u>، بعنوان: "أثر الاستقامة في قَبُول العمل"، لعامر بن محمد العثمان، مجلة منار الإسلام س٣٨، ع٤٥٣ (٢٠١٢م).

أوجه التشابه والاختلاف:

ليس بين هذا البحث وبين موضوع بحثي تشابه؛ إلَّا في الحديث عن فكرة القَبُول؛ أمَّا منهجية البحث فهي مختلفة بين البحثين؛ فهذا البحث يُعْنَى بفكرة القَبُول على مستوى الجانب السلوكي، بينما موضوع بحثي يُعْنَى بها من الناحية الأصولية.

<u>الدِّراسة الثالثة</u>، بعنوان: "شروط قَبُول الأعمال"، لجابر الطيب ابن علي، التوعية الإسلامية س٨، ع٥ (١٩٨٢م).

أوجه التشابه والاختلاف:

يتشابه البحثان في الحديث عن فكرة القَبُول؛ إلَّا أنَّ منهجية التناول مختلفة بين البحثين؛ فهذا البحث يُعْنَى بفكرة القَبُول على مستوى الشروط اللازمة له، بينما موضوع بحثي يُعْنَى بها من الناحية الأصولية.

<u>الدِّراسة الرابعة</u>، بعنوان: "كيف يكتب القَبُول للعبد"، لمحمد بن إبراهيم شقرة، هدي الإسلام مج٢٢، ع١,٢ (١٩٧٨م).

أوجه التشابه والاختلاف:

يتشابه البحثان في الحديث عن فكرة القَبُول؛ إلَّا أنَّ منهجية التناول مختلفة بينهما؛ فهذا البحث يُعْنَى

(١) التوضيح شرح التنقيح (٢٢١/١).

بفكرة القَبُول على مستوى كيفية كتابته، بينما موضوع بحثي يُعْنَى بها من الناحية الأصولية.

وبناءً على ما تقدم:

فلم تُعْنَ دراسة واحدة من الدِّراسات السابقة التي سبق إيرادها بالفكرة البحثية نفسها التي قصدتها من خلال هذا البحث؛ ولم تُعْنَ دراسة واحدة كذلك بمصطلح القَبُول وبيان علاقته بالمصطلحات ذات الصلة به كما هو الحال في هذا البحث، ومن ثم كان تفرده، واختلافه عن تلك الدِّراسات.

حدود البحث:

سيكون حدُّ البحث مقتصراً على القَبُول عند الأصوليين، وسوف يشتمل البحث على عرض المسألة عند الأصوليين، ثم بيان معنى القَبُول، وعلى الفرق بين القَبُول والصِّحة، وبين القَبُول والإجزاء، وغير ذلك من الموضوعات الفرعية.

خطة البحث:

المقدمة: تشتمل على أسباب اختيار الموضوع، والدِّراسات السابقة، وحدود البحث، وخطة البحث، ومنهجي في البحث.

المطلب الأول: عرض المسألة عند الأصوليين.

المطلب الثاني: التعريف بالقَبُول.

المطلب الثالث: الفرق بين القَبُول وبين ما يشتبه به، وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: الفرق بين القَبُول وبين الصِّحة.

المسألة الثانية: نفي القَبُول، هل يَدُلُّ على نفي الصِّحة؟

المسألة الثالثة: الفرق بين القَبُول وبين الإجزاء.

المسألة الرابعة: نفي القَبُول، هل يَدُلُّ على نفي الإجزاء؟

الخاتمة: بيَّنت فيها أهم النتائج.

ثبت المصادر والمراجع.

منهجي في البحث:

يتلخص في القضايا المعروفة والمتَّبعة في الدِّراسات العلمية، وهي تدور على ما يلي:

١) الاستقصاء في جمع مادة البحث من مظانها بقدر الإمكان.

٢) الاعتماد على الله تعالى أولاً، ثم على أمَّهات كتب الأصول في بحث المسائل وتقريرها في الغالب.

٣) كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، ثم عزوها إلى سورها، مع بيان رقم الآية.

٤) تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها، فإن كانت في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما؛ وإلَّا فمن مصادره الأخرى.

٥) عزو نصوص العلماء وآرائهم لِكُتبهم مباشرة؛ إلَّا إذا تعذَّر ذلك.

٦) حاولت قدر الاستطاعة الاعتناء بصحة البحث، وسلامته من حيث: اللغة والإملاء والنحو، مراعياً تناسق الكلام وترابطه، مع عدم إغفال علامات الترقيم ووضعها في مواضعها الصحيحة.

٧) ما تعلَّق بالمراجع والمصادر من معلومات، من حيث: اسم المؤلف، ورقم الطبعة وتاريخها ومكانها، فاكتفيت بذكرها في فهرس المراجع؛ حتى لا أُثقل حواشي البحث بها.

وبعد؛ فإني أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، كما أسأله سبحانه التوفيق والسداد والإعانة.

المطلب الأول: عرض المسألة عند الأصوليين

لم يتعرَّض الكثير من علماء الأصول لحقيقة القَبُول، والسبب في ذلك ما ذكره الإمام أحمد حُلُولُو نقلاً عن الإمام شهاب الدين القرافي؛ حيث قال: «قال المصنف[١]: لم يتعرض الأصوليون لذكر حقيقة القَبُول، وإن كان من أوصاف العبادة؛ لأنه أمرٌ مُغَيَّب عنَّا لا تدخله أحكامنا، وهم إنما يذكرون ما تدخله أحكامنا بضوابط عندنا معلومة، أو مظنونة»[٢].

ويُفهم من هذا؛ أنَّ سبب عدم تعرُّض الكثير من الأصوليين لحقيقة القَبُول: هو نظرهم إلى أنَّ أمر القَبُول في علم الغيب، ولا سبيل إلى معرفته؛ لأن القَبُول مُعَلَّقٌ بما في القلب من الإخلاص، الذي هو مناط الأجر والثواب على أعمال العباد، ومِمَّا لا شك فيه أنَّ قدر الإخلاص والثواب عليه هو من الغيبيات، ومن الأمور التي لا يمكن العلم بها، ومع هذا فكلام الإمام شهاب الدين القرافي لا يستلزم أنه ليس في مقدور علماء الأصول بيان الضابط الشرعي للقَبُول الشرعي؛ فالجمهور يقولون إنَّ القَبُول أخص من الصِّحة، قال الإمام حُلُولُو: «والجمهور على أن القَبُول أخصّ من الصِّحة، فإنَّه عبارة عن كون العبادة بحيث يترتب الثواب عليها»[٣].

والمقصود من هذا: أنَّ الذي لا تدخله أحكام الأصوليين، هو الحكم لإنسانٍ بعينه أنَّ عمله مقبول، بمعنى أنَّ الله ﷻ قَبِلَ هذا العمل، وأحبَّه، ورضي عن صاحبه، وأثابه عليه؛ لأنَّ العلم بحصول الإخلاص مُغَيَّب، والإخلاص كما ذكرنا قد جعله الله ﷻ مناطاً لقَبُول الأعمال.

وبعد هذا؛ فأحكام الأصوليون لا شك أنَّها داخلة في تحديد أوصاف القَبُول الشرعي، التي من شأنها إذا وقع الفعل على وفقها؛ يكون العمل مقبولاً في الظاهر كما قال العلماء، أمَّا قبوله في الباطن فالله ﷻ أعلم بمن وافق عمله تلك الأوصاف ومن لم يوافق.

ولهذا فالعلماء -رحمهم الله- قديماً وحديثاً بيَّنوا ولا زالوا يبيّنون للناس كيف تكون أعمالهم صالحة صحيحة مقبولة عند الله ﷻ، وبالمقابل كيف تكون الأعمال فاسدة غير مقبولة، والله ﷻ في كتابه الكريم ورسوله محمد ﷺ في سنته الطاهرة قد ذكرا وبيَّنا كيف يكون قبول الأعمال، الذي هو بمعنى الرضا والإثابة؛ وذلك من خلال نصوص واضحة قطعية من الكتاب والسنة، فقوله ﷻ: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ ﴾[٤]، وقوله ﷻ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[٥]،

(١) المقصود بالمصنف: الإمام شهاب الدين القرافي -رحمه الله-.
(٢) التوضيح شرح التنقيح (٢٢١/١).
(٣) المرجع السابق.
(٤) سورة الحج آية: (٣٧).
(٥) سورة البينة آية: (٥).

وقوله ﷺ: ((إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم؛ ولكن ينظر إلى قلوبكم))[١]؛ كل هذه النصوص تُفيد قطعاً أنَّ الثواب على الأعمال إنَّما يكون بما في القلب من الإخلاص والنيَّة الصادقة، وتُفيد أيضاً أنَّ أفضل الأعمال وأعظمها هو العناية بصلاح القلب، وأنَّ هذا مُقَدَّمٌ على أعمال الجوارح؛ لأنَّ عمل القلب مصحح للأعمال الشرعية، ولهذا قال ﷺ في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب (٢٣هـ) رضي الله عنه: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، ...))[٢]، وقوله ﷺ في الحديث الذي رواه النعمان بن بشير (٦٤هـ) -رضي الله عنهما-: ((أَلَا وإنَّ في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، أَلَا وهي القلب))[٣].

قال الإمام ابن رجب -رحمه الله- عن الحديث السَّابق: «فيه إشارة أن صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه للمحرمات، واتقائه الشبهات؛ بحسب صلاح حركة قلبه»[٤].

ومِمَّا لا شك فيه أنَّ القلب الصحيح السَّالِم من دَنَسِ الشرك والمعاصي، هو الفائز برضوان الله تعالى في الدنيا والجنة في الأُخرى، قال ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٥].

ولهذا يقول النبي ﷺ: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، ...))[٦]، والمعنى: أنَّ القلب إذا اتقى الله ﷻ وبَرَّ وأخلص؛ انقادت له الجوارح تبعاً فَتَتَّقِي الله وتَبَرّ، وإذا فجر القلب تبعته الجوارح وفجرت -والعياذ بالله-.

وفي نهاية هذا المطلب عَلِمْنَا من كل ما سبق:

أنَّ عمل العبد إذا وقع موافقاً لما في كتاب الله تعالى ولما جاء به المصطفى ﷺ، مبتغياً به وجه الخالق ﷻ؛ عُدَّ هذا العمل عملاً صالحاً مقبولاً -إن شاء الله- ظاهراً وباطناً.

ومن هنا كان القَبُول بهذا المعنى خارجاً عن تلك المعاني التي قصدها الأصوليون وعنوا بها في مباحثهم ومسائلهم، وهو السبب الذي عمل بدوره على عدم تعرض الكثير من الأصوليين لحقيقة القَبُول؛ وذلك لبعده بهذا المعنى عن مصطلحاتهم ومقاصدهم، وتفريعاتهم الأصولية.

المطلب الثاني: تعريف القَبُول

عرَّف الفراهيدي (١٧٥هـ) القَبُول، فقال: «والقَبُول: أن تقبل العفو والعافية، وهو اسم للمصدر وقد أميت الفعل منه، ...، والتَّقَبُّلُ: القَبُول، يقال: تَقَبَّلَ الله منك عملك، وتقبلت فلاناً من فلان بقبول حسن، ورجل مُقابلٌ في الكرم والشرف من قِبَلِ أعمامه وأخواله»[٧].

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه (١١٩٣/٢) برقم (٢٥٦٤)، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (١٣/١) برقم (١)، كتاب بدء الوحي، ومسلم في صحيحه (٧٩٢) برقم (١٩٠٧)، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: ((إنما الأعمال بالنية))، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال.

(٣) أخرجه: مسلم في صحيحه (٧٥٠/٢) برقم (١٥٩٩)، كتاب المساقاة والمزارعة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

(٤) جامع العلوم والحكم (٢١٨/١).

(٥) سورة الشعراء آية: (٨٨-٨٩).

(٦) أخرجه: مسلم في صحيحه (١١٩٣/٢) برقم (٢٥٦٤)، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله.

(٧) العين (١٦٨/٥).

ويرجع الأصل اللغوي لمصطلح "القَبُول" إلى المادة المعجمية "قَبِلَ"، قال ابن فارس (٣٩٥هـ): «قَبِلَ: الْقَافُ وَالْبَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ، تَدُلُّ كَلِمُهُ كُلُّهَا عَلَى مُوَاجَهَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ، وَيَتَفَرَّعُ بَعْدَ ذَلِكَ»(١).

وقال الرَّاغب الأصفهاني (٥٠٢هـ): «وَقَبِلْتُ عُذْرَهُ وَتَوْبَتَهُ وَغَيْرَهُ، وَتَقَبَّلْتُهُ كَذَلِك، قال: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾(٢)، وَالتَّقَبُّل: قَبُولُ الشَّيءِ عَلَى وَجْهٍ يَقْتَضِي ثَوَاباً، كَالْهَدِيَّةِ وَنَحْوِهَا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٣)، وَلَيْسَ كُل عِبَادَةٍ مُتَقَبَّلَةً، بَل إِنَّمَا يُتَقَبَّلُ إذا كَانَ عَلَى وَجْهٍ مَخْصُوصٍ»(٤).

وقال ابن منظور (٧١١هـ): «قَبِلَ الشيءَ قَبُولاً وقُبُولاً، وتَقَبَّلَه كِلاهما: أَخذه، واللَّه ﷻ يَقْبَلُ الأَعمال مِنْ عِبَادِهِ وَعَنْهُم ويَتَقَبَّلها، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيز: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾(٥)، ويُقَالُ: قَبِلته قَبُولًا وقُبُولًا، وَعَلَى وَجْهِهِ قَبُول لَا غَيْرَ، وقَبِلَه بقَبُول حَسَن، وَكَذَلِكَ تقبَّله بقَبُول أَيضاً، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾(٦)، وَلَمْ يَقُلْ بِتَقَبُّل.

قَالَ الزَّجَّاجُ: الأَصل فِي الْعَرَبِيَّةِ تَقَبَّلها رَبُّهَا بقَبُول حسَن، أَي: بِتَقَبُّل حسَن؛ وَلَكِنَّ قَبُولاً مَحْمُولٌ عَلَى قَوْلِهِ قَبِلَها قَبُولاً حسَناً، ويُقَالُ: قَبِلْت الشيءَ قَبُولاً إِذا رَضِيته»(٧).

وقال الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد (٧٠٢هـ): «وقد فُسِّرَ بأنه: ترتب الغرض المطلوب من الشيء على الشيء.

يقال: قَبِلَ فلان عذر فلان: إذا رَتَّبَ على عذره الغرض المطلوب منه، وهو محو الجناية والذنب»(٨).

وقال الكفوي (١٠٤٩هـ): «القَبُول: هُوَ عِبَارَة عَن تَرَتُّبِ الْمَقْصُود على الطَّاعَة، ...، وَإِذا قلت لغيرك: وَهبتك هَذَا الشَّيْء، فَقَالَ: قَبِلت، سُمِّيَ قَبُولاً، وَإِذا قَبَضَ يُسَمَّى تَقَبُّلاً، وَقبل على الشَّيْء وَأَقْبل: لزمَه وَأخذ فِيهِ، وقابله: واجهه، وقبالته، بِالضَّمِّ: تجاهه، ...، وَالقَبُول: هُوَ أَن تقبل الْعَفو، وَغَيره اسْم للمصدر»(٩).

وقال السَّيد الزبيدي (١٢٠٥هـ): «والقَبُول الَّذِي يَقْتَضي الرِّضا والإثابة»(١٠).

وجاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم أنَّ لفظ "القَبُول" له عدة استعمالات من خلال هذه الآيات(١١):

﴿وَلَا نَقْبَلُوٓاْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾(١٢)، لا تَقْبَلُوا لهم شهادة، أي : لا ترضوها، ولا تأخذوا بها.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/٥١).
(٢) سورة البقرة آية: (١٢٣).
(٣) سورة المائدة آية: (٢٧).
(٤) مفردات ألفاظ القرآن (٦٣٥-٦٥٤).
(٥) سورة الأحقاف آية: (١٦).
(٦) سورة آل عمران آية: (٣٧).
(٧) لسان العرب (٥/٣٥١٨-٣٥١٩).
(٨) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٦٥).
(٩) الكليات (١/٧٣٢).
(١٠) تاج العروس (٣٠/٢٠٩).
(١١) معجم ألفاظ القرآن الكريم (٨٧١-٨٧٢)، بتصرف.
(١٢) سورة النور آية: (٤).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ ﴾[١]، لن تُقْبَلُ تَوْبَتُهُم، أي : لن يَرضَى الله تعالى عنها.

﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ ﴾[٢]، يَقْبَل، أي: يرضى.

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ ﴾[٣]، لا يُقْبَلُ، أي: لا يرتضي.

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ ﴾[٤]، تَقَبَّلَهَا رَبُّهَا، أي: رَضِيَ عنها.

﴿ فَنُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُنَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ ﴾[٥]، تُقُبِّلَ من أحدهما، أي: ارْتُضِيَ منه.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ ﴾[٦]، نَتَقَبَّل عنهم، أي: نَرْضَى عن أعمالهم.

﴿ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[٧]، يَتَقَبَّل، أي: يَرْضَى.

﴿ فَنُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُنَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ ﴾[٨]، يُتَقَبَّل من الآخر، أي: يَرْضَى.

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[٩]، تَقَبَّل مِنَّا، أي: ارْضَ عن عملنا، وأَثِبْنَا عليه.

﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾[١٠]، قَابِلُ التَّوْب، أي: راضٍ عن التوبة.

ومن خلال دراستنا لما ورد في الآيات الكريمة السابقة، نستطيع أن نقول: أن أهم المعاني لـ(القَبُول) وَ(التَّقَبُّل)، هي:

١) الرِّضا.
٢) الأخذ عن رِضَىً وطيب خاطر.
٣) الإثابة والجزاء.
٤) الاستجابة.
٥) الموافقة.
٦) المحبة.
٧) الاعتداد بالشيء وقَبُوله.

ولا يمكن أن تتَحَقَّق تلك المعاني السابقة لعملٍ من الأعمال سواء عبادة أو معاملة؛ إلَّا إذا كان ذلك العمل موافقاً لأمر الله ﷻ ولأمر رسوله ﷺ.

المطلب الثالث: الفرق بين القَبُول وبين ما يشتبه به:

المسألة الأولى: الفرق بينه وبين الصِّحة

قبل أن نتكلَّم عن الفرق بين القَبُول والصِّحة؛ لا بد أن نَتَعَرَّف على معنى الصِّحة لغة واصطلاحاً.

فالصِّحة لغة[١١]:قيل أنَّ الأصل اللغوي لمصطلح "الصِّحة" يرجع إلى المادة المعجمية (صَحَّ)؛ وكلمة

(١) سورة آل عمران آية: (٩٠)، واللفظ موجود في سورة التوبة آية: (٥٤).
(٢) سورة التوبة آية: (١٠٤)، واللفظ موجود في سورة الشورى آية: (٢٥).
(٣) سورة البقرة آية: (٤٨)، واللفظ موجود أيضاً في سورة البقرة آية: (٥٤)، وفي سورة آل عمران آية: (٩١).
(٤) سورة آل عمران آية: (٣٧).
(٥) سورة المائدة آية: (٢٧)، واللفظ موجود في نفس السورة آية: (٣٦).
(٦) سورة الأحقاف آية: (١٦).
(٧) سورة المائدة آية: (٢٧).
(٨) سورة المائدة آية: (٢٧)، واللفظ موجود في سورة التوبة آية: (٥٣).
(٩) سورة البقرة آية: (١٢٧)، واللفظ موجود في سورة آل عمران آية: (٣٥)، وفي سورة إبراهيم آية: (٤٠).
(١٠) سورة غافر آية: (٣).
(١١) انظر: لسان العرب (٢٤٠١/٤-٢٤٠٢)، الصحاح للجوهري (٣٨١/١)، المصباح المنير (٤٥٤/١-٤٥٥).

(الصِّحة) استعملت عند أهل اللغة في عدة معانٍ، نلخصها في الآتي:

فالصِّحة: مصدر صَحَّ، يَصِحُّ صِحَّةً، بمعنى:

١) ذهاب المرض بعد السَّقَم، ومنه صَحَّ المريض، أي: زال مرضه وشُفِيَ واستصح.

٢) البراءة من العيوب في البدن والخِلْقَة.

٣) السَّلامة، فالصَّحِيحُ من الشِّعر: ما سَلِمَ من النَّقص.

٤) الاستواء، فالصَّحْصَح والصَّحْصَاح والصَّحْصَحَان: كُلُّ ما استوى من الأرض وجَرِدَ.

٥) الاشتداد: فصحاح الطريق، ما اشتدَّ منه ولم يسهل ولم يُوطأ.

وقد عُرِّفَت الصِّحة في البدن بأنها: حالة طبيعية، تجري أفعاله معها على المجرى الطبيعي.

وتُعَرَّف -أيضاً- بأنها: نقيض الآفة من السَّقَم والمرض، والكسر ونحو ذلك.

قال الحسن العسكري (٣٩٥هـ): «يُقال: رجلٌ صحيح، وآلةٌ صحيحة، وخشبةٌ صحيحة؛ إذا كانت ملتئمة لا كسر فيها»[١].

وقال علاء الدين السمرقندي (٥٤٩هـ): «أمَّا الصحيح في اللغة: فيُستعمل في الجمادات فيما استوى تركيبه الخاص وفيه صلابة شديدة، يُقال: هذه اسطوانة صحيحة، وهذا خشبٌ منكسر، وكوزٌ منكسر إذا كان فيه نوع نقصان، ويُستعمل في الحيوانات فيما اعتدلت طبيعته، واستكمل قوَّته مع انتفاء أسباب الهلاك والنقصان عن المعاني الباطلة، يُقال: إنه رجلٌ صحيح، وعلى خلافه: فلانٌ سَقيم، فلانٌ مصحاح، فلانٌ مِسقام»[٢].

فنستنتج من كلام العسكري والسمرقندي السابقين: أنَّ الصِّحة يوصف بها المحل والآلة.

وقال تقي الدين السُّبكي (٧٥٦هـ): «الصِّحة في اللغة: مُقابلة للمرض»[٣].

وقد استعيرت الصِّحة لمعانٍ أُخر:

يقول الإمام المقري (٧٧٠هـ): «وَقَدْ اُسْتُعِيرَتْ الصِّحَّةُ لِلْمَعَانِي: فَقِيلَ: صَحَّتْ الصَّلَاةُ؛ إذَا أَسْقَطَتْ الْقَضَاءَ؛ وَصَحَّ الْعَقْدُ؛ إذَا تَرَتَّبَ عَلَيْهِ أَثَرُهُ؛ وَصَحَّ الْقَوْلُ إذَا طَابَقَ الْوَاقِعَ»[٤].

ويُقاس على هذا:

صَحَّ حقَّه عند الحاكِمِ أو القاضي؛ إذا ثَبَت.

وصَحَّت عقيدته؛ إذا سلمت من البِدَع والانحراف والخُرافات.

وصَحَّت شهادته؛ إذا قُبِلَت.

وصَحَّت دعواه؛ إذا قُبِلَت وترتَّب عليها أثرها.

وصَحَّ سلوكه؛ إذا سَلِمَ من الانحرافات الأخلاقية والسلوكية.

والصَّحِيح هو الحق، والحق خلاف الباطل.

ويتبيَّن من كل المعاني المختلفة التي ذكرناها للصِّحة: أنَّ الصِّحة كما تستعمل في المحسوسات؛

(١) الفروق اللغوية (١٠٩).

(٢) ميزان الأصول في نتائج العقول (٣٧).
(٣) الإبهاج في شرح المنهاج (٦٨/١).
(٤) المصباح المنير (٤٥٤/١-٤٥٥).

فإنها تستعمل –أيضاً– في المعاني، وأنها في الأولى حقيقة، وفي الثانية مستعارةٌ عند أهل اللغة[١].

أمَّا الصِّحة اصطلاحاً:

فقد اتفق الفقهاء والمتكلمون على معنى الصِّحة في المعاملات:

فقالوا هي: «ترتب أحكامها المقصودة بها عليها»[٢].

واختلفوا في معنى الصِّحة في العبادات؛ حيث كان لكل فريق تفسير خاص لصحة العبادات:

فقال الفقهاء هي: «سقوط القضاء بالفعل»[٣].

وقال المتكلمون هي: «موافقة الأمر وإن لم يسقط القضاء»[٤].

قال الإمام تقي الدين السُّبكي: «فالصواب أن يكون حد الصِّحة عند الفريقين: موافقة الأمر، غير أن الفقهاء يقولون: ظان الطهارة مأمور بها، مرفوع عنه الإثم بتركها.

والمتكلمون يقولون: ليس مأموراً؛ فلذلك يكون صلاته صحيحة عند المتكلمين لا الفقهاء، ومن أمرناه بصلاة بلا طهارة ولا تيمم – حيث يجب القضاء– صحيحة على المذهبين وإن أوجب القضاء، فليس كل صحيح يسقط»[٥].

محل الخلاف:

يرجع محل الخلاف إلى نظر كل فريق منهما إلى حقيقة (الصِّحة)؛ فنظر الفقهاء إليها من حيث كونها مسقطة للقضاء، وهذا يحمل بداخله كونها موافقة لأمر الشارع.

أمَّا المتكلمون: فقد وقف معنى (الصِّحة) عندهم على كونها موافقة لأمر الشارع، سواء أسقطت القضاء أم لم تسقط.

لذا فالعلاقة بين حقيقة الصِّحة بين كل من الفقهاء والمتكلمين علاقة عموم وخصوص، فكل صحيح عند الفقهاء صحيح عند المتكلمين، وليس العكس[٦].

ثمرة الخلاف:

لم تظهر له ثمرة حقيقية، فإن الإعادة واجبة في حق من صَلَّى ظاناً للطهارة، وتبيَّن له العكس سواء عند الفقهاء، أم عند المتكلمين؛ فالقضاء واجب على القولين.

وكذا الحال بالنسبة لمن صَلَّى بنجس لم يعلمه، ثم تبيَّن له بعد ذلك، وكذا من صَلَّى مكشوف العورة ساهياً، ثم علم بعد ذلك بكشفها[٧].

حقيقة الخلاف:

أمَّا عن حقيقة الخلاف الواقع بين كل من الفقهاء والمتكلمين في هذه المسألة: فهو خلاف لفظي؛ لأنَّ

---

(١) انظر: أساس البلاغة (٥٣٧/١)، المصباح المنير (٤٥٤/١-٤٥٥).
(٢) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج (١٥١/١)، المستصفى (٣١٧/١)، البحر المحيط (٣١٣/١)، الإحكام للآمدي (١٧٤/١)، شرح الكوكب المنير (٤٦٥/١)، روضة الناظر (٣١)، شرح مختصر الروضة (٤٤١/١).
(٣) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج (١٥١/١)، المستصفى (٣١٧/١)، المحصول (١١٢/١)، البحر المحيط (٣١٣/١)، الإحكام للآمدي (١٧٤/١)، شرح الكوكب المنير (٤٦٥/١)، روضة الناظر (٣١).
(٤) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج (١٥١/١)، المستصفى (٣١٧/١)، المحصول (١١٢/١)، البحر المحيط (٣١٣/١)، الإحكام للآمدي (١٧٤/١)، شرح الكوكب المنير (٤٦٥/١)، شرح مختصر الروضة (٤٤١/١).
(٥) الإبهاج في شرح المنهاج (١٥٢/١).
(٦) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (٧٦).
(٧) البحر المحيط (١٨/٢).

الآثار العملية المترتبة عند كل منهما واحدة؛ رغم أن صلاة من ظن طهارته، ثم تبيَّن له العكس، صحيحة عند المتكلم، فاسدة عند الفقيه، وهذا ما عَبَّر عنه الإمام الغزالي (٥٠٥هـ)، بقوله: «وهذه الاصطلاحات وإن اختلفت فلا مشاحة فيها، إذ المعنى متفق عليه»[١].

وتأكيداً على المعنى السابق من كون الخلاف الواقع لفظياً ليس حقيقاً؛ ما ذكره الإمام القرافي في هذا الصدد؛ حيث قال:«اعلم: أن الفقهاء والمتكلمين اتفقوا على الأحكام، إنما الخلاف في لفظ وضع الصِّحة، لماذا؟

فاتفقوا على أن المصلي مُحْدِثاً بظن الطهارة مُثَاب، وأنَّه وافق أمر الله تعالى؛ لأن الله تعالى أمره أن يصلي صلاة يغلب على ظنه طهارتها، وقد فعل، وأنَّه لا يجب عليه القضاء؛ إذا لم يذكر الحدث، وأنَّه يجب عليه القضاء إذا ذكر، فالأحكام كلها متفق عليها»[٢]، وهذا على قول من قال باتفاق الأحكام لدى كل فريق.

أمَّا على قول القائلين بِرَدِّ نفي القضاء بين كل من المتكلمين والفقهاء، وذلك على قول المتكلمين بأنها صحيحة؛ لأنَّه وافق الأمر المتوجه عليه في الحال، وهي مسقطة للقضاء لو لم يرد نص بالقضاء، وإنما وجب بأمر جديد.

فتأسيساً على ما سبق: اعتبر بعض الأصوليين أن الخلاف حقيقي، وأن القول بكونه لفظياً لا يصح[٣].

أمَّا معنى الصِّحة الشرعي عند علماء الأصول:

فقد نقل بعض علماء الأصول تعريف الصِّحة عند الفقهاء والمتكلمين.

والبعض الآخر لم ينقل عنهم، كأبي الحسين البصري (٤٣٦هـ)، والإمام الجويني (٤٧٦هـ).

والعلماء الذين نقلوا تعريف الفقهاء والمتكلمين:

منهم من اقتصر على تعريفهم، واعتبره هو التعريف المعتمد، كأبي حامد الغزالي، وأبي الحسن الآمدي (٦١٣هـ)، وابن الحاجب (٦٤٦هـ).

ومنهم من لم يقتصر على ذلك، وهم أكثر علماء الأصول، كابن قدامة (٦٢٠هـ)، والبيضاوي (٦٨٥هـ)، والتقي السُّبكي وابنه تاج الدين (٧٧١هـ)، وغيرهم، فأتى كل واحدٍ منهم بتعريف جديد، يرى أنه هو التعريف السليم، واعتبروا تعريف الفقهاء والمتكلمين ليس تعريفاً للصِّحة؛ بل تفسيراً لأثرها، ومن هذه التعريفات ما يلي:

١) قال أبو الحسين البصري: «إن معنى قولنا "إنَّ الفعل صحيح": هو أنَّه قد حصل به الغرض المقصود به»[٤].

٢) وقال موفق الدين ابن قدامة: «فالصِّحة هو: اعتبار الشرع الشيء في حق حكمه»[٥].

٣) وقال البيضاوي: «الصِّحة: استتباع الغاية»[٦].

(١) المستصفى (٣١٧/١-٣١٨).
(٢) نفائس الأصول في شرح المحصول (٣٠٩/١).
(٣) البحر المحيط (١٨/٢).
(٤) المعتمد (١٧١/١).
(٥) روضة الناظر (٣١).
(٦) نهاية السول (٨٢/١).

٤) وقال تقي الدين السُّبكي: «والصِّحة: كون اللفظ بحيث يترتَّب عليه ذلك الأثر»[١].

٥) وقال تاج الدين السُّبكي: «الصِّحة: موافقة العبادة ذات الوجهين وقوعاً الشرع، وإن لم تُسقط القضاء»[٢].

٦) وقال ابن الهمام (٨٦١هـ): «الصِّحة: ترتب المقصود عليه»[٣].

التعريف الراجح:

أرى –والله أعلم– أن تعريف تاج الدين السُّبكي، الذي قال فيه: «الصِّحة: موافقة العبادة ذات الوجهين وقوعاً الشرع، وإن لم تسقط القضاء»، هو التعريف الراجح؛ لأنه أحسن تعريف للصِّحة –من وجهة نظري–؛ لأنَّ الفعل إذا وافق الشرع، فهذا يعني أنَّ الفعل وقع صحيحاً، كامل الأركان والشروط، مُنتفياً الموانع، وبالتالي تترتب على هذا الفعل آثاره.

فتبرأ الذمة من هذا الفعل إن كان عبادة، والفاعل مطيع للشارع ممتثلاً أمره، مستحقٌ لما يترتب على هذه العبادة من الأجر والثواب.

ويُقاس على العبادات المعاملات؛ فإذا كان هذا الفعل معاملة؛ ثبت للبائع قبض الثمن، وللمشتري ملك العين، وفي النكاح حل البضع للزوجين، ووجوب الحقوق الزوجية لكل منهما، وهكذا في باقي المعاملات.

وترتُّب الآثار لا يتوقف على رضا أحدٍ، أو إذنه، أو إرادته؛ لأنه ترتُّب شرعي، يوجد متى ما وُجدت الصِّحة مستكلمة الأركان والشروط، ومنتفية الموانع.

الفرق بين القَبُول والصِّحة:

اختلف العلماء –رحمهم الله– في الفرق بين القَبُول والصِّحة، وهل القَبُول مثل الصِّحة؟، وهل توجد صحة بلا قبول، فتكون الصِّحة أعمّ من القَبُول، فكلما وجدت الصِّحة وجد القَبُول ولا عكس؟

اختلف العلماء في هذا على قولين[٤]:

القول الأول: إنَّ القَبُول والصِّحة متلازمان في الإثبات والنفي، فإذا نُفي أحدهما انتفى الآخر، وإذا وجد أحدهما وجد الآخر.

قال الإمام ابن عقيل (٥١٣هـ) في مسألة: إنَّ النهي يقتضي الفساد: «الرد يقتضي القَبُول، فالصحيح من العبادات لا يكون إلَّا مقبولاً، ولا يكون مردوداً إلَّا ويكون باطلاً، وإنَّما يلزم من ذلك من يقول: الصلاة في الدار المغصوبة أو السترة المغصوبة صحيحة غير مقبولة، وعندنا لا يُعتد بعبادة يعتريها، أو يعتري شرائطها نهي الشارع»[٥].

وقال الإمام الفتوحي (٩٧٢هـ): «القَبُول مثل الصِّحة، فلا يُفارقها في إثباتٍ ولا نفي، فإذا وُجِدَ أحدهما وُجِدَ الآخر، وإذا انتفى أحدهما انتفى الآخر،

(١) فتاوى السُّبكي (٣٧٤/١).
(٢) حاشية البناني على متن جمع الجوامع (٩٩/١-١٠٠).
(٣) التحرير مع شرحه التقرير والتحبير (١٥٣/٢).

(٤) راجع هذين القولين في: المسودة لآل تيمية (١٦٨/١-١٦٩)، التحبير شرح التحرير (١١٠٠/٣-١١٠٤)، شرح الكوكب المنير (٤٦٩/١-٤٧٠)، الغيث الهامع (٢٦٥-٢٦٦).
(٥) الواضح في أصول الفقه (٢٤٥/٣).

وهذا المُقَدَّم في "التحرير"، والذي رجَّحه ابن عقيل في "الواضح"»[١].

القول الثاني: إنَّ القَبُول أخصُّ من الصِّحة، والصِّحة أعم، إذ كل مقبولٍ صحيحٍ ولا عكس، وتوصف العبادات والمعاملات بالصِّحة، أمَّا بالنسبة للقَبُول فلا يوصف به إلَّا العبادات فقط.

واستدلَّ أصحاب هذا القول بعدة أدلة، منها:

١) قوله ﷺ: ((إذا أبق العبد؛ لم تُقبل له صلاة))[٢].

٢) وقوله ﷺ: ((من أتَى عَرَّافاً فسأله عن شيء؛ لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة))[٣].

٣) وقوله ﷺ: ((من شرب الخمر؛ لم تُقبل له صلاة أربعين صباحاً))[٤].

وجه الاستدلال:

أنه لا خلاف في أنَّ نفي القَبُول في الأحاديث السابقة؛ لا يُراد به نفي الصِّحة؛ بل يُراد به نفي الجزاء والثواب فقط، مِمَّا يعني أنَّ الذمَّة قد بَرِئَت من الفرض، والصلاة صحيحة بالإجماع؛ ولذلك لم يؤمروا بإعادة الصلاة[٥].

ويتَّضِح أيضاً أنَّه لا تلازم بين القَبُول والصِّحة مطلقاً عندما تكلَّم الإمام القرافي عن الفرق بين قاعدة: (ما يُثاب عليه من الواجبات)، وقاعدة: (ما لا يُثاب عليه منها وإن وقع ذلك واجباً)، فقد ذكر أنَّ الفعل الواجب قد يقع صحيحاً ولا يُثاب عليه، وقد يقع صحيحاً ويُثاب عليه، وذكر عدة أدلة؛ وهذا يَدُلُّ على أنَّ الصِّحة أعم، والقَبُول أخص ولا تلازم بينهما[٦]، ويقول الإمام محمد الصنعاني **(١١٨٢هـ)**: «الحاصل أنَّه تعارض المانع والمقتضي؛ فإنَّ صحة الصلاة لاستكمال شرائطها مقتضٍ لقبولها؛ ولكن إبَاق فاعلها –مثلاً– مانع من قبولها، والحكم للمانع من قبولها؛ لا سيما على القول بأنه جزء من المقتضي، ...، أو يُراد: لا يقبلها الله قبول الكاملة؛ وإلَّا فإنَّه يُثيب عليها فاعليها»[٧].

القول الرَّاجح:

أرى –والله أعلم– أنَّ القول الرَّاجح هو القول بأنَّ مصطلح القَبُول أخصّ من مصطلح الصِّحة، وقد رجحتُ هذا القول لسببين:

الأول: لقوة ما استدلَّ به أصحاب القول الثاني من أدلة؛ ولأنَّه القول الأوفق والأكثر احتواءً لفهم الأدلة الشرعية، التي تشتمل على مصطلح القَبُول بحسب سياقاتها المختلفة.

الثاني: إن دعوى التلازم بين المصطلحين ليست مطَّردة الثبوت؛ فتارة تستقيم مع بعض النصوص الواردة، وأخرى لا تستقيم.

وعليه؛ فقد لزم –من وجهة نظري– القول بأنَّ مصطلح القَبُول أخصّ، والصِّحة أعم، فكل مقبول صحيح ولا عكس؛ نظراً لهذه الاعتبارات المذكورة.

---

(١) شرح الكوكب المنير (٤٦٩/١-٤٧٠).

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه (٤٩/١) برقم (٧٠)، كتاب الإيمان، باب تسمية العبد الآبق كافراً.

(٣) أخرجه: مسلم في صحيحه (١٠٦٢/٢) برقم (٢٢٣١)، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

(٤) أخرجه: الترمذي في سننه (٤٢٨) برقم (١٨٦٢)، كتاب الأشربة، باب ما جاء في شارب الخمر، وقال: «هذا حديثٌ حسن».

(٥) العدة للصنعاني (٨٥/١).

(٦) الفروق للقرافي (٩٧/٢-١٠٦).

(٧) العدة للصنعاني (٨٨/١).

المسألة الثانية: نفي القَبُول، هل يَدُلُّ على نفي الصِّحة؟

بعد أن تعرّفنا على الخلاف بين العلماء في مسألة التلازم بين القَبُول والصِّحة، وترجَّح لدينا أنَّ القَبُول أخصّ، والصِّحة أعمّ ولا تلازم بينهما مُطلقاً، يتبيَّن من هذا أنَّ نفي القَبُول يَدُلُّ على نفي الصِّحة، فكلما وجِدَ القَبُول وجِدت الصِّحة ولا عكس.

وقد أتَى نفي القَبُول في الشرع تارة بمعنى نفي الصِّحة، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦ ﴾[١]، وقوله ﷺ: ((لا تُقبل صلاة من أحدث؛ حتى يتوضأ))[٢]، وقوله ﷺ: ((لا تُقبل صلاة الحائض؛ إلَّا بخمار))[٣] ونحو ذلك، وتارة يأتي نفي القَبُول مع وجود الصحة، كما في الأحاديث السابقة في العبد الآبق، وشارب الخمر، ومن أتى عرافاً[٤].

قال الإمام القرافي: «القَبُول غير الإجزاء وغير الفعل الصحيح، فالمجزئ من الأفعال هو ما اجتمعت شرائطه وأركانه، وانتفت موانعه، فهذا يبرئ الذمة بغير خلاف، ويكون فاعله مطيعاً بريء الذمة، فهذا أمر لازم مجمع عليه، وأمَّا الثواب عليه، فالمحققون على عدم لزومه، وأنَّ الله تعالى قد يبرئ الذمة بالفعل ولا يثيب عليه في بعض الصور وهذا هو معنى القَبُول»[٥].

وقال أبو زرعة ابن العراقي (٨٢٦هـ): «الذي ظهر لي في كون الحديثين المذكورين[٦] نُفي فيهما القَبُول، وانتفت معه الصِّحة، وجاء في أحاديث أُخَر نفي القَبُول، فلم تَنْتَفِ معه الصحة، كصلاة شارب الخمر، والعبد الآبق، وآتِي العَرَّاف أنَّا ننظر فيما نفي فيه القَبُول، فإن قَارَنَت ذلك الفعل معصية كالأحاديث المذكورة أجزأ، فانتفاء القَبُول، أي: الثواب؛ لأنَّ إثم المعصية أحبطه، وإن لم يقارنه معصية كالحديثين الأولين، فانتفاء القَبُول سببه انتفاء شرطٍ، وهو الطهارة في أحد الحديثين وستر العورة في الآخر، ويلزم من عدم الشرط عدم المشروط»[٧].

المسألة الثالثة: الفرق بين القَبُول والإجزاء

قبل أن نتكلَّم عن الفرق بين القَبُول والإجزاء؛ لا بد أن نتعرَّف على معنى الإجزاء لغة واصطلاحاً.

فالإجْزَاء لغة[٨]:

مصدر أجزأ يُجزئ، والجزاء: مصدر جزى يَجْزِي، والجَزء: مصدر جَزَأ يَجْزَأ، هذه الكلمات لها استعمالات في معانٍ عدة:

فيقال: أجزأ الشيءُ إجْزَاءً، وجَزَى الشيءُ يَجْزِي جزاءً، وجَزَأ الشيءُ يجزأ جَزْءًا: إذا اكتفى.

---

(١) سورة آل عمران آية: (٩١).
(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه (٦٥/١) برقم (١٣٥)، كتاب الوضوء، باب لا تقبل صلاة بغير طهور.
(٣) أخرجه: الترمذي في سننه (١٠٢) برقم (٣٧٧)، كتاب مواقيت الصلاة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء: لا تُقبل صلاة الحائض إلا بخمار، وقال: «حديثٌ حسن، والعمل عليه عند أهل العلم؛ أنَّ المرأة إذا أدركت فصلت وشيءٌ من شعرها مكشوف، لا تجوز صلاتها».
(٤) انظر: التحبير شرح التحرير (١١٠٢/٣-١١٠٣)، شرح الكوكب المنير (٤٧٠/١-٤٧١)، الفروق للقرافي (٩٨/٢).
(٥) الفروق للقرافي (٩٨/٢).
(٦) الحديثان هما: قوله ﷺ: ((لا تُقبل صلاة من أحدث؛ حتى يتوضأ))، وقوله ﷺ: ((لا تُقبل صلاة الحائض؛ إلا بخمار)).
(٧) الغيث الهامع (٢٦٥-٢٦٦).
(٨) انظر: لسان العرب (٦٢٠/١-٦٢٢)، الصحاح للجوهري (٤٠/١)، مقاييس اللغة (٤٥٥/١)، المعجم الوسيط (١١٩-١٢٠)، تاج العروس (١٧١/١-١٧٤).

ويقال: أجزأتُ عنك مجزأ فلان: أغنيتُ عنك مغناه، وجزيتُ عنك فلاناً: كافأته وأغنيتُك عنه.

ويقال: أَجْزَأتُ عنك شاة، وجَزَأتُ عنك، وجزتُ عنك، أي: قضيتُ.

ويتبيَّن من هذا كله أنَّ: (الإجْزَاء، والجَزَاء، والْجَزْء) معناها واحد، ومعانيها تتلخص فيما يلي:

١) الإغناء أو الاغتناء.

٢) المكافأة.

٣) الكفاية والاكتفاء، وقيام الشيء مقام الشيء الآخر وإن لم يكفِ كفايته، بمعنى الاكتفاء بالشيء مقام شيء آخر، وإن كان دونه في الكفاية.

٤) القضاء، ويشمل القضاء هنا كون الشيء قد تأدَّى به العمل المطلوب، وكونه قد تأدَّى به الحق المستقر في ذمَّة المكلف.

وكل واحدٍ من هذه المعاني السابقة يتحقق به إبراء الذمَّة، كما يتحقق بكل واحدٍ منها النتائج المنوطة بوقوع الفعل مجزئاً؛ سواءً كان معنى الإجْزَاء كفاية الشيء تماماً، أو كان بمعنى الاكتفاء بالشيء مقام الشيء المطلوب في الأصل، وإن كان دونه في الكفاية.

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وَرَدَ استعمال لَفْظَي (الإجْزَاء، والجَزَاء):

أولاً: القرآن الكريم:

١) قال ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾[١]، أي: لا تُغني، ولا تدفع عنها شيئاً مما أوجب الله تعالى لها من العذاب يوم القيامة.

٢) وقال ﷻ: ﴿قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾[٢]، أي: ليقضيك ويُكافئك ويثيبك أجر سقيك لنا.

٣) وقال ﷻ: ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾[٣]، أي: لا يُغني الوالد عن ولده من العذاب الواجب له يوم القيامة، ولا يستطيع دفعه عنه.

٤) وقال ﷻ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾[٤]، أي: تُقضى وتُكافأ.

من خلال دراستنا لِمَا وَرَدَ في الآيات الكريمة السابقة، نستطيع أن نقول: أنَّ الإجْزَاء استعمل في القرآن الكريم، بمعنى: الإغناء، والإثابة، والدفع، والقضاء، والمكافأة.

ثانياً: السنة النبوية:

١) قول النبي ﷺ لأبي بردة (٤٥هـ) رضي الله عنه؛ عندما ذَبَحَ شاته قبل صلاة عيد الأضحى: ((ضَحِّ بالجذعة من المعز، ولن تُجزئ عن أحد بعدك))[٥].

٢) عن أبي هريرة (٥٧هـ) رضي الله عنه قال: قال ﷺ: ((لا تُجزئ صلاة لا يُقرأُ فيها بفاتحة الكتاب))[٦].

---

(١) سورة البقرة آية: (٤٨).
(٢) سورة القصص آية: (٢٥).
(٣) سورة لقمان آية: (٣٣).
(٤) سورة الليل آية: (١٩).
(٥) أخرجه: البخاري في صحيحه (١٧/٢) برقم (٩٥٤)، كتاب العيدين، باب الأكل يوم النحر.
(٦) أخرجه: ابن حبان في صحيحه (٩١/٥) برقم (١٧٨٩)، كتاب الصلاة، باب صفة الصلاة، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٨/١) برقم

٣) عن عبد الله بن الزبير (٧٣هـ) ﷺ قال: ((جاء رجل من خثعم إلى رسول الله ﷺ، فقال: إن أبي شيخٌ كبيرٌ، لا يستطيع الرُّكوب، وأدركته فريضة الله في الحج؛ فهل يُجْزِئُ أنْ أحُجَّ عنه؟ قال: آنت أكبرُ ولده؟ قال: نعم،

قال: أرأيت لو كان عليه دينٌ أكنتَ تقضيه؟! قال: نعم، قال: فَحُجَّ عنه))[١].

يتبيَّن من هذه الأحاديث النبوية الشريفة: أنَّ الإجزاء استعمل في الاكتفاء بالشيء مقام الشيء المطلوب في الأصل، وإن كان دونه في الكفاية من باب الترخيص والتخفيف، كما استعمل الإجزاء في القضاء، الذي يعني الإتيان بالفعل مرة أخرى؛ لأنَّه وقع مختلاً؛ حيث لا يزال في ذمَّة المكلف، كما استعمل الإجزاء في نفي الكفاية، الذي يعني عدم سقوط التعبد بالصلاة التي لم تُقرأ فيها سورة الفاتحة؛ لأنَّها غير صحيحة، وكذلك استعمل الإجْزَاء في كفاية نيابة الابن أو الابنة في الحج عن الوالد في إسقاط التعبد بالحج، وخروجه عن عهدة التكليف في حالة عجزه عن القيام بهذا الركن.

والإجزاء اصطلاحاً:

عرَّف الأصوليون الإجْزَاء بتعريفاتٍ عديدة ومتنوعة، أثبت المحققون منهم أنها راجعة إلى تعريفَي المتكلمين والفقهاء لصحة العبادات: (موافقة الأمر، وسقوط القضاء).

يقول الإمام جمال الدين الإسنوي (٧٧٢هـ): «معنى الإجزاء وعدمه قريب من معنى الصحة والبطلان؛ فلذلك استغنى المصنف عن إفرادهما بتقسيم»[٢].

وقال الإمام القرافي: «الإجزاء شديد الالتباس بالصِّحة، فإن الصلاة الصحيحة مجزئة»[٣].

والإمام الزركشي (٧٩٤هـ) نَقَلَ عن بعض علماء الأصول القول بأنَّه يَعْسُر التفريق بين الإجزاء والصِّحة[٤].

ومع ذلك فقد صَرَّح كثير منهم بوجود فرق بينهما، كما صَرَّح بعض المتأخرين من العلماء بأن الإجْزَاء عبارة عن ثمرة ناشئة عن صحة العبادات.

والأصوليون لا خلاف بينهم في أنَّ الإجْزَاء لا يُستعمل إلا فيما له وجهان:

الوجه الأول: موافق لأمر الله ﷻ.

الوجه الثاني: مخالف له، كالصِّحة.

ومع ذلك فقد صَرَّح كثير من العلماء بأن الإجزاء لا يستعمل إلَّا في العبادات، دون المعاملات، وأشار البعض إلى أنه لا يظهر وجه لمنع استعمال الإجزاء في المعاملات أيضاً؛ لأنَّ المعاملات مِمَّا له وجهان.

والذين قصروا استعمال الإجزاء على العبادات اختلفوا:

---

(٤٩٠)، كتاب الصلاة، قال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح».

(١) أخرجه: النسائي في سننه (٤١٢) برقم (٢٦٣٨)، كتاب الحج، باب تشبيه قضاء الحج بقضاء الدين، وقال الشيخ الألباني: «ضعيف الإسناد».

(٢) نهاية السول (١٠٢/١).

(٣) شرح تنقيح الفصول (٦٧).

(٤) البحر المحيط (٣١٩/١).

فقال فريق: إنَّ الإجزاء مقصور على العبادات الواجبة فقط.

وقال الفريق الآخر: إنَّ الإجزاء يجري على العبادات الواجبة والمندوبة أيضاً.

وللعلماء –رحمهم الله– تفسيرات للإجزاء، نذكر منها ما يلي:

الأول: قال أبو الحسين البصري: «إنَّ وصف العبادة بأنَّها مُجزئة، معناه: أنَّها تَكفي وتُجزئ في إسقاط التعبد بها، وإنَّما يكون كذلك إذا استوفينا شروطها التي تُعبدنا أن نفعلها عليها، وذلك أنَّه لا فرق بين قولنا: "هذا الشيء يجزئني"، وبين قولنا: "إنَّه يكفيني"، والمعقول من قولنا: "إنَّه يكفيني"، أنَّه يكفي في غرض من الأغراض، وكذلك المعقول من قولنا في العبادة: "إنَّها تجزئ"، هو: أنَّها تكفي وتُجزئ في إسقاط التعبد، وإذا قلنا: "إنَّ العبادة لا تُجزئ"، فالمعقول منه أنَّها لا تُجزئ في إسقاط التعبد بها، وإنَّما لا تُجزئ في ذلك؛ لأنَّها لم تستوف شرائطها التي أخذ علينا إيقاعها عليها، وتبع ذلك أنَّ يجب قضاؤها بذلك التعبد، إن لم تكن مؤقتة، أو كان وقتها باقياً، وأن يجوز أن يجب قضاؤها إن كان قد خرج وقتها، وقد دخل تحت هذا الكلام العبادات الواجبة وغير الواجبة»[١].

الثاني: قال إمام الحرمين الجويني: «لا معنى للإجزاء؛ إلَّا قيام المخاطب بموجب الأمر، من غير أن يبقى طَلِبَة من قضية الأمر»[٢].

الثالث: قال الإمام الغزالي: «لا معنى للإجزاء؛ إلَّا موافقة الأمر، والامتثال قد حصل، فأجزأ»[٣].

الرابع: قال أبو الخطاب (٥١٠هـ): «الإجْزَاء: ما حصل به الكفاية»[٤]، ثم قال في موضع آخر: «ومعنى قولنا: "إنَّها مُجزئة"، أنَّها إذا فُعِلَت بكامل شروطها كفت، وأجزأت في إسقاط التعبد بالأمر، فلا يجب قضاؤها. دليلنا: ((قوله ﷺ للخثعمية: أرأيت لو كان على أمك دَين فقضيته؛ أكان يجزيه؟ قالت: نعم))[٥]، فعقلت من أداء ما وجب الإجْزَاء، فكان هذا أصلاً مقرراً عند النبي ﷺ وعندها؛ ولهذا رَدَّها إليه، فأقرَّت به، فدلَّ على أنَّ امتثال الأمر يحصل به الإجْزَاء»[٦].

الخامس: قال الإمام فخر الدين الرَّازي (٦٠٦هـ): «المراد من كونه مجزياً، هو: أن الإتيان به كافٍ في سقوط الأمر، وإنَّما يكون كافياً إذا كان مستجمعاً لجميع الأمور المعتبرة فيه؛ من حيث وقع الأمر به»[٧].

السادس: قال الإمام القرافي: «الإجْزَاء هو: كون الفعل كافياً في الخروج عن عهدة التكليف»[٨]، ثم

(١) المعتمد (١/٩٠-٩١).
(٢) البرهان في أصول الفقه (١/٢٥٦).
(٣) المنخول (١١٧).
(٤) التمهيد في أصول الفقه (١/٦٨).
(٥) أخرجه: البخاري في صحيحه (١٣١٥) برقم (٧٣١٥)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب من شبَّه أصلاً معلوماً بأصل معين قد بيَّن الله حكمهما ليفهم السائل، بلفظ: عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: ((إنَّ أمي نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج، أفأحج عنها؟ قال: نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دَين أكنت قاضيته؟، قالت: نعم، فقال: اقضوا الله الذي له، فإن الله أحق بالوفاء)).
(٦) التمهيد في أصول الفقه (١/٣١٦-٣١٧).
(٧) المحصول (١/٢٥١).
(٨) شرح تنقيح الفصول (٦٧).

قال: «وقولنا: "الكافي في الخروج عن العهدة"، هو معنى قولنا في الصِّحة، هي: "موافقة الأمر"»[١].

السابع: قال الإمام البيضاوي: «الإجْزَاء هو: الأداء الكافي لسقوط ما عليه»[٢].

الثامن: قال الإمام الزركشي: «الإجْزَاء هو: الاكتفاء بالفعل في سقوط الأمر، ومعناه: أنَّ الخطاب متعلق بفعله على وجه مخصوص، فإذا أتى المكلف به على ذلك الوجه انقطع عنه تعلق الخطاب، وهذا هو مذهب المتكلمين في تفسير الصِّحة بموافقة الأمر»[٣].

وبما أنَّ الأصوليين متفقون على أن تعريفات الإجْزَاء، المنسوبة إلى المتكلمين والفقهاء ترجع إلى قولي المتكلمين والفقهاء المتقدمين في تعريف صحة العبادة، فإن البحث يُعيدنا إلى أن نُرَجِّح قول المتكلمين هنا كما رَجَّحْنَاه هناك؛ لأنَّ الأسباب واحدة[٤].

فيترتب على هذا أنَّ التعريف المختار للصِّحة هناك، هو التعريف للإجزاء؛ إنْ لم يوجد فرق.

فيُقال: الإجْزَاء عند علماء الأصول هو: وقوع الفعل ذي الوجهين موافقاً الشرع.

أو: هو: خطاب الشارع المتعلق بوصف الفعل ذي الوجهين بموافقة أمره.

وهنا يتبيَّن أنَّ اختلاف التفسيرات حول تعريف الإجْزَاء لا أثر لها؛ لأنَّ المعنى المُراد واحد، فكل فعلٍ وقع على وفق الوجه الذي أمر الشارع الحكيم بإيقاعه عليه، فهو فعلٌ صحيح ومُجزئ.

فهذا التعريف شاملٌ لإجزاء العبادات وإجزاء المعاملات، كما هو الحال في تعريف الصِّحة.

محل الخلاف، وثمرته، وحقيقته:

بناءً على ما تقدَّم، فقد وقع الخلاف بين الأصوليين في حقيقة "الإجْزَاء" على حسب ما وقع في مصطلح "الصِّحة" المذكور آنفاً، فقد اعتبر بعضهم "الإجْزَاء" وقوع الفعل موافقاً للأمر، واعتبره البعض الآخر هو عدم وجوب القضاء.

أمَّا عن ثمرة هذا الخلاف: فهي الثمرة نفسها المذكورة في خلاف الأصوليين في مصطلح "الصِّحة"؛ بين كونه موافقة الفعل للأمر، أو كونه غير مستوجب للقضاء.

أمَّا عن حقيقة الخلاف: فبناءً على ما تقدَّم، فإنَّ الخلاف في مصطلح "الإجْزَاء": خلاف لفظي غير حقيقي؛ فلا يترتب عليه عمل، ولا ينبني عليه أثر في التفريع الفقهي بين المختلفين.

الفرق بين القَبُول والإجزاء:

لا خلاف بين علماء الأصول -كما ذُكر آنفاً- في أنَّ الإجْزَاء لا يُستعمل إلَّا فيما له وجهان، كالصِّحة، وقد كان المفاد من التعريفات التي ذكرناها سابقاً للإجزاء أنَّ معناه ومعنى الصِّحة واحد، فاحتمل أن يقتضي ظاهر هذين الأمرين كون الإجْزَاء والصِّحة

---

(١) المرجع السابق.
(٢) نهاية السول (٣٨٦/١).
(٣) البحر المحيط (٣١٩/١).
(٤) انظر التعريف المختار للصِّحة، وأسباب اختياره في المسألة الأولى من هذا المطلب.

مترادفين؛ مع مخالفة البعض بأنَّ هناك فرق بينهما، وقد سبق الكلام في هذا؛ ومن هذا المنطلق يتبيَّن أنَّ الإجزاء أعمّ من القَبُول، كما هو حال الصِّحة، وبالتالي القَبُول أخصّ، إذ كل مقبولٍ مُجزئ ولا عكس، يقول الإمام القرافي: «القَبُول غير الإجزاء وغير الفعل الصحيح، فالمُجزئ من الأفعال هو ما اجتمعت شرائطه وأركانه، وانتفت موانعه، فهذا يُبرئ الذمة بغير خلاف، ويكون فاعله مطيعاً بريء الذمة، فهذا أمر لازم مجمع عليه، وأمَّا الثواب عليه، فالمحققون على عدم لزومه وأنَّ الله تعالى قد يُبرئ الذمة بالفعل ولا يثيب عليه في بعض الصور وهذا هو معنى القَبُول»[١].

والقَبُول يوصف به العبادات فقط كما ذكرنا سابقاً، أمَّا بالنسبة للإجزاء ففيه خلاف؛ والرَّاجح –من وجهة نظري، والله أعلم– أنَّه لا مانع من أن يوصف الإجزاء بكل ما له وجهان من العبادات والمعاملات، ويَدُلُّ على هذا ما يلي:

الدليل الأول: أنَّ العبد المكلف يجب عليه الإتيان بجميع أعماله وتصرفاته على الوجه الشرعي، من غير فرق بين العبادات والمعاملات؛ لأنَّ الأعمال الشرعية كلها عبادات، فكما يجب على الإنسان المسلم الإتيان بالصلاة أو الحج على الوجه الشرعي، يجب عليه أيضاً الإتيان بالبيع أو الشراء أو رد الوديعة أو أي معاملة على وجهها الشرعي، يقول الإمام الصنعاني (١١٨٢هـ): «وقيل: لا يختصّ بالعبادات، بل يجري في المعاملات، كَرَدِّ الوديعة، فإنه إذا حُجِرَ على المودِع لم يَجْزِ الرَّدُّ عليه، بخلاف ما إذا لم يُحجر عليه»[٢]، وإذا كانت العبادة تلزم المكلف إذا اختل شيء من شروطها، فكذلك يلزم المكلف الإتيان بالمعاملة إذا كانت فاسدة مرة ثانية إذا أرادها أن تمضي، وأراد الحصول على ثمرتها، فالمعاملة الباطلة لا تُعتبر شرعاً، كالعبادة الفاسدة تماماً، فلا بد من الإتيان بكل منهما مرة ثانية مكتملة الأركان والشروط، التي أمرنا الشارع بإيقاعها عليها؛ وإلَّا لمَا بَرِئَت الذمة من المطالبة بهذه العبادة، ويكون المكلف حينها عاصياً لله ﷻ إذا أمضى هذه المعاملة على بطلانها، فإذا صُحِّحَت المعاملة على الوجه الشرعي المراد، فهو كقضاء العبادة الفاسدة على الوجه الشرعي، وهنا لا فرق بينهما؛ إلَّا في النية؛ لأنَّ النية شرطٌ لصحة العبادات دون المعاملات، وعدم اشتراط النية في صحة المعاملات، ليس معنى هذا أنَّها غير مطلوبة، بل هي مطلوبة؛ لِتُعَد هذه المعاملات من الأعمال الصالحة التي يُثاب عليها، وهذه من الأمور المهمة للعبد المسلم، الذي من الواجب أن تكون كل أعماله في هذه الدنيا خالصة لوجه الله تعالى مبتغياً الأجر في الدنيا والجنة في الأخرى، ولهذا فسَّر بعض العلماء العبادة: بكل ما يشمل الأعمال الشرعية، قال أبو يعلى الفرَّاء (٤٥٨هـ): «أمَّا العبادة: فكل ما كان طاعة لله تعالى، أو قُربة إليه، أو امتثالاً لأمره، ولا

(١) الفروق للقرافي (٩٨/٢).

(٢) إجابة السائل شرح بغية الأمل (٤١).

فرق بين أن يكون فعلاً، أو تركاً»[١]، وقال أبو الوليد الباجي (٤٧٤هـ): «العبادة هي: الطاعة، والتذلل لله بامتثال أمره، والطاعة: امتثال الأمر»[٢]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): «كل ما كان طاعة لله، ومأموراً به؛ فهو عبادة عند أصحابنا والمالكية والشافعية، وعند الحنفية العبادة: ما كان من شروط النية»[٣].

الدليل الثاني: عن عبد الله بن الزبير ﷺ قال: ((جاء رجل من خثعم إلى رسول الله ﷺ، فقال: إنَّ أبي شيخٌ كبيرٌ، لا يستطيع الرُّكوب، وأدركته فريضة الله في الحج؛ فهل يُجْزِئُ أنْ أحُجَّ عنه؟ قال: آنت أكبرُ ولده؟ قال: نعم، قال: أرأيت لو كان عليه دينٌ أكنتَ تقضيه؟! قال: نعم، قال: فَحُجَّ عنه))[٤].

وجه الاستدلال: في هذا الحديث الشريف جاء وصف قضاء الحج عن الأب بالإجزاء، وهو من الأعمال المندوبة، وجاء وصف قضاء الدَّين عن الغير بالإجْزَاء، وهو من المعاملات.

وَبَعْدَ هذا كلّه يتبيَّن أنَّ الفرق بين القَبُول والإجزاء، ما يلي:

١) أنَّ الإجزاء أعمّ من القَبُول.

٢) أنَّ القَبُول أخصّ من الإجزاء؛ فكل مقبولٍ مُجزئ ولا عكس.

٣) أنَّ القَبُول يوصف به العبادات فقط، أمَّا الإجزاء فالرَّاجح -والله أعلم- أنَّه لا مانع من أن يوصف به كل ما له وجهان من العبادات والمعاملات.

المسألة الرابعة: نفي القَبُول، هل يَدُلُّ على نفي الإجزاء؟

بَعَدَ أن تعرّفنا على أنَّه لا خلاف بين علماء الأصول في أنَّ الإجْزَاء لا يستعمل إلَّا فيما له وجهان، كالصِّحة، وتبيَّن لنا أنَّ الإجزاء أعمّ من القَبُول، كما هو حال الصِّحة، وبالتالي القَبُول أخصّ، إذ كل مقبولٍ مُجزئ ولا عكس، وأنَّ القَبُول توصف به العبادات فقط، أمَّا الإجزاء فالرَّاجح أنَّه لا مانع من أن يوصف به كل ما له وجهان من العبادات والمعاملات؛ يتبيَّن من هذا كله أنَّ نفي القَبُول كما يَدُلُّ على نفي الصِّحة يَدُلُّ أيضاً على نفي الإجزاء، يقول ابن العراقي: «أمَّا نفي الإجزاء، ...، فالمشهور أنَّه كنفي الصِّحة»[٥]، وقال الإمام الفتوحي: «[وكصحة قبول ونفيه، كنفي إجزاء]، يعني: أنَّ القَبُول مثل الصِّحة، فلا يفارقها في إثبات ولا نفي، فإذا وجد أحدهما وجد الآخر، وإذا انتفى أحدهما انتفى الآخر»[٦]، وقال عبدالله الجديع: «قوله ﷺ: ((لا تُقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول))[٧]، فنفي القَبُول كنفي الإجزاء»[٨]، فكلما وجِدَ القَبُول وجِدَ الإجزاء ولا عكس.

(١) العدة في أصول الفقه (١٦٣/١).
(٢) المنهاج في ترتيب الحجاج (١٣).
(٣) المسودة لآل تيمية (٥٧٦).
(٤) سبق تخريجه: ص (٧٨).
(٥) الغيث الهامع (٢٦٦).
(٦) شرح الكوكب المنير (٤٦٩/١).
(٧) أخرجه: مسلم في صحيحه (١٢١/١)، برقم (٢٢٤)، كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة.
(٨) تيسير علم أصول الفقه (٢٦٠).

وقال الإمام علاء الدين المرداوي (٨٨٥هـ): «قوله: [ونفي الإجزاء كنفي القَبُول]، ...، معنى ذلك: أنَّ نفي الإجزاء كنفي القَبُول فيما ذُكر، فيقال: لا يُجزئ، كما يقال: لا يُقبل»[١].

وقال الشيخ حسن العطار (١٢٥٠هـ): «(ونفي الإجزاء كنفي القَبُول)، في أنَّه يفيد الفساد أو الصَّحة، ...»[٢].

وجاء في الأصل الجامع: «ونفي الإجزاء كنفي القَبُول، وقيل أولى بالفساد»[٣].

الخاتمة وأهم نتائج البحث

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فهذه أهم نتائج هذا البحث:

١- أنَّ سبب عدم تعرض الكثير من الأصوليين للقَبُول، هو ما قاله الإمام حُلُولُو نقلاً عن الإمام القرافي: «أمرٌ مُغَيَّبٌ عنَّا لا تدخله أحكامنا،...»[٤].

٢- أنَّ من أهم معاني (القَبُول) وَ (التَّقَبُّل): الأخذ عن رضىً وطيب خاطر، والإثابة والجزاء، والاستجابة، والموافقة، والمحبة، والاعتداد بالشيء.

٣- أنَّ أحسن تعريف للصِّحة، هو تعريف التاج السُّبكي، الذي قال فيه: «الصِّحة: موافقة العبادة ذات الوجهين وقوعاً الشرع، وإن لم تسقط القضاء»؛ لأنَّ الفعل إذا وافق الشرع، فهذا يعني أنَّ الفعل وقع صحيحاً، كامل الأركان والشروط، مُنتفياً الموانع، وبالتالي تَتَرَتَّب على هذا الفعل آثاره، فتبرأ الذمة من هذا الفعل إن كان عبادة، والفاعل مطيع للشارع ممتثلاً أمره، مستحقٌ لِمَا يَتَرَتَّب على هذه العبادة من الأجر والثواب، ويُقاس على العبادات المعاملات؛ فإذا كان هذا الفعل معاملة؛ ثبت للبائع قبض الثمن، وللمشتري ملك العين، وفي النكاح حل البضع للزوجين، ووجوب الحقوق الزوجية لكل منهما، وهكذا في باقي المعاملات.

٤- أنَّ القَبُول أخصّ من الصِّحة، والصِّحة أعمّ.

٥- أنَّ كل مقبولٍ صحيح ولا عكس.

٦- أنَّ نفي القَبُول يَدُلُّ على نفي الصِّحة، فكلما وُجِدَ القَبُول وُجِدَت الصِّحة ولا عكس.

٧- أنَّ التعريف المختار للصحة، هو التعريف المختار للإجزاء أيضاً؛ إن لم يوجد فرق، فيُقال: الإجْزَاء عند علماء الأصول هو: وقوع الفعل ذي الوجهين موافقاً الشرع، أو يُقال هو: خطاب الشارع المتعلق بوصف الفعل ذي الوجهين بموافقة أمره.

٨- أنَّ القَبُول أخصّ من الإجزاء، والإجزاء أعمّ.

٩- أنَّ كل مقبولٍ مُجزئ ولا عكس.

١٠- أنَّ القَبُول يوصف به العبادات فقط، أمَّا الإجزاء فالرَّاجح -والله أعلم- أنَّه لا مانع من أن يوصف به كل ما له وجهان من العبادات والمعاملات.

١١- أنَّ نفي القَبُول يَدُلُّ على نفي الإجزاء، فكلما وُجِدَ القَبُول وُجِدَ الإجزاء ولا عكس.

---

(١) التحبير شرح التحرير (١١٠٤/٣-١١٠٥).
(٢) حاشية العطار على جمع الجوامع (٥٠٥/١).
(٣) الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع (١٢٢).
(٤) التوضيح شرح التنقيح (٢٢١/١).

هذا ما استطعت عمله، فإن أحسنت فمن الله جلَّ في علاه، وإن أسأت فمن نفسي والشيطان.

فهرس المصادر والمراجع

١) **القرآن الكريم.**

٢) **الإبهاج في شرح المنهاج:** لأبي الحسن تقي الدين علي بن عبدالكافي السُّبكي، وولده: عبدالوهاب بن علي السُّبكي، تحقيق: د.شعبان محمد إسماعيل، الطبعة: الثانية، (١٤٣٢هـ)، الناشر: دار ابن حزم، بيروت.

٣) **إجابة السائل شرح بغية الأمل:** لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: القاضي حسين السياغي وَ د.حسن الأهدل، الطبعة: الثانية، (١٤٠٨هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤) **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام:** لتقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، الطبعة: الأولى، (١٤١٤هـ)، الناشر: مكتبة السنة، القاهرة.

٥) **الإحكام في أصول الأحكام:** لأبي الحسن علي بن محمد بن سالم الآمدي، الطبعة: الأولى، (١٤٢٤هـ)، الناشر: دار الصميعي، الرياض.

٦) **أساس البلاغة:** لجار الله أبو القاسم محمود بن عمر، تحقيق: عبد الرحيم محمود، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٧) **الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع:** لحسن ابن الحاج عمر السيناوني، الناشر: مطبعة النهضة، تونس.

٨) **البحر المحيط في أصول الفقه:** لأبي عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، الطبعة: الثانية، (١٤١٣هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

٩) **البرهان في أصول الفقه:** لأبي المعالي عبدالملك بن عبدالله الجويني، تحقيق: د. عبدالعظيم الديب، الطبعة: الأولى، (١٣٩٩)، قطر.

١٠) **تاج العروس من جواهر القاموس:** لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبدالستار فراج، وآخرون، طبعة: (١٣٨٥هـ)، الناشر: مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

١١) **التحبير شرح التحرير:** لأبي الحسن علاء الدين علي بن سلمان المرداوي، تحقيق: د.عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين، الطبعة: الأولى، (١٤٢١هـ)، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض.

١٢) **التمهيد في أصول الفقه:** لأبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني، تحقيق: د.مفيد محمد أبو عمشة، الطبعة: الأولى، (١٤٠٦هـ)، الناشر: مكتبة المدني، جدة.

١٣) **التوضيح شرح التنقيح:** لأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن الزليطني، تحقيق: بلقاسم بن ذاكر الزبيدي، طبعة (١٤٢٥هـ)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

١٤) **تيسير علم أصول الفقه:** لعبدالله بن يوسف الجديع، الطبعة: الأولى، (١٤١٨هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٥) **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم:** لأبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: د.محمد الأحمدي أبو النور، الطبعة: الثانية، (١٤٢٤هـ)، الناشر: دار السلام، القاهرة.

١٦) **حاشية العطار على جمع الجوامع:** للشيخ حسن بن محمد العطار، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧) **حاشية العلامة البناني على متن جمع الجوامع:** لشمس الدين محمد بن أحمد المحلي، وتاج الدين عبدالوهاب بن علي السُّبكي، طبعة (١٤٠٢هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت.

١٨) **روضة الناظر وجنة المناظر:** لأبي محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الطبعة: الأولى، (١٤٠١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩) **سنن الترمذي:** لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، حَكم على أحاديثه وآثاره وعلَّق عليه: العلامة محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض.

٢٠) **سنن النَّسَائي:** لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي، الشهير بالنَّسَائي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلَّق عليه: العلامة محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض.

٢١) **شرح تنقيح الفصول:** لأبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي، المشهور بالقرافي، طبعة (١٤٢٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت.

٢٢) **شرح الكوكب المنير:** لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي، تحقيق: د.محمد الزحيلي وَ د.نزيه حماد، طبعة (١٤١٣هـ)، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض.

٢٣) **شرح مختصر الروضة:** لأبي الربيع سليمان بن عبدالقوي الطُّوفي، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة: الأولى، (١٤٠٧هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٤) **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية:** لإسماعيل بن حمَّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطَّار، الطبعة: الرابعة، (١٩٩٠م)، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت.

٢٥) **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان:** لعلاء الدين علي بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة: الثانية، (١٤١٤هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٦) **صحيح ابن خزيمة:** لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: د.محمد مصطفى الأعظمي، طبعة: (١٤٠٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٧) **صحيح البخاري:** لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الطبعة: الأولى، (١٤٢٢هـ)، الناشر: دار طوق النجاة،

وطبعة (١٤١٩هـ)، الناشر: بيت الأفكار الدولية، الرياض.

٢٨) **صحيح مسلم:** لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الطبعة: الأولى، (١٤٢٧هـ)، الناشر: دار طيبة، الرياض.

٢٩) **العدة على إحكام الأحكام:** لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: علي بن محمد الهندي، الطبعة: الثانية، (١٤٠٩هـ)، الناشر: المكتبة السلفية، القاهرة.

٣٠) **الغيث الهامع شرح جمع الجوامع:** لأبي زرعة أحمد بن عبدالرحيم العراقي، تحقيق: محمد تامر حجازي، الطبعة: الأولى، (١٤٢٥هـ)، الناشر: دار الكتب علمية، بيروت.

٣١) **فتاوى السُّبكي:** لأبي الحسن تقي الدين علي بن عبدالكافي السُّبكي، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

٣٢) **الفروق:** لأبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي، المشهور بالقرافي، تحقيق: أ.د.محمد أحمد سراح وَ أ.د.علي جمعة محمد، الطبعة: الأولى، (١٤٢١هـ)، الناشر: دار السلام، القاهرة.

٣٣) **الفروق اللغوية:** لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

٣٤) **كتاب العين:** لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي وَ د.إبراهيم السامرائي.

٣٥) **الكليات:** لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الطبعة: الثانية، (١٤١٩هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٦) **لسان العرب:** لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور، تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، الناشر: دار المعارف، القاهرة.

٣٧) **المحصول في علم أصول الفقه:** لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: د.طه جابر العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٨) **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل:** لابن بدران، تحقيق: محمد أمين ضناوي، الطبعة: الأولى، (١٤١٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩) **المستصفى من علم الأصول:** لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: أ.د.حمزة بن زهير حافظ، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٤٠) **المسودة في أصول الفقه لآل تيمية:** لأبي البركات عبدالسلام بن تيمية، وولده: عبدالحليم، وحفيده: أحمد، تحقيق: محمد محيي الدين، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة.

٤١) **المصباح المنير في غيرب الشرح الكبير للرافعي:** لأحمد بن محمد بن علي المقري، الطبعة: الخامسة، (١٩٢٢م)، الناشر: المطبعة الأميرية، القاهرة.

٤٢) **المعتمد في أصول الفقه:** لأبي الحسين محمد بن علي الطيب البصري، الطبعة: الثانية، (١٤٢٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٣) **معجم ألفاظ القرآن الكريم:** طبعة (١٤٠٩هـ)، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مصر.

٤٤) **معجم مقاييس اللغة:** لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة (١٣٩٩هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت.

٤٥) **المعجم الوسيط:** للأستاذ الدكتور: شوقي ضيف، وآخرون، الطبعة: الرابعة، (١٤٢٥هـ)، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، مصر.

٤٦) **مفردات ألفاظ القرآن الكريم:** لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، طبعة (١٤٣٠هـ)، الناشر: دار القلم، دمشق.

٤٧) **المنهاج في ترتيب الحجاج:** لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: عبدالمجيد تركي، طبعة (٢٠١١م)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٤٨) **ميزان الأصول في نتائج العقول:** لعلاء الدين أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي، الناشر: مطابع الدوحة الحديثة، قطر.

٤٩) **نفائس الأصول في شرح المحصول:** لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: علي معوض وَ عادل عبد الموجود، الطبعة: الأولى، (١٤١٦هـ)، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.

٥٠) **نهاية السول في شرح منهاج الأصول:** للقاضي ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي، تأليف: جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن الإسنوي، الناشر: عالم الكتب، بيروت.

٥١) **الواضح في أصول الفقه:** لأبي الوفاء علي بن عقيل البغدادي، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة: الأولى، (١٤٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

Acceptance among fundamentalists

Abdullah Ahmed Al- Sharif

Abstract. Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the most honorable messenger, Prophet Muhammad, his family and companions

This research is entitled as "The Acceptance in the fundamentalists' opinions." Due to its nature, the research is divided into an introduction, three sections, a conclusion, a list of references, and a content list. The introduction includes the rationale of the research topic, the previous studies, the research plan, and the research methodology.

Generally, the current research aims at presenting the issue of *acceptance* in the fundamentalists' opinions, shedding light on the term of 'Acceptance' and any related terms such as validity and permission, and clarifying the difference between acceptance and validity and between acceptance and permission.

الجدران لها آذان : دراسة لغوية وتحليل الخطاب لفن الجداريات في جدة: المملكة العربية السعودية

نهى الشرفا ، علاء الجوفي

مستخلص. تهدف هذه المقالة اللغوية العلمية الى تقديم مفهوم جديد لفن الجداريات في مدينة جدة بالتركيز على الوظائف اللغوية كما تنقلها لغة هذه الجداريات حيث تعكس القيم الاجتماعية والثقافية الخاصة بمختلف نواحي المجتمع السعودي. وترتكزهذه الدراسة على تحليل اللغة هذه المفردات والظواهر النحوية ومميزاتها باتباع نظريات تحليل الخطاب النقدي (CDA) كما وضعها اللغوين فانديك و فيركلوج (Van Dij and Fairclough) وطوراها لتشمل الثقافات اللغوية الاجتماعية .

وتتكون بيانات الجداريات التي تخلو من التخريب أو من أعمال الشغب، والتي تم تجميعها لهذه الدراسة من ٢٢٩ استخداما من مدينة جدة وجامعتي جدة وجامعة الملك عبد العزيز ، و أظهرت نتائج الدراسة أن هناك أربعة أنواع من الجداريات: الأولى هي عبارات شخصية، والثانية هي عبارات تتعلق بمحبة الوطن، والثالثة تحتوي على عبارات دينية والرابعة عبارات محظورة اجتماعيا لتعلقها بكلمات السب والألفاظ النابية ولكن تنحصر فيما يسمح به القانون. وتحظى الجداريات في جدة بميزات لغوية فريدة منها البساطة في التعبير والإبداع الخلاق والتنوع ويمكننا الاستنتاج أن الجداريات في جدة تحتوي على إبداعات متميزة يتفرد بها المجتمع السعودي، كما يرى كاتبي هذه المقالة أنها دراسة غير مسبوقة في علم اللغويات وتحليل الخطاب النقدي مما يجعلها تلاقي اهتمام علمي مميز لدى اللغويين–الاجتماعين ومتخصصي علم النفسي والتعليم والإدارة بما في ذلك التربويين وإثراء لهذا التخصص من علم اللغويات.

كلمات مفتاحية: تحليل الخطاب النقدي؛ فن الجداريات ؛ فن الشارع؛ القيم الغجتماعية–اللغوية؛ علم الغويات الإجتماعي

53. Van Dijk, T. A. (1998). Ideology. A Multidisciplinary Study. London: Sage.
54. Wodak, R., & Fairclough, N. (1997). Critical Discourse Analysis. In T. A. van Dijk (Ed.), *Discourse as Social Interaction* (pp. 258-284). London: Sage.
55. Wodak, R., & Weiss, G. (2003). *Critical Discourse Analysis. Theory and Interdisciplinary*. Palgrave Macmillan.
56. Wronka, E. (2011). Attention modulates emotional expression processing. Psychophysiology, 48(8), 1047-1056.
57. Zuhairart. (2015, February 7) Late king Abdullah mural in Jeddah [Instagram post]. Retrieved from https://www.instagram.com

confront the ideology behind the burqa". The Sydney Morning Herald. Archived from the original on 24 March 2018. Retrieved 29 April 2018.
35. Mangeya, H. (2014). *Sociolinguistic analysis of graffiti written in Shona and English found in selected urban areas of Zimbabwe* (Doctoral dissertation).
36. Matthews, N., Speers, L., & Ball, J. (2012). Bathroom banter: Sex, love, and the bathroom wall. Electronic Journal of Human Sexuality, 15 (17), 1-11.
37. McCormick, J. (2003). "Drag me to the asylum": Disguising and asserting identities in an urban school. The Urban Review, 35, 111-128.
38. Metz, H. (1992). (Ed.). *Saudi Arabia: A Country Study*. Washington: GPO for the Library of Congress.
39. Moukalled, D. (2013, November 12). Using graffiti to paint politics in the Arab world. Retrieved from http://english.alarabiya.net/en/views/news/middleeast/ 2013/11/12/Graffiti-as-a-means-of-political-expression-in-the-Arab-world.html
40. Mwangi, F. G., Gathumbi, A. W., & Bwire, A. M. (2012). Graffiti writing and its likely influence on English language learning in selected secondary schools in the larger
41. Naeem, H. (2013, March 6). Graffiti and the Arab uprisings - Culture & Dialogue. Retrieved from https://lb.boell.org/en/2013/03/06/graffiti-and-arab-uprisings-culture-dialogue
42. O'Doherty, D. (2012). 'Under siege? Exploring the hidden world of Irish Graffiti artists' *Socheolas: Limerick student journal of sociology* 42: 104-121.
43. Onyango, O. (2016). The talking walls of Rongo University College: A linguistic analysis of graffiti use at Rongo University College. International Journal of Academic Research in Progressive Education and Development, 5(1), 1-6.
44. Radwan, A. (2014). Urban street art as a sign of representing culture, economics & politics of the cities. Journal of Fine Arts & Architecture
45. Radwan, R. (2015, February 4). The mural that stole the nation's hearts. Retrieved from http://www.arabnews.com/art-culture/news/699131
46. Raymonda (2008). The sociolinguistic study of graffiti arts used in Surakarta (Unpublished Master's thesis). Muhammadiyah University, Surakarta, Indonesia.
47. Rose, A., & Christian S. (2005) *Beautiful Losers*. San Francisco: D.A.P./Iconoclast Ross, J. I (2016). Sorting it all out. In Ross, J. I. (Ed.), The *Routledge Handbook of Graffiti and Street Art*. (pp. 62-82). London: Routledge.
48. Saudi Arabia: State Schools to Allow Girls' Sports: Key Reforms to Male Guardianship System Still Needed. (2017). Human Rights watch. Retrieved fromhttps://www.hrw.org/news
49. Shaweesh & Gharem (2013). A photo of Saudi track and field Olympian Sarah Attar [Pinterest post]. Retrieved from https://www.pinterest.com/pin/690176711618351202/?lp=true
50. Smith-spark, L. (2018, June 22). The ban on Saudi women driving is ending: Here's what you need to know. Retrieved from https://edition.cnn.com/2018/06/22/middleeast/saudiwomen- driving-ban-end-intl/index.html
51. Before and after (n.d.) Women murals in Dammam [Snapchat post]. Retrieved from https://www.snapchat.com "The World of Banksy Art: A collection of news, knowledge, and miscellaneous Banksy art madness" (2012, October 11). Retrieved from http://banksyworld.blogspot.com
52. Van Dijk, T. A. (1993). Principles of critical discourse analysis. Discourse & society, 4(2), 249-283. Retrieved from discourses.org/OldArticles/Principles.pdf

12. Berg, B. L. 1., & Lune, H. (2012). Qualitative research methods for the social sciences (8th ed.). Boston: Pearson.
13. Blanchard, M. (2017). *Saudi Arabia: Background and U.S. Relations*. Washington D.C.
14. Bloch, S. (2012). The Illegal Face of Wall Space: Graffiti-Murals on the Sunset Boulevard Retaining Walls. Radical History Review, 2012 (113): 111–126. https://doi.org/10.1215/01636545-1504930
15. Blommaert, J. (2005). *Discourse: A critical introduction*. Cambridge University Press. Retrieved from googlebook
16. Blume, R. (1985) Graffiti. In T. van Dijk (ed.), *Discourse and literature*. Amsterdam: John Benjamins, pp.137–148. doi: 10.1075/ct.3.09blu
17. Cole, C. M. (1991). Oh wise women of the stalls...'. *Discourse & Society*, *2*(4), 401-411.
18. Claramonte, M. B., and Alonso J. I. G. (1993). 'Categories, morphological features and slang in the graffiti of a United States Western University' *Revista Alicantina de Estudios Ingleses,* (6), 19-31.
19. Crystal, D. (2001). Language and the Internet. Cambridge, Cambridge University Press. Retrieved from https://assets.cambridge.org/052180/2121/sample/0521802121ws.pdf
20. Davies, C., Maktabi, R., & Abdelhaq, A. (2012, March 23). How to rebel, Saudi style. Retrieved from https://edition.cnn.com/2012/03/23/world/meast/saudi-alternativeculture/ index.html
21. DeNotto, M. (2014). Street art and graffiti: Resources for online study. *College & Research Libraries News*, *75*(4), 208-211.
22. Fairclough, N. (1992). *Discourse and social change*. Cambridge: Polity.
23. Fairclough, N. (1995). Critical discourse analysis. The critical study of language. London: Longman
24. Fairclough, N. (2003). *Analyzing discourse: Textual analysis for social research*. Psychology Press.
25. Farnia, M. (2014). A thematic analysis of graffiti on the university classroom walls: A case of Iran. *International Journal of Applied Linguistics and English Literature*, *3*(3), 48-57. doi:10.7575/aiac.ijalel.v.3n.3p.48
26. Felemban, B. (2012, February 6). Let the walls speak visual Sunday. Retrieved from https://www.mashallahnews.com/let-the-walls-speak/
27. Ferrell, J (2016). Graffiti, street art and the politics of complexity. In Ross, J. I. (Ed.), The *Routledge Handbook of Graffiti and Street Art*. (pp. 62-82). London: Routledge.
28. Ferrell, J. (1995). Urban graffiti: Crime, control, and resistance. *Youth & Society*, *27*(1), 73- 92. https://doi.org/10.1177/0044118X95027001005
29. Gephart, R. P. (2004). Qualitative research and the academy of management journal. Academy of Management Journal, 47(4), 454-462.
30. Graffiti. (n.d.). In *Oxford Dictionaries.com*. Retrieved from https://en.oxforddictionaries.com
31. Gross, D. D., Walkosz, B., & Gross, T. D. (1997). Language boundaries and discourse stability "Tagging" as a form of graffiti spanning international borders. Et Cetra, 54, 275-285.
32. Hanauer, D. I. (2004). Silence, voice and erasure: Psychological embodiment in graffiti at the site of Prime Minister Rabin's assassination. The Arts in Psychotherapy, 31(29), 35. doi.10.1016/j.aip.2004.01.001
33. Kariuki, G., Yieke, F, & Ndoro, P. (2016). Graffiti on the walls: High school students in Kenya communicating their social issues. Journal of Applied Linguistics and Language Research, 3(6), 160-174.
34. Manea, Elham (27 August 2017). "Pauline Hanson's Senate stunt shows why we need to

expressions; national expressions; social expressions; religious expressions; and finally, unacceptable expressions. Such discourse domains were sub-categorized in order to distinguish the way graffiti serve as vital means of social communication in Jeddah's society. The personal domain discourse was best treated under two headings: direct declaration of emotions, and indirect declaration of emotions as graffitists reflect directly or indirectly their life's challenges and happiness inscribed on walls. The national theme display ideals of three subclasses: Praising kings, affirming identities, and supporting national teams. Social change depicted social changes on Jeddah's wall which deal with the Saudi culture through the voice of art.

Ideology expressions are illustrated in different forms such as preaching, prayers, and supplications. This discourse genre reflects socio-cultural relations in the Saudi society. The dysphemism expressions, on the other hand, include three different subclasses: personal, ideological, and sexual taboo. These expressions have been found the least to occur and restricted to bathrooms' doors and hidden places.

Linguistic features of graffiti are found in versatile forms of one word sentences, simple, complex nominal sentences, monologues, dialogues, or a combination of drawings, symbols, and logos that play a big role in discourse. Graffiti of the university students promote students' educational, personal, cultural, and social background. All these notions set graffiti in an important place as a subject matter and recommend further analysis.

LIST OF REFERENCES:

1. Abu Shaal, M. (2014, June 16). Graffiti began to impose its presence in the Kingdom. Retrieved from http://www.al-madina.com/article/312632/

2. Akmajian, D., Demers, R., Farmer A., & Harnish, R. (2001) *Linguistics: An Introduction to Language and Communication*. MIT Press

3. Al Abdali, S. (n.d.). Bibliography. Retrieved from http://edgeofarabia.com/artists/

4. Al-Khawaldeh, N. N., Khawaldeh, I., Bani-Khair, B., & Al-Khawaldeh, A. (2017). An exploration of graffiti on university's walls: A Corpus-Based Discourse Analysis Study. Indonesian Journal Of Applied Linguistics, 7(1), 29-42.

5. Al-Mansouri, A. (2014, March 29). The power of single letter graffiti in Saudi Arabia. Retrieved from http://english.alarabiya.net/en/life-style/art-andculture/ 2014/03/29/The-power-of-single-letter-graffiti-in-Saudi-Arabia.html

6. Al-Sharif, F. (2018, March 1). Streets come to life in Saudi Arabia's first: Graffiti project. Retrieved from http://www.arabnews.com/node/1256736/saudi-arabia

7. Baird, J., & Taylor, C. (2016). Ancient graffiti. In Ross, J. I. (Ed.), The *Routledge Handbook of Graffiti and Street Art*. (pp. 92-111). London: Routledge.

8. Banksy. (2005). *Wall and piece*. Random House.

9. Banksy. (2012). *Banksy: you are an acceptable level of threat and if you were not you would know about it*. Darlington: Carpet Bombing Culture.

10. Bar'el, Z. (2017, August 30). Beyond Protest Art: A New Wave of Graffiti is Coloring the Arab World. Retrieved from https://www.haaretz.com/middle-eastnews/ MAGAZINE-beyond-protest-art-a-new-wave-of-graffiti-is-coloring-the-arabworld-1.5446491

11. Bates, L. (2014). Bombing, Tagging, Writing: An Analysis of the Significance of Graffiti and Street Art. Tese de Mestrado. Pensilvânia: University of Pennsylvania

to uncover students' psychological status as well as strengthen students' bond.

Blume (1985) summarized the linguistic functions of graffiti: the "cognitive function of language" (von Polanz) and the "poetic function of language" (Jakobson). She stated that "the cognitive function of language" in Von Polanz's sense is when "speakers use language as a means of intentionally expressing perceptions, sensation, memories, plans, opinions …etc., but without a partner relation or even a relation to particular personal action" (p. 145). She also explains that "the poetic function of language" as Jakobson interpreted can possibly be compared to all four addressee types. With reference to the creative and aesthetic motivation of graffiti construction, she pointed out that poetic language is found to be of a more than average frequency in graffiti, because it has a tendency to use specific language devices and discourse in advertising slogans and newspaper headlines, children rhyme …etc. She concluded that the poetic devices of parody and contra fact of given formulas are features of graffiti.

Overall, the beliefs presented in the previous sections support Van Dijk's notion of power as control. He states that discourse power involves different access to social power. He sees social power as a kind of control. Therefore, the groups who has social power, they can control other groups' minds and actions. Since language can be associated with ideological means (Wodak & Weiss, 2003) power is expressed through ideology as well as language (Fairclough, 1995). In this study, graffiti and street art have been used in Jeddah as a means of empowering the people of the society. It communicates messages in public places that are accessible to all, and acts as a tool for activism and a crucial reflection element of the society. It turns out to be a dynamic means of protest to bring about social change for communities of people who have no voice.

In short, the results of this study hold the potential to contribute significantly to the body of research of both fields: Discourse studies and sociolinguistics as they gave a thoroughly analysis of language use in society. The results showed that graffiti can be seen as a marked reflection of the Saudi society and presented a new generation interpretations of events and thoughts. This project can open public minds to the notion that graffiti is a legitimate art form when presented in a legal setting. The present study is also expected to be very valuable to the civil society and its members through addressing and highlighting social issues. Official institutions (i.e. identified with a social purpose), and the educational settings may find their interest in this project as the results may be useful not only for Saudi society as a whole but also to the university students, educators, administrators, and parents in specific. People in charge can consider the results and create a conducive learning environment, which allows for a free exchange of feelings. They can also construct a graffiti stand in each college, a place in an institute, or even in the street to make people (e.g. students) legally write their concerns regarding daily life and hire a professional social worker to reply back to their issues with solutions.

6Conclusion

The paper has investigated the communicative functions and linguistic features of graffiti in Jeddah, Saudi Arabia within the framework of Critical Discourse theory (CDA) as outlined by Van Dijk and Fairclough. Saudi graffiti show Saudis' thoughts and emotions and are found as a form of social practice, a product of the practices of various institutions. Qualitative modes of enquiry for (229) graffiti, with regard to thematic classification yielded five categories that underline graffiti types in Jeddah. These categories are personal

bathroom's doors) or a combination of drawings, symbols, and logos that play a big role in discourse. It was also interesting to find that every graffiti writer has a different visual and linguistic casual daily life style. Each tag or portrait displays an aesthetic sense of its owner and correlates with calligraphy as much as language.

Furthermore, one of the most noticeable features of graffiti discursive practices was language variation. Graffiti used both standard Arabic and the casual and the vernacular Arabic (i.e. Hijazi), and occasionally standard English. They also used a combination of alphabet letters, numerals, and emoticons, which are employed to convey effective messages. It is worth mentioning that Arabic has been preferential language found in graffiti samples. Most of the written graffiti were presented in vernacular Arabic, while standard Arabic was only used in citing verses from Qur'an and picking certain lines from poetry, and quoting common proverbs. This can be ascribed to the fact that the standard Arabic is considered a prestigious language.

Graffiti language includes the following types: sub-sentential phrase (i.e. phrases with no finite verb), sentential (i.e. of or relating to a sentence), supra-sentential (i.e. a sequence of sentences-paragraph). These sentences were written in different forms: statements, dialogues, commands, exclamations, conditionals, and questions. With regard to the sentence construction, graffitist tended to employ simplicity and shortness to be easily remembered. Some of the statements are fragments (i.e. simple or syntactically less complex and void of punctuation marks).

Vocabulary choice by graffitists tends to use short content words rather than functional words to directly communicate thoughts making the messages notable and deeper; such as,"سلمان♥"(Salman), "الاتحاد"(unity), "الحب"(love). The frequency of short words seem to indicate that the viewer will lexically extend them to properly understand their intended meaning.

Comparing to other communication channels, graffiti were found to be of relatively more taboo language due to the anonymity of the graffiti writers and abbreviation caused by lack of time and space (e.g. I ♥ U, WTF). On the other hand, the spelling system is similar to everyday language except some intentional typo which can also be attributed to lack of time and space. It was noticed that certain words were spelled differently as "you", "u", "y" as a casual language. Concerning English expressions, it is worth noting that graffitists sometimes use loanwords as an impact of the social media among the youths' preference of technical language over the standard ones (e.g. LOL-laughing out loud), Crystal (2001), where there is great influence on the variety and creativity of language. He argues that the phenomenon of "Netspeak" is going to "change the way we think" about language in a fundamental way, because it is a linguistic singularity – a genuine new medium.

With regard to the discourse structure, it was found that graffiti collected from restrooms written by females appeared to be in dialogue form. One woman started the dialogue by asking a question or stating an issue and others provided a series of replies and serious responses. Mc Cormick (2003) claims that graffiti provides people with a great opportunity to escape from the strictness to construct a space framework for a more spontaneous discourse by attracting uninhibited and uncensored discussions that are often rare in academic writing. Studying graffiti produced by American female university students, Cole (1991) found that the writing was mainly interpersonal, interactive, advisory, and relationship-oriented. In other words, graffiti dialogues found in campus restrooms doors and walls indicated that graffiti is not only serves its purpose as a mode of communication but also serves as a means

Figure 8. Sara Attar mural in Jeddah (Shaweesh & Gharem, 2013)

As the above graffiti of figure 8 above shows, in 2013, the Saudi Artist Shaweesh and the artist collective Gharem Studio created life-size graffiti art honoring Saudi track and field Olympian Sarah Attar's run into the history books as one of the first two Saudi women to participate at the Olympics. (Shaweesh & Gharem, 2013).

5.1.4 Expressions of Dysphemism (i.e. taboos)

Taboo words are those that are to be avoided entirely, or at least avoided in 'mixed company' or 'polite company.' (Akmajian & Demers**,** 2001). In other words, "a taboo is a social or religious custom prohibiting or forbidding discussion of a particular practice or forbidding association with a particular person, place, or thing," (Oxford dictionary.com). "What counts as taboo language is something defined by culture, and not by anything inherent in the language," (Akmajian & Demers**,** 2001). Current studies reveal that graffiti conveying taboo words and expressions have been found to be the least frequent occurrence and restricted to bathrooms' doors and hidden places. They are found under the subcategories of personal, ideological and sexual taboos, as in table 12 below:

Table 12. Expressions for personal, ideological and sexual taboos

taboo expressions	Translation
يا حيوانه	You are an animal
أتمنى اتعرف عليكم عشان اشبشبكم	I want to beat you with my sneakers
الله يلعنكم	God damn you
الله ياخذكم	May God take your soul
WTF	WTF

5.2Distinctive morpho-syntactic features of graffiti

The data yielded a total of 229 written and pictorial graffiti. Interestingly, graffiti was observed to present a unique style of writing. Syntactically, forms are presented in one word sentences, simple, complex nominal sentences, monologues (consisting of a number of sentences), dialogues, where each turn is made a short time after the last (e.g. on university

Table 4 above involve expressions which express natives' devotion to their tribes (such as Ghamed) which reflect their feeling of belonging and affiliation in public. Social identity isn't hidden as the main self-identity expression focused on their surnames as well.

5.1.2.3 Supporting National Teams

Saudis express their love and devotion to their football teams and players such as football national team (i.e. Al-Itihad and Al-Ahli), as in table 6 below:

Table 6. Expressions for Supporting National Teams

Expression	Translation
الاتحاد موج البحر	Alitihad is the sea wave
الهلال♥	Al-Hilal
حب الاتي قتلني	ITI's love killed me
أهلاوي وافتخر	Ahlawy and proud

Table 6 above reaffirms the major social values through some expressions are used by Saudis to support their national teams.

5.1.3 Ideology themes

It is worth mentioning that Saudi Arabia's socio-cultural practices are based on tradition and religious ideology, (Metz, 1992). In 2018, King Salman issued the decree concerning women right to drive and ended ban on women drivers (Smith-spark, 2018). Graffiti as a direct reflection of the environment, figure 6, a Saudi graffitist draws a portrait in Jeddah streets on the walls that is worth a thousand words:

Figure 7. Women dress code mural in Jeddah (Saudi Art Guide)

The portrait in figure 7 above, shows three different images of women in Jeddah. Three different forms of women's appearance are contrasted with each other in Saudi society. Niqab covers the whole face, showing only eyes, while Khimar covers the hair, neck and shoulders. On the other hand, the third form is a Muslim woman not wearing Hijab.

Moreover, figure 8 below is a graffiti for a young athlete woman, named Sara Alattar, who participated for the first time on Saudi women's history at the Olympics:

Figure 6. Late king Abdullah mural in Jeddah (Zuhairart)

The mural, which decorates the wall on the sea front of Jeddah Corniche, has become a landmark and many visitors have been to the area to see it and take selfies.

National graffiti also set out in the University of Jeddah where students to write to express their feel towards the country as Table 4 below reveals:

Table 4. Examples of the national themes expressed in graffiti

National expressions	Translation
اللهم احفظ ملكنا وبلادنا واحفظ امننا واستقرارنا	Oh God save our King and our country and preserve our security and stability
احبك يا سلمان	I love you, Salman
جميل أن يموت الإنسان من أجل الوطن	It is beautiful to die for the homeland
الوطن هو قلب وروح الانسان	Homeland is the heart and soul of man
الوطن هو حياتنا	Home is our life
وطني دمت فخر المسلمين	My home, stay the national pride of Muslims

Table 4 above demonstrates some examples of these national expressions with their translation. Examples mirror students' dedication to the kingdom.

5.1.2.2 Social identity

Saudi tended to express their social identity through different discursive means such as nicknames and other related self-identity that imply belonging and societal family ties. Table 5 below, social identity expressions are illustrated with their subcategories.

Table 5. Social identity expressions illustrated in graffiti

Subcategory	Examples	Translation
Family name	عزوتي غامد	Ghamed is my pride
	تربة + الديرة	Taraba is a homeland
	الهيلا ولا غيرنا هيلا	None is Hila but us
Nicknames	عروج + أبو فرج	Arooj+ Abu faraj
	المعلم	The teacher
Names	هشام – نوره -احمد	Hisham-Noura- Ahmed

been painted in less crowded areas and toilets' walls.

5.1 Communicative functions

Qualitative thematic analysis of the graffiti samples reveals that they serve various communicative functions within distinctive themes. Results obtained with respect to each theme are presented in the sections below.

5.1.1 Personal themes

Personal expressions are inner feelings towards family, friends, professors, or even strangers. They simply reflect mental, and emotional state to joy, love, and hate experienced by people throughout their life. Moreover, graffitists inscribe on walls and also draw pictures besides attractive statements regardless of visual techniques. The different styles however help express the individuals' feelings.

5.1.1.2 Direct and indirect Declaration of Emotions

As direct expressions are the best direct indicators of affective attitudes and dispositions (Wronka, 2011), graffiti writers tended to employ explicit words in either Arabic or English or sketches of a heart with names on it to symbolize their love. The most common expressions found on Jeddah's walls were the English words "I love X" or the Arabic words "X أحبك", where X is first name of a male or a female.

Table 2. Examples of direct declaration of emotions

Direct Personal Expressions	Translation
حبك عذاب	Your love is torturing
No love	No love
الامور طيبة	Everything is fine
ارحموني	Have mercy on me
حتى ناس زي الناس ما فيه	People are being different than expected
هذي نتيجة قبول النسب الضعيفة في الجامعة	This is the result of accepting low achievers at the university

Graffiti on table (2) above involve personal themes of direct and indirect declaration of emotions that are inscribed on street walls or inside the universities.

5.1.2 National theme

Not only are the vast majority of wall graffiti works written in simple Arabic, but the use of creative language along with impressive paintings turn inscriptions into street art, demonstrating a great level of allocation and allowing the whole transaction to be perceived as society's communication to society.

5.1.2.1 Praising kings

Saudis show their strong love, attachment, and support to their country and their leadership. As the whole nation was mourning over late King Abdullah's death, Saudi graffitist, Ahmed Zuhair, has made his own personal painting to express his grief for the loss of the beloved monarch. It illustrates the late King walking away on his stick with a caption that says: "Where are you going? Please look back and say hello to us. We are still in need of your tenderness and we have not had enough of you."

The choice of graffiti written in Arabic and English is mainly informed by the fact that the researcher is a fluent bilingual speaker of the two languages involved. Graffiti inscriptions involve code-switching between Arabic and English. For the purpose of this study, both written and pictorial graffiti, as a picture is worth a thousand words, are considered. The Arabic graffiti, however, were translated except for the Quranic citations, which are taken from Alquranenglish.com.

4.3 **Data Analysis**

Data are qualitatively analyzed. Percentages and frequencies of the graffiti-writings were ignored as the idea of applying statistical tests to a qualitative study is fundamentally invaluable because the purpose of employing a qualitative analysis is to search for "the meanings, concepts, definitions, characteristics, metaphors, symbols, and description of things" and not to their "counts or measures" (Berg & Lune, 2012, p.3). So, the aim of qualitative study springs up from the fact that we seek to look beyond numbers and investigate further the phenomena that were not understood by using numbers. It looks to answer questions like "what", "where", and "how", (e.g., Gephart, 2004). Graffiti-writings for the present study were recorded and then transcribed for further analysis. All the examples provided in the next section were presented in their original form in order to help get the message intended by the graffitists. The data samples are analyzed at the functional, lexical, and syntactic levels. They were categorized into 5 discourse domains to classify graffiti in Jeddah. These are personal expressions, national expressions, social expressions, ideological expressions, and finally dysphemism expressions. These discourse domains were sub-categorized to distinguish the way graffiti serve as a vital means of social communication in Jeddah's society. Table 1 below provides an explanation of the proposed categories and subcategories at the functional level of analysis.

Table 1: Proposed categories/ subcategories at the functional level of analysis in Jeddah

Category	Subcategory
Personal themes/ communicative functions	Direct and indirect declaration of emotions
National themes	Praising kings
	Confirming identity
	Supporting national teams
ideological themes	Reaffirmation of faith
Dysphemism themes	Personal, ideology and Sexual taboos

To eliminate possible categories overlapping, some characteristics are given for each category to differentiate one sub-category from the other. In "personal themes", for example, while "direct declaration of emotion" refers to messages in which the graffitists directly stated their feelings on their own words, "indirect declaration of emotion" involves indirect messages using three main tools: poetic citations, prosodic (i.e. proverbs), and songs (lyrics).

5 Results and discussion

Below is the analysis and discussion of the 229 graffiti of which the majority have been apparently written on the public walls in Jeddah streets. Very few, mainly taboos, have

the emergence of an array of personal, social, and environmental needs.

Banksy's political content is generally accepted by many people around the world. In figure 4 below, Banksy's *Armored Dove* is one of the nine images painted on the West Bank Wall as a means to criticize the Palestine-Israeli conflict (Banksy, 2012). The mural shows a white dove with its wings out wide in an open arm stance with an olive branch in its beak (i.e. reference to the biblical story of Noah and the Ark) (Banksy, 2012).

Figure 4. Banksy's white dove in Bethlehem (The World of Banksy Art)

Banksy's dove wears an armored vest with a target pointed at its chest, demonstrating that conflict on the West Bank is inevitable (Banksy, 2012). Graffiti are almost found everywhere on the walls of public buildings, on the seats of public transportations, on the doors of washrooms at colleges, schools, institutes as well as roads and highways. They also can be placed on semi-permanent and/or moveable items, like park benches, trash/garbage cans/bins, street signs, mail and newspaper boxes, and means of transportation, such as freight trains, metro/subway cars, buses, trucks, vans, and cars (Ross, 2016).

4 Methodology

4.1 objectives and questions

The study attempts to investigate the functions that graffiti serve (i.e. the thematic analysis of the written and pictorial data), and the distinctive lexical and syntactic features that characterize the language of graffiti in Jeddah's walls, Saudi Arabia. On account of these objectives, we aim to find an answer to the following questions: (1) What communicative functions do graffiti serve? And (2) What are the distinctive lexical and syntactic features that characterize the language of graffiti?

4.2 Data Collection

This corpus-based discourse analysis study is a total of 229 Discourses were drawn from messages written and illustrated on Jeddah's walls. The randomly selected sample consists of graffiti found in representative places in the city including two universities: University of Jeddah, King Abdul-Aziz University and popular areas in the north and the south of the city for the intention that results generalize the entire province. Graffiti samples have been collected for the study analysis during the years 2017-2018 and 2018-2019. Graffiti-writings were written in two major languages: Arabic (first language) and English (second language).

provides an opportunity to understand graffiti as a product of human linguistic expression as well as the nature and impact of the message being conveyed (Onyango, 2016).

2.1Critical Discourse Analysis frame for Graffiti

Critical Discourse analysis (CDA) is an interdisciplinary approach to the study of discourse that views language as a social practice in which language users operate in a set of cultural, social and psychological frameworks (Van Dijk, 1993). It investigates the way social power, cruelty, dominance and discrimination are represented by text and talk in the social and political context (Van Dijk, 1998). This view is also supported by Wodak & Fairclough (1997) who assert that power relations, culture, history, and society are depicted in discourse. It can therefore be assumed that CDA can offer interpretation and description for graffiti as a form of social action.

As stated by Fairclough (1995& 2003), discourses do not only represent the world, but also signify, constitute, and construct the world in meaning. There seems to be some evidence (e.g. Van Dijk, 1985; Claramonte &Alonso, 1993; Whiting & Koller, 2007; Mangeya, 2014) to indicate that graffiti can rightfully be named "discourse" as they follow discursive norms and conventions.

Fairclough (1992) also describes three levels of analytical approach of Critical Discourse Analysis. Figure 4 below illustrates Fairclough's three-dimensional conception of discourse and its three levels of analysis.

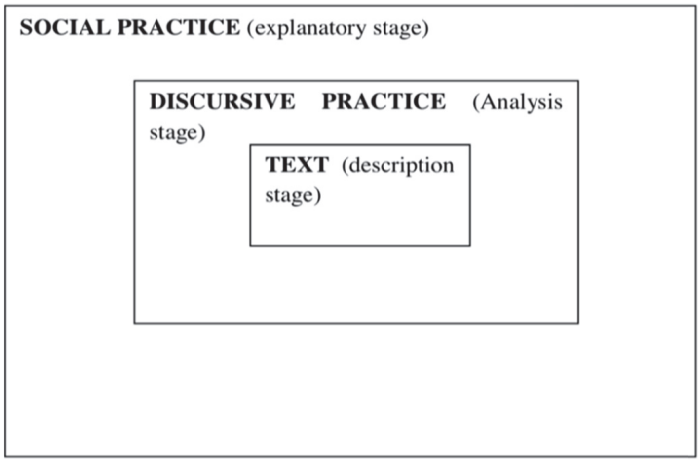

Figure 4: Fairclough's three-tier analysis model (adapted from Fairclough, 1992, p.73)

It can clarify, explain, and reflect the principles of the socio-cultural issues. Thus, it is significant to shed light on the importance of studying graffiti as a product of human interaction and the reflection of society as conveyed on graffiti messages.

3 Literature review

Researchers tended to classify graffiti based primarily on its content, composition, and/or overall aesthetic rather than the illegal/legal or sanctioned versus unsanctioned criteria (Ross, 2016). Bloch (2012) depicted the walls, which are covered with graffiti-murals, as "those produced by self-described, acknowledged, and active members of the graffiti community in public view with, primarily, the use of aerosol spray paint." (p. 124).

Graffiti-murals are a visually thematic technique whereby a painting or an photographic image, letters or characters are transferred to a wall surface not only to enhance a buildings plain wall, but also made

Figure 3. Woman mural in Dammam (Before and after account on snapchat)

Graffiti in Saudi Arabia is gaining an increasing reputation and many artists, whether famous or anonymous, are taking advantage of the streets' walls to post their views and emotions to the public. Graffiti in Saudi can be seen as an unconventional medium or as an alternative form of personal communication that is free of ordinary social limitations to stress out significant social issues and problems. In fact, we can't deny that graffiti is human products and forms of communication which can be inferred, examined, and understood (Gross et al.,1997).

1.3 Statement of the problem

By examining the types of graffiti practice illustrated in the society, the current study reveals vital information about the discourse of the graffitists, (DeNotto, 2014).

Since graffiti in Jeddah are generally associated with anti-social behavior, no previous studies on Saudi graffiti in general and Jeddah graffiti in particular have been documented. The paper argues that although graffiti are neglected art, they can provide people with an informal space to create alternative discourses. This, therefore, tends to offer the motivation to understand how graffiti are influenced by the sociolinguistic factors by which various social groups produce social relationships of power. Graffiti can also be considered a vital source of data for inspiring linguistic studies to concentrate on analyzing discourse patterns, examining various cultural production, and investigating gender-based language differences (Farnia, 2014). They are not only viewed as a source of present vital information, but also as an indicator to the future actions or intensions (DeNotto, 2014).

2 Theoretical framework

The examination of graffiti is based on the Critical Discourse theory (CDA) as outlined by Van Dijk and Fairclough. *It is important to keep in mind* that some of the previous studies (e.g. Kariuki et al, 2016; Al-Khawaldeh et al. 2017) exploring graffiti applied the CDA as the analysis of framework to the graffiti text, discursive practices, to the social context. Since graffiti is a form of discourse, it is essential to analyze it in the context of power relations in the society. Graffiti is taken as a social practice. It is considered as a social phenomenon that exists as a direct result of human interactions. It is not only a mixture of colorful drawings, words, and symbols, but also a vital tool to better understand the cultural attitudes deeply embedded within a particular community. Accordingly, this article

Ahmad Zuhair Al Garni uses his paint brush and tool of choice to express his feelings (Radwan, 2014). The passing of the late King Abdullah bin Abdul Aziz had artists express their sorrow for the loss in many ways. It is not only a mural that express this sorrow, but it also speaks of the feelings of a whole nation (Radwan, 2014& 2015).

Later on, streets were turned into inferential paintings in Saudi Arabia's first graffiti project in a historic neighborhood. About 20 Saudi graffiti artists coordinated for 10 days to complete a project, painting for six houses, transforming an entire neighborhood on Alkhobar's southern side which is believed to be the first street graffiti project in the Kingdom, (Al-Sharif, 2018).

Figure (2),below , is an anonymous artist mural in Dammam (a city in the Eastern Region of Saudi Arabia) for a woman showing her entire face with full makeup. Her long hair is reveled without the traditional veil. At first glance, people outside the Saudi society would think that this picture may represent a typical Saudi woman. However, the interpretation is attributed to the fact covered in public by the majority of Saudi women. The anonymous artist tended to depict the beauty of women face regardless of the society's criticism. It represents the society's attitude to unveil face in public.

Figure 2. Woman mural in Dammam (Before and after account on snapchat)

Figure 3 below, is the same mural as that in figure 2 above, but was redrawn by another artist who added a veil to cover the woman's face and removed her makeup and her jewelry as a symbol of modesty. By doing this, the artist conveys the traditional message of wearing the veil and covering the entire face in public except for the eyes. The blue background changes to a light colour, the hair overlaps with the background to imply that the woman is putting on "niqab" and "tarhah" or "shilah", which are Arabic terms to relate to a face-cover and a head scarf.

These two contrasting versions of the same portrait represent the society's opposing sides: the supportive of the "نقاب", "niqab" (face cover), and the liberal side which calls for freeing females of it, (Manea, 2017).

WAX or T7 (Felemban, 2012). Graffiti began to impose its presence in the Kingdom in recent years as a form of street art and becomes more popular and more appreciative by Saudis, especially in Jeddah which is considered the center of graffiti in the country (Abu Shaal, 2014) and (Blanchard, 2017).

Graffiti and street art represent cultural importance through its distinctive nature, its capability to decorate and enrich public spaces as well as its extremely observable means of voicing out hot topics as social and economic issues, among others. Its increasing fame indicates that social and cultural values are directly recognized.

In Jeddah, graffiti is written in two major languages: Arabic (first language) and English (second language). This includes graffiti written entirely in Arabic and in English, as well as pictorial graffiti as well as inscriptions involving code-switching between Arabic and English. The randomly selected samples, consist of graffiti, which are vandalism-free, legally allowed and contain no damaging nature, and are found in representative places such as University of Jeddah, King Abdul-Aziz University and in the north and the south of the city which generalize the entire province.

Many artists have emerged, among them is the young Saudi graphic designers "ḍ's family", who have created their own style to reserve the beauty of Arabic language by single out the most popular Arabic letter ض /ḍ/ (Al-Mansouri, 2014). Sarah Mohanna Al Abdali is another popular artist in Jeddah who makes bold statements to question the social constraints in Saudi Arabia through spray painting walls in public places. (Davies, Maktabi & Abdelhaq, 2012).

Figure (1) below, is a mural of a standard road sign to Mecca, the Saudi Arabian pilgrimage site for millions of Muslims every year. By zooming in, the portrait shows that the Ka'ba, the cube shaped building at the spiritual heart of Mecca, has been substituted by a combination of high buildings. This work was implemented by Sarah Mohanna Al Abdali, who sprayed it on walls around her home city of Jeddah as a comment on the rapid development in Mecca, the holiest Muslim city (Davies, Maktabi & Abdelhaq, 2012). She once said that:

Saudi is going through a lot of change and street art is the perfect medium to experiment in. It's something very new here. I started with very random shapes but I wanted to develop more concepts that people could relate to. I like street art because it's there for people. You don't need to overdo your ideas. It's a simple way of expressing yourself. (Abdali, n.d. para.1)

Figure 1: Makkah street Art (Al Abdali, n.d.)

The rapidly developing art has evolved within the hip hop culture alongside other elements such as hip hop music, b-boying, and DJ-ing (Ross, 2016), (Baird & Taylor, 2016) and (Crystal, 2001). Ferrell (1995) examines the various ways in which graffitists try to interpret their aspiration. Since graffiti writers remain anonymous, they can express their opinions freely, without the fear of criticism.

Unlike other official forms of the media (e.g. Twitter), graffiti are "one of the easiest and most efficient" means for people to voice taboo topics, religion, and sex because they provide a reachable communication medium with a good opportunity to avoid prosecution (Matthews et al., 2012: Mwangi et al., 2012). There is a whole language and complex hierarchy of graffiti out there that most people simply walk by every day without noticing. For this aspect, Hanauer (2004) viewed graffiti as a particular communicative act utilized by various subcultures to offer personal opinions in the public domain. Consequently,

"graffiti fulfills three functions of (a) allowing the entry within public discourse of messages regarded as marginal by other media; (b) providing the individual with the opportunity to express controversial contents publicly; and finally (c) it offers marginal groups the possibility of expressing themselves publicly" (p.29).

As was mentioned above, graffiti can represent people's voice in public places to depict their bother, prompt thoughts, feelings, or even their outcry (Farnia, 2014). In other words, they could be understood in terms of a second diary book (Raymonda, 2008) that reveals vital information to researchers interested in the investigation of the society's concerning issues.

Recently, graffiti started to be accepted as something with far more value due to the positive critical attention dedicated to works of such artists as Basquiat and Keith Haring in the 1980s, and the current works by Banksy, Steve Powers, and the like (Ross, 2016). Since then, this subculture has flourished, and apparently connected to heritage through its popularity (Bates, 2014).

1.2 Graffiti in the Arab world

In many Middle Eastern countries, such as Lebanon, Tunisia, Egypt, Yemen, Libya and Syria, the word "graffiti" is linked to political activity. The graffiti movement in the Arab world arose to echo the experience in the region (Moukalled, 2013; Bar'el, 2017; Naeem, 2013). It was initiated with several scribbles and drawings by youths who "turned walls into newspapers" (Moukalled, 2013; Bar'el, 2017).

Graffiti in Syria contrasts with its counterparts in Lebanon and Egypt in terms of their nature as they are barren of high-level properties in visual image, and limited to short slogans, spontaneously created on the spot and written in a great rush (Naeem, 2013). Graffiti in the Arab World were limited to governments as the writings and paintings on Baghdad's walls were scribbled to glorify Saddam Hussein and his statements (Moukalled, 2013). A new wave of graffiti spread all over the Arab World beyond protest art as murals in Beirut and Djerba do not depict war, weapons or blood; they expel out the terror that splits Lebanese, familiarize them with international art and give them a sense of belonging (Bar'el, 2017).

1.2.1 Graffiti in Saudi Arabia

The quantity and the quality of the graffiti evident in Lebanon, especially in Beirut, and Egypt during the Egyptian revolution amazed and surprised people in Saudi Arabia, who were not really familiar with this kind of documenting the revolution events and conveying its message (Felemban, 2012). For most people in Saudi Arabia, the word graffiti is associated with the random statements all over the walls, such as "A+T= <3" or "Abu Shanab" (Moustache Guy) or tags from different, mostly online, groups such as X5,

JKAU/ Arts amd Humanities, **Vol. 28**, pp: 281 - 299 (2020 A.D. /1440 A.H)
DOI:10.4197/Art.28-2.10

Walls Have Ears: A critical Discourse Analysis OF Graffiti In Jeddah, Saudi Arabia

NUHA ALSHURAFA (Professor of linguistics at King Abdul-Aziz du.sa)
ALIA ALJOOFI (Teaching assistant, university of Jeddah, English language institute,

Abstract. this paper is a study on Saudi graffiti in Jeddah with a special reference to communicative functions served by pictorial graffiti and their relation to the socio-cultural values of the society. It also investigates the distinctive lexical and syntactic features that characterize the language of graffiti-writings. The analysis of graffiti is based on Critical Discourse Analysis theory (CDA) as outlined by Van Dijk and Fairclough, extending the concept of discourse from the traditional and natural "language in use'" to a social one in practice. Through the analysis of 229 utterances and murals found in representative and legally allowed places in Jeddah including two universities: University of Jeddah, King Abdul- Aziz University and famous areas in the north and the south of the city, the results yield five categories that underline graffiti types in Jeddah. They are: Personal expressions, national expressions; social expressions; cultural (ideology) linguistic expressions; and finally Dysphemism (taboo) expressions within norms away from vandalism. The linguistic features of graffiti in Jeddah are found to have unique simplicity and creativity besides variation. It can be concluded that graffiti has idiosyncratic and prominent ways of vandalism-free and of no damaging nature of communication in the Saudi society. The study is believed to contribute in the field of discourse linguists, sociologists, psychologists, educators, administrators and parents. Since no prior study to this one has been conducted on Saudi graffiti, this project bridges the gap in the literature of linguistic studies of this area in the Middle East .
Keywords: Critical Discourse Analysis, Saudi graffiti in Jeddah, lexical and syntactic features, street art, socio-cultural values, sociolinguistics

Introduction

1.1 Background of the study

"Graffiti is not the lowest form of art. Despite having to creep about at night and lie to your mum, it's actually the most honest art form available." (Banksy, 2005, p.8)

Graffiti have been considered as a significant cultural and social phenomenon for a long time. They can be seen almost everywhere on the walls of public buildings, on the seats of public transportations, on the doors of washrooms at colleges, schools, institutes, etc. Faith, love, gender, family and other personal and social issues have always been the themes of graffiti, where their ways of depiction differ from place to place. Research has revealed that graffiti is as old as language itself. O'Doherty (2012) considers graffiti writing as the earliest form of human expression that preceded language in primitive times. This partly explains why societies are still involved in the practice of graffiti (Mangeya, 2014)

Contents
English Section

Page

- Explanation of a single judgment in one image with two or more reasons together Fundamental stud
  mosreg monaea motlaq alruqi..... 32
- Types of Forign Exchange transactions in the financial markets considering ownership, options and margen tradings and its Sharia rulings
  Mansour Abdulrahman Muhammed Alghamdi..... 48
- The Central Meaning of the Arabic Preposition min (from) in Sibawaih's Work
  Ibrahim al-Faifi..... 92
- Frequent and abnormal readings in Surat Al-Ikhlas and its nodal connotations (Collecting and studying)
  Bushra Hasan Hadi AlYamani..... 124
- The Desert/Forest Conflict in Light of Contrastive Analysis (a contrastive semiotic study)
  Suoud Hamed ALsaaedy..... 157
- Title: Urban and historical study of the economic value of the Red Sea ports: Dubaa and Amlaj ports as models
  Samira Mubarak Belaswad..... 182
- Social Support, Self-efficacy and it's relation with Quality of life among a Sample of female university students in Jeddah
  Shrooq Gharmallah Alzahrani..... 203
- Employment of the Hidden Curriculum in Enhancing the Value System among Students of Higher Education "A suggested model and how to apply it in mathematics curricula"
  Yanallah Ali Yanallah Alqarni..... 253
- Acceptance among fundamentalists
  Abdullah Ahmed Al- Sharif..... 279
- Walls Have Ears: A critical Discourse Analysis OF Graffiti In Jeddah, Saudi Arabia
  Nuha ALshurafa, Alia ALjoofi 281

■ **Editorial Board** ■

Prof. Dr. Ahmed Mohamed Azab aazab@ kau.edu.sa	Editor in Chief
Prof. Dr. Abdul Rahman Raja Allah Alsulami aralsulami@kau.edu.sa	Member
Prof. Dr. Mohamed Salih Alghamdi Msalghamdil@kau.edu.sa	Member
Prof . Dr. Amal Yahya Alshaikh Ayalshaikh@kau.edu.sa	Member
Prof . Samia Abdallah Bukhari Sbukare @kau.edu.sa	Member
Prof . Zakaria Ahmed El-sherbeny zalsherpeny @kau.edu.sa	Member
Prof . Nuha Suliman Alshurafa Nalshurafa@kau.edu.sa	Member
Dr . Zainy Talal Alhazmi Zalhazmi@ kau.edu.sa	Member
Dr . Suliman Mustafa Aydinn slaydinn@hotmail.com	Member
Dr . Abdul Rahman Obeid al-qarni aoalqarni@ kau.edu.sa	Member

King Abdulaziz University Press

JKAU/ Arts and Humanities, **28.2**, 299 Pages (2020A.D.)**ISSN : 1319-0989**
Legal Deposit 14/0294

Journal of
KING ABDULAZIZ UNIVERSITY
Arts and Humanities

Volume 28 Number 2

2020 A.D.

Scientific Publishing Center
King Abdulaziz University
P.O. Box 80200, Jeddah 21589
Saudi Arabia
http://spc.kau.edu.sa

IN THE NAME OF ALLAH,

THE MERCIFUL,

THE MERCY-GIVING